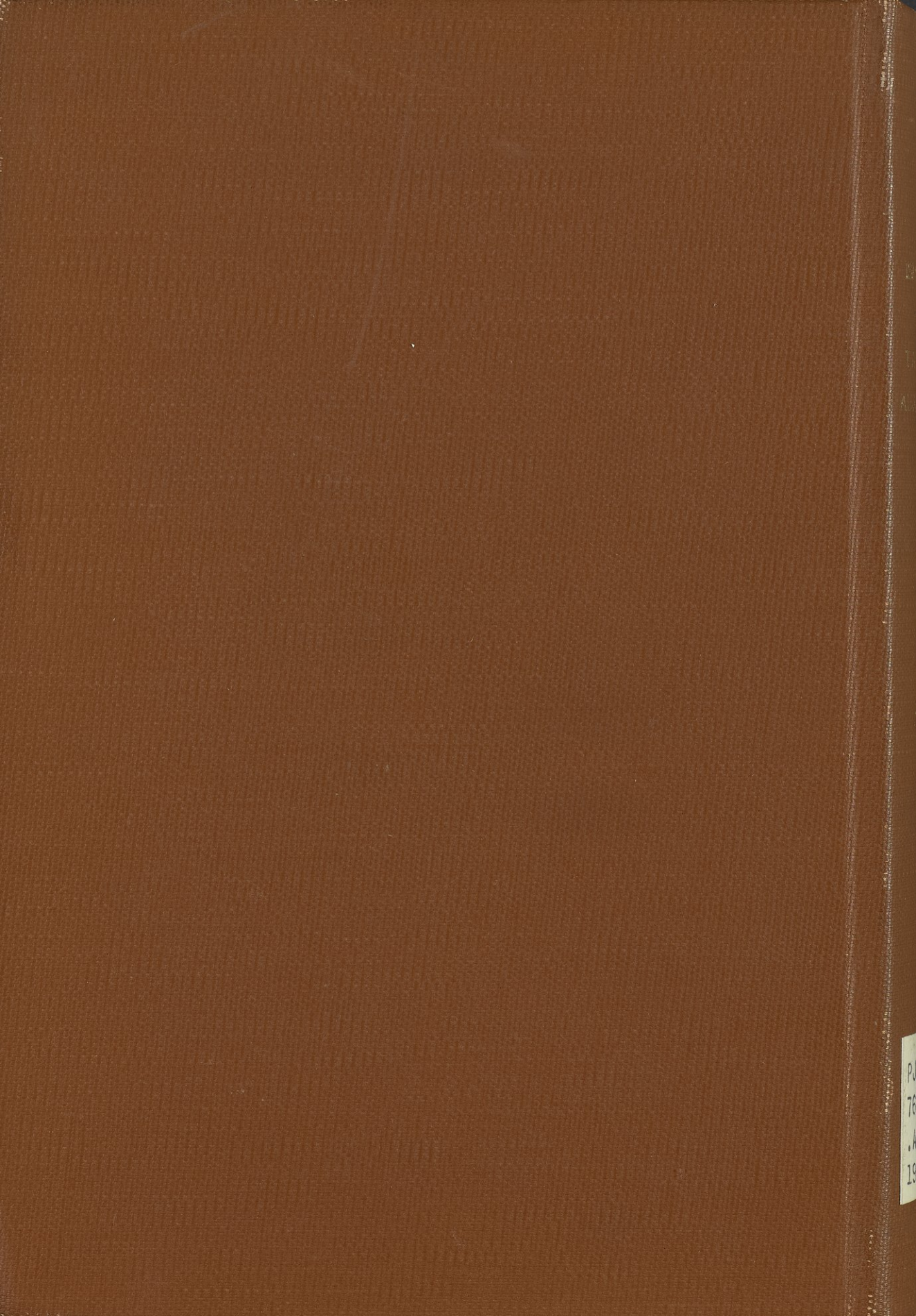
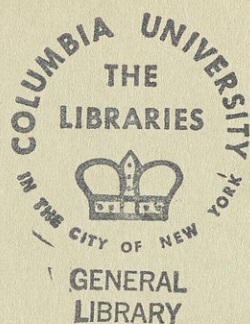




P.O.
76
.A.
18



Columbia University Libraries

Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES



تجريد الاخاني

تأليف
ابن واصل الحموي

المتوفى سنة ٦٩٧ هـ

الجزء الثاني - القسم الأول

٧١/٢

تحقيق

الدكتور طه حسين و ابراهيم الأبياري

الطبعة الأولى

مطبعة مصر للكتاب
٤٠ شارع فرانكلين (ساحل شارع الدواوين)

١٣٧٤ - ١٩٥٥

~~893.7 Is1~~
~~023~~

~~v. 12~~

PJ
7631
. AZ
1956
v. 1²

أَخْبَار أَبِي الْعَتَاهِيَةِ

وهو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان ، مولى عَزْرَةَ . وكُنِيته اسمُه ولقبه وكُنِيته أبو إسحاق . وأمُه أُم زَيْد بنت زِيَاد ، مولى بنِي زُهْرَةَ . وأبو العتاهية لقبٌ غلب عليه . وفيه يقول أبو قابوس النِّصْرَانِي ، وقد بلغه أَنَّهُ فَضِّلَ عليه العَتَابِي :

قُلْ لِلْمُكَنَّى نَفْسَهُ مُتَخَيِّرًا بَعْتَاهِيَةَ
وَالْمُرْسَلِ الْكَلَامِ الْقَبِيهِ حِوَعْتُهُ أَذُنٌ وَأَعِيَهُ
فَعَلَيْكَ لَعْنَةُ ذِي الْجَلَا لِي وَأُمُّ زَيْدٍ زَانِيَهُ

ومَنشُوه بالكوفة . وكان في أَوَّلِ أمره يَتَخَنَّثُ وَيَحْمِلُ زَامِلَةَ الْمُخَنَّثِينَ . ثم كان يَبِيعُ الْفَخَّارَ بِالْكُوفَةِ . ثم قال الشعر ، فَبَرَعَ فِيهِ وَتَقَدَّمَ .

ويقال : أَطْبَعَ النَّاسَ بَشَارَ ، وَالسَّيِّدَ الْحَمِيرِيَّ ، وَأَبُو الْعَتَاهِيَةِ . وَمَا قَدَّرَ أَحَدٌ قَطُّ عَلَى جَمْعِ شَعْرٍ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ بِأَسْرِهِ لِكَثْرَتِهِ . وَكَانَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ مَعَ ذَلِكَ كَثِيرَ السَّقَطِ وَالْمَرْدُولِ ، وَأَكْثَرَ شَعْرِهِ فِي الزُّهْدِ وَالْأَمْثَالِ . وَنُسِبَ مَعَ ذَلِكَ إِلَى الزِّنْدَقَةِ وَإِنْكَارِ الْبَعْثِ . وَكَانَ أَبْجَلَ النَّاسِ مَعَ يَسَارِهِ وَكَثْرَةِ مَا جَمَعَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ .

وقد قيل : إِنَّ أَبَاهُ كَانَ حَجَّامًا ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

أَلَا إِنَّمَا النَّقْوَى هُوَ الْعِزُّ وَالْكَرَمُ وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الْفَقْرُ ^(١) وَالزُّدْمُ
وَلَيْسَتْ عَلَى عَبْدٍ تَقِيَّةٌ نَقِيصَةٌ إِذَا صَحَّحَ النَّقْوَى وَإِنْ حَالَكَ أَوْحَجَمُ

وقد قيل : إِنَّهُ كَانَ يَتَشَبَّهُ وَيَرَى رَأْيَ الزَّيْدِيَّةِ وَالْبَتْرِيَّةِ ^(٢) ، لَا يَتَنَقَّصُ أَحَدًا

في بعض أصول الأغاني : « والعدم » مكان و « الندم » .

(٢) الزيدية : فرقة نسبت إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، تقصر الإمامة على أولاد فاطمة . ولا تجيز الإمامة في غيرهم . والبترية : طائفة منهم ، أصحاب كثير الأبتار . توقفوا في أمر عثمان ، أهو مؤمن أم كافر ، وفضلوا علياً على جميع الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

نشأته ومنزلته في الشعر وشيء عنه

أبوه وشعره فيه

عقيدته وما كان بينه وبين ثمامة في حضرة المأمون

ولا يرى الخروج على السلطان . وكان جَبْرِيًّا^(١) . فذكر أنه قال أبو العتاهية
 ثَمَامَةُ بن أَشْرَس بين يدي المأمون ، وكان كثيراً ما يعارضه في الإجمار : أسألك
 عن مسألة؟ فقال المأمون : عليك شِعْرُكَ . فقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن
 لى فى مسألتى ويأمره بإجابتى ! فقال : أجبه إذا سألك . فقال له : أنا أقول :
 كُلُّ ما فعله العباد من خير وشرٍّ فهو من الله ، وأنت تأبى ذلك ، فمن حرَّكَ
 يدي هذه ؟ وجعل أبو العتاهية يُحرِّكُها . فقال له ثَمَامَةُ : حرَّكها من أمه زانية .
 فقال : شَتَمْنى والله يا أمير المؤمنين . فقال ثَمَامَةُ : ناقض الماصُّ بظر أمه والله
 يا أمير المؤمنين ! فضحك المأمون وقال : ألم آمُرُكَ أن تشغل بشعرك وتدع ما ليس
 من عمَلِكَ . قال ثَمَامَةُ : فلقينى بعد ذلك فقال : ما أغناك الجوابُ عن السَّعَةِ ؟
 فقلت : إنَّ من أتمَّ الكلام ما قَطَعَ الحُجَّةَ ، وعاقب على الإساءة ، وشفى من
 الغَيْظ ، وأنتصر من الجاهل .

لبعضهم فيه حين
 أخذ نفسه بالحجامة

وقيل : إنه لما نَسِكَ وتزهد أخذ نفسه بحجامة اليتامى والفقراء للسبيل ،
 وقال : إنَّ غرضه بذلك التواضع . فقال بعضهم : ألم يكن يبيع الجرار ! فقيل له :
 بلى . فقال : أما فى بيع الجرار من الذلِّ ما يكفيه ويستغنى به عن الحجامة !
 وقيل : كان أبو العتاهية قَصِيْفًا^(٢) أبيض اللون أسود الشعر ، له وَفْرَةٌ جَعْدَةٌ
 وهَيْئَةٌ حَسَنَةٌ وحَصَافَةٌ ولِباقة ، وكان له عبيد من السودان ، ولأخيه زيد أيضاً
 عبيد منهم يَعمَلون الخِزف فى أثُون لهم ، فإذا اجتمع منه شيء ألقوه على أجير لهم
 يقال له : أبو عباد اليزيدى ، كوفى ، فيبيعه على يديه ويردَّ فضله إليهم .

من وصفه وشيء
 عن صناعته

وحكى عن مصعب بن عبد الله الزُّبَيْرى أنه قال : أبو العتاهية أشعرُ الناس .
 فقيل له : بأى شيء أستحقُّ ذلك عندك ؟ فقال : بقوله :

رأى مصعب فى
 شعره

(١) الجبرى ، بالتحريك : المنسوب إلى الجبر ، وهو القول بأن الله يجبر العباد على
 الذنوب ، أى يكرههم عليها . (٢) القضيف : الدقيق العظم القليل اللحم .

تعلّقتُ بِأَمالٍ طوالِ أَيِّ أَمالٍ
وأقبلتُ على الدُّنيا ملجأً أَيِّ إقبالٍ
أيا هذا تجهّزْ لـ فراقِ الأهلِ والمالِ
ولا بُدَّ من الموتِ على حالٍ من الحالِ

ثم قال مُصعب : هذا كلام حسن سهل لا نقصان فيه ، يعرفه العاقل ويُقرّ به الجاهل .

وكان الأصمعيُّ يَسْتَحْسِن قولَ أبي العتاهية :

أنت ما أَسْتَغْنيتَ عن صا حَبِكَ الدَّهْرَ أخوهُ
فإذا أُحْتِجَّتْ إِلَيْهِه سَاعَةً بِحَبِّكَ فُوهُ

وحكى صالح الشَّهْرَزُورِيُّ قال : أتيت سَلَمًا الخاسر فقلت له : أنشدني لنفسك . بين الشَّهْرَزُورِيِّ وسلم في شعره فقال : لا ، ولكن أنشدك لأشعر الجنِّ والإنس ، لأبي العتاهية . ثم أنشدني له :

سَكَنُ يَبْقَى لَهُ سَكَنُ ما بهذا يُؤْذِنُ الزَّمنُ
نحن في دارٍ يُخْبِرُنا بِبِلاها ناطقُ لَسِنِ
دارُ سَوءٍ لم يَدُمُ فَرَحُ لَأَمْرٍ فيها ولا حَزَنُ
في سَبيلِ الله أَنفُسُنا كلُّنا للموتِ مُرْتَهِنُ
كلُّ نفسٍ عِنْدَ مِيتَتِها حَظُّها من مالِها الكَفَنُ
إنَّ مالَ المرءِ ليس له مِنْهُ إِلَّا ذَكَرُهُ الحَسَنُ

وقيل لداود بن زيد بن رزين : من أشعرُ أهل زماننا ؟ فقال : أبو نُوَاس . رأى ابن رزين فيه فقلت : ما تقول في أبي العتاهية ؟ قال : أبو العتاهية أشعرُ الجنِّ والإنس .

وقيل لأبي العتاهية : كيف تقول الشعر ؟ قال : ما أردته قطُّ إِلَّا مَثَلًا لِي ، فَأَقُولُ له في قوله الشعر ما أريد وأترك ما أريد .

وكان يقول : لو شئتُ أن أجعل كلامي كله شعراً لفعلتُ .

هو و بشار وأشجع
في حضرة المهدي

وذكر أن المهديّ جلس للشعراء يوماً ، وفيهم بشار بن بُرد ، وأشجع — وكان
أشجع يأخذ عن بشار ويعظمه — وغير هذين . وكان في القوم أبو العتاهية . قال
أشجع : فلما سمع بشار بن بُرد كلامه ، قال : يا أخا سليم ، أهذا ذاك الكوفي الملقب ؟
فقلت : نعم . فقال : لا جزى الله خيراً من جمعنا معه ! ثم قال له المهدي : أنشد .
فقال لي بشار : ويحك ! ويُسْتَشَدُّ فيُشَدُّ قبلنا أيضاً ! فقلت : قد ترى . فأنشد :

أدلاً فأحجل إداً لها	ألا ما لسيّدتى ما لها
جنيتُ سقى الله أطلالها	وإلا فقيم تجنّت وما
م قد أسكن الحسن ^(١) سرّ بالها	ألا إن جاريةً للإما
تجاذب في الشئ أكفأها	مشت بين حورٍ قصارٍ أخطأ
وأتعب بالأمم عذالها	وقد أتعب الله نفسي بها

قال أشجع : فقال لي بشار : ويحك يا أخا سليم ! ما أدري من أيّ أمرٍ به
أعجب : أمن ضعف شعره ، أم من تشبيهه بجارية الخليفة ، يُسمعه ^(٢) ذلك بأذنه !
حتى أتى على قوله :

أنته الخلافة مُنْقَادَةً	إليه تحرّر أذيالها
ولم تك تصلح إلا له	ويك يصالح إلا لها
ولو رامها أحدٌ غيره	لزلت الأرض زلزالها
ولو لم تطمه بنات ^(٣) القلوب	كما قيل الله أعمالها
وإن الخليفة من بُغض « لا »	إليه ليُبغض من قالها

(١) في بعض أصول الأغاني : « الحب » .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « يسمع » .

(٣) بنات القلوب : النيات .

فقال له بشار ، وقد اهتزَّ طرباً : ويحك يا أخا سليم ! أترى الخليفة لم يطير
عن فرشه طرباً لما يأتى به هذا الكوفي !

وحكى الخليلُ بي أسد قال :

جاءنا أبو العتاهية إلى منزلنا فقال : زعم الناس أنى زنديق ، والله ما ديني
إلا التوحيد . فقلنا : قل شيئاً نتحدث به عنك . فقال :

ألا إننا كلنا باندُ وأى بنى آدمٍ خالدُ
وبدوهم كان من ربهم وكلُّ إلى ربِّه عائدُ
فيا عجباً كيف يُعصى إلا ه أم كيف يحجده الجاحِدُ
وفى كلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنه واحدُ

ولأبى العتاهية مزدوجة طويلة بديعة ، قد اشتملت على غرائب الحكم
والأمثال ، يقال إنها اشتملت على أربعة آلاف مثل . وقد ذكرت جميع ما أورده
أبو الفرج في كتابه :

حسبك مما تبتغيه القوتُ ما أكثر القوت لمن يموتُ
الفقرُ فيما جاوز الكفافاً من أتقى الله رجاً وخافاً
هى المقاديرُ فلهنى أو فذُرُ إن كنت أخطأت فما أخطأ القدرُ
لكل ما يؤذى وإن قلَّ ألمُ ما أطول الليل على من لم ينمُ
ما أنتفع المرء بمثل عقليه وخيرُ دُخر المرء حسنُ فعله
إن الفساد ضدُّه الصلاحُ ورُبَّ جِدٍّ جرَّه المزاحُ
من جعل التمام عيناً هلكاً مبلغك الشرُّ كباغية لكَا
إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أى مفسدة
يُغنيك عن كلِّ قبيحٍ تركُهُ يرتهن الرأى الأصيل شكُهُ

مَا عِشُّ مِنْ آفَتِهِ بِقَاوِدُ نَعَصَّ عِيشًا كُلَّهُ (١) فَنَاوِدُ
 يَارُبَّ مَنْ أَسْخَطَنَا بِجَهْدِهِ قَدْ سَرَّنا اللَّهُ بِغَيْرِ حَمْدِهِ
 مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلَا تَغِيبُ إِلَّا لِأَمْرِ شَأْنِهِ عَجِيبُ
 لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدَنٌ (٢) وَجَوْهَرُ وَأَوْسَطُ وَأَصْغَرُ وَأَكْبَرُ
 فَكُلُّ شَيْءٍ لَاحِقٌ بِجَوْهَرِهِ أَصْغَرُهُ مَتَّصِلٌ بِأَكْبَرِهِ
 مَنْ لَكَ بِالْمَحْضِ وَكُلُّهُ مُتَزَجٌ وَسَاوِسٌ فِي الصَّدْرِ مِنْكَ تَعْتَلِجُ
 مَا زَالَتِ الدُّنْيَا لَنَا دَارًا أَدَى مَمْرُوجَةً الصَّفْوِ بِالْوَانِ الْقَدَى
 الْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِهَا أَزْوَاجُ لَذَا نِتَاجُ وَلَذَا نِتَاجُ
 مَنْ لَكَ بِالْمَحْضِ وَلَيْسَ مُحْضُ يَنْجُبُثُ بَعْضُ وَيَطِيبُ بَعْضُ
 لِكُلِّ إِنْسَانٍ طَبِيعَتَانِ خَيْرٌ وَشَرٌّ وَهَما ضِدَّانِ
 وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَا عُدَا بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جَدًّا
 إِنَّكَ لَوْ تَسْتَنْشِقُ الشَّحِيحَا وَجَدْتَهُ أَنْتَنَ شَيْءٍ رِيحَا
 عَجِبْتُ حَتَّى غَمَنِي الشُّكُوتُ صِرْتُ كَأَنِّي حَائِزٌ مَبْهُوتُ
 كَذَا قَضَى اللَّهُ فَكَيْفَ أَصْنَعُ وَالضَّمْتُ إِنْ ضَاقَ الْكَلَامُ أَوْسَعُ

هو ورجل ساءه ما ينقشه على خاتمه وقيل : شاور رجلُ أبا العتاهية فيما ينقش على خاتمه . فقال : أنقش عليه :
 « لعنة الله على الناس » . ثم أنشد :

بَرِمْتُ بِالنَّاسِ وَأَخْلَاقِهِمْ فَصِرْتُ أَسْتَأْنِسُ بِالْوَحْدَةِ
 مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لَعَمْرِي وَمَا أَقْلَهُمْ فِي حَاصِلِ الْعِدَّةِ

ابن العلاء وبعض من عاب عليه صلته أبا العتاهية وذُكر أن عُمر بن العلاء ، مولى عمرو بن حُرَيْث صاحب المهدي ، كان
 مُدَّحًا ، فُدِّحَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ . فَأَمَرَ لَهُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَأَنْكَرَ ذَلِكَ بَعْضُ

(١) في الديوان : « طيبا » مكان « كله » .

(٢) في الأصل : « قَدَر » مكان « معدن » .

الشعراء وقال : كيف فعل هذا بهذا الكوفي ! وأى شيء مقدار شعره ! فبلغه ذلك . فأحضر الرجل وقال له : والله إن الواحد منكم ليدور على المعنى فلا يُصِيبه ، ويتعاطاه فلا يُحْسِنه ، يُشَبِّبُ بخمسين بيتاً ثم يدحنا ببعضها . وهذا كأن المعاني تتجمع له ، مدحني فقصّر التشبيب وقال :

إني أمنتُ من الزمان ورَيْبِهِ لما عَلِقْتُ مِنَ الأَمِيرِ حَبَالَا
لو يستطيع الناسُ من إجلاله لحدَّوْا له حرَّ الوُجُوهِ نِعَالَا
إنَّ المطايا تشتكيك لأنَّها قَطَعْتُ إِلَيْكَ سَبَابَا ورِمَالَا
فإذا وَرَدَنَ بنا وَرَدَنٌ ^(١) خِفَّةً وإذا رَجَعَنَ بنا رَجَعَنٌ ثِقَالَا
أخذ هذا المعنى من قول نصيب :

فعاجُوا فائنوا بالذي أنتَ أهله ولو سكتُوا أثنتَ عليك الحِقَابُ
وكان الأصمعي يقول :

شعر أبي العتاهية مثل كساحة ^(٢) الملوك ، يقع فيها الجوهرُ والذهبُ والترابُ والخزف والنوى .

شعره للرشيدي
مرضه

وقيل : حمَّ الرشيدُ ، فصار أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع برُقعة فيها :

لو علم الناسُ كيف أنتَ لهم ماتُوا إذا ما أَلَمْتَ أجمعهم
خليفةَ الله أنتَ ترجح بالنَّاسِ إذا ما وُزِنْتَ أنتَ وهم
قد علم الناسُ أنَّ وجهك يسُ تغنى إذا ما رآه مُعَدِمهم

فأنشدها الفضلُ بن الربيع للرَّشيد . فأمر بإحضار أبي العتاهية . فما زال يُسامره ويحدثه إلى أن برىء ، ووصل إليه بذلك السبب مالٌ جليل .

(١) مخفة : قليلة الحمل .

(٢) الكساحة : الكناسة . والذي في بعض أصول الأغاني : « العتاهية كساحة » .

بين ابن الأعرابي
وبعضهم في شعر
أبي العتاهية

وذكر أن ابن الأعرابي حَدَّث بهذا الحديث . فقال له رجلٌ في مجلسه :
ما هذا الشعرُ بمُسْتَحَقِّ لما قلت ! قال : ولم ؟ قال : لأنه شعرٌ ضعيف . فقال
ابن الأعرابي : الضعيفُ والله عَقْلُكَ لا شعرُ أبي العتاهية ! الأبي العتاهية تقول :
إنه ضعيف الشعر ! فوالله ما رأيتُ شاعراً قطُّ أطبعَ ولا أقدرَ على بيت شعرٍ منه ،
وما أحسب مذهبه إلا ضرباً من السَّحر . ثم أنشد له :

قَطَّعْتُ مِنْكَ حَبَائِلَ الْأَمَالِ	وَحَطَّطْتُ عَنْ ظَهْرِ الْمَطِيِّ رِحَالِي
وَوَجَدْتُ بَرْدَ الْيَأْسِ بَيْنَ جَوَانِحِي	فَأَرَحْتُ مِنْ حِلٍّ وَمِنْ تَرَحَالِ
فَالآنَ يَا دُنْيَا عَرَفْتُكَ فَأُذْهِبِي	يَا دَارَ كُلِّ تَنْقُلٍ وَزَوَالِ
يَأْيُهَا الْبَطَرِ الَّذِي هُوَ مِنْ غَدٍ	فِي قَبْرِهِ مَتَمِّزُ الْأَوْصَالِ
حَذَفَ الْمُنَى عَنْهُ الْمَشْمَرُ فِي الْهَدَى	وَأَرَى مِنْكَ طَوِيلَةَ الْأَذْيَالِ
حِيلَ ابْنِ آدَمَ فِي الْأُمُورِ كَثِيرَةٌ	وَالْمَوْتُ يَقْطَعُ حِيلَةَ الْمُحْتَالِ
قَسَيْتُ السُّؤَالَ فَكَانَ أَعْظَمَ قِيمَةٍ	مِنْ كُلِّ عَارِفَةٍ جَرَتْ بِسُؤَالِ
فَإِذَا ابْتَلَيْتَ بِبَذْلِ وَجْهِكَ سَائِلًا	فَابْذُلْهُ الْمُتَكَرِّمَ الْمِفْضَالَ
وَإِذَا خَشِيتَ تَعَذُّرًا فِي بَلَدَةٍ	فَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِعَاجِلِ التَّرَحُّالِ
وَأَصْبِرْ عَلَى غَيْرِ الزَّمَانِ فَإِنَّمَا	فَرَجُ الشَّدَائِدِ مِثْلُ حَلٍّ عِقَالِ

ثم قال للرجل : أتعرف أن أحداً يقول مثل هذا الشعر ؟ فقال له الرجل :
يا أبا عبد الله ، جعلني الله فداك ، إنِّي لم أَرُدُّ عليك ما قلت ، ولكن الزُّهد
مذهب أبي العتاهية ، وشعره في المديح ليس كشعره في الزُّهد . قال : أفليس
الذي يقول في المديح :

وَهَارُونَ مَاءُ الْمَرْنِ يُشْفِي بِهِ الصَّدَى	إِذَا مَا الصَّدَى بِالرِّيقِ غَصَّتْ حَنَاجِرُهُ
وَأَوْسَطُ بَيْتٍ فِي قَرِيْشٍ لَيْيَتُهُ	وَأَوَّلُ عِزٍّ فِي قَرِيْشٍ وَآخِرُهُ
وَزَحْفٌ لَهُ تَحْكِي الْبُرُوقِ سُيُوفُهُ	وَتَحْكِي الرُّعُودَ الْقَاصِفَاتِ حَوَافِرُهُ

إذا حميت شمسُ النهارَ تضاحكتُ إلى الشمسِ فيه بَيَضُهُ (١) ومَعَاظِرُهُ
 إذا نُكِبَ الإسلامُ يوماً بَنَكْبَةٍ فهارونُ من بين البريةِ ثائرُهُ
 ومن ذاقُ الموتَ والموتُ مُدْرِكُ كذا لم يَفُتْ هارونَ صِدِّيقُهُ
 فخلصَ الرجلُ من شرِّ ابنِ الأعرابيِّ بأن قال له : القولُ كما قلتَ ، وما كنتُ
 سمعتُ له بمثل هذين الشعرين ، وكتبهما عنه .

وحكى ثُمَامَةُ بنُ أَشْرَمٍ قال : أنشدني أبو العتاهية :

إذا المرءُ لم يُعْتِقْ من المالِ نفسه تَمَكَّكَ المالُ الذي هو مالُكُهُ
 ألا إنما مالى الذى أنا مُنْفِقُ وليس لى المالُ الذى أنا تارِكُهُ
 إذا كنتَ ذا مالٍ فبادرْ به الذى يَحْقُ وَإِلَّا أُسْتَهْلِكْتَهُ مَهَالِكُهُ

فقلت له : من أين قضيتَ بهذا ؟ فقال : من قول رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : إنما لك من مالك ما أكلتَ فأفقيتَ ، أو لَبِستَ فأبليتَ ، أو تصدَّقتَ
 فأَمْضيتَ . فقلت له : أتؤمن أن هذا قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه
 الحق ؟ قال : نعم . قلت : فلمَ تجسَّسُ عندك سبعا وعشرين بَدْرَةً (٢) فى دارك ،
 لا تأكل منها ولا تشرب ولا تُزَكِّي ، ولا تُقدِّمها ذُخْراً ليومَ فُقرِكَ وفُاقِكَ ؟
 فقال : يا أبا معن ، والله إنَّ ما قلتَ لهو الحق ، ولكنى أخافُ الفُقرَ والحاجةَ
 إلى الناس . قلتُ : وبِمَ تزيدُ حالَ من أفقرَ على حالِكَ ، وأنت دائمُ الحرصِ
 دائمُ الجمعِ ، تَضَنُّ على نفسك ، لا تشترى اللحمَ إلّا من عِيدٍ إلى عِيدٍ ! فترك
 جوابَ كلامي ثم قال : والله لقد اشتريتُ فى يومِ عاشوراءَ لُحْماً وتَوَاسَلَهُ
 وما يتبعه بخمسةِ دراهم . فلما قال لى هذا القولُ أَضْحَكُنِي حتى أَذْهَلَنِي عن جوابِهِ
 ومُعَاتَبَتِهِ ، فأَمْسَكْتُ عنه وعَلِمْتُ أَنَّهُ ليس مِّنْ شَرَحِ الله صدرَهُ للإسلامِ .

(١) البيض : جمع بيضة ، وهى الخوذة .

(٢) البدره : عشرة آلاف درهم .

وحكى بعضهم قال :

هو وسائل

وقف على أبي العتاهية سائلٌ من العيَّارين^(١) الظُّرفاء ، وجماعةٌ من جيرانه
حواليه ، فسأله من بين الجيران ، فقال : صنع الله لك . فإعداد السؤال . فردَّ عليه .
فأعاد عليه ثالثةً . فردَّ عليه مثل ذلك . فغضب وقال له : ألسْتَ الذي تقول :
كل حيٍّ عند ميتته حظُّه من ماله الكفن ؟

قال : نعم . قال : فبالله عليك ، أتريد أن تُعِدَّ مالك كله لمن كفنك ؟ قال :
لا . قال : فبالله كم قدَّرت لكفنك ؟ قال : خمسة دنانير . قال : هي إذاً حظُّك
من مالك ؟ قال : نعم . قال : فتصدَّق على من غير حظِّك بدرهم واحد . قال :
لو تصدَّقتُ عليك لكان حظِّي . قال : فأعمل على أن ديناراً من الخمسة الدنانير
وَضِيعَةً^(٢) قيراط ، وأدفع إلى قيراطاً واحداً ، وإلا فواحدة أخرى . قال :
وما هي ؟ قال : القبور تحفر بثلاثة دراهم ، فأعطني درهماً وأقيم لك كفيلاً بأني
أحفر لك قبرك به متى متَّ ، وتربح درهمين لم يكونا في حسابك ، فإن لم أحفر
رددته على ورثتك ، أو رده كفيلي عليهم . فحجَّل أبو العتاهية وقال : أعزُّب
عنك الله وغضب عليك ! وضحك جميع من كان حاضراً . ومَرَّ السائل
يضحك . وألقت إلينا أبو العتاهية ، وقد اغتاض ، فقال : من أجل هذا وأمثاله
حُرِّمَت الصدقة . فقلنا له : ومن حرَّمها ؟ ومتى حرِّمَتْ ؟ فما رأيت أحداً قبله
ولا بعده ادَّعى أن الصدقة حرِّمَتْ .

وقال أبو غزِيَّة :

وداعه لأبي غزِيَّة

كان أبو العتاهية إذا قدم المدينة يجلس إلى ، فأراد مرة الخروج من المدينة ،
فودَّعني ثم قال :

(١) العيَّار : الذي يتردد بلا عمل .

(٢) الوضيعة : الخطيطة .

إِنْ نَعِشْ نَجْتَمِعْ وَإِلَّا فَمَا أَشَدَّ خَلَّ مَنْ مَاتَ عَنْ جَمِيعِ الْأَنْامِ

وقيل :

بينه وبين غلام
لبعض التجار
طالبه بمال

كان لبعض التجار من أهل باب الطاق^(١) على أبي العتاهية ثمن ثياب أخذها منه، فمر به يوماً، فقال صاحب الدُّكان لُغلام مِمَّنْ كان يَحْدُثُ مِنْهُ حَسَنَ الْوَجْهِ : أدرك أبا العتاهية ولا تُفارقه حتى تأخذَ منه مالنا عليه . فأدركه على رأس الجسر ، فأخذ بعنانِ حماره ووقفه . فقال له : ما حاجتُك يا غلام ؟ قال : أنا رسول فلان بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِأَخْذِ مَا لَكَ عَلَيْكَ . فَأَمْسَكَ عَنْهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ ، وَكَانَ كُلُّ مَنْ رَأَى الْغُلَامَ مُتَعَلِّقًا بِهِ وَقَفَ يَنْظُرُ ، حَتَّى رَضِيَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ جَمْعَ النَّاسِ وَحَقْلَهُمْ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

وَاللَّهِ رَبِّي^(٢) إِنِّي لِأَجِلُّ وَجْهَكَ عَنْ فِعَالِكَ
لَوْ كَانَ وَجْهَكَ مِثْلَ فِعْدِ لَكَ^(٣) كُنْتُ مُكْتَفِيًا بِذَلِكَ

فَخَجَلَ الْغُلَامُ ، وَرَجَعَ إِلَى صَاحِبِهِ وَقَالَ : بَعَثَنِي إِلَى شَيْطَانٍ ، جَمَعَ عَلَى النَّاسِ وَقَالَ فِي الشَّعْرِ حَتَّى أَخْجَلَنِي ، فَهَرَبْتُ مِنْهُ .

شعره لابن مسعدة
وكان قد حجب
عنه

وَذَكَرَ أَنَّ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ كَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى عَمْرِو بْنِ مَسْعُودَةَ ، لَوْ دُرِّكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ مُجَاشَعٍ ، فَأُسْتَأْذِنَ عَلَيْهِ يَوْمًا ، فَحُجِبَ عَنْهُ ، فَلَزِمَ مَنْزِلَهُ . وَأُسْتَبْطِأَ عَمْرُو . فَكُتِبَ إِلَيْهِ : إِنَّ الْكِسْلَ مَنَعَنِي مِنْ لِقَائِكَ . وَكُتِبَ فِي أَسْفَلِ رُقْعَتِهِ :

كَسَلَنِي الْيَأْسُ مِنْكَ عَنْكَ فَمَا أَرْفَعُ طَرْفِي إِلَيْكَ مِنْ كَسَلٍ
أَيَّ أَمْرٍ لَمْ يَكُنْ أَخَا^(٤) ثِقَةٍ قَطَعْتُ مِنْهُ حَبَائِلَ الْأَمَلِ

(١) باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « ريلك » .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « لو كان فَعْلُكَ مِثْلَ وَجْهِكَ » .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « إني إذا لم يكن أخى » .

وقيل : إنه كتب إليه مرة :
 مالك قد حلت عن إخوانك وأسد
 إنني إذا الباب تاه حاجبُه
 لم يك عندى فى هجره نظره
 لستم ترجون للوفاء (١) ولا
 يوم تكون السماء منقطره
 لكن لدنيا كالظل بهجتها
 سريرة الأ قضاء منشره
 قد كان وجهى لديك معرفة
 فاليوم أضحى حرفاً من النكره
 وقيل :

هجاؤه جارية
 كان يهواها

كان أبو العتاهية يهوى فى حديثه امرأة نائحة من أهل الحيرة ، لها حسن
 ودمائة ، يقال لها : سعدى . وكان عبد الله بن معن بن زائدة الشيباني ، المكنى
 بأبي الفضل ، يهواها أيضاً ، وكانت مولاة لهم ، ثم أتهمها أبو العتاهية بالنساء ،
 فقال فيها :

ألا يا ذوات السحق فى الغرب والشرق أفقن فإن النيك أشقى من السحق
 أفقن فإن الخبز بالأدم يشتمى وليس يسوغ الخبز بالخبز فى الحلق
 أراكن ترقعن الخروق بمثلها وأى ليب يرقع الخرق بالخرق
 وهل يصلح المهراس (٢) إلا بعوده إذا أحتيج منه ذات يوم إلى الدق

وتهدد عبد الله بن معن بن زائدة أبا العتاهية وخوفه ، ونهاه أن يعرض
 لمولاته سعدى . فقال أبو العتاهية يهجو :
 هجاؤه لابن معن

لقد بلغت ما قالاً فما باليت ما قالاً
 فلو كان من الأسد لما صال ولا هالا
 فصغ من حلية السيف الذى ألبست (٣) خلخالاً

(١) فى بعض أصول الأغاني : « للحساب » مكان « للوفاء » . (٢) المهراس : الهاون .

(٣) رواية البيت فى بعض أصول الأغاني :

فصغ ما كنت حليت به سيفك خلخالاً

وهذه الرواية أعاد ابن واصل البيت بعد قليل .

فما تصنع بالسَّيف إذا لم تَكُ قَتَّالاً
فلو مَدَّ إلى أُذُنَيْهِ كَفَّيْهِ لَمَّا نَالَا
قَصِيرُ الطُّولِ والطَّيْلَةُ ^(١) لَا شَبَّ وَلَا طَالَا

وقال فيه يهجوهُ :

يا صاحِبِي رَحْلِي لَا تُكْثِرَا
سُبْحَانَ مَنْ خَصَّ ابْنَ مَعْنٍ بِمَا
قَالَ ابْنُ مَعْنٍ وَجَلَا نَفْسَهُ
أَنَا فَتَاةُ الْحَيِّ مِنْ وَاثِلٍ
وَيَنْبَلِي وَيَلْهَفِي عَلَى أَمْرٍ
صَاغَتْهُ يَوْمًا عَلَى خَلْوَةٍ
أُخْتُ بَنِي شَيْبَانَ مَرَّتْ بِنَا
تُكْنِي أَبَا الْفَضْلِ فَيَأْمَنُ رَأْيُ
قَدْ نَقَطَتْ فِي وَجْهِهَا نَقْطَةً
إِنْ زُرْتُمُوهَا قَالَ حُجَّابُهَا
مَوْلَانَا مَشْغُولَةٌ عِنْدَهَا
يَا بِنْتَ مَعْنٍ الْخَيْرُ لَا تَجْهَلِي
أَتَجْلِدُ النَّاسَ وَأَنْتِ أَمْرُو
مَا يَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَنْسُبُوا
يَسْذُلُ مَا يَمْنَعُ أَهْلُ النَّدَى

فِي شَتَمِ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ عَدْلٍ
أَرَى بِهِ مِنْ قِلَّةِ الْعَقْلِ
عَلَى مَنْ الْجُلُوءُ يَا أَهْلِي
فِي الشَّرَفِ الشَّامِخِ وَالنُّبْلِ
يُنَاصِقُ مَنِّي الْقُرْطَ ^(٢) بِالْحِجْلِ
فَقَالَ دَعْ كَفِّي وَخُذْ رِجْلِي
مَشْوِطَةً كَوْرًا ^(٣) عَلَى بَغْلٍ
جَارِيَةٍ تُكْنِي أَبَا الْفَضْلِ
مَخَافَةَ الْعَيْنِ مِنَ الْكُحْلِ
نَحْنُ عَنْ الزُّوَّارِ فِي شُغْلٍ
بَعْلٌ وَلَا إِذْنَ عَلَى الْبَعْلِ
وَأَيْنَ تَقْصِيرٍ ^(٤) عَنِ الْجَهْلِ
تُجْلِدُ فِي دُبُرِكَ ^(٥) بِالْفَسْلِ
مَنْ كَانَ ذَا جُودٍ إِلَى الْبَخْلِ
هَذَا لَعَمْرِي مُنْتَهَى الْبَذْلِ

(١) الطيْلَةُ : العمر . (٢) الحجل : الخللخال . (٣) الكور : الرجل .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « إقتصار » مكان « تقصير » .

(٥) الرواية في بعض أصول الأغاني : * تجلد في الدبر وفي القبل * .

والفصل : قضبان الكرم . يورى .

ما قلتُ هَذَا فِيكِ إِلَّا وَقَدْ جَعَلْتُ بِهِ الْأَقْلَامَ مِنْ قَبْلِي

قيل : فاحتال عبدُ الله بن مَعْن على أبي العتاهية حتى أخذه في مكان فضربه
مائة سَوْطَ ضَرْبًا ليس بالمُبْرَح غِيظًا عليه . وإنما لم يُعْتَفَ بِهِ فِي الضَّرْبِ خَوْفًا مِنْ
كَثْرَةِ مَنْ يُعْنَى بِهِ . فقال أبو العتاهية يَهْجُوهُ :

جَعَلْتُ بِكَفِّهَا بِنْتُ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةٍ

جَعَلْتُ فَأَوْجَعْتُ بِأَبِي أَنْتِ^(١) جَالِدَةٍ

جَعَلْتُ وَبَالَعْتُ مِائَةً غَيْرَ وَاحِدَةٍ

أَجْلِدِي أَجْلِدِي^(٢) إِنَّمَا أَنْتِ وَالِدَةٍ

وَعَضِبَ مِنْ ذَلِكَ يَزِيدُ بْنُ مَعْنٍ أَخُو عَبْدِ اللَّهِ وَتَوَعَّدُ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ . فقال
أبو العتاهية يَهْجُوهُ ، مِنْ قَصِيدَةِ أُولَئِكَ :

بَنَى مَعْنٌ وَيَهْدِمُهُ يَزِيدُ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ

فَمَعْنٌ كَانَ لِلْحَسَّادِ غَيْظًا وَهَذَا قَدْ يُسَرُّ بِهِ الْحَسُودُ

وقيل : إن عبد الله بن مَعْنٍ أَحْضَرَ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ وَدَعَا بِغِلْمَانٍ لَهُ ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ
يَفْسُقُوا بِهِ . ففعلوا . ثُمَّ أَجْلَسَهُ وَقَالَ : قَدْ جَازَيْتُكَ عَلَى قَوْلِكَ ، فَهَلْ لَكَ بَعْدَ هَذَا
فِي الصُّلْحِ وَمَعَهُ مَرَكَبٌ وَعَشْرَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ ، أَوْ تَقِيمُ عَلَى الْحَرْبِ وَمَا تَرَى ؟
قَالَ : بَلِ الصُّلْحِ . قَالَ : فَأَسْمَعْنِي مَا تَقُولُهُ فِي مَعْنَى الصُّلْحِ . فقال :

مَا لِعَدَالِي وَمَالِي أَمْرُونِي بِالضَّلَالِ

عَذَلُونِي فِي اعْتِفَارِي لِابْنِ مَعْنٍ وَأَحْتِمَالِي

إِنْ يَكُنْ مَا كَانَ مِنْهُ فَبَجُرْمِي وَفِعَالِي

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « تِلْكَ » مَكَانَ « أَنْتِ » .

(٢) رَوَايَةُ هَذَا الشَّطْرِ فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي :

* أَجْلِدْنِي وَأَجْلِدِي *

أنا منه كنت أسوا عشرةً في كلِّ حال
 قل لمن يعجب من حسـ من رُجوعى ومقالى
 ربَّ صَفَحْ بعدُ ^(١) جُرم وهوى بعد ^(٢) تقالى
 قد رأيناك كبيراً جائزاً ^(٣) بين الرجال
 إنما كانت يمينى لطمت منى شمالي

وقيل : إن عبد الله بن معن لما قال فيه أبو العتاهية :

فصُع ما كنت حلّيت به سيفك خَلْجَالاً
 فما تصنع بالسَّيف إذا لم تكُ قَتَالاً

قال : والله ما لبستُ سيفي قط ، فرأيتُ إنساناً يلمحنى إلّا ظننته يحفظ قول
 أبي العتاهية فى ذلك ، فأخجل .

تمثل الرشيد ببيت
 له عند رؤيته
 ابن معن

وكان الرشيد إذا رأى عبد الله بن معن تمثل ببيت أبي العتاهية :

أختُ بنى شيبان مرّت بنا مَمْشُوطَةً كُوراً ^(٤) على بَعْلِ

بينه وبين مسلم
 ابن الوليد

وقيل :

اجتمع أبو العتاهية ومسلم بن الوليد صريع الغواني ، فجرى بينهما كلامٌ . فقال
 له مسلم : والله لو كنت أرضى مثل قولك :

الحمدُ والنَّعمةُ لكُ والمُلْكُ لا شريكَ لكُ
 لبيك إنَّ المُلْكُ لكُ

(١) فى بعض أصول الأغاني : « صد » مكان « جرم » .

(٢) التتقالى : التباغض .

(٣) الرواية فى بعض أصول الأغاني :

* قد رأيناك كثيراً * جارياً »

(٤) الكور : الرجل .

لقلت اليوم عشرة آلاف بيت ، ولكنى أقول :

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يوم ذى رَهَجٍ كأنه أَجَلٌ يَسْعَى إلى أَمَلٍ
يَنالُ بالرَّقِّقِ ما يَمِيا الرِّجَالُ به كالموتِ مُسْتَعَجِلاً يَأْتى على مَهَلٍ
يَكسو السُّيُوفَ نُفُوسَ النَّاكِثِينَ به ويَجْعَلُ الهامَ تِيجانَ القَنَا الذُّبُلِ
لله من هاشمٍ فى أرضه جَبَلٌ وأنتِ وأَبْنُكَ رُكْنًا ذاكَ الجَبَلِ
فقال أبو العتاهية : يا بُنْ أَخى ، قُلْ مثلَ قولى :

* الحمدُ والنَّعمةُ لك *

حتى أقول مثل قولك :

* كأنه أَجَلٌ يَسْعَى إلى أَمَلٍ *

وقيل : قال بشار لأبى العتاهية : أنا والله أَسْتَحْسِنُ اعتذارَكَ من دَمْعِكَ

بيته وبين بشار

حيث تقول :

كم من صَدِيقٍ لى أَسَا رَقه البُكَاءُ من الحِياءِ
وَإِذا تَأَمَّلَ لَأَمَنِ فأقول ما بى من بُسْكَاءِ
لكنْ ذَهَبْتُ لأَرْتَدَى فطَرَفْتُ عَيْنى بالرداءِ

فقال له أبو العتاهية : يا أبا مُعَاذٍ ، ما لَذْتُ إلا بِمَعْنَاكَ ، ولا أَجْتَنِيتُ إلا من

غَرَسَكَ ، حيث تقول :

شَكوتُ إلى الغَوانى ما أَلاقُ فقلتُ لهن ما يومى بَعِيدُ
فَقُلْنَ بِكَيْتَ قلتُ لهن كَلًّا وقد يَمَكى من الشَّوقِ الجَلِيدُ
ولكنى أَصابَ سوادَ عَيْنى عُويدُ قَدَى له طَرَفُ حَدِيدِ

وذَكَرَ الفضلُ بنُ الرِّبيعِ قال :

بيته وبين الرشيد
وقد وجد عليه

وَجَدَ الرَّشِيدُ ، وهو بالرَّقَّةِ ، على أبى العتاهية فى شىء ، وأبو العتاهية بمدينة

السَّلام . وكان أبو العتاهية يرجو أن أتكلّم في أمره . فأبطأت عليه بذلك .
فكتب إليه أبو العتاهية :

أَجَفَوْتَنِي فِيمَنْ جَفَانِي وَجَعَلْتَ شَأْنَكَ غَيْرَ شَانِي
وَلَطَالَمَا أَمَّنْتَنِي مِمَّا أَرَى كُلَّ الْأَمَانِ
حَتَّى إِذَا انْقَلَبَ الزَّمَانُ نَ عَلَى صِرْتٍ مَعَ الزَّمَانِ
فَكَلَّمْتُ الرَّشِيدَ فِيهِ ، فَرَضَى عَنْهُ . وَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ أَمْرُهُ بِالشُّخُوصِ وَأَذْكَرَ لَهُ
أَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ رَضِيَ عَنْهُ . فَشَخَّصَ إِلَيَّ بِالرَّقَّةِ . فَلَمَّا دَخَلَ إِلَى أَنَشْدَنِي
قَوْلَهُ فِيهِ :

قَدْ دَعَوَانَهُ نَائِيًّا فَوَجَدْنَا ه عَلَى نَائِيهِ قَرِيبًا سَمِيعًا
فَادْخَلْتُهُ إِلَى الرَّشِيدِ . فَرَجَعَ إِلَى حَالَتِهِ الْأُولَى .
وَحَكَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ قَالَ :

بيته وبين عبدالله
ابن الحسن

جَاءَنِي أَبُو الْعَتَاهِيَةِ وَأَنَا فِي الدِّيْوَانِ فَجَلَسَ إِلَيَّ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، أَمَا
يَصْعَبُ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنَ الْأَلْفَافِ فَتَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى اسْتِعْمَالِ الْغَرِيبِ كَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ سَائِرُ
النَّاسِ مَنْ يَقُولُ الشَّعْرَ ، أَوْ إِلَى لَفْظٍ مُسْتَكْرَهٍ ؟ فَقَالَ : لَا . فَقُلْتُ لَهُ : إِنِّي أَحْسِبُ
ذَلِكَ مِنْ كَثْرَةِ رُكُوبِكَ الْقَوَافِي السَّهْلَةِ . قَالَ : فَأَعْرَضَ عَلَيَّ مَا شَتَّتْ مِنَ الْقَوَافِي
الصَّعْبَةِ . فَقُلْتُ : قُلْ آيَاتًا عَلَى مِثْلِ « الْبَلَاغِ » . فَقَالَ مِنْ سَاعَتِهِ :

أَيُّ عَيْشٍ يَكُونُ أَفْضَلَ مِنْ عَيْدٍ شِ كِفَافٍ قُوْتٍ بِقَدْرِ الْبَلَاغِ
صَاحِبُ الْبَغْيِ لَيْسَ يَسْلَمُ مِنْهُ وَعَلَى نَفْسِهِ بَغْيُ كُلِّ بَاغِي
رُبَّ ذِي نِعْمَةٍ تَعَرَّضَ مِنْهَا حَائِلٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَسَاغِ
أَبْلَغَ الدَّهْرِ فِي مَوَاعِظِهِ بَلْ زَادَ فِيهِمْ لِي عَلَى الْإِبْلَاغِ
عَبَّيْتُ الْآيَامَ عَقْلِي وَمَالِي وَشَبَابِي وَصَحَّتِي وَفِرَاقِي

وقيل : أجمعت الشعراء بباب الرشيد ، فأذن لهم فدخلوا وأنشدوا ،
من بين الشعراء
وأنشد أبو العتاهية :

يا من تَبَغَّى^(١) زمنًا صالحًا صلاحُ هارونَ صلاحُ الزَّمنِ
كُلُّ لسانٍ هُوَ في مُلكه بالشُّكرِ في إحسانه مُرْتَهَنُ
فاهتز الرشيدُ وقال : أحسنتَ والله ! وما خَرَجَ في ذلك اليومَ أحدٌ من
الشعراء بصلة غيره .

قيل : رثاؤه لابن ثابت

وكان عليّ بن ثابت صديقاً لأبي العتاهية ، وبينهما مجاوبات كثيرة في الزهد
والحكمة ، فتوفي ابن ثابت قبله ، فقال يرثيه :

مُؤْنِسٌ كانَ لي هَلَكُ والسَّيْلُ التي سَلَكَ
يا عليّ بنَ ثابتٍ غَفَرَ اللهُ لي وَلَكَ
كُلُّ حَيٍّ مُمْلِكٍ سوفَ يَفْنَى وما مَلَكَ

وحضر أبو العتاهية عليّ بن ثابت وهو يُجود بنفسه ، فلم يزل يلتزمه ويبكي
حتى فاظ . فلما شُدَّ لحياه بكى طويلاً ، ثم أنشأ يقول :

يا شَرِيكَ في الخَيْرِ قَرِيبُكَ اللهُ فَنِعْمَ الشَّرِيكَ في الخَيْرِ كُنْتَا
قد لَعِمَ رِي حَكَيْتَ لي غُصَصَ المَوْتِ فَحَرَّ كُنْتِي لها وَسَكُنْتَا
ولما دُفِنَ وقفَ على قبره يبكي بأحرَّ بكاءٍ ويردّد هذه الأبيات :

أَلَا مَنَ لي بِأُنْسِكَ يا أَخِيَّ وَمَنَ لي أنْ أَبْشَكَ ما لَدِيَّ
طَوْتُكَ خُطوبُ دَهْرِكَ بعدَ نَشْرِ كذاكَ خُطوبُهُ نَشْرًا وَطِيَّ

كفى حزناً بفقْدك ثم إنّي نفضتُ تُرابَ قَبْرِكَ مِنْ يَدَيَّ
بكَيْتُكَ يا عَلىّ بدمع عَيني فما أغنى البُكاءُ عَلَيْكَ شَيْئاً
وكانتُ في حياتِكَ لى عَظَاتٍ فأنتَ اليومَ أوْعَظُ مِنْكَ حَيّاً

وهذه الكلمات أخذها أبو العتاهية من الحكماء الذى حضروا تابوت الإسكندر
ذى القرنين بن فيلبس لما مات . فقال أحدهم : كان الملك أمس أهيبَ منه
اليوم ، وهو اليوم أوْعَظُ مِنْهُ أمس .

وقال آخر : سكنتُ حركةَ الملكِ فى لذّاته ، وقد حرّكنا اليوم بسُكونه
جزعاً لفقده .

وقيل :

هو وفتيان قاهرهم
على قول الشعر

اجتاز أبو العتاهية فى أول أمره ، وعلى ظَهره قَفَصٌ فيه فُخَّارٌ يدور به بالكوفة
ويبيع منه ، بفتيان جلوس يتذاكرون الشعر ويتناشدونه ، فسلم ووضع القفص
عن ظَهره ، ثم قال لهم : يا فتّيان ، أراكم تتذاكرون الشعر وتقولونه ، أفأقول شيئاً منه
وتُجيزونه ، فإن فعلتم فلحكم على عشرة دراهم ، وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم ؟
فهمزُوا منه وسَخروا وقالوا : نعم ، لا بدّ أن يُشترى بأحد القَمَرَيْنِ رُطْبُ يَوْ كل ، فإنه
قمر^(١) حاصل . وجعل رَهْنُهُ على يد أحدهم^(٢) . ففعلوا . فقال : أجزوا :

* ساكنى الأجدات أنتم *

وجعل بينه وبينهم وقتاً وعلامة فى ذلك الموضع إذا بلغتْهُ الشمسُ ولم يُجزوا
البيتَ ، وجب القَمَرُ عليهم . فلم يأتوا بشيء . فأخذ الدراهم ، وجعل يهزأ منهم وتممه :

..... مثلنا بالأمس كنتم
ليت شعرى ما صنعتم أرِجتم أم خسرتم

(١) فى بعض أصول الأغاني : « القهارين . . . قهار . »

(٢) فى بعض أصول الأغاني : « تحت يد أحدهم » .

وهي قصيدة طويلة من شعره .

وقيل :

جائزة المأمون له
على بيتين

وقعت رقعة في عسكر المأمون ، فجيء بها إلى مجاشع بن مسعدة ، فقال :
هذا الكلام لأبي العتاهية ، وهو صديقي ، وليست المخاطبة لي ولكنها للأمير
الفضل بن سهل . فبعثوا بها إليه ، فقرأها فقال : ما أعرف هذه العلامة . فبلغ
خبرها المأمون ، فقال : هذه لي ، وأنا أعرف العلامة . والبيتان :

ما على ذا كُنَّا أَتَقْنَا^(١) بِسَنَدَا نَ وَمَا هَكَذَا عَهْدُنَا الْإِخَاءَ
تَضْرِبُ النَّاسَ بِالْمُهَنْدَةِ الْبَيْدِ ضِ عَلَى غَدْرِهِمْ وَتَنْسَى الْوَفَاءَ
فبعث إليه المأمون بمال .

وقيل :

أطلقه الرشيد من
الحبس لشعر
سمعه له

حبس الرشيد أبا العتاهية ليرجع إلى قول الغزل ، وكان تركه وأقتصر على
الزهديات ، ولما لجَّ في أمتناعه ضربه وحبسه ووكل به صاحب خبر يكتب
إليه بكل ما يسمعه منه . فكتب إليه : إنه سمعه يُنشد :

أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ لَوُمٌّ وَمَا زَالَ الْمُسَىءُ هُوَ الظُّلُومُ
إِلَى دَيَّانِ يَوْمِ الدِّينِ تَمْضَى وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ
فبكى الرشيد وأمر بإحضار أبي العتاهية وإطلاقه .

وقال بعضهم :

إجابته لبعضهم
وقد سأله عن أحسن
ما قال

قلت لأبي العتاهية : في أيِّ شعرك أنت أشعر ؟ قال : قولي :

النَّاسُ فِي غَفْلَتِهِمْ وَرَحَى الْمَنِيَّةِ تَطْحَنُ
مَا دُونَ دَائِرَةِ الرَّدَى حِصْنٌ لِمَنْ يَتَحَصَّنُ

(١) سندان : مدينة ملاصقة للسند . والرواية في بعض أصول الأغاني : « افرقنا بسندان » .

وذكر المَعْلَى بن أيوب قال :

شعر له في الموت
أنشده المأمون

دخلتُ على المأمون يوماً وهو مُقبل على شيخ حسن اللحية خَضِيبٍ شديدِ
بياض الثياب، على رأسه لاطئة^(١)، فقلت للحسن بن أبي سعيد — وهو ابن خالة
المَعْلَى بن أيوب، وكان الحسن كاتبَ المأمون على العامة — : من هذا ؟ فقال :
أوما تعرفه ؟ فقلت : لو عرفته ما سألتك عنه . قال : هذا أبو العتاهية . فسمعتُ
المأمونَ يقول : أنشدني ما قلت في الموت . فأنشده :

أنساك مَحْيَاك المَمَاتَا	فطلبتَ في الدنيا الثَبَاتَا
أوثقتُ بالدُّنْيَا وأذ	ت ترى جماعتها شَتَاتَا
وعزمتَ منك على الحيا	ة وطولها عَزْماً بَتَاتَا
يا مَنْ رأى أبويه في	مَنْ قد رأى كانا فَمَاتَا
هل فيهما لك عِبرة	أم خِلْتُ أن لك أنفلاتَا
ومَنْ الذي طلب التَّقَلُّ	ت من منبته ففَاتَا
كلُّ تُصَبِّحُه المنى	ة أو تُبَيِّتُه بَيَاتَا

فلما نهَضَ تبعتهُ ، فقبضتُ عليه في الصَّحْن ، أو في الدَّهْلِيز ، فكتبتُها عنه .

وقيل :

دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده :

ما أحسن الدنيا وإقبالها	إذا أطاع الله مَنْ نالها
مَنْ لم يُوَاسِ الناسَ في فضله	عَرَّضَ للإِدْبَارِ إقبالها

فقال له المأمون : ما أجودَ البيت الأول ! وأما الثاني فما صنعتَ فيه شيئاً ،
الدُّنْيَا مُدْبِرَةٌ عَنْ وِاسِيَّهَا أَوْضَنُّ مِنْهَا ، وإنما تُوجِبُ السَّامَحَةُ بِهَا الأَجْرَ ، والضَّنُّ

(١) اللاطئة : قلنسوة صغيرة تُلطَأُ بالرأس .

أخذ عليه الرشيد
معنى في شعرة فعد
فأجاد فجازاه

بها الوزر . فقال : صدقت يا أمير المؤمنين ، أهل الفضل أولى بالفضل ، وأهل
النقص أولى بالنقص . فقال المأمون : يا ثابت ، أدفع إليه عشرة آلاف درهم
لأعترافه بالحق . فلما كان بعد أيام عاد فأنشده :

كم غافلٍ أودى به الموت لم يأخذ الأبهة للقوت
من لم تزل نعمته قبله زال عن النعمة بالموت

فقال له المأمون : الآن أحسنت وطبقت^(١) المعنى ، وأمر له بعشرين
ألف درهم .

وقيل :

لم يبعث إليه
المأمون على هديته
فكتب إليه شعراً

كان أبو العتاهية يحج في كل سنة ، فإذا قدم أهدى إلى المأمون برداً ومطرطفاً
ومساويك أراك ونعلاً سوداء ، فيبعث إليه بعشرين ألف درهم . فأهدى إليه سنة
كما كان يهدي ، فلم يبعث إليه شيئاً . فكتب إليه :

خبروني أن من ضرب السنه جُدداً بيضاً وصُفراً حسنه
أحدثت لكتني لم أرها مثل ما كنت أرى كل سنه
فأمر المأمون بحمل العشرين ألف إليه . وقال : أغفلناه حتى أذكركنا .

وقيل :

تهنئته الهادي بمولود

وُلد لمُوسى الهادي ولِد في أول يومٍ ولى فيه الخلافة ، فدخل عليه أبو العتاهية
فأنشده :

أكثر موسى غيظاً حساده وزين الأرض بأولاده
وجاءنا من صلبه سيد أصيد في تقطيع أجداده
وأكتست الأرض به بهجة وأستبشر الملكُ بميلاده

(١) في بعض أصول الأغاني : « طيبت » .

وَأَتَسَمِ الْمُنْبِرَ عَنْ فَرْحَةٍ بِقَوْمٍ ^(١) صِدْقٍ فَوْقَ أَعْوَادِهِ
كَأَنِّي بَعْدَ قَلِيلٍ بِهِ بَيْنَ مَوَالِيهِ وَقُوَادِهِ
فِي جَحْفَلٍ ^(٢) تَحْقِيقَ رَايَاتِهِ قَدْ طَبَّقَ الْأَرْضَ بِأَجْنَادِهِ
فَأَمَرَ لَهُ الْهَادِي بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَكَانَ سَاخِطًا عَلَيْهِ لِأَنْقِطَاعِهِ إِلَى أَخِيهِ هَارُونَ
الرَّشِيدِ فِي أَيَّامِ أَبِيهِمَا الْمَهْدِيِّ ، وَرَضَى عَنْهُ .

تعقيب لابن واصل
في عهد المهدي
لأولاده

قلت : كَانَ الْمَهْدِيُّ قَدْ جَعَلَ وَلَايَةَ عَهْدِهِ إِلَى ابْنِهِ مُوسَى الْهَادِي ، ثُمَّ بَعْدَهُ
لِابْنِهِ هَارُونَ الرَّشِيدِ . فَلَمَّا مَاتَ الْمَهْدِيُّ تَقَلَّدَ مُوسَى الْهَادِي الْأَمْرَ وَتَغَيَّرَ لِأَخِيهِ
هَارُونَ الرَّشِيدِ وَعَزَمَ عَلَى خَلْعِهِ مِنْ وَلَايَةِ عَهْدِهِ ، وَنَقَلَ ذَلِكَ إِلَى وَلَدِهِ جَعْفَرِ بْنِ
الْهَادِي . فَلَمْ تَطُلْ أَيَّامُهُ إِلَّا سَنَةً وَشَهْرًا وَأَيَّامًا . ثُمَّ مَاتَ الْهَادِي وَصَفَتْ الْخِلَافَةُ
لِهَارُونَ الرَّشِيدِ وَطَالَتْ أَيَّامُهُ . وَلَمْ يَكِلِ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ إِلَّا مَنْ هُوَ مِنْ عَقِبِهِ إِلَى يَوْمِنَا
هَذَا ، وَلَمْ يَقْدِرْ اللَّهُ لِلْهَادِي إِمَامًا مَا نَوَاهُ مِنَ الْغَدْرِ .

أنشد المهدي
في غضبه على
أبي عبيد الله

وَقِيلَ :
دَخَلَ أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ عَلَى الْمَهْدِيِّ ، وَقَدْ وَجَدَ عَلَيْهِ فِي أَمْرِ بُلْغِهِ عَنْهُ ، وَأَبُو الْعَتَاهِيَةِ
حَاضِرُ الْمَجْلِسِ ، فَجَعَلَ الْمَهْدِيُّ يَشْتُمُ أَبَا عُبَيْدِ اللَّهِ وَيَتَعَيَّظُ عَلَيْهِ ، فَجَرَّ بِرَجْلِهِ
وَحُبَسَ . ثُمَّ أَطْرَقَ الْمَهْدِيُّ طَوِيلًا ، فَلَمَّا سَكَنَ أَنْشَدَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

أَرَى الدُّنْيَا لِمَنْ هِيَ فِي يَدَيْهِ عَذَبًا كُلَّمَا كَثُرَتْ لَدَيْهِ
تُهَيِّنِ الْمَكْرَمِينَ لَهَا ^(٣) بِصَغْرِ وَتُكْرِمِ كُلَّ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ
إِذَا اسْتَغْنَيْتِ عَنْ شَيْءٍ فَدَعَاهُ وَخُذْ مَا أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ

فَتَبَسَّمَ الْمَهْدِيُّ وَقَالَ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ : أَحْسَنْتَ ! فَقَامَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ

(١) رواية هذا العجز في بعض أصول الأغاني :

* علت به ذروة أعواده *

(٢) في بعض أصول الأغاني : « في محفل » .

(٣) الصغر : الضيم والذل .

يا أمير المؤمنين ما رأيتُ أحداً أشدَّ إكراماً للدنيا ولا أصونَ لها ولا أضنَّ بها ولا أشحَّ عليها من هذا الذي جُرَّ برجله الساعة ، ولقد دخلتُ على أمير المؤمنين إذ دخل ، وهو أعز الناس ، فما برحتُ حتى رأيتُهُ أذلَّ الناس ، ولورضى من الدنيا بما يكفيه لاستوت أحواله ولم تتفاوت . فتبسّم المهديّ ودعا بأبي عبيد الله ورضى عنه . فكان أبو عبيد الله يشكر ذلك لأبي العتاهية .

تعقيب لابن واصل
عن أبي عبيد الله
وموته

قلت : كان أبو عبيد الله وزير المهديّ في أيام أبيه أبي جعفر المنصور ، فلما أفضت إليه الخلافة غلب عليه وصارت الأمور كلها إليه ، ثم تغيّرت أحواله عنده وأستورز يعقوب بن داود بن طهمان ، الذي تقدّم ذكره في أخبار هشام ، ثم غضب عليه المهديّ وأودعه المطبق . فلم يزل فيه لا يفرّق بين الليل والنهار حتى أقضت أيام المهديّ وأيام موسى الهادي وصدرأ من خلافة هارون الرشيد ، فأخرجه وأطلقه ، فتوجّه إلى مكة فأقام بها حتى مات .

تفضيل ابن منذر
له

وحكى مسعود بن بشر المازني قال :

لقيتُ ابن منذر بمكة فقلت له : من أشعر أهل الإسلام ؟ قال : من إذا شئت هزل ، وإذا شئت جدّ . قلت : من ؟ قال : مثل جرير حيث يقول في النسيب :

إنّ الذين غدّوا بلبّك غادروا وشلاً بعينك لا يزال معينا
غيضن من عبراتهنّ وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا
ثم قال حين جدّ :

إنّ الذي حرم المكارم تغلباً جعل النبوة والخلافة فينا
مضرّ أبى وأبو الملوك فهل لكم يا خزر^(١) تغلب من أب كائنا
هذا ابن عمّي في دمشق خليفة لو شئت ساقكم إلى^(٢) قطينا

(١) في بعض أصول الأغاني : « يا آل » مكان « يا خزر » .

(٢) القططين : الخدم والأتباع .

ومن المحدثين هذا الخبيث الذي يتناول شعره من كُثمه . فقلت : من ؟
قال : أبو العتاهية . قلت : فماذا ؟ قال : في قوله :

اللهُ بيني وبين مَـوَلاتي أبدتُ لنا الصَّـدَّ والمَلالاتِ
لا تَغْفِرُ الذَّنْبَ إنْ أسأتُ ولا تقبلُ عُذْرِي ولا مُواتاتي
منحتُها مُهْجتي وِـالصَّـتِي فكان هِجْرانُها مُكافاتي
أقلقني حُبُّها وصَـيْرَتِي أـحـدُوثَةٌ في جَمِيعِ^(١) حالاتي
ثم قال حين جدَّ :

ومَهْمِهِ قد قَطَعْتُ^(٢) طامِسَه ففَرَّ على المَوَلِ والمُحَاماةِ
بُحْرَةً جَسْرَةً عُـذافرة خوَصاءَ عَـيْرانَةٍ^(٣) لَمَنَداةِ
تُبَادِرُ الشَّمْسَ كما طَلَعَتْ بالسَّـيْرِ تَبْغِي بذاك مَرَضاتِي
يا ناقُ خُبِّي بنا ولا تَعِدِي نَفاك مِمَّا تَرَنَّنَ راحاتِ
حَتَّى تُنْأَخِي بنا إلى مَلِكٍ تَوَجَّهَ اللهُ بِالمُهاباتِ
عليه تَأْجَانُ فوق مَفْرِقَه تاجُ جَلالٍ وتاجُ^(٤) إخباتِ
يَقُولُ للرَّيِّحِ كلما عَصَفَتْ هل لك يارِيحُ في مُباراتي
مَنْ مِثْلُ مَنْ عَمَّه الرِّسُولُ وَمَنْ أخواله أَكْرَمُ الخُـوَلاتِ

وقيل :

كانت مَرْتَبَةُ أَبِي العتاهية مع مَرْتَبَةِ الفضل بن الرِّبِيع في موضع واحد في دار

(١) في بعض أصول الأغاني : « جاراتي » مكان « حالاتي » .

(٢) الطامس : البعيد الذي لا مسلك فيه .

(٣) الحرة : الناقة العتيقة . والجسرة : العظيمة . والعذافرة : الشديدة . واخوصاء : الضيقة

العينين . والعيرانة : النشيطة . والعلندة : الطويلة .

(٤) الإخبات : الخضوع

المأمون ، فقال الفضل لأبي العتاهية : يا أبا إسحاق ، ما أحسن بيتين لك وأصدقهما ! قال : وما هما ؟ قال : قولك :

ما الناس إلا للكثير المال أو لمسلط ما زال في سلطانهِ
فإذا الزمان رماها^(١) بملة كان الثقات هناك من أعوانه

يعنى : من أعوان الزمان . وإنما تمثل الفضل بن الرّبيع بهذين البيتين لأنحطاط مرتبته في دار المأمون . وكان المأمون أمر بذلك لتحبيذه العداوة له مع أخيه محمد الأمين .

وحكى محمد بن أبي العتاهية قال :

تفكك فحبسه
الرّشيد ثم أطلقه

كان أبي لا يقارق الرّشيد في سفر ولا حضر إلا في طريق الحجّ ، وكان يُجرى عليه في كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمعاون . فلما قدم الرّشيد الرقة لبس أبي الصوف وتزهد وترك حضور المنادمة والقول في الغزل . فأمر الرّشيد بحبسه ، فحبس . فكتب إليه من حبسه :

أنا اليوم لى والحمد لله أشهر يرُوح علىّ الهم منكم ويَبْكُرُ
تذكرُ أمين الله حقّ وحرمتي وما كنت توليني^(٢) كذلك يذكر
ليالى تُدنى منك بالقرب مجلسي ووجهك من ماء الباشاة يَقْطُرُ
فمن لى بالعين التي كنت مرة إلى بها - نفسى فداؤك - تنظر

قال : فلما قرأ الرّشيد الأبيات قال : قولوا له : لا بأس عليك . فكتب إليه :
أرقت وطار عن عيني النعاس ونام الساهرون^(٣) ولم يؤاسوا

(١) في بعض أصول الأغاني : « ببليّة » مكان « بملة » .

(٢) الرواية في الديوان : « لعلك تذكر » .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « السامرون » .

أَمِينَ اللَّهِ أَمْنُكَ خَيْرُ^(١) أَمِنْ عَلَيْهِ مِنَ التَّقَى فِيهِ لِبَاسٌ
تُسَاسُ مِنَ السَّمَاءِ بِكُلِّ بَرٍّ وَأَنْتَ بِهِ تَسُوسُ كَمَا تُسَاسُ
كَانَ الْخَلْقُ رُكَبَ فِيهِ رُوحٌ لَهُ جَسَدٌ وَأَنْتَ عَلَيْهِ رَاسٌ
أَمِينَ اللَّهِ إِنْ الْحَبْسَ بَأْسٌ وَقَدْ وَقَعْتَ^(٢) : لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ
فَأَمْرٌ بِإِطْلَاقِهِ .

وقيل :

إجازة الرشيد
والفضل له

ورد على الرشيد مالٌ عظيم من جهة الموصل ، فأمر بصرفه أجمع إلى بعض
جواريه ، وأستعظم الناس ذلك وتحدثوا به . فرأى أبو العتاهية وقد أخذه شبه
الجنون . ف قيل له : مالك ؟ ويليكَ ! قال : سبحان الله ! أيُدفع هذا المالُ الجليل
إلى امرأة ولا يتعلق بكفى منه شيء ! ثم دخل على الرشيد بعد أيام وأنشده :

الله هَوْنٌ عِنْدَكَ الدُّنْيَا وَبَعْضُهَا إِلَيْكَ
فَأَيَّتَ إِلَّا أَنْ تُصَغَّرَ كُلَّ شَيْءٍ فِي يَدَيْكَ
مَا هَانَتْ الدُّنْيَا عَلَى أَحَدٍ كَمَا هَانَتْ عَلَيْكَ

فقال الفضل بن الربيع : يا أمير المؤمنين ، ما مُدحت الخلفاء بأصدق من هذا
المدح . فقال : يا فضل ، أعطه عشرين ألف درهم . فغدا أبو العتاهية على الفضل
فأنشده :

إِذَا مَا كُنْتَ مَتَّخِذًا خَلِيلًا فَشَلَّ الْفَضْلَ فَأَتَّخِذَ الْخَلِيلَا
يَرَى الشُّكْرَ الْقَلِيلَ لَهُ عَظِيمًا وَيُعْطَى مِنْ مَوَاهِبِ الْجَلِيلَا
أَرَانِي حَيْثَا يَمُتُ طَرْفِي وَجَدْتُ عَلَى مَكَارِمِهِ دَلِيلَا

(١) الرواية في بعض الأصول : « أمرك خير أمر » .

(٢) في بعض الأصول : « وقد أرسلت » .

فقال له الفضل : والله لولا أني أكره أن أساوى أمير المؤمنين لأعطيتك مثلها ، ولكني سأوصلها إليك في دفعات . ثم أعطاه ما أنسر له به الرشيد وزاده خمسة آلاف درهم من عنده .

وذكر أن أبا العتاهية كتب إلى الرشيد لما حبسه لأمتناحه من قول الغزل ، وكان قد لبس كساء صوف ودراعة صوف :

حبس الرشيد له
لامتناعه عن قول
الغزل ثم إطلاقه
إياه

يَا بْنَ عَمِّ النَّبِيِّ سَمِعًا وَطَاعَةً قَدْ خَلَعْنَا الْكِسَاءَ وَالْدَّرَاعَةَ
وَرَجَعْنَا إِلَى الصَّنَاعَةِ لَمَّا كَانَ سُخْطُ الْإِمَامِ تَرَكَ الصَّنَاعَةَ
وقيل : لم يزل الرشيد متوانياً في إخراجه إلى أن قال :

لَأَمْرٍ مَا تَصَرَّفَ اللَّيَالِي وَأَمْرٍ مَا تَقَلَّبَتِ النُّجُومُ
تَمُوتُ غَدًا وَأَنْتَ قَرِيرُ عَيْنٍ مِنْ الْعَقَلَاتِ فِي لُجْجِ تَعُومٍ
تَنَامُ وَلَمْ تَنْمِ عَنْكَ الْمَنَايَا تَنْبَهْ لِلْمَنِيَّةِ يَا نَوْوَمٍ
سَلِ الْأَيَّامَ عَنْ أُمِّ تَقَضَّتْ سَتُخْبِرُكَ الْمَعَالِمُ وَالرُّسُومُ
تَرُومُ الْخُلْدَ فِي دَارِ الْمَايَا وَكَمْ قَدْ رَامَ قَبْلَكَ ^(١) مَا تَرُومُ
أَلَا يَأْيُهَا الْمَلِكُ الْمُرْجَى عَلَيْهِ نَوَاهِضُ الدُّنْيَا تَحُومُ
أَقْلَنِي زَلَّةً لَمْ أَجْرِ فِيهَا إِلَى لَوِيٍّ وَمَا مَثَلِي مَلُومُ
وَخَلَصْنِي تُخَلِّصْ يَوْمَ بَعْثٍ إِذَا لِلنَّاسِ بُرَزَتِ الْجَحِيمُ
فرق له وأمر بإطلاقه .

وحكى ابن أبي الأبيض قال :

هو وابن أبي الأبيض
وأبو نواس

أتيت أبا العتاهية فقلت له : إني رجل أقول الشعر في الزهد ، ولي فيه أشعار كثيرة ، وهو مذهب أرجو ألا آثم فيه ، وقد سمعت شعرك في هذا المعنى

(١) في بعض الأصول : « غيرك » مكان « قبلك » .

وأحببتُ أن أستزيد منه ، فأحب أن تُنشدني من جيد ما قلت . فقال : أعلم أن أكثر ما قلته ردى . قلت : وكيف ! قال : لأن الشعر ينبغي أن يكون مثل أشعار الفحول المتقدمين ، أو مثل شعر بشار أو ابن هرمة ، فإن لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظه مالا تخفى على جمهور الناس مثل شعري ، ولا سيما الأشعار التي في الزهد ، فإن الزهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رواة الشعر وطلاب الغريب ، وهو مذهب أشغف الناس به الزهاد وأصحاب الحديث والفقهاء وأصحاب الرأي ^(١) والعامة ، فأعجب الأشياء إليهم ما فهموه . فقلت : صدقت . ثم أنشدني قصيدته التي يقول فيها :

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَأَبْنُوا لِلْخَرَابِ فَكَلِّمُ يَصِيرُ إِلَى ذَهَابِ ^(٢)
أَلَا يَا مَوْتَ لَمْ أَرْ مِنْكَ بُدًّا أَتَيْتَ وَمَا تَخَافُ ^(٣) وَمَا تُخَافِي
كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيئِي كَمَا هَجَمَ الْمَشِيبُ عَلَى شَبَابِي

قال : فصرتُ إلى أبي نواس فأعلمته ما دار بيننا . فقال : والله ما أحسب في شعره ^(٤) بعد ما أنشدك بيتاً آخر . فصرتُ إليه فأخبرته بقول أبي نواس . فأنشدني قصيدته التي يقول فيها :

طُولُ التَّعَاشُرِ بَيْنَ النَّاسِ مَمْلُوءٌ مَا لِبْنِ آدَمَ إِنْ كَشَفْتَ ^(٥) مَعْقُولُ
يَا رَاعِيَ النَّفْسِ لَا تَغْفَلِ رَعَايَتَهَا فَأَنْتَ عَنْ كُلِّ مَا اسْتُرِعِيتَ مَسْنُولُ
إِنِّي لَفِي مَنْزِلٍ مَا زِلْتُ أَعْمُرُهُ عَلَى يَقِينٍ بَأَنِّي عَنْهُ مَنَقُولُ
وَلَيْسَ مِنْ مَوْضِعٍ يَأْتِيهِ ذُو نَفْسٍ إِلَّا وَلِلْمَوْتِ سَيْفٌ فِيهِ مَسْنُولُ

(١) في بعض الأصول : « الرياء » .

(٢) في بعض الأصول : « تباب » ، وهو الهلاك .

(٣) في بعض الأصول : « وما تخاف » .

(٤) في بعض الأصول : « مثل ما » مكان « بعد ما » .

(٥) في بعض الأصول والديوان : « فتشت » مكان « كشفت » .

لَمْ يُشْغَلِ الْمَوْتُ عَنَّا مُذْ أُعِدَّ لَنَا وَكَلْنَا عَنْهُ بِالذَّاتِ مُشْغُولٌ
وَمَنْ يَمُتْ فَهُوَ مَقْطُوعٌ وَنَحْتَدَّبُ وَالْحَىُّ مَا عَاشَ مَغْشَىٌّ وَمَوْصُولٌ
كُلُّ مَا بَدَاكَ فَالْأَجَالُ فَانِيَةٌ وَكُلُّ ذِي أَكْلٍ لَا بُدَّ مَا كُولُ

ثم أنشدني عِدَّةُ قَصَائِدَ، ما هي بدون هذه . فصرتُ إلى أَبِي نُوَّاسٍ فَأَخْبَرْتُهُ .
فَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَقَالَ : لَمْ خَبَّرْتَهُ بِمَا قُلْتُ ! قَدْ وَاللَّهِ أَجَادَ ! وَلَمْ يَقُلْ فِيهِ سُوءًا .

وَحَكَى أَبُو الْعَتَاهِيَةِ قَالَ :

هو والمهدى وقد
ماتت له بنت

مَاتَتْ بِنْتُ الْمَهْدَى فَحَزَنَ عَلَيْهَا حُزْنًا شَدِيدًا حَتَّى أُمْتَنَعَ مِنَ الطَّعَامِ . فَقُلْتُ
أَبْيَاتًا أُعْزِّيه فِيهَا ، فَوَافَيْتُهُ وَقَدْ سَلَا وَضَحِكَ وَأَكَلَ وَهُوَ يَقُولُ : لَا بُدَّ مِنَ
الصَّبْرِ عَلَى مَا لَا بُدَّ مِنْهُ ، وَلَنْ سَلَوْنَا عَنْ فَقْدِنَاهُ لَيْسَلُونَ عَنَّا مِنْ يَفْقَدُنَا ، وَمَا يَأْتِي
اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَبْلِيَاهُ . فَلَمَّا سَمِعْتُ هَذَا مِنْهُ ، قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُنْشِدَكَ ؟ قَالَ : هَاتِ . فَأَنْشَدْتُهُ :

مَا لَجَدِيدَيْنِ لَا يَبْلَى اخْتِلَافُهُمَا وَكُلُّ غَضٍّ جَدِيدٍ فِيهِمَا بَالِي
يَا مَنْ سَلَا عَنْ حَبِيبٍ بَعْدَ مِيتَتِهِ كَمْ بَعْدَ مَوْتِكَ أَيْضًا مِنْ فَتَى سَالِي
كَأَنَّ كُلَّ نَعِيمٍ أَنْتَ ذَائِقُهُ مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ يَحْكِي لُحْمَةُ الْآلِ
لَا تَلْعَبَنَّ بِكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَرَى مَا شَدَّتْ مِنْ عِبَرٍ فِيهَا وَأَمْثَالِ
مَا حِيلَةَ الْمَرْءِ إِلَّا كُلُّ صَالِحَةٍ أَوْ لَا فَمَا حِيلَةَ فِيهِ لِمُحْتَالِ

فَقَالَ لِي : أَحْسَنْتَ ! وَيْحَكَ ! وَأَصَبْتَ مَا فِي نَفْسِي وَوَعِظْتَ فَأَوْجِزْتَ ! ثُمَّ
أَمَرَ لِي لِكُلِّ بَيْتٍ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ .

وقيل :

شعر له في سلم
سمعه المأمون

أُنْشِدَ الْمَأْمُونُ بَيْتَهُ^(١) أَبِي الْعَتَاهِيَةِ يُخَاطَبُ سَلَمًا الْخَاسِرَ :

(١) في بعض أصول الأغاني : « بيت » بالإنفراد . ولم يرد فيها غير الأول من البيتين .

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذلَّ الحِرْصُ أعناقَ الرِّجالِ
هَبِ الدُّنيا تُساقُ إليك جَمْعاً أليس مَصيرُ ذاك إلى زوالِ

فقال المأمون : إنَّ الحِرْصَ لَمَفْسِدَةٌ لِلدِّينِ والمُرُوَّةِ ، والله ما عرفتُ من رجلٍ
قَطُّ حِرْصاً ولا شَرِّهاً فرأيتُ فيه مُصْطَبَعاً . فبلغ ذلك سَلَمًا ، فقال : وبيلي على
الْحَنَنْتِ الحِرْزَافَ الزُّنْدِيقَ ! جَمَعَ الأموالَ فَكَنَزَها ، وَعَبَأَ^(١) البِدْرَ في بَيْتِه ، ثم
تَزَهَّدَ مُرَاةً ونِفَاقاً ، وأخذ يَهْتَفِ بِي إذا أنا تَصَدَّيتُ لِلطَّلَبِ .

وحكى بعضهم قال :

كنت عند قُثمَ بن جَعْفَر بن سُلَيمان ، وعنده أبو العتاهية يُنشدُه في الزُّهْدِ ،
فقال : اطلُب الساعةَ الجَمَّازَ حيث كان ، ولكِ عندي ما شئتَ . فطلبتُه فوجدتُه
عند رُكنِ دار جَعْفَر بن سُلَيمان ، فقلت : أَجِبِ الأميرَ . فقام حتى أتى قُثمَ ،
وجلس في ناحية مجلسه ، وأبو العتاهية يُنشدُه . فأنشأَ الجَمَّازُ يقول :

ما أَقْبَحَ الزَّهْيَدَ من وَاِعْظِ يزهدُ الناسَ ولا يزهدُ
لو كان في تزهيده صادقاً أضْحى وأمسى بيئته المسجدُ
يخافُ أن تَنفَدَ أرزاقُه والرِّزْقُ عند الله لا يَنفَدَ
والرِّزْقُ مَقْسُومٌ على مَنْ تَرى يَنالُه الأَبْيَضُ والأَسْوَدُ

فالتفت أبو العتاهية وقال : مَنْ هذا ؟ قالوا : هذا الجَمَّازُ ، وهو ابنُ أختِ سَلَمَ
الْخَلَّاسِ ، أَقْتَصَّ لِحالَه منك . فأقبل عليه وقال : يا ابنَ أخي ! إني لم أذهب حيث
ظننتَ ولا حيثُ ظنَّ خالك ، ولا أردتُ أن أَهْتِفَ به ، وإنما خاطبته كما يُخاطَبُ
الرَّجلُ صديقَه ، والله يغفر لكما . ثم قام وخرج .

(١) البدر : جمع بدرة . وهي كيس فيه ألف ، أو عشرة آلاف درهم .

وقيل :

أهدى الفضل نعلا
فأهداها للأمين
فجأزاه

لما دخل عَوْنٌ، حاجب الفضل بن الربيع، على الفضل، وقد عَزَمَ على الرُّكوب
إلى محمد بن زبيدة الأمين، فقال : هذا أبو العتاهية يُسَلِّمُ عليك وقد قَدِمَ من مكة.
فقال : أَعَفَى منه، فالساعة يشغاني عن ركوبي . فخرج إليه عَوْنٌ فقال : إنه
على الرُّكوب إلى أمير المؤمنين . فأخرج من كُفِّه نعلًا على شِراكها كتابٌ . فأمر
بقراءته ، فإذا هو :

نعلٌ بعثتُ بها لتلبسها قدَمَ^(١) بها تمشي إلى المجد
لو كان يصلح^(٢) أن أشرَّكها خدَى جعلتُ شِراكها خدَى

فقال لحاجبه عَوْنٌ : أحمّلها معنا . فلمّا دخل بها على الأمين ، قال له :
يا عَبَّاسِي ، ما هذه النعل ؟ قال : أهداها إلى أبو العتاهية وكتب عليها بيتين ،
وكان أمير المؤمنين أولى بلبسها لمّا وُصفَ به لابُسها . فقال : وما هما ؟ فقراها
عليه . فقال : أجاد والله ! ما سبقه إلى هذا المعنى أحد ، هبوا له عشرة آلاف
درهم . فأخرجت إليه في بَدْرَةٍ وهو راكبٌ على حماره . فقُبِضَها وأنصرف .

وقيل : كتب بكر بن المَعْتَمِرِ إلى أبي العتاهية يشكو إليه ضيق القَيْدِ وغَمِّ
الحَبْسِ ، فكتب إليه أبو العتاهية :

شعره إلى ابن المعتزم
في حبسه

هي الأيام والغَيْرُ وأمر الله^(٣) مُنْتَظِرُ
أتْيَاسُ أن ترى فرجًا فأين الله والقَدَرُ

وقيل :

هو وأعرابي مر به
في الحج

حَجَّ أبو العتاهية فرأى أعرابيًا في ظِلِّ مِيلٍ^(٤) وعليه شِمْلَةٌ ، إذا غَطَى

(١) في بعض الأصول : « قَرَم » وهو السيد .

(٢) أشرَكها : أجعل لها شراكا .

(٣) في بعض الأصول : « والغير ... ينتظر » مكان « والغير منتظر » .

(٤) الميل : منار بيني للمسافرين في مرتفع من الأرض .

بها رأسه بَدَتْ رجلاه ، وإذا غَطَّى بها رجليه بدا رأسه . فقال : من أين معاشكم ؟ فقال : منكم معشر الحاج ، تمرُّون بنا فننال من فضولكم ، وتَنصُرفون فيكون ذلك . فقال له : إنما تمرُّ وتَنصُرف في وقت من السنة ، فمن أين معاشكم في سائر السنَّة ؟ فقال الأعرابي : لا أدري ما أقول ، إلا أنا نُرزق من حيث لا نَحْتَسِب أكثر مما نُرزق من حيث نَحْتَسِب . فولى أبو العتاهية وهو يقول :

ألا يا طالب الدنيا دَع الدنيا لسانيك
وما تصنع بالدنيا وظلُّ الميل يكفيك

وقيل :

حَضَرَ أبو العتاهية عند جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك ، فقال لجعفر : جعلني الله فِداك ! معكم شاعر يُعرف بابن أبي أمية ، أحب أن أسمعهُ يُنشد . فقال له جعفر : هو أقرب الناس منك . فأقبل أبو العتاهية على محمد بن أبي أمية ، وكان إلى جانبه ، وسأله أن يُنشد . فأنشده لنفسه :

رُبَّ وعدٍ منك لا أنساه لي أوجب الشُّكرَ وإن لم تفْعَلِ
أقطع الدهرَ بوعدٍ حسنٍ وأجلى غمرةً ما تنجلى
كلما أمَلْتُ يوماً صالحاً عرض المكروه لي^(١) في أُملي
وأرى الأيام لا تُدْني الذي أرتجى منك وتُدْني أجلى

فأقبل أبو العتاهية يردِّد البيت الأخير ويَقْبِلُ رأس ابن أبي أمية ، وقال : وَدِدْتُ والله أنه لي بكثيرٍ من شعري .

وقيل :

كان لأبي العتاهية بنتان ، اسم إحداها « الله » والأخرى « بالله » . فخطب

بنتاه وإبائهُ
ترويح إحداهما
لابن المهدي

(١) في بعض الأصول : « دون الأمل » مكان « لي في أُملي » .

منصور بن المهدي « لله » ، فلم يزوجه ، وقال : إنما طلبها لأنها بنت أبي العتاهية ،
وكأنني بها قد ملّتها ، فلم يكن لي إلى الانتصاف منه سبيل ، وما كنت أزوجهما
إلا ببائع خزف وجرار ، ولكنني اخترته لها مؤسراً .

ابنه محمد

وكان لأبي العتاهية ابنٌ يقال له : محمد ، وكان شاعراً ، وهو القائل :

قد أفلح السالم الصموت كلام راعي الكلام قوت
ما كل نطقٍ له جوابٌ جواب ما يكره السكوت
يا عجباً لأمرى ظلومٍ مستيقن أنه يموت

وحكى عبد الله بن الحسن بن سهل الكاتب قال :

استنشد ابن
الحسن الكاتب

قلت لأبي العتاهية : أنشدني من شعرك ما تستحسن . فأنشدني :

ما أسرع الأيام في الشهر وأسرع الأشهر في العمر
ليس لي حيلة موجودة خير من الصبر
فاخط مع الدهر إذا ما خطا وأجر مع الدهر كما يجري
من سبق الدهر كبا كبوّة لم يستقلها آخر العمر

وذكر أبو العتاهية قال :

أنشد الفضل في
البرامكة فتغير له

ما زال الفضل بن الربيع من أميل الناس إليّ ، فلما رجع من خراسان بعد

موت الرشيد دخلت إليه ، فاستنشدني فأنشدته :

أفريت محرك إداراً وإقبالا تبغى البنين وتبغى الأهل والمالا
الموت هولٌ فكُن ما عشت ملتمساً من هوله حيلة إن كنت محتالاً
ألم تر الملك الأمسي حين مضى هل نال حتى من الدنيا كما نالا
أغناه من لم يزل يغني القرون فقد أضحي فأصبح عنه الملك قد زالا
كم من ملوك مضى ريب الزمان بهم قد أصبحوا عبرا فينا وآملا

فأستحسنها وقال : أنت تعرف شغلي ، فعُد إلى وقت فراغي أقعد معك وآنس بك . فلم أزل أراقب أيامه حتى كان يوم فراغه ، فصرت إليه ، فيينا هو مقبل على يستنشدني فأنشده ، ويسألني فأحدثه ، إذ أنشدته :

وَلِيَ الشَّبَابُ فَمَا لَهُ مِنْ حِيلَةٍ وَكَسَا ذَوَابِتِي الْمَشِيبُ خِمَارًا
أَيْنَ الْبِرَامِكَةُ الَّذِينَ عَاهَدْتُهُمْ بِالْأَمْسِ أَعْظَمَ أَهْلَهَا أَخْطَارًا
فَمَا سَمِعَ ذَكَرَ الْبِرَامِكَةَ تَغْيِيرَ لَوْنِهِ وَرَأَيْتَ الْكِرَاهِيَةَ فِي وَجْهِهِ . فَمَا رَأَيْتُ مِنْهُ
خَيْرًا بَعْدَ ذَلِكَ .

وكان أبو العتاهية يحدث بهذا الحديث أبا محمد بن سهل ، فقال له : لئن كان ذلك ضررك عند الفضل بن الربيع لقد نفعتك عندنا . ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب ، وأجرى له كل شهر ثلاثة آلاف درهم . فلم يزل يقبضها دارة حتى مات .

قلت :

وكان الفضل بن الربيع عدوا للبرامكة بسبب تقدمهم عليه وأستيلائهم على الرشيد ، وما زال يضرب عليهم عند الرشيد ، ويسعى في إفساد أمرهم . فلما أوقع بهم الرشيد ، وقتل جعفر بن يحيى ، استقل الفضل بأمر الرشيد في آخر أيامه . ثم قام بأمر محمد بن الأمين وأفسد بينه وبين أخيه المأمون . فلما ظهر المأمون استخفى الفضل ، ثم أمّنه المأمون ، وكان عنده نازل الرتبة .

وحكى أبو العتاهية قال :

حَبَسَنِي الرَّشِيدُ لَمَّا تَرَكْتُ قَوْلَ الشَّعْرِ ، فَأَدْخَلْتَ السَّجْنَ وَأَغْلَقْتَ الْبَابَ عَلَيَّ .
فَدَهَشْتُ كَمَا يَدْهَشُ غَيْرِي لِتِلْكَ الْحَالِ ، فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ جَالِسٍ فِي جَانِبِ الْحَبْسِ ،
فَجَعَلْتُ أَنْظُرَ إِلَيْهِ سَاعَةً وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيَّ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ :

تعقيب لابن واصل
عن الفضل بن
الربيع

مع داعية عيسى بن
زيد في السجن

تَعَوَّدْتُ مَسَّ الضَّرِّ حَتَّى أَلْفَيْتُهُ وَأَسَامَنِي حُسْنَ الْعِزَاءِ إِلَى الصَّبْرِ
وَصَيَّرَنِي يَأْسَى مِنَ النَّاسِ رَاجِيًا لِحُسْنِ صَنِيعِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أَدْرَى

فقلت له : أعد ، أعزك الله ، هذين البيتين . فقال لى : ويلك يا أبا العتاهية !
ما أسوأ أدبك ، وأقل عقلك ! دخلت على الحبس فما سألت تسليم المسلم على
المسلم ، ولا سألت مسألة الحر للحر ، ولا توجعت توجع المبتلى للمبتلى ، حتى إذا
سمعت بيتين من الشعر ، الذى لا فضل فيك غيره ، لم تصبر عن أستعادهما ، ولم
تقدم قبل مسألتك عنهما عذراً فى طلبهما . فقلت : يا أخى ، إني دهشت لهذه
الحال ، فلا تعذلى وأعذرني متفضلاً بذلك . فقال : أنا والله أولى بالدهش والخيرة ،
لأنك حُيِّيت فى أن تقول شعراً به ارتفعت وبلغت ، فإذا قلت أمنت ، وأنا
مأخوذ بأن أدل على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتل أو أقتل دونه ، والله
لا أدل عليه أبداً ، والساعة يدعى بى فأقتل ، فأينا أحق بالدهش ! فقلت : أنت
والله ! سلمك الله وكفك ! ولو علمت أن هذه حالك ما سألتك . فقال :
فلا نبخل عليك إذن . ثم أعاد البيتين حتى حفظتهما . قال . فسألته : من هو ؟
فقال : أنا داعية عيسى بن زيد وأبنة أحمد . ولم نلبث أن سمعنا صوت الأقفال .
فقام فسكب عليه ماء كان عنده فى جرة ، ولبس ثوباً نظيفاً . ودخل الحرس
والجند ومعهم الشمع فأخرجونا جميعاً ، وقدم إلى الرشيد قبلى ، فسأله عن أحمد
ابن عيسى ، فقال : لا تسألنى عنه وأصنع ما أنت صانع ، فلو أنه تحت ثوبى هذا
ما كشفته عنه . فأمر بضرب عنقه . ثم قال : أظنك قد أرتعت بإسماعيل ؟
فقلت : دون ما رأيته تسيل النفوس منه . فقال : ردوه إلى محبسه . فرددت
وأنتحلت البيتين ، وزدت فيهما :

إذا أنا لم أقبل من الدهر كلَّ ما تكررتهُ منه طال عتبي على الدهرِ

وقيل :

تمثل المعتصم
ببيتين له

لما أحسن المعتصم بالله أبو إسحاق بن الرّشيد بالموت ، قال لأبنه الواثق :
ذهب والله أبوك يا هارون ! لله درّ أبي العتاهية حيث يقول :

الموتُ بين الخلق مُشْتَرَكُ لا سُوقَةٌ يَبْقَى ولا مَلَكُ
ما ضَرَّ أَصْحَابُ القَلِيلِ وما أَغْنَى عن الأَمَلِكِ ما مَلَكُوا

وقيل :

فضله أبو تمام
بخمسة أبيات

قال أبو تمام الطائي الشاعر : لأبي العتاهية خمسة أبيات ما يَشْرَكه فيها
أحد ، ولا قَدَر على مثلها مُتَقَدِّم ولا مُتَأَخِّر ، وهي قوله :

الناسُ في غَفَلَتِهِمْ وَرَحَى المَنِيَّةِ تَطْحَنُ

وقوله في موسى الهادي :

ولما أَسْتَقَلُّوا بِأَنْقَالِهِمْ وَقَدْ أَرْمَعُوا بِالَّذِي أَرْمَعُوا
قَرَنْتُ التَّفَاتِي بِأَثَارِهِمْ وَأَتَبَعْتُهُمْ مُقَلَّةً تَدْمَعُ

وقوله لأحمد بن يوسف :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَقْرَ يُرْجَى لَهُ الْغِنَى وَأَنَّ الْغِنَى يُخْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْفَقْرِ
وقوله :

هَبِ الدُّنْيَا تَصِيرَ إِلَيْكَ عَفْوَاً أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَاكَ إِلَى زَوَالِ

وقيل :

عزّاه لبغدادى
في أخيه

مات شيخ ببغداد ، فلما دُفِنَ أَقْبَلَ الناس على أخيه يُعَزُّونَه . فجاء أبو العتاهية
إليه وبه جزع شديد ، فعزّاه ثم أنشده :

لا تَأْمَنِ الدَّهْرَ وَالْبَسَ لِكُلِّ حِينَ لِبَاسَا
لَيَدْفِنُنَا أَنْاسٌ كَمَا دَفِنَا أَنْاسَا

فأنصرف الناس وما حَفَظُوا غير قول أبي العتاهية .

وقيل :

جائزة ابن مزيد
له وقد أنشدته

قال أبو العتاهية : دخلتُ على يزيد بن مَزِيد فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها :

وما ذاك إلا أنتي واثقٌ بما لديك وأنى عالمٌ بوفائك
كأنك في صدرى إذا جئتُ زائراً تُقدِّرفيه حاجتي بأبتدائك
وإن أمير المؤمنين وغيره ليَعْلَم في الهيجاء فضل غنائكا
كأنك عند الكُرِّ في الحرب إنما تفرُّ من السلم الذى من ورائكا
فما آفة الأملاك غيرك في الوغى ولا آفة الأموال غير جبايكا
قال : فأعطاني عشرة آلاف درهم ودابةً بسرجهما ولجامها .

وقيل :

راهب يعظ بشعره

مرَّ عابد براهب في صومعة ، فقال : عِظْنِي . فقال : أعظك وعليكم نزل القرآن ،
ونبيكم محمد صلى الله عليه وسلم قريب العهد بكم ! قلت : نعم . قال : فاتعظُ بيت
من شعر شاعركم أبي العتاهية حيث يقول :

تجرّد من الدنيا فإنك إنما وقعت إلى الدنيا وأنت مُجرّد

وقيل :

بينه وبين إبراهيم
ابن المهدي وقد
رماه بالزندقة

بلغ أبا العتاهية أن إبراهيم بن المهدي رماه في مجلسه بالزندقة وذكّره بها ،
فبَعَث إليه يُعاتبه على لسان إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، فأدّى إليه إسحاق
الرسالة . فكتب إليه إبراهيم أبياتاً منها :

إني رأيتك مُظهِراً لزهادية تحتاج منك لها إلى أشباه
ما الزُّهد من رجل ألدُّ مكذب بالبعث غير ضلالةٍ وسيفاه

وأرى المقالة غيرَ صالحةٍ وإن
إن كان لبسُ الصوفِ حُجَّتَكَ التي
ما في يديكَ من اللباسِ إذا غوتُ
لا شيء يُقبَلُ منك إلا ما به
والأمر بعدُ عليك ويحك واسعٌ
أظهرتَ سَمْتَ الصَّالحِ الأوَّاهِ
ترجو فدَعَه فَإِنِّي لك ناهي
منك السَّريرةُ غيرُ حَبِلِ واهي
حكمتُ عليك نواطقُ الأفواهِ
ما لم تَكُنْ يالاهياً باللاهي

وقيل :

شعره الذي غنى
فيه الملاحون
الرشيد

كان الرشيد يعجبه غناء الملاحين في الزلَّالات^(١) إذا ركبها ، وكان يتأذى
بفساد كلامهم ولحنهم . فقال : قولوا لمن معنا من الشعراء يعمل لهؤلاء شعراً
يغنون فيه . فقيل له : ليس أحد أقدر على هذا من أبي العتاهية ، وهو في الحبس .
فوجه إليه الرشيد : قل شعراً حتى أسمعهم منهم . قال أبو العتاهية : ولم يأمر
بإطلاقي ، فغاضني ذلك وقلت : والله لأقولن شعراً يحزنه ولا يسره . فعملتُ فيه
شعراً ودفعته إلى من حفظه من الملاحين . فلما ركب سمعه ، وهو :

خانك الطرفُ الطَّموحُ أيها القلبُ الجَمُوحُ
لدواعي الخَيْرِ والشرِّ دُنُوٌّ ونُزُوحُ
هل لمَطْلُوبِ بذَنْبٍ توبةٌ منه نَصُوحُ
كيف إصلاحُ قُلُوبٍ إنما هُنَّ قُرُوحُ
أحسنَ الله بنا أنْ الخطايا لا تَفُوحُ
فإذا المَسْتُورُ مَنَّا بين ثَوْبَيْهِ نَصُوحُ
كم رأينا من عَزِيزٍ طُويت عنه الكُشُوحُ
صاحَ منه بَرَحِيلٍ صائحُ الدَّهْرِ الصَّدُوحُ

(١) الزلَّالات : نوع من السفن .

موتُ بعض النَّاسِ في الأَرَضِ ض على قَومِ فُتُوحِ
 سَيَصِيرُ المَرءُ يَومًا جَسَدًا ما فيهِ رُوحِ
 بَيْنَ عَيْنَيَّ كُلِّ حَيٍّ عَلمُ المَوتِ يَلُوحِ
 كُنَّا في غَفَلَةٍ وَالـ مَوتُ يَغْدُو وَيَرُوحِ
 لَبِنِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْ يَا غَبُوقُ وَصَبُوحِ
 رُحْنٌ فِي الوَشْيِ وَأَصْبَحَ مَن عَلِيهِنَّ المُسُوحِ
 كُلُّ نَطَّاحٍ مِنَ الدَّهْ ر لَه يَومُ نَطُوحِ
 نُحْ على نَفْسِكَ يَا مَسْدُ كَينُ إِنْ كُنْتَ تَنُوحِ
 لَمُوتِنَ وَلَوْ عُمْدُ رَتَ ما عُمَرُ نُوحِ

فلما سَمِعَهَا الرّشيدُ جعل يَبْكِي وَيَنْتَحِبُ ، وكان الرّشيدُ من أَغْزَرِ النَّاسِ دَموعًا
 في وَقتِ المَوْعِظَةِ ، وَأَشَدَّهُمْ عَسْفًا في وَقتِ الغَضَبِ والغِلْظَةِ . فلما رَأَى الفضلُ
 ابن الرّبيعِ كَثْرَةَ بُكَائِهِ أَوَمًّا إلى المَلّاحِينَ أَنْ يَسْكُتُوا .

وقيل :

شعره حين عقد
 الرشيد ولاية العهد
 لأبنائه

لما عَقَدَ الرّشيدُ ولايةَ العَهدِ بَعْدَهُ لِمُحَمَّدِ الأَمِينِ ، وَعَبَدَ اللهَ المَأْمُونِ ، والقاسمِ
 المَوْثَمِ ، قال أَبُو العَتَاهِيَةِ :

رَحَلْتُ عَنِ الرَّبْعِ المُحِيلِ قَعُودِي إلى ذِي رُحُوفٍ ^(١) جَمَّةً وَجُنُودِ
 وَرَاعٍ يُرَاعِي اللَّيْلَ في حِفْظِ أُمَّةِ يُدَافِعُ عَنْهَا الشَّرَّ غَيْرِ رَقُودِ
 بِأَلْوِيَةِ جَبْرِيلَ يُقَدِّمُ أَهْلَهَا وَرَايَاتِ نَصْرِ حَوْلِهِ وَبُنُودِ
 تَجَافَى عَنِ الدُّنْيَا وَأَيُّقِنُ أَنَّهَا مُفَارِقَةُ لَيْسَتْ بِدَارِ خُلُودِ
 وَشَدَّ عُرَى الإِسْلَامِ مِنْهُ بِفِتْيَةٍ ثَلَاثَةِ أَمْلَاقٍ وَلاَةِ عُهُودِ

(١) زحوف : جمع زحف ، وهو الجيش .

هُمُ خَيْرُ أَوْلَادٍ لَهُمْ خَيْرُ وَالِدٍ لَهُ خَيْرُ آبَاءٍ مَضَتْ وَجُدود
 بنو المصطفى هارونَ حَوْلَ سَرِيرِهِ فخيرُ قِيَامٍ حَوْلَهُ وَقُعود
 تَقْلُبُ الحَاظَ المَهَابَةَ بَيْنَهُمْ عِيُونُ ظُبَاءٍ فِي قُلُوبِ أُسُود
 فوصله الرشيد صلةً ما وصل بها شاعراً قط .

تعقيب لابن واصل
 في وفاة عهد
 الرشيد

قلت : إنَّ الرشيد جعل الأمر بعده لمولاء الثلاثة على الترتيب ، وقسم الدنيا بينهم ، وأخذ عليهم الموائيق والعهود ألا ينكثوا ولا ينقضوا ما عقده . وأنزل المأمون بخراسان وضمَّ إليه جنوداً كثيرة . فلما بُويع محمد الأمين بالخلافة أغراه الفضل بن الربيع بنقض عهد المأمون وتحويل العهد إلى ابنه موسى ، ولقبه الناطق ، وسير محمد الأمين عسكرياً كبيراً لقتال أخيه المأمون ، وقدم عليهم علي بن عيسى ابن ماهان . فسير المأمون للقاء علي طاهر بن الحسين ، فقتل علي ، واحتوى طاهر على عسكريه . وبايع المأمون أهل خراسان بالخلافة وخلعوا الأمين . فقدم طاهر العراق وحاصر الأمين حتى ظفر به وقتله وبعث برأسه إلى المأمون ، وصفت الدنيا للمأمون .

طلب ملك الروم
 له

وقيل :

قدم رسول ملك الروم إلى الرشيد ، فسأل عن أبي العتاهية ، فلقيه أبو العتاهية . فأنشده شيئاً من شعره ، وكان يحسن العربية ، فمضى إلى بلاد الروم وذكره للملك . فكتب ملك الروم إلى الرشيد يسأله أن يوجه إليه بأبي العتاهية ويأخذ فيه رهائن من أراد ، وألح في ذلك . فكلَّم الرشيد أبا العتاهية في هذا . فاستغنى منه وأباه . وأتصل بالرشيد أن ملك الروم أمر أن يُكتب بيتان من شعر أبي العتاهية على أبواب مجالسه وباب مدينته ، وهما :

ما اختلف الليل والنهار ولا دارت نجوم السماء في الفلكِ
 إلا لنقل السلطان عن ملكٍ قد أنقضى ملكه إلى ملكِ

بينه وبين الرشيد
بعد ما أطلقه

وقيل :

إنَّ الرّشيد لما أطلق أبا العتاهية من الحبس لَزِمَ بَيْتَهُ وَقَطَعَ النَّاسَ عَنْهُ .
فذكره الرشيد فعرّف خبره . فقال : قولوا له : صِرْتَ زِيرَ نِسَاءٍ وَحِلْسٍ ^(١)
بيت . فكتب إليه أبو العتاهية :

بَرِمْتُ بِالنَّاسِ وَأَخْلَقَهُمْ فَصِرْتُ أَسْتَأْنَسُ بِالْوَحْدَةِ
مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لَعَمْرَى وَمَا أَقْلَهُمْ فِي حَاصِلِ ^(٢) الْعِدَّةِ

ثم قال : لَا يَمُضِي ^(٣) شِعْرٌ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ فِيهِ مَدْحٌ لَهُ . فقرن هذين
بأربعة أبيات مدحه بها ، وهى :

عَادَلَى مِنْ ذِكْرِهَا نَصَبُ فُدُمُوعِ الْعَيْنِ تَذْسِكُ
وَكَذَاكَ الْحُبُّ صَاحِبُهُ يَعْتَرِيهِ الْهَمُّ وَالْوَصَبُ
خَيْرٌ مَا يُرْجَى وَمَنْ يَهَبُ مَلِكٌ دَانَتْ لَهُ الْعَرَبُ
وَحَقِيقٌ أَنْ يُدَانَ لَهُ مَنْ أَبَوْهُ لِلنَّبِيِّ أَبُ

وقيل :

بينه وبين الرشيد
وقد استوعظه

قال الرشيد لأبى العتاهية : عِظْنِي . فقال له : أَخَافُكَ . فقال : أَنْتَ أَمِنَ .
فأنشده :

لَا تَأْمَنِ الْمَوْتَ فِي طَرْفٍ وَلَا نَفْسٍ إِذَا تَسَتَّرْتَ بِالْأَبْوَابِ وَالْحَرَسِ
وَأَعْلَمْ أَنَّ سِهَامَ الْمَوْتِ قَاصِدَةٌ لِكُلِّ مُدْرِعٍ مَنَا وَمُتَرَسٍ
تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَا تَسْلُكُ ^(٤) مَسَالِكَهَا إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ

(١) جلس بيت : أى ملازمه . وهو مما يذم به الرجل .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « فى منتهى » .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « لا ينبغي أن يمضى » .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « طريقها » مكان « مسالكها » .

فبكي الرشيدُ حتى بلَّ كُمَّهُ .

وقيل لأبي العتاهية عند الموت : ما تشتهي ؟ قال : أشتهى أن يحىء مخارق عما يشتهيها فأجاب
فيضع فمه على أذني فيغنييني :

سيعرّض عن ذكرى وتُنسى مودتي ويحدّث بعدى للخليل خليلُ
إذا ما انقضت عني من الدهر مُدَّتِي فإنَّ غناء الباقيات قليل
وقيل :

شعره في مرضه
الآخر

إن آخر شعر أبي العتاهية الذي قاله في مرضه الذي مات فيه هو :

إلهي لا تُعذِّبني فإني مُقرُّ بالذي قد كان مني
فمالي حيلةٌ إلا رجائي لعفوك فاحطط الأوزار^(١) عني
وكم من زلَّةٍ لي في الخطايا وأنت علىّ ذو فضل ومنّ
إذا فكرتُ في ندمي عليها عَصِضْتُ أناملِي وقرَّعتُ سني
أجنّ برهرة الدنيا جنونا وأقطع طولَ عمري في التمني
ولو أنّي صدقتُ الزُّهد عنها قلبتُ لأهلها ظُهر المجنّ
يظنُّ الناسُ بي خيراً وإني لشرُّ الناسِ إن لم تعف عني

وقيل :

شعره الذي ندبته
به ابنه

قال أبو العتاهية لأبنته رُقيّة في علته التي مات فيها : يا بُنية ، أرثي أباك
وأندب به بهذين البيتين . فندبته بقوله :

لَعِبَ الْبِلَى بِعَمَالِي وَرُسُومِي وَقُبِرْتُ حَيًّا تَحْتَ رَدَمِ هُمُومِي
لَزِمَ الْبِلَى جِسْمِي فَأَوْهَن قُوَّتِي إِنَّ الْبِلَى لِمَوْكَلِّ بِلْزُومِي

(١) رواية هذا الشطر في بعض الأصول : « لعفوك إن عفوت وحسن ظني » .

ما أمر أن يكتب
به على قبره من
شعره

وأمر أن يكتب على قبره :

أُذِنَ حَيَّ تَسْمَعِي أَسْمَعِي ثُمَّ عِي وَعِي
أَنَا رَهْنٌ بِمَضْجَعِي فَاحْذَرُوا مِثْلَ (١) مَضْرَعِي
عِشْتُ (٢) تِسْعِينَ حِجَّةً أَسْأَلُكُمْ لِمَضْجَعِي
كَمْ تَرَى الْحَقَّ ثَابِتًا فِي دِيَارِ (٢) التَّرْعَزِ
لَيْسَ زَادٌ سِوَى التَّقَى فَخُذِي مِنْهُ أَوْ دَعِي

رثاء ابنه له

ورثاء محمد أبنه بقوله :

رَحِمَ اللَّهُ مَضْرَعَكَ بَرَّدَ اللَّهُ مَضْجَعَكَ

أبياته التي فيها
الغناء

والأبيات التي فيها الغناء، وأفتح بها أبو الفرج أخبار أبي العتاهية :

يَا وَيْحَ قَلْبِي لَوْ أَنَّهُ (٣) أَقْصَرَ مَا كَانَ عَيْشٌ مِمَّا (٤) أَرَى أَكْذَرَ
يَا مَنْ عَذِيرِي مِمَّنْ كَلِفْتُ بِهِ يَشْهَدُ قَلْبِي بِأَنَّهُ يَسْخَرُ
يَا رَبَّ يَوْمِ رَأَيْتُنِي مَرِحًا أَخْوَضُ (٥) فِي اللَّهِ مُسْبِلَ الْمُرْزَرِ
بَيْنَ نَدَايَ تَحْتُ كَأَسْمِهِمْ عَلَيْهِمْ كَفُّ شَادِنِ أَحُورِ

وقد أفرد أبو الفرج لأبي العتاهية أخباراً مع عتبة صاحبه فأوردها في

موضع آخر .

(١) في بعض أصول الأغاني : « فاحذري » مكان « فاحذروا » .

(٢) الرواية في بعض أصول الأغاني :

عشت تسعين حجة في ديار الترزع

(٣) أقصر : كف وانتهى .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « عيش كما » مكان « عيش مما » .

(٥) في بعض الأصول : « آخذ » مكان « أخوض » .

أخبار فرية

قال أبو الفرج :

هما اثنتان لهما صنعة : إحداهما ، وهى الكبرى ، وكانت مولدة ، نشأت الكبرى والصغرى بالحجاز ثم وقعت إلى آل الربيع فعلمت الغناء فى دورهم ، ثم صارت إلى البرامكة ، ثم إلى الأمين بن زبيدة ، وماتت بعده .

وأما الأخرى فكانت للوائق ، ثم صارت إلى أخيه المتوكل . وكانت من الموصوفات المحسنات ، وكانت حسنة الوجه ، حادة الفطنة والفهم .

وحكى محمد بن الحارث قال :

كانت لى نوبة فى خدمة اللوائق فى كل جمعة ، إذا حضرت ركبت إلى الدار ، فإن نشط إلى الشراب أقمت عنده ، وإن لم ينشط أنصرفت . وكان رسمنا ألا يحضر أحدنا إلا فى يوم نوبته . فإنى لفى منزلى فى غير نوبتى ، وإذا برسل الخليفة قد هجموا على وقالوا : احضر . فقلت : أَلخَيْر؟ قالوا : خير . قلت : إن هذا يوم لم يحضرنى فيه أمير المؤمنين ، ولعلكم غلطتم . فقالوا : الله المستعان . قم^(١) وبادر ، فقد أمرنا ألا ندعك تستقر على الأرض . فدخلى فزع شديد ، وخفت أن يكون ساع قد سعى بى ، أو بليّة قد حدثت فى رأى الخليفة على . فتقدمت بما أردت وركبت حتى وافيت الدار ، فذهبت لأدخل على رسمى من حيث كنت أدخل ، فمُنعت وأخذ بيدي الخدم فعدلوا بى إلى ممرات لا أعرفها ، فزاد ذلك فى جزعى وغمى . ثم لم يزل الخدم يسأموننى من خادم إلى خادم حتى

حديث ابن الحارث
عن قصتها مع
اللوائق وغيرته من
المتوكل

(١) فى بعض الأصول : « لا تطل » .

أفضيتُ إلى دار مفروشة الصَّحن ، مُلبسة الحِيطان بالوشى المنسوج بالذهب ، ثم
أفضيتُ إلى رواقٍ أرضه وحيطانه مُلبسة بمثل ذلك ، وإذا الوائقُ فى صدره على
سَريرٍ مُرصَّعٍ بالجواهر ، وعليه ثيابٌ منسوجة بالذهب ، وإلى جانبه فريدةٌ جاريتُه
عليها مثلُ ثيابه ، فى حجرها عُود . فلما رآنى قال : جَوَدْتُ (١) والله يا محمد إينا !
فقبَلْتُ الأرضَ ثم قلتُ : يا أمير المؤمنين ، خيراً ، قال : خيراً ، أما ترانا ! طلبتُ
والله ثالثاً يُؤنسنا فلم أرَ أحقَّ بذلك منك ، فبحياتى بادرِ فكلُّ شيئاً وبادرِ إينا .
فقلتُ : قد والله يا أمير المؤمنين أكلتُ وشربتُ أيضاً . قال : اجلس . فجلستُ .
وقال : هاتوا لمحمدٍ رطلاً فى قدح . فأحضرتُ ذلك . ثم أندفعتُ فريدةً تُعنى :

أهابك إجلالاً وما بك قُدرةً على ولكن ملِّ نفسك (٢) حَبِيها
وما هجرتكِ النفسُ يا ليلَ أنْها قلَّتْك ولا أن قلَّ منك نصيها
ولكهم يا أحسنَ الناسِ أولعوا بقولٍ إذا ما جئت : هذا حَبِيها

جاءتُ والله بالسَّحر ، وجعل الوائقُ يُجاذبها ، وفى خلال ذلك تُعنى الصوتَ بعد
الصوت . وأغنى أنا خلال غنائها . فمرَّ لنا يومٌ أحسنُ ما مرَّ لأحد . فإنَّا لكذلك
إذ رفع رجله فضرب بها صدر فريدةً ضربةً تدرجتُ منها من أعلى السرير إلى
الأرض ، وتفتت عُودُها ، ومرتْ تعدو ، وتصبح وبقيتُ كالمزوع الروح ، ولم أشكَّ
فى أنَّ عينه وقعتْ عليها وقد نظرتُ إلىَّ أو نظرتُ إليها ، فأطرق ساعةً إلى الأرض
مُتَحَيِّراً ، وأطرقتُ أتوقعُ ضرب العنق . فإنى لكذلك إذ قال : يا محمد . فوثبتُ
قائماً . فقال : ويحك ! أرايتَ أعجبَ مما تهيمُ علينا ! فقلتُ : يا سيِّدى ، الساعةُ
والله تخرج رُوحى ، فعلى مَنْ أصابنا بعينٍ لعنةُ الله ! فما كان السببُ ؟ الذنبُ ؟
قال : لا والله ، ولكن فسكرتُ فى أن جعفرًا يقعدُ هذا المقعد وتقعُد معه كما هى

(١) جودت : أسرع .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « عين » مكان « نفس » .

قاعدة معي ، فلم أطق الصبر ، وخامرني ما أخرجني إلى ما رأيته . فسرى عني
وقلت : بل يقتل الله جعفرًا ويحيي أمير المؤمنين أبدًا ، وقبّلت الأرض وقلت :
يا سيدي ، الله الله ! أرحمها ومُرِّ بَرِّها . فقال لبعض الخدم الوقوف من يحيي
بها . فلم يكن بأسرع من أن خرجت وفي يدها عودها وعليها غير الثياب التي
كانت عليها ، فلما رآها جذبها إليه وعانقها . فبكت ، وجعل يبكي ، وأندفعت
أنا في البكاء . فقالت : ما ذنبي يا مولاي ؟ وبأى شيء أستوجبت هذا ؟ فأعاد
عليها ما قاله لي وهو يبكي . فقالت : سألتك بالله يا أمير المؤمنين إلا ضربت عنقي
الساعة وأرحمتني من الفكر في هذا ، وأرحت قلبك من الهم بي . وجعلت تبكي
ويبكي ، ثم مسح عينيّهما ، ثم رجعت إلى الغناء . وأومأ إلى خدام وقوف بشيء
لا أعرفه . فمضوا وأحضروا أكياسًا فيها عَيْنٌ وورق^(١) ورزماً فيها ثياب كثيرة .
وجاء خادمٌ بدُرْجٍ ، ففتحه وأخرج منه عقدًا ما رأيته قطّ مثل جوهرٍ كان فيه ،
فألْبسه إياها ، وأحضرت بذرة فيها عشرة آلاف درهم فحلت بين يدي ،
وخمسة تحوت فيها ثياب ، وعدنا إلى أمرنا وإلى أحسن ما كنا . فلم نزل كذلك
إلى الليل ، ثم تفرقنا ، وضرب الدهر ضرباته وتوفي الواثق وتقلد المتوكل الخلافة .
فوالله إني لفي منزلي في غير نوبتي إذ هجم عليّ رسل الخليفة ، فما أمهلوني حتى
ركبت وصرت إلى الدار ، فأدخلت والله الحجرة بعينها ، وإذا المتوكل في الموضع
الذي كان فيه الواثق وعلى السرير بعينه ، وإلى جانبه فريدة . فلما رآني قال لي :
ويحك ! أما ترى ما أنا فيه من هذه ! أنا منذ غدوة أطلبها بأن تُعني ، فتأبى ذلك .
فقلت : سبحان الله ! أتخالفين سيدك وسيدنا وسيد البشر ! بحياته غني . فضربت
والله ثم أندفعت تُعني :

مقيم بالمجازة من قنوني وأهلك بالأجيفر^(٢) فالتماد

(١) العين : الذهب . والورق : الفضة . (٢) المجازة : من منازل طريق مكة . وقنوني : واد من جهة مكة . والأجيفر : موضع في بلاد قيس . والتماد : موضع في ديار بني تميم .

فلا تَبْعَدْ فكلُّ فتى سياتى عليه الموتُ يطرقُ أو يُغادى

ثم ضربت بالعود الأرض ورمت بنفسها عن السرير ، ثم مرّت تعدو وتصيح : وا سيداه ! فقال لى : ويحك ! ماهذا ؟ فقلت : لا أدري والله يا سيدي . قال : فما ترى ؟ قلت : أرى والله يا سيدي أن أنصرف وتحضر هذه ومعها غيرها ، فإن الأمر يؤول إلى ما يريد أمير المؤمنين . قال : فأنصرف في حفظ الله . فانصرفت ولم أدر ما كانت القصة ^(١) .

(١) ساق ابن واصل بعد الحديث عن « فريدة » أخبار « ذى الطمحان القينى » وموضعها في الجزء الحادى عشر من المطبوع . وهذا مكانها في المخطوطات أيضاً . فآثرنا ما عليه الكثرة وأخرنا هذه الترجمة إلى مكانها .

أخبار أمية بن أبي الصلت

نسبه

واسم أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف بن عقدة بن عزة
ابن قسي ، وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن . وأمه آمنة بنت عبد شمس
ابن عبد مناف .

شيء من أبي الصلت

وكان أبو الصلت شاعراً ، وهو الذي يمدح سيف بن ذي يزن بقوله :
لِيَطْلُبَ النَّارَ أَمْثَالُ ابْنِ ذِي يَزَنٍ فِي الْبَحْرِ خَيْمٌ لِلْأَعْدَاءِ أَحْوَالًا
على ما يذكر في موضعه .

منزلة أمية في الشعر
وشيء عنه

وكان أمية شاعراً مجيداً ، لأنه لقراءته الكتب المنزلة كان يأتي في شعره
بأشياء لا تعرفها العرب ، فلذلك العلماء لا يحتجّون بشعره . وكان قد نظر
في الكتب وقرأها ولبس المسوح تبعداً ، وأكثر من ذكر إبراهيم وإسماعيل
والحنيفية ، وحرّم الخمر ، وأتمس الدين وطمع في النبوة ، لأنه قرأ في الكتب
أن نبياً يبعث من العرب ، فكان يرجو أن يكون هو ، فلما بعث النبي صلى الله
عليه وسلم قيل له : هذا الذي كنت تنتظر وتقول فيه . فحسده عدو الله وقال :
إنما كنت أرجو أن أكونه . فأنزل الله تعالى فيه : (واتل عليهم نبأ الذي
آتيناه آياتنا فانسلخ منها) .

وأمية الذي يقول :

كلّ دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة زور

شعره في رثاء
مشركي بدر

ولما أوقع النبي صلى الله عليه وسلم بالمشركين بدر ، وقتل من قتل وأسر
من أسر ، قال عدو الله أمية يرثيهم بقصيدة ، منها :

مَنْدَا بِيَدِ الْعَقْنِ قَلَّ مِنْ مَرَاذِبِ جَحَاجِجٍ^(١)

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن رواية هذه القصيدة .

ثم كان أمية بعد وقعة بدر يحرض المشركين بالنبي صلى الله عليه وسلم .

وقيل :

طمعه في النبوة

إن أمية بن أبي الصلت كان خرج في بعض أسفاره إلى الشام ، فرّ بكنيسة ، وكان معه جماعة من العرب وقرّيش ، فقال أمية : إن لي حاجة في هذه الكنيسة فانتظروني . فدخل الكنيسة فأبطأ ، ثم رجع كاسفاً مُتَعَبِراً ، فرمى بنفسه . فأقاموا عليه حتى تسرّى عنه . ثم مضوا وقضوا حوائجهم ، ثم رجعوا . فلما صاروا إلى الكنيسة قال : انتظروني ، ودخل أيضاً ، فأبطأ ثم خرج إليهم بأسوأ من حاله الأولى . فقال له أبو سفيان بن حرب : قد شققت على رُفَقائك . فقال : خلوني فإني أرتاد نفسي وأنظر لمعادي ، إن هاهنا راهباً عالماً أخبرني أنه يكون بعد عيسى ابن مريم ست رجات ، وقد مضت منها خمس و بقيت واحدة ، فخرجت وأنا أطمع في النبوة وأخاف أن تُخطئني ، فأصابني ما رأيت ، فلما رجعت أتيتُه فقال لي : قد كانت الرجعة ، وقد بُعث نبيُّ العرب ، فأيست من النبوة ، فأصابني ما رأيت ، إذ فاتني ما كنت أطمع فيه .

وقيل :

خرج أمية بن أبي الصلت في سفر فزئلوا منزلاً ، فأَمَّ أمية وجهاً وصعد في كئيب ، فرُفعت له كنيسة فأنتهى إليها ، فإذا شيخ جالس ، فقال لأمية حين رآه : إنك لمتبوع ، فمن أين يأتيك رأيك^(٢) ؟ قال : من شقي الأيسر .

(١) العقنقل : كئيب رمل بيدر . ومرازبة : جمع مرزبان ، وهو الفارس الشجاع . معرب . وجحاجج : جمع جحجج ، وهو السيد المسارع في المكارم . والرواية في أكثر أصول الأغاني : « ماذا » . مكان « مندا » .

(٢) الرقي : جنى ، زعمت العرب أنه كان يلهم صاحبه الكهانة والطب ويلقى عليه الشعر .

قال : فأى الثياب أحب إليه أن يأتيك فيها ؟ قال : السَّواد . قال : كِدْتُ والله تكون نبيَّ العرب ، ولستَ هو ، هذا خاطرٌ من الجنِّ وليس بملك ، فإن نبيَّ العرب صاحبَ هذا الأمرِ يأتيه من شِقِّه الأيمن ، وأحبُّ الثياب إليه أن يلقاه فيها البياض .

وأتى أُمَيَّةُ أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، عَمِيَ الخبرُ ، فهل أحسستَ شيئاً ؟ قال : لا . قال : قد وجدته يخرجُ العام .

وذكر أن أُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ كان جالساً ومعه قومٌ ، فمرَّت بهم غنمٌ^(١) فَنَفَت ، زعمه في شاة ثفت شاة . فقال لقوم : هل تدرون ما قالت الشاة ؟ قالوا : لا . قال : إنها قالت لَسَخَلْتِها : مُرِّي لا يجيء الذَّئْبُ فيأكلك كما أكل أختك عام أول في هذا الموضع . فقام بعضُ القومِ إلى الرَّاعِي فقال : أخبرنا عن هذه الشاة التي ثفت ، ألها سَخَلَةٌ ؟ قال : نعم ، هذه سَخَلْتِها . قالوا : فكان لها عام أول سَخَلَةٌ ؟ قال : نعم ، وأكلها الذَّئْبُ في هذا الموضع .

وقيل :

خرج رَكْبٌ من ثَقِيفٍ إلى الشام ، وفيهم أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلْتِ ، فلما قَفَلُوا راجعين نزلوا منزلاً ليتعشَّوا ، إذ قد أقبلت عَظَايَةٌ^(٢) حتى دنت منهم ، فحَصَبَها بعضهم بشيء في وجهها فرجعت ، وگفتوا سُفَرْتِهم^(٣) ، ثم قاموا يرحلون مُمَسِّين . فطلعت عليهم عَجُوزٌ من وراء كَثِيبٍ مُقَابِلٍ لِمِ تَتَوَكَّأ على عصا ، فقالت : ما منعكم أن تُطعموا رَحِيمَةَ ، الجارية اليتيمة ، التي جاءتكم عَتِيمَةً^(٤) ؟ فقالوا : وما أنت ؟ قالت : أنا أُمُ العَوَّامِ ، إِمْتُ^(٥) منذ أعوام ؛ أما وربُّ العباد ، لتفترقن في البلاد .

(١) ثفت : صاحت وصوتت . (٢) العظاية : دويبة ملساء تشبه سام أبرص .

(٣) كفتوا : ضموا . والسفرة : ما يبسط تحت الخوان من جلد أو غيره .

(٤) عتيمة ، تصغير : عتمة ، وهي ثلث الليل الأول . والذي في أكثر أصول الأغاني :

« عشيّة » . (٥) آمت المرأة : فقدت زوجها .

وضربت بعصاها الأرض ثم قالت : أطيلي إياهم ، ونفري ركبهم . فوثبت الإبل كأن على ذروة كل بعير شيطاناً ، فلم يملك منها شيء حتى أفرقت في الوادي . فجمعناها آخر النهار ومن غدٍ فلم تكذب . فلما أنخناها لنزولها طلعت علينا العجوز بعصاها وقالت كقولها بالأمس . ففعلت الإبل كقولها بالأمس . فلم نجمعها إلا الغد عشياً ، فلما أنخناها لنزولها أقبلت العجوز فقالت كقولها في اليومين ، وتفرقت الإبل . فقلت لأمية : أين ما كنت تخبرنا عن نفسك ؟ فقال : أذهبوا أتم في طلب الإبل ودعوني . فتوجه إلى الكتيب الذي كانت العجوز تأتي منه حتى علاه ، وهبط منه إلى وادٍ فيه كنيسة وقناديل ، وإذا رجل مضطجع معترض على بابها ، وإذا آخر أبيض الرأس واللحية ، فلما رأى أمية قال : إنك لمتبوع ، فمن أين يأتي صاحبك ؟ وجرى بينهما في ذلك ما تقدم ذكره ^(١) . ثم قال : ما حاجتك ؟ فحدثه بحديث العجوز . فقال : صدقت وليست بصادقة ، هي امرأة يهودية من الجن هلك زوجها منذ أعوام ، وإنها لا تزال تصنع بكم ذلك حتى تهلككم إن استطاعت . فقال أمية : وما الحيلة ؟ قال : أجمعوا ظهركم ^(٢) ، فإذا جاءكم ففعلت كما كانت تفعل ، فقولوا : سبع من فوق وسبع من أسفل ، بأسمك اللهم . فلن تضرهم . فرجع أمية إليهم وقد جمعوا الظهر . فلما أقبلت العجوز . قال لها ما أمر به الشيخ ، فلم تضرهم . فلما رأت الإبل لم تتحرك ، قالت : قد عرفت صاحبكم ، ليبقيضن أعلاه ، وليسودن أسفله . فأصبح أمية وقد برص في عذاريه وأسود أسفله . فلما قدموا مكة ذكروا لهم الحديث . فكان ذلك أول ما كتب أهل مكة « بأسمك اللهم » .

وقيل :

حديث شق صدره

دخل أمية بن أبي الصلت على أخته ، وهي تهيب آدمًا لها ، فنام على سرير

(١) انظر (ص ٤٩٩) من هذا الجزء . (٢) الظهر : ما يحمل عليه من الإبل .

في ناحية البيت، فأَنشَقَّ جانبٌ من السقف، فإذا بطائرَيْن، فوقع أحدهما على صدره فشَقَّه وأَخْرَجَ قلبه، ووقف الآخر مكانه. فقال الطائر الواقف للطائر الذي على صدره: أُوْعَى؟ قال: يُوْعَى. قال: أَقْبِلْ؟ قال: أُبَى. فردَّ الطائر قلبه في موضعه ثم نَهَضَ. فَاتَّبَعَهُ أُمِيَّةٌ طَرَفَهُ وقال:

لَبَّيْكَا لَبَّيْكَا هَا أَنَذَا لَدَيْكَمَا

لا بَرَى، فَأَعْتَذَرَ، ولا ذو عَشِيرَةٍ فَأَنْتَصَرَ. فرجع الطائر فوقع على صدره فشَقَّه، ثم أَخْرَجَ قلبه فشَقَّه. فقال الأعلى: أُوْعَى؟ قال: وَعَى. قال: أَقْبِلْ؟ قال: أُبَى. فنَهَضَ. فَاتَّبَعَهُمَا أُمِيَّةٌ طَرَفَهُ وقال:

لَبَّيْكَا لَبَّيْكَا هَا أَنَذَا لَدَيْكَمَا

مَحْفُوفٌ بِالنِّعَمِ، مَحْفُوظٌ مِنَ الرَّيْبِ. فرجع الطائر فوقع على صدره فشَقَّه. فقال الأعلى: أُوْعَى؟ قال: وَعَى. قال: أَقْبِلْ؟ قال: أُبَى. ونَهَضَ. فَاتَّبَعَهُمَا أُمِيَّةٌ طَرَفَهُ فقال:

لَبَّيْكَا لَبَّيْكَا هَا أَنَذَا لَدَيْكَمَا

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمًا^(١)

قالت أخته: ثم أنطبق السقف وجلس أُمِيَّةٌ يَمْسَحُ صدره. فقلت: يا أخى، هل تجد شيئاً؟ قال: لا، ولكنى أَجِدُ حرًّا فى صدرى. ثم أنشأ يقول:

لَيْتَنِى كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدْ بَدَأَ لِي فِى رُءُوسِ الْجِبَالِ أُرْعَى الْوُعُولَا
أَجْعَلَ الْمَوْتَ^(٢) بَيْنَ عَيْنَيْكَ وَأُحْذِرُ غَوْلَةَ الدَّهْرِ إِنْ لِلدَّهْرِ غُولا

وروى ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدَّق أُمِيَّةٌ فى قوله:

(١) أَلَمٌ: وقع فى اللِّم، وهو صغار الذنوب.

(٢) فى بعض أصول الأغاني: «نصب» مكان «بين».

رَجُلٌ وَثُورٌ ^(١) تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ وَالنَّسْرُ لِلْآخَرِى وَلَيْثٌ مُرْصَدٌ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صَدَقَ .

وقيل :

لنبي صلى الله عليه وسلم حين أنشد من شعره

أَنشَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلَ أُمِيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ :
الْحَمْدُ لِلَّهِ مُمَسَّانَا وَمُصَبِّحَنَا بِالْخَيْرِ صَبَّحَنَا رَبِّي وَمَسَّانَا
رَبُّ الْحَنِيْفَةِ لَمْ ^(٢) تَنْفَدْ خَزَائِنُهَا مَمْلُوءَةً طَبَقَ الْآفَاقِ سُلْطَانَا
أَلَا نَبِيَّ لَنَا مَنَّا فَيُخْبِرُنَا مَا بَعْدَ غَايَتِنَا مِنْ رَأْسِ مَحْيَانَا
بَيْنَا يُرَبِّبُنَا أَبَاؤُنَا هَلَكُوا وَبَيْنَمَا نَقْتَنِي الْأَوْلَادَ أَفْنَانَا
وَقَدْ عَلِمْنَا لَوْ أَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُنَا أَنْ سَوْفَ يَلْحَقُ أَوْلَانَا بِأَخْرَانَا
فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ كَادَ أُمِيَّةُ لِيَسْلَمَ .

وقيل :

شعره يعتب على ابن له

إِنْ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ عَتَبَ عَلَى ابْنٍ لَهُ ، فَقَالَ :

غَذَوْتُكَ مَوْلوداً وَعُلْتُكَ يَافِعَا تَعْلُ بِمَا أَجْنَى عَلَيْكَ ^(٣) وَتَهْتَلُ
إِذَا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بِالشَّكْوَى لَمْ أَبْتَ لَشَكْوَاكَ إِلَّا سَاهِرَا أَتَمَلُّ
كَأَنَّيَ أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي طُرِقْتُ بِهِ دُونِي فَعِنَى تَهْمَلُ
تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنَّهَا لَتَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ حَتْمٌ ^(٤) مُوجِّلُ
فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالْغَايَةَ الَّتِي إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ مِنْكَ أَوْمَلُ
جَعَلْتَ جَزَائِي غِلْظَةً وَفَظَاطَةً كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ
وَسَمَّيْتَنِي ^(٥) بِأَسْمِ الْمَفْنَدِ رَأْيُهُ وَقَلْتُ وَلَمْ تَصْدُقْ أَنَا سَكَ أَفْضَلُ

(١) في التجريد : « أسد ونسر » .

(٢) في التجريد : « لم يفتت خواتمها » مكان : « لم تنفذ خزائنها » .

(٣) أجنى ، عليك ، أى أكسب لك . (٤) في التجريد : « وقت » مكان « حتم » .

(٥) لم تذكر أصول الأغاني هذا البيت والبيتين بعده .

فليتَكَ إذ لم ترَع حقَّ أبوقى كما يفعل الجارُ الجاور تفعل
تراه مُعدًّا للخِلاف كأنه برغمى على ريب الزمان موكل

وقيل :

حديث موته

إنه لما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ أمية بن أبي الصلت أبنيه وهرب بهما إلى اليمن ، ثم عاد إلى الطائف . فبينما هو يشرب مع إخوان له فى قصر غيلان^(١) بالطائف إذ سقط غراب على شُرْفَةِ القصر ، فنعب نعباً ، فقال أمية : بفيك الكشكث - وهو التراب - فقال أصحابه : ما يقول ؟ قال : إنه يقول : إذا شربت الكاس التى بيدك متَّ . فقلت له : بفيك الكشكث . ثم نعب نعباً أخرى . فقال أمية نحو ذلك . فقال أصحابه : ما يقول ؟ قال : زعم أنه يقع على هذه المزبلة أسفل القصر فيستثير عظماً فيبتلعه فيموت ، فقلت له نحو ذلك . فوقع الغراب أسفل القصر فأثار العظم فأبتلعه وشجى به فمات . فانكسر أمية ووضع الكأس من يده وتغيّر لونه . فقال له أصحابه : ما أكثر ما سمعنا مثل هذا وكان باطلاً ، وألحوا عليه حتى شرب الكأس . فمال فى شِقِّ وأغنى عليه ، ثم أفاق فقال : لا برىء فأعذر ، ولا قوى فأبتصر . ثم خرجت نفسه .

(١) هو غيلان بن سلمة بن معتب ، أعجب به كسرى حين وفد عليه فبنى له هذا القصر .

أَخْبَارُ حَسَّانَ

نسبه

هو حَسَّان بن ثابت بن المُنذر بن حَرَام بن عمرو بن زَيْد مَنَاة بن عَدِيّ بن كَعْب بن مالك بن النَجَّار . وهو تَيْمُ الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة ، وهو العَنْقَاء — وإِنَّمَا سُمِّي العَنْقَاء لَطُولِ عُنُقِهِ — ابن عمرو ، وهو مُزَيْقِيَاء ، ابن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغَطَرِيْف بن أُمْرِيء القيس البِطْرِيْق بن ثعلبة البَهْلُول بن مازن بن الأزْد ، وهو دِرء^(١) — وقيل : دِرَاء ، ممدود — بن الغوث ابن نَبْت بن مالك بن زَيْد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطَان .
و بنو عمرو بن عَدِيّ بن النَجَّار يُسَمُّونَ بَنِي مَعَالَةَ . وَمَعَالَةُ أُمُهُمْ ، وهى أُمْرَأَةٌ مِنَ الْقَيْنِ ، وإليها كانوا يُنْسَبُونَ . وأُم حَسَّان بن ثابت الْفُرَيْعَةُ بنت خالد بن قيس بن لَوْذَانَ بن عبد وُدّ بن زَيْد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كَعْب ابن الخزرج .

وكان أَسْمُ النَجَّار تَيْمَ اللات ، فجعله رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم « تَيْمَ الله » لثلاث يكون في أنساب الأنصار « تَيْمَ اللات » .

وحَسَّان بن ثابت فَحْلٌ من فُحُولِ الشُّعْرَاء . وقد قيل : إنه أشعر أهل المَدْر ، وكان من المَعْمَرِينَ ، عُمُرُ مائَةٍ وعشرين سنة ، سَتَيْنِ فى الجاهلية وستين فى الإسلام .

ورُوى عن حَسَّان بن ثابت قال : إني لَغُلَامٌ يَفْعُ ابنُ سَمِيعِ سنين أو ثمان ، عمره

(١) فى بعض أصول الأغاني : « ذرئ » بالذال . تصحيف .

إذا يهودى بيثرب يصرخ ذات ليلة : يا معشر يهود . فلمّا اجتمعوا قالوا : ويلىك ! مالك ؟ قال : طلع نجم أحمد الذى ولد به فى هذه الليلة . وأدركه ولم يؤمن به . وهذا يدلّ أنه عمّر فى الجاهلية ستين سنة ، لأنه ذكر أنه أدرك ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله يومئذ ثمانى سنين ، والنبيّ صلى الله عليه وسلم بعث وله أربعون سنة ، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وقدم المدينة لحسان يومئذ ، على ما ذكره ، ستون سنة ، أو إحدى وستون سنة . وحينئذ أسلم .

وكان يخضب شاربه وعنفقته ^(١) بالحناء ، ولا يخضب سائر لحيته .

خضابه

وكان يفضل حسان على الشعراء بثلاث : كان شاعر الأنصار فى الجاهلية ، وشاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النبوة ، وشاعر اليمين كلها فى الإسلام .

فضله على الشعراء

وقيل :

جاء حسان إلى نفر منهم أبو هريرة رضى الله عنه ، فقال : أنشدك الله ! أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أجِبْ عَنِّي . ثم قال : اللهم أيده بروح القدس ؟ فقال أبو هريرة : اللهم نعم .

استشهاده
بأبي هريرة

وقيل :

كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة رهط من قريش : عبد الله ابن الزبعرى ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعمرو بن العاص . فقال قائل لعليّ بن أبي طالب رضى الله عنه : اهج عنا القوم الذين هَجَوْنَا . فقال عليّ رضى الله عنه . إن أذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فَعَلْتُ . فقال رجل : يا رسول الله ، إيذن لعليّ كيما يهجو عنا هؤلاء القوم الذين هَجَوْنَا . فقال : ليس هناك ، أو ليس عنده ذاك . ثم قال للأنصار : ما يمنع الذين نصرُوا رسول الله

من الثلاثة الذين
عارضوا شعراء
قريش

(١) العنفقة : شعرات بين الشفة السفلى والذقن .

بسلّاحهم أن ينصّروه بالسّتمهم؟ فقال حسان بن ثابت : أنا لها، وأخذ بطرف لسانه وقال : والله ما يسرّنى به مِقُولٌ من بُصْرَى وصنّعاء . فقال : كيف تهجّوهم وأنا منهم؟ فقال : إني أسلّك منهم كما تُسلّ الشّعة من العَجين . فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة . فكان حسان وكعب يُعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ، ويعيّرانهم بالمثالب . وكان عبد الله بن رواحة يعيّرهم بالكُفر ، ويُعلم أنّه ليس فيهم شرٌّ من الكُفر . وكان فى ذلك الزمان أشدُّ القول على الكُفار قولَ حسان بن ثابت ، وأهونُ القول عليهم قولُ ابن رواحة . فلما أسلموا وتفقهوا فى الإسلام كان أشدَّ القول عليهم قول ابن رواحة .

وقيل :

استثذانه النبي
صلّى الله عليه وسلم
فى هجائه
أبا سفيان

قام حسان بن ثابت فقال : يا رسول الله ، إيدن لى فيه — يعنى أبا سفيان ابن الحارث — وأخرج لساناً أسود ، وقال : يا رسول الله ، لوشئتُ لقرّيتُ به المَزاد^(١) ، إيدن لى فيه . فقال : أذهب إلى أبى بكر ليحدّثك بحديث القوم وأيامهم وأحسابهم ، ثم أهجّهم وجبريلُ معك . فأتى أبا بكر رضى الله عنه فأعلمه بما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فقال : كُفَّ عن فلانة وأذكر فلانة . فقال حسان :

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعند الله فى ذلك الجزاء
فإنَّ أبى ووالده وعِرضى لعِرضِ محمّدٍ منكم وِقاء
أتهجّوه ولستَ له بكُفء فشرُّ كما خيّر كما الفِداء

وقيل :

لما أنشدت قريش شعر حسان بن ثابت قالت : إن هذا الشّتم ما غاب عنه ابنُ أبى قحافة .

(١) المزاد : جمع مزادة ، وهى التى يحمل فيها الماء .

وذكر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه في أيام خلافته نهى الناس أن يُنشدوا شيئاً من مناقضة الأنصار ومُشركى قريش ، وقال : في ذلك شتم للحى والميت وتجديد الضغائن ، وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الإسلام . فقدم المدينة عبد الله بن الزبعرى السهمي ، وضرار بن الخطاب الفهري ثم المحاربي ، فنزلاً على أحمد بن جحش وقالوا : نُحب أن تُرسل إلى حسان بن ثابت حتى يأتيك فننشده وينشدنا ما قلناه وما قاله . فأرسل إليه فجاء . فقال : يا أبا الوليد ، هذان أخواك : ابن الزبعرى ، وضرار ، وقد أحبا أن يُسمعاك وتُسمعهما ما قالاك وقلت لهما . فقال ابن الزبعرى ، وضرار : نعم يا أبا الوليد ، إنَّ شعرك كان يُحتمل في الإسلام ولا يُحتمل شعرنا ، وقد أحببنا أن نسمعك وتُسمعنا . فقال حسان : أفتبدآن أم أبداً ؟ قالوا : نبدأ نحن . قال : أنشدا . فأنشده حتى فار فصار كالمرجل غضباً ، ثم أستويا على راحلتيهما يُريدان مكة . فخرج حسان حتى دَخَلَ على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقَصَّ عليه قصتهما وقِصته . فقال له عمر : لن يذهبها عنك بشيء إن شاء الله ، وأرسل من يُردّها ، وقال له عمر : إن لم تُدرّكهما إلا بمكة فأرددّهما علىّ . وخرجا ، فلما كان بالروحاء^(١) رجع ضرار إلى صاحبه وقال له : يا ابن الزبعرى ، أنا أعرف عمر وذبة عن الإسلام وأهله ، وأعرف حسان وقلة صبره على ما فعلنا به . وكأني به قد جاءه وشكا إليه ما فعلنا ، فأرسل في آثارنا وقال لرسوله : إن لم تلحقهما إلا بمكة فأرددّهما علىّ ، فأرّبح بنا ترك العناء وأقيم بنا في مكاننا هذا ، فإن كان الذي ظننتُ فالرُجوع من الروحاء أسهلُ منه من أبعدها منها ، وإن أخطأ ظنّي فذلك الذي نُحب ونحن من وراء الضيّ . فقال ابن الزبعرى : نعم ما رأيت . فأقاما بالروحاء ، فما كان إلا كمر طائر حتى وافاهما رسولُ عمر بن الخطاب ، فرجعا إليه^(٢) . فدعا لهما بحسان ، وعمر في جماعة من

(١) الروحاء : موضع بين مكة والمدينة على نحو ثلاثين ميلاً من المدينة .

(٢) في بعض الأصول : « فردّها إليه » .

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لحسان : أنشدتها ما قلت لهما . فأنشدتها حتى فرغ مما قال لهما . فقال عمر : أفرغت ؟ قال : نعم . قال : أنشدك في الخلاء وأنشدتهما في الملاء . وقال لهما عمر : إن شئتما فأقيما وإن شئتما فأنصرفا . وقال لمن حضره من الأنصار : إني قد نهيتكم أن تدكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئا دفعا للتضاغن عنكم ، وبث القبيح فيما بينكم . فأما إذا أبوا فاكثبوه وأحفظوه . فدوّنوا ذلك عنهم ^(١) .

ومما قاله حسان في أبي سفيان بن الحارث يهجو به :

من هجائه لأبي
سفيان بن الحارث

وإن سناء ^(٢) المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ^(٣) والدك العبد
ومن ولدت أبناء زهرة منهم كرام ولم يبلغ عجائزك ^(٤) المجد
وإن أمرا كانت سمية ^(٥) أمه وسمراء ^(٦) مغلوب إذا بلغ الجهد
وأنت هجين ^(٧) نيط في آل هاشم كما نيط خلف الرأكب القدح الفرد
فقال العباس رضي الله : مالي أنا وحسان ! يعني في ذكره نتيمة ^(٨) أمه .

فقال حسان فيها :

ولست كعباس ولا كأبي أمه ولكن هجين ليس يورى له زند

(١) في بعض الأصول : « عندهم » . (٢) في أصول الأغاني : « سناء » .

(٣) بنت مخزوم ، هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وهي أم عبد الله ، أبي النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبي طالب ، أبناء عبد المطلب . و « والدك العبد » : يريد به : الحارث ابن عبد المطلب ، وهو ابن أبي سفيان المهجو ، وكانت أمه أم ولد .

(٤) يمدح أمة أم النبي صلى الله عليه وسلم ، وهالة أم حمزة ، وصفية ، وكلتاها زهرية . و « لم يلحق عجائزك المجد » يهجو أبا سفيان بأن أمهاته لسن أحرارا ، فأما أبي سفيان أم ولد ، وأما أبيه كذلك أم ولد .

(٥) سمية : هي أم الحارث بن عبد المطلب . والذي في الأصل : « نتيمة » تحريف .

(٦) سمراء : أم أبي سفيان . (٧) الهجين : من أبوه عربي وأمّه ليست عربية .

(٨) هي نتيمة بنت كليب بن مالك بن جناب ، أم العباس وضرار ، ابني عبد المطلب .

وقيل :

حداؤه بين يدي
رسول الله صلى
الله عليه وسلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم ليلة وهو في سفر : أين حسان بن ثابت ؟ فقال حسان : لبيك يا رسول الله وسعديك . قال : أحد . فجعل يُنشد ويصغي إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستمع ، فما زال يسمع إليه وهو سائق راحلته حتى كاد رأس راحلته يمس الورك ، حتى فرغ من نشيده . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لهذا أشد عليهم من وقع النبل .

وقيل :

مجاوبته شاعر
وفد تميم

لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفد بني تميم ، وهم سبعون رجلاً ، منهم الأقرع بن حابس ، والزبرقان بن بدر ، وعطارد بن حابس ، وقيس ابن عاصم ، وعمر بن الأهتم ، وانطلق معهم عيينة بن حصن ، فقدموا المدينة فدخلوا المسجد ، فوقفوا عند الحجرات ، نادوا بصوت عالٍ جاف : أخرج يا محمد ، فقد جئنا لنفاخرك ، وجئنا بشاعرنا وخطيبنا . فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس . فقام الأقرع بن حابس فقال : والله إن مدحى لزيّن ، وإن دمي لشين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك الله . فقالوا : إنا لأكرم العرب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكرم منكم يوسف بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم . فقالوا : إبدن لشاعرنا وخطيبنا . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس وجلس معه الناس . فقام عطارد بن حابس فقال : الحمد لله الذي له الفضل علينا بهديته ، الذي جعلنا ملوكاً وجعلنا أعز أهل الشرق^(١) ، وأتانا أموالاً عظماً نفعل فيها المعروف ، وليس في الدنيا مثلاً ، أو لساناً برئوس الناس وذوى فضلهم ! فمن فاخرنا فليعد علينا مثل ما عدّناه ، ولو نشاء لأكثرنا ، ولكننا نستحي من الإكثار فيما حوّلنا الله وأعطانا . أقول قولي هذا

(١) في بعض أصول الأغاني : « المشرق » .

فَأَتُوا بِقَوْلٍ أَفْضَلَ مِنْ قَوْلِنَا ، أَوْ أَمْرٍ أَبَيَّنْ مِنْ أَمْرِنَا . ثُمَّ جَلَسَ . فَقَامَ ثَابِتُ
 ابْنُ شِمَاسٍ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ خَلَقَهُ ، قَضَى فِيهِنَّ أَمْرَهُ ،
 وَوَسَّعَ كُرْسِيَّهِ عَلَيْهِ ، وَلَا يَقْضَى شَيْئًا إِلَّا مِنْ فَضْلِهِ وَقُدْرَتِهِ ، وَكَانَ مِنْ قُدْرَتِهِ
 أَنْ أَصْطَفَى لَنَا رَسُولًا أَكْرَمَهُمْ حَسَبًا ، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثًا ، وَأَحْسَنَهُمْ رَأْيًا . وَأَنْزَلَ
 عَلَيْهِ كِتَابًا ، وَأَثَمَنَهُ عَلَى خَلْقِهِ ، وَكَانَ خَيْرَ اللَّهِ مِنَ الْعَالَمِينَ . ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْإِيمَانِ ، فَأَجَابَهُ مِنْ قَوْمِهِ وَذَوِي رَحْمَةِ الْمُهَاجِرُونَ ، أَكْرَمُ
 النَّاسِ أَنْسَابًا ، وَأَصْبَحُ النَّاسِ وَجُوهًا ، وَأَفْضَلُ النَّاسِ أَعْمَالًا . ثُمَّ كَانَ أَوَّلُ مَنْ
 أَتَبَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْعَرَبِ وَأَسْتَجَابَ لَهُ نَحْنُ مَعْشَرُ الْأَنْصَارِ .
 فَنَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ وَوُزَرَاءُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، نَقَاتِلُ النَّاسَ حَتَّى يَؤْمِنُوا
 أَوْ يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . فَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مَنَعَ مِمَّا مَالَهُ وَدَمَهُ ، وَمَنْ كَفَرَ
 جَاهَدْنَاهُ فِي اللَّهِ وَكَانَ جِهَادُهُ عَلَيْنَا يَسِيرًا . أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِلْمُؤْمِنِينَ
 وَالْمُؤْمِنَاتِ . فَقَامَ الزُّبْرَقَانُ فَقَالَ :

نَحْنُ الْمُلُوكُ فَلَا شَيْءَ ^(١) يَقَارِبُنَا	مِمَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا يُؤْخَذُ ^(٢) الرَّبْعُ
وَنَنْحَرُ الْكُومَ ^(٣) عُبْطًا فِي مَنَازِلِنَا	لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا أَسْتَطَعْمُوا شَبَعُوا
وَنَحْنُ نَطْعِمُ عِنْدَ الْقَحْطِ مَا أَكَلُوا	مِنَ الْعَبِيطِ إِذَا لَمْ يَظْهَرِ ^(٤) الْقَرْعُ
تِلْكَ الْمَكَارِمُ حُزْنَاهَا مُقَارَعَةٌ	إِذَا الْكَرَامُ عَلَى أَمْثَالِهَا اقْتَرَعُوا
كَمْ قَدْ قَسَرْنَا ^(٥) مِنَ الْأَحْيَاءِ كُلَّهُمْ	عِنْدَ النَّهَابِ وَفَضْلُ الْعَزِّ يَتَّبِعُ
وَتُبْصِرُ النَّاسَ تَأْتِينَا ^(٦) سَرَائِهِمْ	فِي كُلِّ أَمْرٍ فَنَمْضِي ثُمَّ نَتَّبِعُ

(١) فِي الْأَغَانِي : « قَلَّاص » .

(٢) كَانَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ يَأْخُذَ الرَّئِيسُ رُبْعَ الْغَنِيمَةِ خَالِصًا دُونَ أَصْحَابِهِ .

(٣) الْكُومُ : جَمْعُ أَكُومٍ ، وَهُوَ الْبَعِيرُ الضَّخْمُ . وَالْأَنْثَى : كُومَاءُ . وَالْعَبْطُ ، بِضَمِّتَيْنِ ،

وَقَدْ تَسْكُنُ عَيْنُهُ : جَمْعُ عَبِيطَةٍ ، وَهِيَ النَّاقَةُ تَنْحَرُ عَنْ غَيْرِ دَاءٍ .

(٤) الْقَرْعُ : السَّحَابُ . يُشِيرُ إِلَى إِطْعَامِهِمْ أَيَّامَ الْحُلِّ .

(٥) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « نَشْدُنَا » . (٦) رَوَايَةُ أَصُولِ الْأَغَانِي :

* وَنَنْصُرُ النَّاسَ تَأْتِينَا سَرَائِهِمْ *

فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حسان بن ثابت فجاء ، فأمره أن يجيبه . فقال حسان :

إِنَّ الذَّوَابَّ مِنْ فَهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سِرِيرَتُهُ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ
سَجِيَّةً تِلْكَ فِيهِمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ
لَا يَرْقَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَّاقُونَ بَعْدَهُمْ
أَعْفَى ذُكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عِفَّتُهُمْ
وَلَا يَصْنَتُونَ عَنْ جَارٍ بِفَضْلِهِمْ
يَسْمُونَ لِلْحَرْبِ تَبَدُّوْهُى كَالْحَلَةِ
لَا يَفْرَحُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ
كَأَنَّهُمْ فِي الْوَحْيِ وَالْمَوْتِ مُكْتَنِعٌ
خُذْ مِنْهُمْ مَا أَتَوْا عَفْوَاً وَمَا^(٤) غَضِبُوا
فَإِنَّ فِي حَرْبِهِمْ فَاتْرُكْ عَدَاوَتِهِمْ
أَكْرَمَ بِقَوْمٍ رَسُولُ اللَّهِ فَائِدُهُمْ
أَهْدَى لَهُمْ مَدْحَى قَلْبٍ يُؤَاوِرُهُ

قَدْ بَيَّنَّا سُنَّةً لِلنَّاسِ تَتَّبِعُ
تَقْوَى الْإِلَهِ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا
أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
إِنَّ الْخِلَاقَ فَأَعْلَمُ شَرُّهَا الْبِدْعَ
عِنْدَ الدَّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا
فَكُلُّ سَبْقٍ لَأَذْنَى سَبْقِهِمْ تَبِعَ
لَا يَطْبَعُونَ^(١) وَلَا يُزْرَى بِهِمْ طَبَعُ
وَلَا يَمَسُّهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَمَعُ
إِذَا الزَّعَانِفُ^(٢) مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا
وَإِنْ أُصِيبُوا فَلَا خُورٌ وَلَا جُرْعُ
أَسْوَدُ بَيْشَةٍ فِي أَرْسَاقِهَا^(٣) فَدَعُ
فَلَا يَكُنْ هُمُكَ الْأَمْرَ الَّذِي مَنَعُوا
سُمًّا عَلَيْهِ يُخَاضُ الصَّابُ^(٥) وَالسَّلْعُ
إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ
فِيمَا أَرَادَ لِسَانٌ حَازِقٌ^(٦) صَنَعُ

(١) لا يطبعون ، أى لا يأتون ما يدنسهم ويعيبهم ويشينهم . والطبع : الدنس والعيب والشين .

(٢) الزعانف : أزدال الناس .

(٣) مكتنع : قريب . وبيشة : من أعمال مكة ما يلى اليمن ، كثيرة الأسد . والفدع :

اعوجاج فى الرسغ .

(٤) فى بعض أصول الأغاني : « خذ منهم ما أقى عفواً وإن » .

(٥) يخاض : يخلط . والصاب والسلع : من الأشجار المرة .

(٦) فى بعض أصول الأغاني : « حائك » .

وإنهم^(١) أفضل الأحياء كلهم إن جدّ بالناس جدّ القول^(٢) أو شمعوا

فقام عطارد بن حاجب فقال :

أتيناك كما يعلم الناس فضلنا إذا اجتمعوا وقت احتضار المواسم
بأنّا فروع الناس في كلّ موطن وأن ليس في أرض الحجاز^(٣) كدارم

فقام حسان فقال :

منعنا رسول الله من غصب له على أنفٍ راضٍ من معدٍ وراغم
هل المجد إلا السودد الفرد^(٤) والندى وجاه^(٥) الملوك وأحتمل العظام

فقال الأقرع بن حابس : والله إن هذا الرجل لمؤتى له^(٦) ، والله لشاعره
أشعر من شاعرنا ، ولخطيبه أخطب من خطيبنا . فنزل قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ . وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ
إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) . ثم إن القوم أسلموا وأقاموا عند
النبي صلى الله عليه وسلم يتعلمون القرآن وينتفعون في الدين ، ثم أرادوا الخروج
إلى بيوتهم ، فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وقال : أما بقي منكم
أحد ؟ وكان عمرو بن الأهتم في ركبهم . فقال قيس بن عاصم ، وكان من رهطه
وكان مشاحنًا له : لم يبق إلا غلام حديث السن في ركبنا . فأعطاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم . فبلغ عمرو ما قال قيس . فقال عمرو لقيس :
ظلت مفترش الهلباء^(٧) تشتمني عند الرسول فلم تصدق ولم تصب

(١) في الديوان : « فإنهم » .

(٢) شمعوا : مزحوا .

(٣) دارم : أبوحى من تميم .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « العود » وهو القديم .

(٥) في الأصل : « وجار » .

(٦) مؤق له : ميسر له مهمل .

(٧) الهلباء : الاست .

إِنْ تَبْغُضُونَا فَإِنَّ الرُّومَ أَضْلَكُمْ وَالرُّومَ لَا تَمْلِكُ الْبَغْضَاءَ لِلْعَرَبِ
فَإِنَّ سُودَدَنَا عَوْدٌ وَسُودَدَكُمْ مُؤَخَّرٌ عِنْدَ أَصْلِ الْعَجَبِ^(١) وَالذَّنْبِ

ما كان بين جهجاه
وفتيّة من الأنصار
وشعر حسان

وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما غزا بني المصطلق^(٢) من خزاعة،
كان في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني غفار يقال له: جهجاه،
فخرج بفرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرس له يومئذ يستقيهما، فأوردهما الماء،
فوجد على الماء فتيّة من الأنصار، فتنازعوا عليه فأقتتلا، فقال عبد الله
ابن أبي بن سلول المنافق: هذا ما جزونا به، آويناهم ثم هم يقتتلونا!

قلت: وفي هذه الواقعة يقول عبد الله بن أبي - لعنه الله - : (لَنْ رَجَعْنَا إِلَى
الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ). وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم،
فأشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب
عنق عبد الله، فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال أبو الفرج :

و بلغ حسان بن ثابت الذي جرى بين جهجاه والفتية من الأنصار فغضب
وقال، وهو يريد المهاجرين من القبائل الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم، ومنهم صفوان بن معطل السلمي :

أَمْسى الجلابيبُ قد عَزَّوْا وقد كَثُرُوا وَأَبْنُ الْفَرِيعَةِ أَمْسى بَيْضَةً^(٣) الْبَلَدِ

(١) العجب : أصل الذنب .

(٢) اسمه جذيمة بن سعد . ولقب المصطلق لحسن صوته .

(٣) الجلابيب : سفلة الناس . وكان المنافقون يسمون المهاجرين : الجلابيب . وابن الفريعة ،
هو حسان بن ثابت . وبيضة البلد ، كما يراد بها المدح يراد بها الذم . فعلى الأولى فالمراد بها بيضة
الظلم لأنه يحضنها ويقيها وفيها فرخه . وعلى الثاني ، فالمراد بها البيضة المنبوذة بالعراء التي لا حائط لها .
وقيل : إذا كانت النسبة إلى مثل المدينة ومكة فيبيضة البلد مدح ، وإذا نسب إلى بلد أهلها على ضعة ،
فهو على الذم .

يَرْمُونُ بِالْقَوْلِ سِرًّا فِي مُهَادَنَةٍ
 قَدْ تَكَلَّمْتُ أُمَّهُ مَنْ كُنْتُ صَاحِبَهُ
 مَا لِلْقَتِيلِ الَّذِي أَسْمُو فَاقْتُلْهُ
 مَا الْبَحْرُ حِينَ تَهْبُ الرِّيحُ شَامِيَةً
 يَوْمًا بِأَبْلَغِ^(٢) مَنَى حِينَ تَبْصُرَنِي
 أَمَّا قُرَيْشٌ فَإِنِّي لَسْتُ تَارِكَهُمْ
 وَيَتْرَكُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى بِمَعْزَلَةٍ
 وَيَشْهَدُوا أَنَّ مَا قَالَ الرَّسُولُ لَهُمْ
 أَبْلَغُ بَنِي بَائِي قَدْ تَرَكْتُ لَهُمْ
 الدَّارَ وَاسْطَةً وَالنَّخْلَ شَارِعَةً
 تَهْدِدًا لِي كَأَنِّي لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ
 أَوْ كَانَ مُنْتَشِبًا فِي بُرْئِ الْأَسَدِ
 مِنْ دِيَةٍ فِيهِ أُعْطِيهَا وَلَا قَوْدَ
 فَيَغْطِئِلَ وَيَرْمِي الْعَبْرَ^(١) بِالزَّبَدِ
 أَفْرَى مِنْ الْغَيْظِ فَرَى الْعَارِضَ الْبَرْدِ
 حَتَّى يُنْبِئُوا مِنَ الْغِيَّاتِ لِلرَّشَدِ
 وَيَسْجُدُوا كُلُّهُمْ لِلوَاحِدِ الصَّمَدِ
 حَقًّا وَيُوفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ فِي^(٣) سَدَدِ
 مِنْ خَيْرٍ مَا يَتْرَكُ الْآبَاءُ لِلْوَلَدِ
 وَالْبَيْضُ يَرْفُلُنَ فِي الْقَسَى^(٤) كَالْبَرْدِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا حَسَّانُ ، نَفَسْتَ عَلَيَّ إِسْلَامَ قَوْمِي !
 وَأَغْضَبَهُ كَلَامُهُ .

وَحَسَّانُ أَحَدُ أَهْلِ الْإِفْكَ الَّذِينَ رَمَوْا عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

قلت : كانت قصة الإفك في هذه الغزاة ، وكانت عائشة رضى الله عنها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، وكان قد وقع عقد لها فذهبت تطلبه ، فرحل الجيش وحمّلها الذي عليه هودجها وظنّ أنها فيه . فلما وجدت العقد جاءت تطلب هودجها فوجدته قد ذهب ، ووجدها صفوان بن المعطل السلمي ، فأناخ لها جملة وأدار وجهه عنها حتى ركبته ولحق بها الجيش . فقال أهل الإفك ما قالوا من

تعقيب لابن واصل
 عن الإفك

(١) يغطئل : يركب بعضه بعضا . والعبر : الساحل .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « بأغلب »

(٣) السدد : القصد .

(٤) القسى : ثياب من كتان مخلوط بحريير ، منسوبة إلى قرية كانت على ساحل البحر قريبة من

تنيس ، بمصر .

الإفك . والذي تولى كبره منهم عبدُ الله بن أبي . فأنزل الله سبحانه براءتها من السماء بآيات من القرآن ، وهي (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ) الآيات . فغضب صفوان لما قذفه به حسان ، ولهذه الأبيات .

قال أبو الفرج :

فَعَدَا ^(١) صفوان بن المعطل على حسان فضربه بالسيف . وقال صفوان :

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي ^(٢) فَإِنِّي غَلَامٌ إِذَا هُوجِيتُ لَسْتُ بِشَاعِرٍ

فوثب قوم حسان على صفوان فخبسوه ، ثم جاءوا سعد بن عباد بن دليم ابن حارثة بن أبي حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب ابن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، فذكروا له ما فعل حسان وفعلوا به . فقال لهم : أشعرتُم ^(٣) بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : لا . فقعده إلى الأرض وقال : وأنقطع ظهراه ! تأخذون بأيديكم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين ظهرائكم ! ودعا بصفوان ، فأتى به ، فكساه وخلّاه . فجاء صفوان إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وقيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد ليصلي فرآه فقال : مَنْ كسأك كساه الله من ثياب الجنة ! وقال حسان لأصحابه : أحمولني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أترضاه . ففعلوا . فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فردّوه . ثم سألهم ، فحملوه ثانية . فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم قال لهم : عودوا بي على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالوا : جئنا بك مرّتين ، كل ذلك يُعرض عنك ، فلا نُبرمه بك . فقال : أحمولني

(١) في بعض أصول الأغاني : « فعدا » .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « عنك » .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « أشاورتم في ذلك » .

إليه هذه المرة . فخلوه . فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :
يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ! أحفظ قولي :

هَجَوْتُ مُجَمِّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وعند الله في ذلك الجزاء
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لعرض محمد منكم وبقاء

فرضي عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذهب له سيرين القبطية ، أخت
مارية ، أم إبراهيم ، ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فولدت سيرين لحسان
عبد الرحمن بن حسان .

قلت : إن مارية وأختها سيرين أهداهما المقوقس جريج بن مقي صاحب
مصر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما كتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعوه إلى الإسلام ، وأهدى معهما له حمارة « يعفور » وبعلته « دلدل » .

تعقيب لابن
واصل

قال أبو الفرج :

لعائشة عن صفوان

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : لقد سئل عن صفوان بن المعطل فوجدوه
رجالاً حصوراً ما يأتي النساء ، ثم قُتل بعد ذلك شهيداً .

وقال حسان يعتذر من الذي قاله في عائشة رضي الله عنها :

حسان يعتذر عن
قوله في عائشة

حَصَانُ رَزَانٌ مَا تَزُنُّ بِرَبِيبَةٍ وتصبح غرثي من لحوم الغوافل
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُ فلا رفعت سوطي إلى أناملي
وَكَيْفَ وَوُدِّي مَاحِيْتُ وَنُصْرَتِي لآل رسول الله زين المحافل
وَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِالْأَيْطِ ولكنه قول أمريء بي^(١) ماحل

وحكى عروة بن الزبير قال :

بين عروة وعائشة
وقد مرت جنازة
حسان

كنت قاعداً عند عائشة فمرَّ بجنازة حسان بن ثابت فبليت منه . فقالت :

(١) لائط : لائق . وماحل : ساع .

مهلاً . فقلتُ : أليس الذى يقول فيكِ ويقول ! قالت : فكيف بقوله :

فإنَّ أبى ووالده وعِرضى لعِرضِ محمد منكم وِقاه

ورُوى عنها رضى الله عنها أنها كانت تقول : إني لأرجو أن يدخله الله الجنة

بقوله هذا .

وقيل :

صفية وحسان
في يهودى أطف
بالحصن

كانت صفية بنت عبد المطلب فى فارع ، حصن حسان بن ثابت ، يوم
الخنْدَق . قالت صفية رضى الله عنها : وكان حسان معناه مع النساء والصبيان ،
فمر بنا رجل من اليهود ، فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت
ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا وبينه أحد يدفع عنا ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا
عنهم ، إذ أتانا آت . قالت : فقلت : يا حسان ، إن هذا اليهودى كما ترى
يطيف بالحصن ، وإني والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا من وراءنا من اليهود ،
وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ترى وأصحابه ، فأُنزل إليه فأقتله .
فقال : يَغْفِر الله لك يا بنت عبد المطلب ، لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا . قالت :
فلما قال ذلك ، ولم أر عنده شيئاً ، اعتجرت^(١) ثم أخذتُ عوداً ثم نزلتُ من
الحصن إليه ، فضربتُه بالعمود حتى قتلتُه ، فلما فرغتُ منه رجعتُ إلى الحصن
فقلت : يا حسان ، أنزل إليه فاسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل . فقال :
مالى بسلبه حاجةً يا بنت عبد المطلب .

وحدث عبد الله بن الزبير بن العوام أنه كان فى فارع ، أُطم حسان بن ثابت
يوم الخندق ، ومعهم عمر بن أبى سلمة . قال ابن الزبير : ومعنا حسان بن ثابت

(١) الاعتجار : لف الثوب على الرأس من غير إدارة تحت الحنك .

ضارباً وَتِدًا في ناحية الأطم ، فإذا حَمَلَ أصحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم على المشركين حَمَلَ على الوَتِدِ فَضَرَبَهُ بالسَّيْفِ ، فإذا أَقْبَلَ المُشْرِكُونَ أَنَحَازَ عن الوَتِدِ حتى كَأَنَّهُ يُقَاتِلُ قِرْنًا لَهُ ، كَأَنَّهُ يرى أَنَّهُ يُجَاهِدُ حينَ جَبْنٍ .

ابن الزبير وابن
أبي سلمة يوم
الخنديق

قال ابنُ الزُّبَيْرِ : وإني لأَظلمُ ابنَ أبي سَلَمَةَ وهو أكبرُ مِنِّي بسنتين ، فأقول له : تَحْمِلْنِي على عُنُقِكَ حتى أَنظر ، فإني أَحمَلُكَ إذا نَزَلْتُ . فإذا حَمَلَنِي وسأَلَنِي أن يركب قَلْتُ : هذه المَرَّةُ أيضاً .

تمقيبلابن واصل قلت : كان سنُّ ابنِ الزُّبَيْرِ يومئذٍ نحوَ خمسِ سنين ، لأن مولده بعد الهجرة ، وكانت غزوة الخندق سنة خمس .

قال أبو الفرج :

قال ابنُ الزُّبَيْرِ : وإني لَأَنظُرُ إلى أبي مُعَلَّمًا بِصُفْرَةٍ ، فأخبرتها أبي بعدُ ، فقال : أين كنتَ حينئذٍ ؟ فقلت : على عُنُقِ ابنِ أبي سَلَمَةَ يَحْمِلُنِي . فقال : أما والذي نَفْسِي بيده ، إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليجمع لي أبويهِ^(١) .

قال ابنُ الزُّبَيْرِ : وجاءنا يهودى يَرْتَقِي إلى الحِصْنِ ، فقالت صَفِيَّةُ له : أعطني السَّيْفَ . فأعطاهَا . فلما أَرْتَقَى ضربته حتى قَتَلْتَهُ ، ثم أخذت رأسه وقالت : طَوِّحْ بِهِ ، فإنَّ الرَّجُلَ أَشَدُّ من المرأة ، تُريدُ أن تُرْعِبَ به أصحابَهُ .

وقيل : أنشد حسانُ بنَ ثابتٍ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم :

ضحكك الرسول
صلى الله عليه وسلم
وقد أنشده حسان

لقد غدوتُ أُمَامَ القَوْمِ مُنْطَلِقًا^(٢) بصارِمٍ مثلَ لونِ المِلْحِ قَطَّاعٍ
يُمِيطُ عَنِّي نِجَادَ السَّيْفِ سَابِغَةً^(٣) فَضْفَاضَةً مثلَ لونِ النَّهْيِ^(٣) بالقَاعِ

(١) يعنى أن النبي صل الله عليه وسلم كان يقول لى : فداك أبى وأمى .

(٢) فى بعض أصول الأغاني : « منطلقا » .

(٣) فى بعض أصول الأغاني : « يدفع » مكان « يميظ » . والسابغة : الدرع . والنهى : الغدير .

فضحك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فظنَّ حسانُ أنه يَضْحَكُ من صِفَتِهِ
نَفْسَهُ مع جُبْنِهِ .

وقيل :

وقف الحُطَيْيئةُ على حسان بن ثابت ، وحسانُ يُنشد من شعره ، فقال له
حسانُ ، وهو لا يعرفه : كيف تسمع هذا الشعر يا أعرابي ؟ قال الحُطَيْيئةُ : لا أرى
به بأساً . فغضب حسانُ وقال : أسمعوا إلى كلام الأعرابي ! ما كُنيتك ؟ قال :
أبو مُليكة . قال حسانُ : ما كنتَ قطُّ أهونَ علىَّ منك حينَ اُكتنيتَ بأمرأة !
فما أَسْمُك ؟ قال : الحُطَيْيئةُ : قال أَمْضِ بِسلام .

بين الحُطَيْيئةِ
وحسان

شعر حسان الذي
فيه الغناء

والشعر الذي فيه الغناء وأُفتتح به أبو الفرج أخبار حسان ، هو :
تَبَلَّتْ فُؤَادَكَ فِي الْمَنَامِ ^(١) خَرِيدَةً تَشْفِي الضَّجِيعَ بِيَارِدِ بَسَامِ
كَامِسِكَ تَخْلِطُهُ بِمَاءِ سَحَابَةٍ أَوْ عَاتِقٍ ^(٢) كَدَمِ الذَّيْحِ مُدَامِ
وهذه القصيدة يقولها حسان بن ثابت في وقعة بدر، ويفخر بها، ويُعيرُ الحارثَ
ابن هشام المخزومي بفراره عن أخيه أبي جهل بن هشام :

تَرَكَ الْأَحْبَةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ ^(٣) وَلِجَامِ
فَأَجَابَهُ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ مُشْرِكٌ :

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكَتُ قِتَالَهُمْ حَتَّى عَلَوْا فَرَسِي بِأَشَقَرٍ ^(٤) مُزِيدِ
وَشَمَمْتُ رِيحَ الْمَوْتِ مِنْ تِلْقَائِهِمْ فِي مَازِقٍ وَالْخَيْلُ لَمْ تَتَبَدَّدْ
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَقَاتِلُ وَاحِدًا أَقْتُلُ وَلَا يَضُرُّ زَعْدَوِي مَشْهَدِي

ثم استطرد أبو الفرج بذكر غزوة بدر ، فنذكرها على سياقتها ، لما فيها
من الفوائد .

(٢) عاتق، أى خمر قديمة .

(١) تبلت : أسقمت . والخريفة : الحية .

(٤) الأشقر : الدم صار علقا .

(٣) الطمرة : الأثني من الجياد المستفزة للوثب والعدو .

عِزَّةُ بَدْرٍ

كانت في رمضان يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من رمضان ، سنة
اثنين من الهجرة ، وهي أول حرب حضرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي
الغزاة التي أعز الله بها الدين وأعلى كلمة المؤمنين .

قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبي سفيان صخر بن حرب
مقبلاً من الشام بعيرٍ عظيمة ، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين إليها ،
وقال : هذه عيرٌ قریش فيها أموالهم ، فأخرجوا إليها فعلن الله أن ينقلكموها^(١) .
فأندب الناس ، فخت بعضهم وثقل بعض ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يلتقي حرباً .

وكان أبو سفيان استنفر^(٢) حين دنا من الحجاز ، وجعل يتجسس الأخبار
ويسأل من لقي من الركب أن تخوفاً على أموال الناس ، حتى أصاب خبراً من
بعض الركب أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك ، فجدد عند ذلك وأستأجر
ضمضم بن عمرو الغفاري ، فبعث به إلى مكة وأمره أن يأتي قریشاً يستنفرهم إلى
أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه . وكانت عاتكة بنت عبد المطلب
قد رأت قبل قدوم ضمضم رؤيا أفزعها ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب
وقالت : يا أخي ، قد رأيت الليلة والله رؤيا قد أفزعني وتخوفت أن يدخل بها
على قومك شرٌّ أو مصيبية ، فاكتم على ما أحدثك . قال لها : ما رأيت ؟ قالت :
رأيت راكباً قد أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : أن

(١) ينقلكموها : يجعلها لكم غنيمة .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « استنفر » .

أنفروا يا آل غُدر^(١) إلى مصارعكم، في ثلاث. وأرى الناس قد اجتمعوا إليه. ثم دخل المسجد الحرام، والناس يتبعونه، فبينما هم حوله إذ مثل به بغيره على ظهر الكعبة، ثم صرخ بأعلى صوته بمثلها: أنفروا يا آل غُدر إلى مصارعكم، في ثلاث. ثم مثل به بغيره على أبي قُبَيْس، فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها، فأقبلت حتى إذا كانت بأسفل الجبل أرفضت^(٢) تهوى، فما بقي بيت من بيوت مكة إلا دخلته منها فِلْذة^(٣). قال العباس: إن هذه لرؤيا عجيبة، فأنت فأكتُمِها ولا تُظهرِها لأحد. ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة، وكان صديقاً له، فذكرها له وأستكتمه إيّاها. فذكرها الوليد لأبيه عتبة. ففشا الحديث حتى تحدّثت به قریش. قال العباس: فغدوت أطوف بالبيت، وأبو جهل بن هشام ورهط من قریش يتحدّثون برؤيا عاتكة، فلما رأني أبو جهل قال: يا أبا الفضل، إذا فرغت من طوافك فأقبل إلى. فلما فرغت أقبلتُ إليه حتى جلستُ معهم. فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطلب، متى حدّثت فيكم هذه النّبِيّة؟ قال: قلت: وما ذاك؟ قال: الرّؤيا التي رأت عاتكة. قال: قلت: وما رأت؟ قال: يا بني عبد المطلب، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تنبأت نساؤكم! وقد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال: أنفروا، في ثلاث. فسنتربصّ بكم هذه الثلاث، فإن يك حقاً ما قالت فسيكون، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذبُ بيت في العرب. قال العباس: فوالله ما كان مني إليه نسكير، إلا أنّي جحدتُ ذلك وأنكرتُ أن تكون رأت شيئاً. ثم تفرّقنا، فما بقيتُ امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت: أقرّرْهم لهذا الفاسق الخبيث

(١) غدر: من غادر، للمبالغة، وأكثر ما يستعمل في النداء في الشتم. تقول للمفرد: يا غدر. وللجمع: يا آل غدر.

(٢) أرفضت: تكسرت وتفرقت.

(٣) في بعض أصول الأغاني: «فلقة».

أن يقع في رجالكم ثم يتناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غيره لما تسمع ! قال : قد والله فعلت ما كان مني إليه من نكر^(١) ، وأيم الله لا تعرض له ، فإن عاد لأَكْفِيكُمْوه^(٢) . قال : فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديد مُغْضَبٌ أرى أن قد فاتني منه أمرٌ أحب أن أدركه منه . فدخلت المسجد فرأيتُه . فوالله إني لأمشي نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع^(٣) به ، وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر ، إذ خرج نحو باب المسجد يشتد ، فقلت : ما له لعنه الله ! أكل هذا فرقاً مني أن أشاته ! فإذا هو قد سمع ما لم أسمع : صوت ضَمَمِ الغفاري وهو يصرخ بطن الوادي : يا معشر قريش ، اللطيمة^(٤) ! اللطيمة ! أموالكم ! أموالكم ! قد تعرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ! الغوث ! الغوث ! قال : فشغلتني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر . فففر الناس سراعاً وقالوا : لا يظنُّ محمدٌ وأصحابه أن تكون كعير ابن الحَضْرَمي^(٥) ! كلا والله ! ليعلمنَّ غير ذلك . فكانوا بين رجلين : إما خارج أو باعث . وأوعبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحدٌ إلا أبو لهب بن عبد المطلب ، فبعث مكانه العاص بن هشام . وكان أمية بن خلف قد أجمع القُعود ، وكان شيخاً ثقيلاً ، فأتاه عتبة بن أبي معيط ، وهو جالس في المسجد بين ظهراني قومه ، بمِجْمرة فيها نارٌ ومِجْمَر^(٦) حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا عليّ ، استجمر فإنما أنت من النساء . ولما أجمعت قريشُ المسيرَ ذكرتُ الذي بينها وبين بني بكر^(٧) ، فكاد

(١) في بعض أصول الأغاني : « كبير » .

(٢) في السيرة : « لأَكْفِيكُمْنه » . والكلام يتجه بهذا وذاك . فعلى رواية الأغاني فالمراد : آل عبد المطلب رجلاً ونساء . وعلى رواية السيرة فالخطاب للنسوة اللاقي جئته .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « فأوقع به » . (٤) اللطيمة : العير عليها الطيب والتجارة .

(٥) هو عمرو بن الحضرمي . (٦) المِجْمَر : العود يتبخر به .

(٧) كانت الحرب بين قريش وبين بني بكر بن عبد مناة في ابن لخص بن الأخيف ، أحد بني

معيص بن عامر بن لؤي . قتله بثوب بكر ، بإيعاز من سيدهم عامر بن يزيد . فنار للغلام أخوه مكرز بن عامر ابن يزيد ، قتله ثم أتى الكعبة فعلق السيف بأستارها . فلما أصبحت قريش ورأت السيف عرفت أنه سيف مكرز .

ذلك أن يُدَبِّطَهُمْ ، فتبدَّى لهم إبليسُ في صورة سُرَاقَةِ المَذْلُجِيّ ، وكان من أشراف كنانة ، فقال : إني جَارُ لَكُمْ أن تأتيكم كنانةُ بشيء تكرهونه .

وخرج رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في أصحابه ، وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر : المهاجرون منهم سبعة وسبعون رجلاً ، والأنصار مائتان وستة وثلاثون رجلاً . وصاحبُ راية رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم عليُّ بن أبي طالب رضى الله عنه . وصاحب راية الأنصار سعدُ بن عُبادة . وعلى الساقة قيسُ بن أبي صَعصعة ، أخو بني مازن بن النَجَّار . وكان خُروجه صَلَّى الله عليه وسلَّم من المدينة ليلاً مضت من شهر رمضان . فسار حتى إذا كان قريباً من الصَّفراء بعث بَسْبَس بن عمرو الجُهَنِيّ ، حليف بني ساعدة ، وعدى بن أبي الزَّغْبَاء ، حليف بني النَجَّار ، إلى بدر يتحسَّسان له الأخبار . ثم أرتحل وقد قدَّمهما . فلما أُستقبل الصَّفراء ، وهى قرية بين جبَلين ، فسأل عن جليلهما : ما اسماهما ؟ ف قيل : يقال لأحدهما : مُسْلِح ، وللآخر : مُخْرَى . وسأل عن أهلهما ، فقالوا : بنو النَّار ، و بنو حُرَاق — بَطْنان من بني غِفَار — ففكرهما رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم والمُرور بينهما ^(١) تفاؤلاً باسميهما وأسماء أهلِيهما ، فتركهما والصفراء ييسار ، وسلَّك ذات اليمين على وادٍ يقال له : ذَفِرَان ^(٢) . فخرج منه ، حتَّى إذا كان ببعضه نَزَلَ . وأتاه الخبرُ عن قریش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم . فاستشار رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم الناس ، وأخبرهم عن قریش . فقام أبو بكر رضى الله عنه فقال فأحسن . ثم قام عمر رضى الله عنه فقال فأحسن . ثم المقدادُ بن عمرو رضى الله عنه فقال : يا رسول الله ، أمضِ لِمَا أَمَرَكَ الله ، فوالله لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام : (فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) ، ولكن اذهب أنت وربُّك فقاتلا

(١) التفاؤل ، فيما يحسن ويسوء .

(٢) الذفران : واد قرب الصفراء .

إنا معكم مقاتلون . فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغياد — يعني مدينة الحبشة — لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعاه . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشيروا علي أيها الناس . وإنما يريد الأ نصار . وذلك لأنهم كانوا عدد الناس ، ولأنهم حين بايعوه على العقبة قالوا : يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا ننمئلك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الأ نصار ترى عليهم نصرتهم إلا ممن دهم المدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو في غير بلادهم . فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ ، رضى الله عنه : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل . قال : فإننا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة . فأمض بنا يا رسول الله لما أردت ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، وإنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله أن يرريك ما تقر به عينك ، فسير بنا على بركة الله . فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه ذلك القول ، ثم قال : سيروا على بركة الله وأبشروا ، فإن الله عز وجل قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم الآن . ثم أرتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذفران ، فسلك ثنايا يقال لها : الأصافر^(١) ، ثم انتهى به السير إلى قريب من بدر ، فنزل وركب هو ورجل من أصحابه حتى وقف على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم . فقال الشيخ : لا أخبرك حتى تخبرني من أتما . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتنا

(١) الأصافر : جبال قرب الحففة .

أخبرناك. قال : أوداك بذاك ؟ قال : نعم . قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن قرئشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرني صدقني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، يعنى المكان الذي به قرئش . فلما فرغ من خبره قال : من أتما ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء . ثم أنصرف عنه . قال : يقول الشيخ : ما من ماء ! أم من ماء بالعراق ؟

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، فلما أمسى بعث على ابن أبي طالب رضى الله عنه ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، في نفر من أصحابه إلى بدر يكشفون له الخبر ، فأصابوا راوية^(١) لقرئش ، فيها أسلم ، غلام بنى الحجاج ، وعريض بن يسار^(٢) ، غلام بنى العاص بن سعيد ، فاتوا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالا : نحن سقاة لقرئش . فضربوهما ، فلما^(٣) أذلقوها قالوا : نحن لأبي سفيان . فتركوهما . فركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد ، ثم سلم فقال : إذا صدقاكم ضربتموهما ! وإذا كذباكم تركتموهما ! صدقاكم والله إنهما لقرئش ! أخبراني : أين قرئش ؟ قالوا : هم وراء الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى - والكثيب : العقنقل - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كم القوم ؟ قالوا : كثير . قال : ما عدتهم ؟ قالوا : لا ندري . قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالوا : يوماً تسعاً ويوماً عشرة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القوم ما بين التسعمائة إلى الألف . ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن فيهم من قرئش ؟ قالوا : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البختري بن هشام ،

(١) الراوية : القوم الذين يستقون الماء على الدواب .

(٢) في السيرة لابن هشام والطبري : «عريض أبو يسار» . (٣) أذلقه : أضعفه وأقلقه .

وحَكِيم بن حِزَام، ونُوفَل بن خُوَيْلِد، والحَارِث بن عَامِر بن نُوفَل، وطُعَيْمَة بن عَدِيّ، والنَّضْر بن الحَارِث، وزَمْعَة بن الْأَسُود، وأَبُو جَهْل بن هِشَام، وأُمِيَّة ابن خَلَف، ونُبَيْه ومُنَبَّه، ابنا الحِجَّاج، ومُهَيْل بن عَمْرُو، وعَمْرُو بن عبد وَدّ، فأَقْبَل رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ أَقَلْتُ إِلَيْكُمْ أَفْلَازَ كَيْدِهَا! وَقَدْ كَانَ بَسْبَسُ بن عَمْرُو، وَعَدِيّ بن أَبِي الزَّغْبَاءِ مَضِيًّا حَتَّى نَزَلَا بَدْرًا، فَأَنَاخَا إِلَى تَلٍّ قَرِيبٍ مِنَ الْمَاءِ، ثُمَّ أَخَذَا شَنًّا^(١) يَسْتَقِيَان فِيهِ، وَعَلَيْهِ مَجْدِيّ ابن عَمْرُو الْجُهَنِيّ، فَسَمِعَ عَدِيّ وَبَسْبَسُ جَارِيَتَيْنِ مِنْ جَوَارِي الْحَاضِرِ وَهُمَا تَتَلَاذِمَانِ^(٢) عَلَى الْمَاءِ، وَالْمَلْزُومَةُ تَقُولُ لِمُصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا تَأْتِي الْعِيرَ غَدًا أَوْ بَعْدَهُ، وَأَعْمَلْ لَهَا ثُمَّ أَقْضِيكَ الَّذِي لَكَ. قَالَ مَجْدِيّ: صَدَقَتْ. ثُمَّ خَلَصَ بَيْنَهَا. وَسَمِعَ ذَلِكَ بَسْبَسُ وَصَاحِبُهُ فَجَلَسَا عَلَى بَعِيرِهِمَا، ثُمَّ انْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَاهُ بِمَا سَمِعَا. وَأَقْبَل أَبُو سُهَيْلَانِ يَقْدُمُ الْعِيرَ حَذَرًا حَتَّى وَرَدَ الْمَاءُ. فَقَالَ لِمَجْدِيّ بن عَمْرُو: هَلْ أَحْسَسْتَ أَحَدًا؟ قَالَ: لَا، مَا رَأَيْتُ أَحَدًا، إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ رَاكِبَيْنِ أَنَاخَا إِلَى هَذَا التَّلِّ، ثُمَّ اسْتَقِيَا فِي شَنْ لِهَآ ثُمَّ انْطَلَقَا. فَأَتَى أَبُو سُهَيْلَانِ مُنَاخَهُمَا فَأَخَذَ مِنْ أَبْعَارِ بَعِيرِيَّهَا فَفَتَنَهُ فِإِذَا فِيهِ نَوَى. فَقَالَ: هَذِهِ وَاللَّهِ عَلَانُفُ يَثْرَبُ! وَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ سَرِيعًا. فَضَرَبَ وَجْهَ عِيرِهِ عَنِ الطَّرِيقِ، وَتَرَكَ بَدْرًا يَسَارًا، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى أَسْرَعَ. وَأَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ، فَلَمَّا نَزَلُوا الْجُحْفَةَ رَأَى جُهِيمُ بن أَبِي الصَّلْتِ بن نَحْرَمَةَ بن عبد المطلب بن عبد مناف رُؤْيَا، فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ، وَإِنِّي لَبِينُ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، إِذْ نَظَرْتُ إِلَى رَجُلٍ أَقْبَلَ عَلَى فَرَسٍ حَتَّى وَقَفَ وَمَعَهُ بَعِيرٌ لَهُ ثُمَّ قَالَ: قُتِلَ عُتْبَةُ بن رِبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بن رِبِيعَةَ، وَأَبُو الْحَكَمِ بن هِشَام، وَأُمِيَّة بن خَلَف، وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ، يَعِدُّ رَجَالًا مِمَّنْ قُتِلَ

(١) الشن: القربة الخلق الصغيرة.

(٢) أى تعلقت لإحداهما بالأخرى.

يومئذ من أشراف قريش . ورأيتُه قد ضَرَبَ في لَبَّةٍ ^(١) بعيره ، ثم أرسله في العسكر ، فما بقى خِباءٌ من أخبية العسكر إلا وأصابه نَضْحٌ من دمه . وبلغت أبا جهل ، فقال : وهذا أيضاً نبيٌّ آخر من بني عبد المطلب ! سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا ! فلما رأى أبو سُفيان أنه قد أحرز عِيره ، أرسل إلى قريش : أنتم إنما خرجتم لتمنعوا غيركم وريحالكم وأموالكم ، وقد نَجَّاهَا الله ، فأرجعوا . فقال أبو جهل ، لعنه الله : والله لا نرجع حتى نرد بدرًا - وكانت بدرٌ موسماً من مواسم العرب تجتمع فيها في كل سنة - نُقيم عليها ثلاثاً وننحر الإبل ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب ، فلا يزالون يهابوننا ، فامضوا . فقال الأخنس بن شريق بن عمرو الثقيف ، وكان حليفاً في بني زُهرة ، وهم بالحنفة : يا بني زُهرة ، قد نجَّى الله غيركم وخَلَّصَ لكم صاحبكم مخزومة بن نوفل ، وإنما خرجتم لتمنعوه وماله ، فأرجعوا فلا حاجة لكم في أن تخرجوا في غير ضيعة لما يقول هذا - يعني أبا جهل - فرجعوا ، فلم يشهدوا زهري واحد . وكان فيهم مُطاعاً ، فرجعت بنو زُهرة مع الأخنس . ولم يشهدوا من بني عدى إلا رجل واحد . وأما سائر البطون فخرج من كل بطن ناسٌ ، وطالبُ بن أبي طالب أخو علي رضي الله عنه ، قيل : إنه رجع ، وقيل : إنه شهدها مُكرهاً ، وعدم يومئذ فلم يوجد في القتلى ولا الأسرى ولا رجع إلى أهله ، وكان شاعراً ، وهو الذي يقول :

يَا رَبَّ إِمَّا يَغْزُونَ طَالِبٌ فِي مِقْنَبٍ ^(٢) مِنْ هَذِهِ الْمَقَانِبِ

فَلْيَكُنِ الْمَسْلُوبَ غَيْرَ السَّالِبِ وَلْيَكُنِ الْمَغْلُوبَ غَيْرَ الْغَالِبِ

ونزلت قريش بالعدوة القصوى ، وبعث الله سبحانه السماء ، وكان الوادي دَهْسًا ^(٣) . فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لبدهم الأرض فلم يمنعهم

(١) اللبة : المنحر . (٢) المِقْنَب : الجماعة من الخيل والفرسان .

(٣) الدهس : الأرض السهلة يثقل فيها المشي .

المسير . وأصاب قر يشاً منه ما لم يقدروا معه على المسير . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم إلى الماء ، حتى إذا حاذى أدنى ماء من بدر نزل فيه . فقال الحباب بن المنذر بن الجحوح : يا رسول الله ، أرايت هذا المنزل ؟ أمزله أنزلكه الله عز وجل وليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى فى الحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأى فى الحرب والمكيدة . قال : يا رسول الله ، إن هذا ليس بمنزل ، فأنهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فننزله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرت بالرأى . ونهض صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس حتى أتى أدنى ماء من القوم ، فنزلوا عليه . ثم أمر بالقلب فعورت^(١) ، وبنى حوضاً على القلب الذى نزل عليه فملى ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية . وقال سعد بن معاذ رضى الله : يا رسول الله ، أنبئني لك عريشاً من جريد فتكون فيه ، ونعد لك ركائبك ثم نلقى عدونا ، فإن نحن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحيينا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا ؟ فقد تخلف عنك أقوامٌ يا نبي الله ما نحن بأشد حُباً لك منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك ، يمينك الله بهم فيناصحونك ويجاهدون معك . فأنتى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعاه بخير . ثم بنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشاً فكان فيه . وقد أرتحلت قرش حتى أصبحت وأقبلت ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل — وهو الكتيب الذى منه جاءوا — إلى الوادى ، قال : اللهم هذه قرش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب نبيك ورؤسوك ، اللهم فنصرك الذى وعدتني ، اللهم فأحنيهم^(٢) الغداة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقد رأى عتبة بن ربيعة مع

(١) القلب : الآبار . الواحد : قلب . وعورت : ردمت وطمرت .

(٢) أحنيهم : أهلكهم .

القوم على جمل له أحر: إن يكن عند أحد من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الآخر، إن يُطيعوه يرشدوا. فلما نزل أقبل نفرٌ من قریش حتى وردوا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيهم حَكيم بن حزام على فرس له. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: دعوهم. فما شرب منهم رجلٌ إلَّا قُتل يومئذٍ، إلَّا حَكيم بن حزام فإنه لم يُقتل، نجا على فرسٍ له يقال له: الوجيه، وأسلم بعد ذلك وحسن إسلامه. وكان إذا اجتهد في يمينه قال: والذي نجانِي يومَ بدر. ولما أطمأن القومُ بعثوا عُمر بن وهب الجُمحِي فقالوا له: أحرز^(١) لنا أصحاب محمد. فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إلى القوم، فقال: ثلثائة رجل، يزيدون قليلاً أو ينقصونه. ولكن أمهلوني حتى أنظر: هل للقوم كمين أو مدد؟ فضرب في الوادي حتى أمعن فلم ير شيئاً، فرجع إلى القوم وقال: إنَّ لم أرَ مدداً، ولكنِّي يا معشر قریش قد رأيتُ الوَلايَا^(٢) تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموتَ الناقع، قوم ليس لهم مخلص ولا ملجأ إلا سيوفُهم، والله ما أرى رجلاً منهم يُقتل حتى يقتل رجلاً منكم! فما خير العيش بعد ذلك!

فلما سمع حَكيم بن حزام ذلك مشى في الناس فأتى عُتبة بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد، إنك كبير قریش الليلة وسيدها والمطاع فيها، هل لك إلى أمر لا تزال تذكر منه بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك؟ قال: ترجع بالناس وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمي. قال: قد فعلتُ، أنت على بذلك شهيد. إنما هو حليف فعلَى عَمَلِهِ^(٣)، وما أصيب من ماله، فأنت ابن الحنظلية فأني لا أخشى أن يفسد أمر الناس غيره، يعني أبا جهل بن هشام. ثم قام عُتبة بن ربيعة خطيباً

(١) الحزر: التخمين والتقدير.

(٢) الولايا: البراذع. الواحدة: ولية.

(٣) القتلى: الدية.

فقال : يا معشر قريش ، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، ولئن أصبتموه فلا يزال الرجل ينظر في وجه الرجل يكره النظر إليه ، رجل قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب ، فإن أصابوه فذلك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاهم ولم تعدموا منه ما تريدون . قال حكيم بن حزام : فانطلقت أومّ أبا جهل بن هشام ، فوجدته قد نثل^(١) درعاً من جرابها وهو يهيبها ، فقلت له : أبا الحكم ، إن عتبة قد أرسلني إليك بكذا وكذا . قال : أنتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه ، وما بعثته ما قال ، ولكنه قد رأى محمداً وأصحابه أكلة جزور^(٢) ، وفيهم ابنه ، فقد تخوفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثارك بعينك ، فقم وأنشد خفرتك^(٣) ومقتل أخيك . فقام عامر بن الحضرمي فأكتشف^(٤) ثم صاح : واعمره ! واعمره ! لخيت الحرب وحقب^(٥) أمر الناس وأستوسقوا^(٦) على ما هم عليه من الشر . وأفسد أبو جهل على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة بن ربيعة . فلما بلغ عتبة قول أبي جهل ، قال : سيعلم مصفر أسته من أنتفخ سحره ، أنا أم هو ؟ ثم ألتس بيضة يدخلها في رأسه ، فما وجد في الجيش بيضة تسعه من عظم رأسه . فلما رأى ذلك اعتجر^(٧) على رأسه بوبرد ، ثم خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي ، وكان رجلاً شرساً سيئ الخلق ، فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه . فلما خرج عرض له حمزة ابن عبد المطلب رضى الله عنه ، فلما التقيا ضربه حمزة فأتى^(٨) قدمه بنصف ساقه ، وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تشخب رجله دماً . ثم حبا إلى الحوض

(١) نثل : أخرج . (٢) يريد أنهم قلة تكفيهم جزور واحدة لطلعهم .

(٣) الحفرة : الزمة والعهد . (٤) اكتشف : أى أشرف على مرتفع حتى بان للناس وظهر .

(٥) حقب : فسد . (٦) استوسقوا : اجتمعوا .

(٧) الاعتجار : لف العمامة على الرأس . (٨) أطن : قطع .

حتى أقتحم فيه يريد أن يُبَرِّئَ يَمِينَهُ ، وأتبعه حمزة فضر به حتى قتله في الحوض .
ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبه بن ربيعة وأبنة الوليد بن عتبة ، حتى
إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة نفر ،
منهم : عوف ومعوذ ، أبنا الحارث - وأمهما عَفْرَاء - ورجل آخر يقال له : عبد الله
ابن رواحة . فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار . قالوا : ما لنا بكم من
حاجة . ثم نادى مناديتهم : يا محمد ، أخرج إلينا أكفأنا من قومنا . فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : قم يا حمزة بن عبد المطلب ، قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا علي
ابن أبي طالب . فلما قاموا ودنوا منهم قالوا : من أنتم ؟ قال عبيدة : عبيدة . وقال
حمزة : حمزة . وقال علي : علي . فقالوا : نعم ، أكفأ كرام . فبارز عبيدة - وكان
أسنَّ القوم - عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شيبه بن ربيعة ، وبارز علي الوليد بن
عتبة . فأما حمزة فلم يمهل شيبه أن قتله . وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله .
وأختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين ، كلاهما أثبت ^(١) صاحبه ، ففكر علي وحمزة
بأسياهما على عتبة فقتلاه ، وأحتملا صاحبهما عبيدة ، فجاء به إلى أصحابه ، وقد
قطعت رجله فخَّها يسيل . فلما أتوا بعبيدة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
لستُ شهيداً يا رسول الله ؟ قال : بلى . فقال أبو عبيدة : لو كان أبو طالب حياً
لَعَلِمَ أني أحقُّ بما قال منه حيث يقول :

وَسَلِمَهِ حَتَّى نَضْرَعَ حَوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَائِلِ

ثم تراخف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ألا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : إن أكتنفكم القوم فأنضحوهم عنكم بالنبل .
ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ، ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ،
وقد استقبل القبلة يدعو ويقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام

(١) أثبت صاحبه : أثخنه بالجراح .

لا تُعْبِدُ فِي الْأَرْضِ . فلم يزل كذلك حتى سَقَطَ رِدْأُوهُ . فأخذ أبو بكر فوضع رداءه عليه ثم قال له : كفّاك يا نبيّ الله ! بأبي أنت وأُمّي ! بعضُ مُنَاشِدَتِكَ لِرَبِّكَ ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ مَا وَعَدَكَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) . وَخَفَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَفَقَةً وَهُوَ فِي الْعَرِيشِ ثُمَّ أَتَبَهُ فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرَ ، أَتَاكَ نَصْرُ اللَّهِ ، هَذَا جَبْرِيلُ أَخَذَ بَعْنَانَ فَرَسِهِ يَقُودُهُ وَعَلَى ثَنَائِيهِ النَّقْعُ ^(١) . ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّاسِ فَرَضَّضَهُمْ ، وَنَفَلَ كُلَّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَصَابَ ، وَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يُقَاتِلُهُمُ الْيَوْمَ رَجُلٌ يُقْتَلُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ . فَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ ، وَفِي يَدِهِ تَمَرَاتٌ يَا كُلُّهَا : بَخٍ بَخٍ ! أَمَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَنْ أَدْخَلَ الْجَنَّةَ إِلَّا أَنْ يَقْتُلَنِي هَؤُلَاءِ . ثُمَّ قَذَفَ التَّمَرَاتِ مِنْ يَدِهِ وَأَخَذَ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ ، وَهُوَ يَقُولُ :

رَكَضًا إِلَى اللَّهِ بَغِيرَ زَادٍ إِلَّا التَّقَى وَعَمَلُ الْمَعَادِ
وَالصَّبْرَ فِي اللَّهِ عَلَى الْجِهَادِ وَكُلُّ زَادٍ غُرْضَةُ النَّفَادِ

وَقَالَ عَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَهُوَ أَبُو عَفْرَاءَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا يُضْحِكُ الرَّبَّ مِنْ عَبْدِهِ ؟ قَالَ : عَمْسُهُ يَدَهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِرًا . فَنَزَعَ دِرْعًا كَانَتْ عَلَيْهِ فَقَذَفَهَا ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ .

وَلَمَّا التَّقَى النَّاسُ وَدَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، قَالَ أَبُو جَهْلٍ : اللَّهُمَّ أَقْطَعْنَا لِلرَّحِمِ وَأَتَانَا بِمَا لَا يُعْرِفُ فَأُحِنِّهِ الْعَدَاةَ . فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ) الْآيَةُ .

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ حَفَنَةً مِنَ الْحَصْبَاءِ فَأَسْتَقْبَلَ بِهَا

قُرَيْشًا ثُمَّ قَالَ : شَاهَتِ الْوُجُوهُ ! ثُمَّ نَفَحَهُمْ بِهَا . فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) . ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : شُدُّوا . فَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ . فَقَتَلَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَ مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ ، وَأَسْرَ مَنْ أَسْرَ مِنْهُمْ . فَلَمَّا وَضَعَ الْقَوْمُ أَيْدِيَهُمْ يَأْسِرُونَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَرِيشِ ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مَتَوَشِّحُ السَّيْفِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُحْرُسُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَافُونَ عَلَيْهِ كَرَّةَ الْعَدُوِّ ، رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجهِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ الْكَرَاهِيَةَ لِمَا يَصْنَعُ ، فَقَالَ : كَأَنَّكَ كَرِهْتَ مَا يُصْنَعُ بِالْمُشْرِكِينَ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَكَانَ الْإِثْمَانُ فِي الْقَتْلِ أَعْجَبَ إِلَيَّ مِنْ اسْتِبْقَاءِ الرِّجَالِ .

وَقَاتَلَتِ الْمَلَائِكَةُ يَوْمَ بَدْرٍ . فَحَكَى رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ قَالَ : أَقْبَلْتُ أَنَا وَأَبْنُ عَمٍّ لِي حَتَّى أَصْعَدَنَا فِي جَبَلٍ يُشْرَفُ بِنَا عَلَى بَدْرٍ ، وَنَحْنُ مُشْرِكَانِ نَنْتَظِرُ الْوَقْعَةَ عَلَى مَنْ تَكُونُ الدَّبْرَةُ ^(١) فَتَنْهَبُ مَعَنَا مِنْ يَنْهَبُ . فَبَيْنَا نَحْنُ فِي الْجَبَلِ إِذْ دَنَتْ مِنَّا سَحَابَةٌ فَسَمِعْنَا فِيهَا سَحْمَةَ الْخَلِيلِ ، فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ : أَقْدَمَ حَيَزُومَ ^(٢) ! فَأَمَّا ابْنُ عَمِّي فَانْكَشَفَ قِنَاعَ قَلْبِهِ فَاتَّ مَكَانَهُ ، وَأَمَّا أَنَا فَاكْدَتُ أَهْلَكَ ، فَمَا سَكْتُ .

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ مَازَنٍ ، وَكَانَ شَهِيدَ بَدْرًا : إِنِّي لَأَتَّبِعُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ لِأَضْرِبَهُ ، إِذْ وَقَعَ رَأْسُهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ سَيْفِي ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ قَتَلَهُ غَيْرِي .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : كَانَتْ سَيِّمَاتُ الْمَلَائِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ عَمَامٌ بَيَضًا وَقَدْ أَرْسَلُوها عَلَى ظُهُورِهِمْ ، وَيَوْمَ حُنَيْنٍ عَمَامٌ حُمْرًا . وَلَمْ تُقَاتِلِ الْمَلَائِكَةُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ سِوَى يَوْمِ بَدْرٍ ، وَكَانُوا يَكُونُونَ فِيهَا سِوَاهُ مِنَ الْأَيَّامِ عِدَدًا وَمَدَدًا لَا يَضُرُّ بُونَ .

(١) الدبيرة : العاقبة .

(٢) حيزوم : اسم فرس جبريل .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم لا يُعجزَنَّكَ — يَعْنِي أبا جهل — فكان أولَ مَنْ لَقِيَهُ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بن الجُوح . قال مُعَاذُ : فسمعتُ القومَ ، وأبو جهل في مثل الحَرْجَةِ ، وهم يقولون : أبو الحكم لا يُخلَصُ إليه ! فلما سمعْتُها جعلْتُها من شَأْنِي ، فعمدتُ نحوه . فلما أمكنتُ حملتُ عليه ، فضرَبْتُه ضربةً أَطْنَتُ ^(١) قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ . فوالله ما شَبَّهْتُها حين طاحتْ إِلَّا كَالنَّوَاةِ تَطِيحُ من تحتِ مِرْضَخَةٍ ^(٢) النَّوَى حين يُضْرَبُ بها . قال : وضَرَبَني أبنُ عكرمةَ على عاتقِ فطرحَ يدي فتعلَّقتُ بجلدةٍ من جَنَبِي . وأَجْهَضَني القِتَالُ عنها . ولقد قاتلتُ عامَةً يَوْمِي وَإِنِّي لَأَسْجِبُهَا خَلْفِي ، فلما آذَنِي جعلتُ عليها رِجْلِي ثم تَمَطَّيْتُ بها حتى طَرَحْتُها . ثم عاش مُعَاذُ بعد ذلك حتى مات في خلافة عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

ثم مرَّ بِأَبِي جَهْلٍ ، وهو عَقِيرٌ ^(٣) ، مُعَوِّذُ بْنُ عَفْرَاءَ فَضَرَبَهُ حَتَّى أَثْبَتَهُ ، وتركه وبه رَمَقٌ . وقاتل مُعَوِّذُ حَتَّى قُتِلَ . ومَرَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِأَبِي جَهْلٍ ، وقد أَمَرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أَنْ يُلْتَمَسَ فِي الْقَتْلِ وَقَالَ : انظُرُوا إِنْ خَفِيَ عَلَيْكُمْ فِي الْقَتْلِ إِلَى أَثَرِ جُرْحٍ بُرِكَتَهُ ، فَإِنِّي أَرَدَحْتُ أَنَا وَهُوَ يَوْمًا عَلَى مَادِيَةِ لَعْبَدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ ، وَنَحْنُ غُلَامَانُ ، وَكُنْتُ أَشَبَّ مِنْهُ يَسِيرًا ، فَدَفَعْتُهُ فَوَقَعَ عَلَى رُكْبَتِهِ فَجَحَشَ ^(٤) فِي إِحْدَاهَا جَحَشًا لَمْ يَزَلْ بِهِ أَثَرُهُ فِيهَا بَعْدُ . فقال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : فوجدته بِأَخْرِ رَمَقٍ فَعَرَفْتُهُ ، فَوَضَعْتُ رِجْلِي عَلَى عُنُقِهِ ، وَقَدْ كَانَ ضَبَّتْ ^(٥) بِي مَرَّةً بِمَكَّةَ وَلَسَّكَرَنِي ، ثم قلتُ : هل أَخْرَاكَ اللهُ يَا عَدُوَّ اللهِ ؟ قال : وبماذا أَخْرَانِي ! أَعْمَدُ ^(٦) من رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ ! لِمَنِ الدَّبْرَةُ ؟ قلتُ : لله ولرسوله .

(١) أَطْنَتُ : قطعت . (٢) المِرْضَخَةُ : حَجَرٌ يَرْضَخُ بِهِ النَّوَى . (٣) الْعَقِيرُ : الجريح .

(٤) جَحَشَ : خَدَشَ . والرواية في بعض أصول الأغاني : « خَدَشَ » ... خَدَشَا .

(٥) ضَبَّتْ بِالشَّيْءِ : قبض عليه بكفه .

(٦) أَعْمَدُ : أعجب . يريد : هل زاد على سيّد قتلته قومه ! وهل كان إلا هذا ! أَيْ إِنْ هَذَا

وقيل : إنه قال له أبو جهل : رُوِيَ غَنَم ! لقد أرتقيت مُرتقى صَعْباً . ثم قال : احتزيتُ رأسه ثم جئتُ به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت : يا رسول الله ، هذا رأس عدو الله أبي جهل . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله الذي لا إله غيره ! وكانت هذه يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : نعم ، والله الذي لا إله غيره . ثم ألقيتُ رأسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم . فحمد الله جلّ وعزّ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه يومئذٍ : إني عرفتُ أن رجالاً من بني هاشم قد أخرجوا كرهًا لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله ، فإنه إنما أخرج مُستكرهاً . فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : آتقتل أباونا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس ! أما والله لئن لقيته لأججته السيف . فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يقول لعمر بن الخطّاب رضي الله عنه : يا أبا حفص ، أما تسمع إلى قول أبي حذيفة : أضرب وجه عم رسول الله ! فقال عمر : يا رسول الله ، دعني فلا أضرب عنقه بالسيف ، فوالله لقد نافق . قال عمر : فوالله إنه لأول يوم كُنّاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص . وكان أبو حذيفة رضي الله عنه يقول : ما أنا بأمن من تلك الكلمة التي قلتُ يومئذٍ ، ولا أزال خائفاً إلى أن يكفرها الله عني . فقتل يومَ اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر رضي الله عنه . ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبي البختري . وإنما نهى عن قتله لأنه كان أكفّ الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، وكان لا يؤذيه ولا يبلّغه عنه شيء يكرهه . وهو الذي قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريشٌ على بني هاشم وبني المطلب . فلقية المجدّر بن زيد ، فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عن قتلك - ومع أبي البختري زميلٌ له خرج من مكة -

قال : وزميلي ؟ فقال المجذّر : لا والله ، ما نحن بتاركى زميلك ، ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلّا بك وحدك . قال : إذن والله لأموتنّ أنا وهو جميعاً ، لا نتحدّثت عني نساء قريش وأهل^(١) مكة أني تركتُ زميلي حرصاً على الحياة ! وقال أبو البختري حين نازله المجذّر وأبى إلّا القتال ، وهو يرتجز :

لَنْ يُسَلِّمَ ابْنُ حُرَّةَ زَمِيلَهُ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَرَى سَبِيلَهُ

فأُقتلّا . فقتله المجذّر بن زياد . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والذي بعثك بالحق يا رسول الله ، لقد جهدتُ عليه أن يستأسر ، فأبى إلّا القتال ، فقاتلته فقتلته .

وكان أمية بن خلف الجهميّ يعذّب بلالاً بمكة على أن يترك الإسلام ، فيُخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت فيضجعه ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتجعل على صدره ، فيقول : لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمد . فيقول بلال : أحد ! أحد !

فحكى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال : كان أمية بن خلف صديقاً لى بمكة ، وكان أسمى عبد عمرو . فلما أسلمتُ سُميت : عبد الرحمن . فكان يلقاني ونحن بمكة فيقول : يا عبد عمرو ، أرغبتَ عن اسم سَمَّاك به أبوك ؟ فأقول : نعم . فيقول : إني لا أعرف عبد الرحمن ، أجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به . أمّا أنت فإنك لا تجيبني باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك إلّا بما أعرف . وكان إذا دعاني : عبد عمرو ، لا أجيبه . فقلتُ : أجعل بيني وبينك يا أبا عليّ ماشئت . قال : فأنت عبد الإله . قلتُ : نعم . فكنتُ إذا مررتُ به قال : يا عبد الإله . فأجيبه فأتحدّث معه . حتى إذا كان يوم بدر مررتُ به ، وهو واقفٌ مع ابنه عليّ بن أمية أخذ بيده ، ومعى أذراع قد أُسْتَلْبَتْها وأنا أحملها ، فلما رآني قال : يا عبد عمرو ،

(١) في بعض أصول الأغاني : « بين أهل » مكان « وأهل » .

فلم أجبه . فقال لى ، وأنا بينه وبين أبنه آخذ بأيديهما : يا عبد الإله ، من الرجلُ المعلمَ بَرِيش النّعامَة فى صدره ؟ قال : قلت : ذاك حمزةُ بن عبد المطلب . قال : الذى فعَل بنا الأفاعيل ! قال : فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلالٌ معي ، فقال بلال ، حين رآه : رأس الكُفْر أُميّة بن خَلَف ! لا نجوتُ إن نجا ! فقلتُ : يا بلال ، أبأسيرى ؟ قال : لا نجوتُ إن نجا ! قلتُ : أبأسيرى تُسمّع يا بن السّوداء ! قال : لا نجوتُ إن نجا . ثم صاح بأعلى صوته : رأسُ الكُفْر أُميّة بن خَلَف ! لا نجوتُ إن نجا ! قال : فأحاطوا بنا ، وأنا أذبُّ عنه ، فَضْرَب رجلٌ أبنه فوق . وصاح أُميّة صيحةً ما سمعتُ مثلاً قطُّ . فقلتُ : أنج بنفسك ولا نجاء ! فوالله ما أغنى عنك شيئاً . فهَبَرُوها بأسيافهم حتى فرغوا منهما . فكان عبدُ الرحمن يقول : رحم الله بلالاً ، ذهب بأدراعى وفجّعى بأسيرى !

ثم أمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بطرح القَتلى فى قليب هُناك ، فطرحوا فيه ، إلّا ما كان من أُميّة بن خَلَف فإنّه أُنْتَفَخ فى دِرْعِه حتى ملاها ، فذهَبوا ليجرّوه ، فزايِل ، فألقوا عليه ما غيَّبه من التُّراب والحجارة .

ولما أمر بهم النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم أن يُلْقوا فى القليب أخذ عُتبة بن ربيعة فسُحِب إلى القليب . فنظَر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى وجه أبى حُذيفة بن عُتبة ، فإذا هو كُئيب قد تغيّر . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : لعلك دخلتَ من حال أيبك شىء ؟ قال : فقلت : لا والله يا رسولَ الله ، ماشككتُ فى حال أبى ولا مَضْرَعه ، ولكنى كنتُ أعرف له رأياً وفضلاً وحِلماً ، فكنتُ أرجو أن يَهْدِيه الله بذلك إلى الإسلام ، فلما رأيتُ ما أَصابه ، وذكّرتُ ما صار إليه من الكُفْر بعد الذى كُنتُ أرجو ، أأحزنتى ذلك . فدعا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم له بخير وقال له خيراً . فلما أُلْقوا فى القليب وَقَف رسولُ الله صلّى الله عليه وقال : يأهل القليب ، هل وجدْتُم ما وَعَد ربُّكم حقاً ، فإني وجدتُ ما وَعَدنى ربى

حقاً؟ فقال له أصحابه: يا رسول الله، أتُكلم قوماً موتى؟ قال: لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حقاً.

وفي رواية: أنه قال صلى الله عليه وسلم: ما أتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني.

وجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسارى، فكانوا أربعة وأربعين، وكان من القتلى مثل ذلك. وكان في الأسارى عتبة بن أبي مُعيط، والنضر بن الحارث، فضربت أعناقهما بين يديه صبراً. وقد تقدّم ذكر ذلك في أخبار أبي قتيبة.

وكان في الأسارى العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه. فروى ابن عباس قال: لما أمسى القوم من يوم بدر، والأسارى محبوسون في الوثاق، بات رسول الله صلى الله عليه وسلم ساهراً أول ليلة. فقال له أصحابه: يا رسول الله، مالك لاتنام؟ فقال: سمعتُ تصوّر العباس في وثاقه. فقاموا إلى العباس فأطلقوه. فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنه العباس، حين أنتهى به إلى المدينة: أفد نفسك وأبني أخيك: عقیل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث، وحليفك عتبة بن عمرو بن جحدم، فإنك ذو مال. فقال: يا رسول الله، إني كنتُ مُسالمًا، ولكن القوم أستهكروني. قال: الله أعلم بإسلامك، إن يكن ما تقول حقاً فالله يجزيك به، فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا، فأفد نفسك.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ منه عشرين أوقية من ذهب. فقال العباس: يا رسول الله، أحسبها لي في فداي. قال: ذاك شيء أعطاناه الله منك. قال: فإنه ليس لي مال. قال: فأين المال الذي وضعته بمكة حين خرجت

من عند أم الفضل بنت الحارث ليس معكم أحد؟ ثم قلت لها: إن أُصبتُ في سفرى هذا فلفضل كذا، ولعبد الله كذا، ولتشم كذا، ولعبيد الله كذا. قال: والذي بعثك بالحق ما علم بهذا أحدٌ غيرى وغيرها، وإني لأعلم أنك رسول الله. فقدأ نفسه وأبنى أخيه وحليفه.

وقيل:

أول من قدم مكة بمُصاب قریش الحِيسْمَان بن عبد الله الخُزاعى، فقالوا: ما وراءك؟ فقال: قُتل عُتبة، وشيبة، وأبو الحكم، وأمّية بن خلف، وفلان. وجعل يعدّد أشراف قریش. فقال صفوان بن أمّية، وهو قاعدٌ في الحجر: والله إن يعقل هذا فسُلوهُ عني. فقالوا: ما فعل صفوان بن أمّية؟ قال: هو ذا جالسٌ في الحجر، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قُتلا.

وحدث أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

كنت غلاماً للعبّاس بن عبد المطلب، وكان الإسلامُ قد دَخَلنا أهل البيت، وأسلمتُ أم الفضل. وكان العبّاس يهاب قومه ويكره أن يُخالفهم، وكان يكتم إسلامه، وكان ذا مالٍ كثيرٍ متفرّق في قومه. وكان أبو لهب عدوّ الله قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة. وكذلك صنعوا لم يتخلف رجل إلا بعث. فلما جاء الخبر عن مصاب بدر من قریش، كتبته الله فأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوّة ومنعة وعِزة، وكنت رجلاً ضعيفاً أعمل القِداح وأنحِتُها في حُجرة زمزم. فوالله إنّي لجالسٌ فيها أنحِتُ القِداح، وعندى أم الفضل جالسةٌ، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل الفاسقُ أبو لهب يجرّ رجله بشر^(١)، حتى جلس على طنب الحُجرة، وكان ظهره إلى ظهري. فبينما هو جالسٌ إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدّم. فقال له أبو لهب: هلم إلىّ يا بن أخي، فعندك الخبر. قال: فجلس والناسُ قيامٌ عليه: فقال، يا بن أخي، أخبرني

(١) في بعض أصول الأغاني: «يسير» مكان «بشر».

كيف كان الناس؟ قال: لا شيء والله، إن هو إلا لقيناهم فَمَنَحْنَاهُمْ أَكْتافَنَا يقتلون ويأسرون كيف شاءوا. وأيم الله ما لُمتُ الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلقي بين السماء والأرض ما تُلَيِّقُ شيئاً^(١) ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرفعت طُنْبُ الحجرة بيدي، وقلت: تلك الملائكة. فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة. فساورته، فأحتملني فضرب بي الأرض وبرك عليّ يضربني، وكنت رجلاً ضعيفاً. فقامت أم الفضل إلى عمود من عهد الحجرة فضربت به ضربة فلقت رأسه شجرة منكورة، وقالت: تستضعفه أن غاب سيده! فقام مولياً ذليلاً. فوالله ما عاش بعدها إلا سبع ليالٍ حتى رماه الله^(٢) بالعدسة فقتلته. فلقد تركه أبناء ليلتين أو ثلاثاً لم يدفناه حتى أنتن في بيته — وكانت قريش تتقي العدسة كما يتقي الناس الطاعون — حتى قال لها رجل من قريش: ويحك! لا تستحيين أن أبا كما قد أنتن في بيته لا نعيمًا به! قال: نخشى هذه القرحة. قال: فأطلقا وأنا معكما، فما غسلوه إلا قدفاً بالماء عليه من بعيد، ما يمسونه. ثم أحتملوه يدفنونه بأعلى مكة على جدار. وقذفوا عليه الحجارة حتى واروه.

وروت عائشة رضي الله عنها قالت:

لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء زوجها أبي العاص بن الربيع بقلادة لها. وكانت خديجة رضي الله عنها أدخلتها بها على أبي العاص حين تبني بها. فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال: إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها وتردوها عليها الذي لها فافعلوا. فقالوا: نعم يا رسول الله. فأطلقوه وردوها عليها الذي لها. ولما أنقضت نوبة بدر ناحت قريش على قتلاها ثم قالوا: لا تفعلوا

(١) ما تُلَيِّقُ شيئاً، أي ما تبقى على شيء.

(٢) العدسة: بثرة قاتلة تخرج في البدن.

فِيبلغُ محمداً وأصحابه فيشمتوها^(١). وكان الأسود بن عبد المطلب^(٢) قد أصيب له ثلاثة من ولده : زَمْعَة ، وعَقِيل ، والحارث . وكان يُحب أن يبكي على بَنِيهِ . فبينما هو كذلك إذ سَمِعَ نائحةً من اللَّيْلِ ، فقال لِعَلام له وقد ذهب بصره : انظر هل أحل النّحيب وهل بكت قُرَيْش على قتلاها ، فلعلّ أبكى على أبي حَكِيمَة — يعني زَمْعَة — فإنّ جَوْفِي قد أحترق ! فلما رجع إليه العَلام قال : إنما هي امرأةٌ تبكي على بعيرٍ لها أضلّته ، فذلك حين يقول الأسود :

أَتَبْكِي أَنْ يَضِلَّ لَهَا بَعِيرٌ وَيَمْنَعُهَا مِنَ النَّوْمِ^(٣) الشُّهُودُ
وَلَا تَبْكِي عَلَى بَكْرٍ وَلَكِنْ عَلَى بَدْرٍ تَقَاصَرَتْ^(٤) الْجُدُودُ
أَلَا قَدْ سَادَ بَعْدَهُمْ رِجَالٌ وَلَوْلَا يَوْمٌ بِدْرٍ لَمْ يَسُودُوا
وَقَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ :

مَنْ حَسَلَ لِي الْأَخْوَيْنِ كَأَ غُضْنَيْنِ أُمِّ مَنْ رَأَيْتُهَا
قَرَمَانٍ لَا يَتَعَذَّلَانِ نِ وَلَا يُرَامُ حِمَاهَا
وَيَلِي عَلَى أَبَوَيِّ وَالِدِ قَبْرِ الذِّى وَارَاهَا
لَا مِثْلَ كَهْلِي فِي الْكُهُو لِ وَلَا فَتَى كَفَتْهَا
أَسَدَانِ لَا يَتَذَلَّلَانِ نِ وَلَا يُرَامُ حِمَاهَا
رُحْمَيْنِ خَطَّيْنِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ تَرَاهَا
مَا خَلَفَا إِذْ وَدَّعَا فِي سُودَدٍ^(٥) شَرَوَاهَا
سَادَا بَغِيرِ تَكَلُّفٍ عَفَواً يَفِيمُضُ نَدَاهَا

(١) في بعض أصول الأغاني : « « فيشمتوا بكم » » .

(٢) في الأصول : « الأسود بن عبد يغوث » . والتصويب من السيرة والحجاسة والاشتقاق .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « « ويمنعها البكاء من الهجود » » .

(٤) البكر : الفتى من الإبل . وتقاصرت الجود : أى تواضعت الحظوظ . يستهين فقد المال

ويستعظم فقد النفوس . (٥) شرواها : مثلها .

هند والخنساء^١

وقيل : بلغ هنداً بنت عُتْبَةَ تَسْوِيمٌ^(١) الخنساء هَوْدَجُها في الموسم ، ومُعَاظِمُها للعرب بِمُصَيِّتِها بِأبيها عمرو بن الشَّريد ، وأخويها : صَخْر ومُعَاوِيَة ، وأنها جعلت تشهدَ الموسمَ وتبكيهم ، وأنها سَوِّمَتْ هَوْدَجُها براية ، وأنها تقول : أنا أعظم العرب مُصَيِّبَةً ، وأن العرب قد عرفت لها بعضَ ذلك . فلما أُصِيبَتْ هِنْدُ بما أُصِيبَتْ به ، وهو قتل أبيها عُتْبَةَ ، وعمَّها شَيْبَةُ ، وأخيها الوليد ، وولدها حَنْظَلَةُ بن أبي سفيان ، يوم بدر ، قالت : أنا أعظم من الخنساء مُصَيِّبَةً ، وأمرت بهَوْدَجُها فَسَبَّ مَتْنَهُ براية وشهدتَ الموسمَ بِعُكَاظٍ ، وكانت سَوْقًا يَجْتَمِعُ فيها العرب ، فقالت : أَقْرِنَا جَمْلِي بِجَمَلِ الخنساء . ففعلوا . فلما دنت منها قالت لها الخنساء : يا أخِيَّة ، من أنت ؟ قالت : أنا هند بنت عُتْبَةَ أعظم العرب مُصَيِّبَةً ، وقد بَلَغَنِي أَنَّكَ تُعَاظِمِينَ العرب بِمُصَيِّتِكَ ، فبِمَ تُعَاظِمِينَهم ؟ قالت الخنساء : بأبي عمرو بن الشَّريد ، وأخوى : صَخْر ، ومُعَاوِيَة ، وأبني عمرو ، فبِمَ تُعَاظِمِينَهم أنت ؟ قالت : بأبي عُتْبَةَ ، وعمِّي شَيْبَةَ ، وأخي الوليد . قالت الخنساء : أو سواء هم عندك ؟ ثم أنشأت تقول :

أَبْكَيْ أَبِي عَمْرًا بَعَيْنَ غَزِيرَةٍ قَلِيلٌ إِذَا نَامَ الْخَلْيُ هُجُودُهَا
وَصِنَوِيَّ لَا أُنْسَى مُعَاوِيَةَ الَّذِي لَهُ مِنْ سَرَاةِ الْحَرَّتَيْنِ^(٢) وَفُودُهَا
وَصَخْرًا وَمِنْ ذَا مِثْلُ صَخْرٍ إِذَا غَدَا بَسْلَهَبَةِ الْأَطَالِ قَبَا^(٣) يَقُودُهَا
فَذَلِكَ يَا هِنْدُ الرِّزِيَّةُ فَأَعْلَى وَنِيرَانُ حَرْبٍ حِينَ شَبَّ وَقُودُهَا

فَقَالَتْ هِنْدُ تُجَيِّبُهَا :

أَبْكَيْ عَمِيدَ الْأَبْطَحَيْنِ^(٤) كَلِمَهُمَا وَحَامِيَهُمَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ يُرِيدُهَا
أَبِي عُتْبَةَ الْخَيْرَاتِ وَيَحْكُ فَاعْلَمِي وَشَيْبَةَ وَالْحَامِي الذَّمَّارَ وَلِيدُهَا^(*)

(١) التَّسْوِيمُ : أَنْ تَجْعَلَ لشيءٍ سُمُومَةً ، أَيْ عِلَامَةً يَعْرِفُ بِهَا وَيَتَمَيَّزُ .

(٢) الْحَرَّتَانِ : هُمَا حَرَّةُ بَنِي سَلِيمَ وَحَرَّةُ بَنِي هَلَالٍ ، بِالْحِجَازِ . وَالْحَرَّةُ : الْأَرْضُ ذَاتُ الْحِجَارَةِ السُّودِ .
(٣) السَّلَهَبَةُ : الطَّوِيلَةُ مِنَ الْخَيْلِ . وَالْأَطَالُ : جَمْعُ أَطْلٍ ، وَهُوَ الْخَاصِرَةُ . وَقَبَا ، بِالْمَدِّ وَقَصْرُهَا لِلشَّعْرِ : دَقِيقَةٌ ضَامِرَةٌ .

(٤) الْعَمِيدُ : السَّيِّدُ : وَالْأَبْطَحَانِ : بِطَحَاءِ مَكَّةَ وَسَهْلِ تَهَامَةٍ . وَالْأَبْطَحُ : الْمَسِيلُ الْوَاسِعُ .

(*) ذَكَرَ أَبُو الْفَرَجِ بَعْدَ هَذَا شَيْئًا عَنْ نَسَبِ « عِلْسِ ذِي جَدَن » ثُمَّ عَادَ فَرَجَمَ لَطْوَيْسَ . وَقَدْ مَرَّتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ .

أَخْبَارُ الْأَحْوصِ

هو عبدُ الله . وإنما لُقِّبَ الْأَحْوصَ لِحُوصِ كَانَ فِي عَيْنَيْهِ . وَهُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ
 أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَاصِمٍ بْنِ ثَابِتٍ بْنِ الْأَقْلَحِ . وَاسْمُ أَبِي الْأَقْلَحِ قَيْسُ بْنُ عُصَيْمَةَ
 ابْنِ النُّعْمَانِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ ضُبَيْعَةَ بْنِ مَالِكٍ بْنِ عَوْفٍ بْنِ مَالِكٍ بْنِ الْأَوْسِ .
 وَكَانَ يُقَالُ لَجَدِّهِ عَاصِمٍ بْنِ ثَابِتٍ : حَمِيُّ الدَّبْرِ ، لِأَنَّهُ لَمَّا اسْتَشْهَدَ حَمَتُ الدَّبْرِ ،
 وَهِيَ النَّحْلُ ، جُثَّتْهُ .

ذِكْرُ مَقْتَلِ عَاصِمٍ :

قِيلَ : قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ « أُحُدٍ » رَهْطٌ مِنْ عَضَلٍ
 وَالْقَارَةِ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ فِينَا إِسْلَامًا وَخَيْرًا ، فَابْعَثْ مَعَنَا نَفَرًا مِنْ
 أَصْحَابِكَ يُفَقِّهُونَا فِي الدِّينِ وَيُقَرِّئُونَا الْقُرْآنَ ، وَيُعَلِّمُونَا شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ . فَبْعَثَ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفَرًا سِتَّةً مِنْ أَصْحَابِهِ : مَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيُّ ،
 حَلِيفَ حَمْرَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَخَالِدَ بْنَ الْبُكَيْرِ ، حَلِيفَ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ ،
 وَعَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ بْنِ أَبِي الْأَقْلَحِ الْأَنْصَارِيَّ ، وَزَيْدَ بْنَ الدَّنِثَةِ ، أَخَا بَنِي بَيَاضَةَ بْنِ عَامِرٍ ،
 وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ طَارِقٍ ، حَلِيفَ بَنِي ظَفَرٍ ، مِنْ بَلِيٍّ ، وَخُبَيْبَ بْنَ عَدِيٍّ . وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ مَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ . فَخَرَجُوا مَعَ الْقَوْمِ ، حَتَّى إِذَا كَانُوا
 بِالرَّجِيعِ - مَاءِ لَبْنَى هُذَيْلٍ - غَدَرُوا بِهِمْ وَأَسْتَصْرَحُوا عَلَيْهِمْ هُذَيْلًا ، فَلَمْ يُرَعْ الْقَوْمُ
 وَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ إِلَّا بِالرِّجَالِ فِي أَيْدِيهِمُ السُّيُوفُ قَدْ عَشَوْهُمْ . فَأَخَذُوا أَسْيَافَهُمْ لِيُقَاتِلُوا
 الْقَوْمَ . فَقَالُوا : إِنَّا وَاللَّهِ مَا نُرِيدُ قَتْلَكُمْ ، وَلَكِنَّا نُرِيدُ أَنْ نُصِيبَ بِكُمْ شَيْئًا
 مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَلَكُمْ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ أَلَّا نَقْتُلَكُمْ . فَأَمَّا مَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ ،
 وَخَالِدُ بْنُ الْبُكَيْرِ ، وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ ، فَقَالُوا : لَا نَقْبَلُ وَاللَّهِ مِنْ مُشْرِكٍ عَهْدًا

٢ - ٣٦ ج ٢ - ١ ق ١ - تجريد الأغاني

ولا عقداً . فقاتلوه حتى قتلوا جميعاً . وأمّا زيد بن الدثينة ، وخبيب بن عدي ،
وعبد الله بن طارق ، فلانوا ورقوا ورغبوا في الحياة ، فأعطوا بأيديهم ^(١) . فأسروهم
وخرجوا بهم إلى مكة ليليعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظهران ^(٢) أنزع عبد الله
ابن طارق يده من القِران ثم أخذ سيفه وأستأخر عن القوم ، فرمّوه بالحجارة
حتى قتلوه ، فقبره بالظهران . وأمّا خبيب بن عدي ، وزيد بن الدثينة . فقدّموا بهما
مكة فباعوهما . فأبتاع خبيباً حُجير بن أبي إهاب التيمي ، حليف بني نوفل ، لعقبة
ابن الحارث بن عامر بن نوفل - وكان حجير أخا الحارث بن عامر لأمه - ليقتله
بأبيه الحارث . وقد كانت هذيل حين قتل عاصم بن ثابت أرادوا أخذ رأسه
ليبيعوه من سُلَافَة بنت سعد بن شهيد ^(٣) . وكانت قد نذرت ، حين أصيب أبنا
يوم أحد ، لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر ، فمنعته الدبر . فلما
حالت بينهم وبينه قالوا : دعوه حتى تُمسي فتذهب الدبر عنه فناخذه . فبعث الله
عز وجل الوادي فأحتمل عاصماً رضى الله عنه فذهب به . وكان عاصم قد أعطى
الله عهداً لا يمسّه مشرك أبداً ولا يمسّ مشركاً أبداً في حياته . فمنعه الله بعد وفاته .
وكان عمر بن الخطاب يقول ، حين بلغه أن الدبر منعتة : عجبا لحفظ الله العبد
المؤمن ! وفي ذلك يقول الأحوص :

وَأَنَا ابْنُ الَّذِي حَمَتَ لِحْمَهُ الدَّبْرُ رُقَيْلُ اللَّحْيَانِ ^(٤) يَوْمَ الرَّجِيعِ

وأُنزل خبيب في دار الحارث بن عامر ليقتل به ، فاستعار يوماً من إحدى بنات
الحارث موسى ليستحد ^(٥) بها للقتل ، فما راع المرأة ، ولها صبي يدرج ، إلا بخبيب

مقتل خبيب

(١) أعطى بيده : انقاد .

(٢) الظهران : واد بين مكة وعسفان .

(٣) في أصول الأغاني : « سهيل » خطأ . والتصويب عن الطبقات ، والطبرى ، والسيرة .

(٤) اللحيان : حى من هذيل .

(٥) يستحد : يخلق شعر عانته .

قد أجلس الصبي على فخذه والموسى في يده ، فصاحت المرأة . فقال خبيب :
أتحشين أن أقتله ! إن الغدر ليس من شأننا . فقالت المرأة بعد ذلك : ما رأيتُ
أسيراً أكرم من خبيب ، لقد رأيتُهُ وما بمكة من ثمرة وإن في يده لقطفًا من عنب
يأكله ، إن كان إلا رزقًا رزقه الله خبيبا . ولما خرجوا بخبيب ليقْتلوه قال : ذروني
أصل ركعتين . فصلّي ركعتين ، فجرت سنة لمن قتل صبياً أن يصلي ركعتين .
ثم قال : لولا أن يقال جَزَع لزدتُ ، وما أبالي :

* على أى شقٍ كان لله مَصْرعى *

وقال :

وذلك في ذاتِ الإله وإن يشأْ يُبارك على أوصالِ شلَوْ مُزْعِ
اللهم أحصهم عددًا ، وخذهم بددًا ^(١) ، ولا تقلت منهم أحداً . ثم خرج
أبو سِرْوَة ^(٢) بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، فقتله .

وحدث أمية قال :

بعثنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وحدى عيناً إلى قريش . قال : فجئتُ إلى
خَشْبة خبيب ، وأنا أتخوّف العيون ، فرقيتُ فيها ، فخلتُ خبيباً فوقع إلى الأرض .
فانتبذتُ غيرَ بعيد ثم التفتُ فلم أرَ لخبيب أثراً ، كأنَّ الأرض ابتلعتَه . فلم تُذكر
لخبيب رمّة إلى الساعة .

وأما زيد بن الدثينة فإنَّ صفوان بن أمية بعث مولى له إلى التَّنعيم ، فأخرجه مقتل ابن الدثينة
من الحرم ليقْتله ، فأجتمع رهطٌ من قريش ، منهم أبوسفیان بن حرب . فقال له

(١) أحصهم عدداً ، أى أهلكهم بحيث لا تبق من عددهم أحداً . وخذهم بددًا ، أى . اقتلهم
حصصاً مقسمة لكل واحد حصته ونصيبه . هذا على كسر « بدد » فتكون جمع : بددة ، وهى الحصّة
والنصيب . ويروى « بددا » بالفتح ، من التبديد ، أى اقتلهم متفرقين فى القتل واحداً بعد واحد .
(٢) كنية عقبة بن الحارث النوفلى .

أبو سُفْيَانٍ حين قَدِمَ لِيُقْتَلَ : يَا زَيْدُ ، أَسْأَلُكَ اللَّهَ ، أَتُحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا يَكُونَ مَكَانَكَ
تُضْرَبُ عُنُقُهُ وَأَنْتَ فِي أَهْلِكَ ؟ فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ، مَا أَحَبُّ أَنْ مُحَمَّدًا فِي مَكَانِهِ
الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةُ تُؤْذِيهِ وَأَنَا جَالِسٌ فِي أَهْلِي . قَالَ : يَقُولُ أَبُو سُفْيَانٍ :
مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا . ثُمَّ قُتِلَ زَيْدُ .

وقيل :

كنية الأحوص
واسم أمه

كَانَ الْأَحْوَصُ يُكْنَى أَبَا مُحَمَّدٍ . وَأُمُّهُ أَثِيلَةُ بِنْتُ عُمَيْرٍ ^(١) بِنْتُ مُحَشَى ،
وَكَانَ أَحْمَرُ أَحْوَصَ الْعَيْنَيْنِ .

وهو شاعر مجيد في طبقة ابن قيس الرقيات ، ونصيب ، وجميل .

منزلته في الشعر

وقيل : إنه لولا ما وَضَعَ الْأَحْوَصُ مِنْ دَنَى الْأَفْعَالِ وَالْأَخْلَاقِ لَكَانَ أَشَدَّ
تَقَدُّمًا مِنْهُمْ عِنْدَ أَهْلِ الْحِجَازِ وَأَكْثَرُ الرِّوَاةِ . وَهُوَ أَسْمَجُ طَبْعًا ، وَأَسْهَلُ كَلَامًا ،
وَأَصَحُّ مَعْنَى ، وَلِشَعْرِهِ رَوْنَقٌ ، وَدِيَابِجَةٌ صَافِيَةٌ وَحَلَاوَةٌ ، وَعُدُوبَةٌ أَلْفَاظُهُ لَيْسَتْ
لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ . وَكَانَ قَلِيلُ الْمُرُوءَةِ وَالِدِّينَ ، هَجَاءً لِلنَّاسِ مَا بُونًا .

وَذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا عِنْدَ سُكَيْنَةَ فَأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ ، فَلَمَّا قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَخَرَّتْ سُكَيْنَةُ بِمَا سَمِعَتْ . فَقَالَ الْأَحْوَصُ :

مفاخرته سكينته

فَخَرْتُ وَأَنْتُمْ قُلْتُمْ ذَرِينِي لَيْسَ جَهْلٌ أَتَيْتِهِ بِبَدِيعِ

وَأَنَا ابْنُ الَّذِي حَمَتَ لِحْمَ الدَّبِّ رُ قَتِيلِ اللَّحْيَانِ يَوْمَ الرَّجِيعِ

غَسَلْتُ خَالِيَ الْمَلَائِكَةِ الْأَبِّ رَارُ مَيِّتًا طُوبَى لَهُ مِنْ صَرِيعِ

وَلَقَدْ فَخَرَ بِفَخْرِ عَظِيمٍ لَوْ كَانَ عَلَى غَيْرِ سُكَيْنَةَ فَخْرَ بِهِ . وَأَمَّا سُكَيْنَةُ فَإِنْ
بَأْيَبَهَا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ حَمَتَ لِحْمِ عَاصِمِ الدَّبْرِ ، وَغَسَلَتْ الْمَلَائِكَةُ حَنْظَلَةَ الشَّهِيدِ ،
خَالَ الْأَحْوَصُ . فَمَا ذَكَرَهُ بَعْضُ مُنَاقِبِ الرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَفَخَّرَ
الْأَحْوَصُ بِهِ عَلَى سُكَيْنَةَ حَمَاقَةً مِنْهُ وَرَفَاعَةً .

جلد الوليد له
وسبب ذلك

وذكر أن الأحوص وفد على الوليد بن عبد الملك بن مروان ، فأنزله منزلاً وأمر بمطبخه أن يمال عليه . ونزل على الوليد شعيب بن عبد الله بن عمرو ابن العاصي . وكان الأحوص يرأود وُصفاء الوليد ويريد أن يفعلوا به . وكان شعيب قد غضب على مولى له ونحاه . فلما خاف الأحوص أن يفتضح بمراودته الغلمان أندس لمولى شعيب فقال له : ادخل على أمير المؤمنين ثم أذكر له أن شعيباً راودك عن نفسه . ففعل المولى ذلك . فالتفت الوليد إلى شعيب وقال : ما يقول هذا ؟ فقال : لكلامه غور^(١) ، فاشدد به يدك يا أمير المؤمنين يصدقك . فشدد عليه . فقال : أمرني بذلك الأحوص . وقال قيم الخبازين : أصلحك الله ، إن الأحوص يرأود غلمانك على أنفسهم . فأرسل به الوليد إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وإلى المدينة وأمره أن يجلبه مائة ويصب على رأسه زيتاً ويقيمه للناس . ففعل ذلك به ونصبه للناس في السوق ، فكان يصيح ويقول :

ما من مُصيبة نكبة أمتي بها
وتزول حين تزول عن^(٢) مُتخَمَط
إني إذا خفي اللئام رأيتني
إني على ما قد تروون مُحسَد
أصبحتُ للأَنْصار فيما نابهم
وقال الأحوص يهجو ابن حزم :

أقول وأبصرتُ ابن حزم بن فرقتي
تُرى فرقتي كانت بما بلغَ أُنْها
وُوقوفاً له بالمأزَمين^(٣) القَبائلُ
مُصدقةً لو قال ذلك قائل

(١) غور ، أى شئ خفى غير واضح .

(٢) المتخَمَط : المتكبر . (٣) المأزَمان : جبال مكة .

نفاه سليمان إلى دهلك ولم يردده عمر ثم رده يزيد
وذكر أن الأحوص كان ينسب بنساء ذوات أخطار من أهل المدينة ،
ويتعنى في شعره معبد ومالك ، ويشيع ذلك في الناس . فنهى فلم يكتفه . فشكى
إلى عامل سليمان بن عبد الملك بالمدينة ، وسأله الكتاب فيه إليه . ففعل ذلك .
وكتب سليمان إلى عامله يأمره أن يضربه مائة سوط ويقيم على البأس^(١) للناس ،
ثم يسره إلى دهلك^(٢) . ففعل ذلك . فتوى هنالك مدة خلافة سليمان ، ثم ولي
عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الخلافة ، فكتب إليه يستأذنه في القدوم بمدحه ،
فأبى أن يأذن له ، وكان فيما يكتب إليه به :

أيا راكباً إما عرضت فبلغن هُدَيْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَسَائِلِي
وَقُلْ لِأَبِي حَفْصٍ إِذَا مَا لَقِيْتَهُ لَقَدْ كُنْتَ نَفَاعاً قَلِيلَ الْغَوَائِلِ
فكيف ترى للعيش طيباً ولذة وخالك أمسى موثقاً في الحبائل
فأتى رجالاً من الأنصار عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فكلّموه فيه وسأله
أن يُقَدِّمَهُ . فقالوا : قد عرفت نسبه وموضعه وقديمه ، وقد أخرج إلى أرض
الشرك ، فنطلب إليك أن تردّه إلى حرَم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودار
قومه . فقال لهم عمر : من الذى يقول :

أدور ولولا أن أرى أم جعفر بأبياتكم ما دُرْتُ حَيْثُ أدورُ
وما كنت زوّاراً ولكن ذا الهوى إذا لم يُزِرْ لا بدّ أن سَيَزُورُ
قالوا : الأحوص . قال : فمن الذى يقول :

كَأَنَّ بُنَى صَبِيرٍ^(٣) غَادِيَةً أَوْ دُمِيَّةً زَيْنَتْ بِهَا الْبَيْعُ
اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ قِيَمَهَا يَفِرُّ مِنِّي بِهَا وَأَتَّبِعُ

(١) البأس : غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التين ويشهر عليها من ينكل به وينادى عليه .

(٢) دهلك : جزيرة في بحر اليمن ، أو هي مرسى بين بلاد اليمن والحبشة .

(٣) الصبير : السحاب الأبيض . والغادية : السحابة تنشأ غدوة .

قالوا : الأحوص . قال : بل الله بين قِيَمَها وبينه . قال : فمن الذى يقول :

سِيَقِي لَهَا فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَى سَرِيرَةٌ حُبِّ يَوْمِ تَبَلَى السَّرَائِرُ

قالوا : الأحوص . قال : إن الفاسق عنها يومئذٍ لَمَشْغُول . والله لا أُرَدُّه مادام

لِي سُلْطَان . فكث هناك بَقِيَّةُ خِلافةِ عمر بن عبد العزيز ، وصدرًا من خِلافةِ

يزيد بن عبد الملك . فبينما يزيدُ وجاريتهُ حَبَابَةُ ذاتِ لَيْلَةٍ عَلَى سَطْحِ تَغْنِيهِ بِشَعْرِ

من شعر الأحوص — قيل : إن الشعر :

أَيْهَذَا الْمُخْبَرَى عَنْ يَزِيدٍ بِصَلاَحٍ فِدَاكَ أَهْلِي وَمَالِي

مَا أَبَالِي إِذَا تَبَقَّى ^(١) يَزِيدُ مِنْ تَوَلَّتْ بِهِ صُرُوفُ اللَّيَالِي

— فقال لها : مَنْ يَقُولُ هَذَا الشَّعْرُ ؟ قالت : لا وَعَيْشُكَ مَا أَدْرِي . وكان

قَدْ مَضَى مِنَ اللَّيْلِ شَطْرُهُ . فقال : أَبْعَثُوا إِلَى ابْنِ شِهَابِ الزُّهْرَى ، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ

عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ ذَلِكَ . فَأَتَى فَقَرَعَ عَلَيْهِ الْبَابَ ، فَخَرَجَ مُرَوَّعًا إِلَى يَزِيدٍ . فَلَمَّا صَعِدَ

إِلَيْهِ قَالَ لَهُ : لَا تُرْعَ ، لَمْ نَدْعُكَ إِلَّا لَخِيرٍ ، أَجْلَسَ . مِنَ الَّذِي يَقُولُ هَذَا الشَّعْرُ ؟

فَقَالَ : الْأَحْوَصُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : مَا فَعَلَ ؟ قَالَ : طَالَ حَبْسُهُ بِدَهْلِكَ .

فَقَالَ : عَجِبْتُ لَعُمْرُ كَيْفَ أَغْفَلَهُ ! وَأَمْرٌ بِتَخْلِيَتِهِ وَوَهَبَ لَهُ أَرْبَعًا دِينَارًا . وَأَقْبَلَ

الزُّهْرَى مِنْ لَيْلَتِهِ إِلَى قَوْمِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَبَشَّرَهُمْ بِذَلِكَ .

وقيل : إن الشعر الذى غَنَّتْهُ حَبَابَةُ لِيَزِيدَ مِنْ شَعْرِ الْأَحْوَصِ ، هُوَ :

كَرِيمٌ قُرَيْشٍ حِينَ يُنْسَبُ وَالَّذِي أَقَرَّتْ لَهُ بِالْمُلْكِ كَهَلًا وَأَمْرَدًا

وَلَيْسَ وَإِنْ أَعْطَاكَ فِي الْيَوْمِ مَانِعًا إِذَا عُدَّتَ مِنْ إِعْطَاءِ ^(٢) أَضْعَافِهِ غَدًا

أَهَابَ تِلَادَ الْمَالِ فِي الْحَمْدِ إِنَّهُ إِمَامٌ هُدَى يَجْرِي عَلَى مَا تَعَوَّدَا

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « مَا أَبَالِي إِذَا يَزِيدُ بَقِيَ لِي » .

(٢) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « أَضْعَافُ أَضْعَافِهِ » .

وقيل : إن الأحوص دخل على يزيد بن عبد الملك ، وهو خليفة ، فقال له
يزيد : والله لو لم تمت إلينا بجرمة ، ولم تصر إلينا بدالة ، ولم تجدد لنا مدحة ، غير
أنك مقتصر على البيتين اللذين قلتهما فينا لكنت مستوجبا لجزيل الصلة منى
حيث قلت :

وإني لأستحييكم أن يقودنى إلى غيركم من سائر الناس مطمع
وأن أجتدى للنفع غيرك منهم وأنت إمام للرعية (١) مفتح

وهذان البيتان فى قصيدة مدح الأحوص بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله .

وقيل : إن يزيد بن عبد الملك لما أقدم الأحوص أكرمه وأجازه بثلاثين
ألف درهم . فلما قدم قباء صب المال على نطع ودعا بجماعة من قومه ، وقال لهم :
إني قد عملت لكم طعاماً ، فلما دخلوا عليه كشف لهم عن ذلك المال ، وقال :
(أفسحروا هذا أم أنتم لا تبصرون) .

ومدح يزيد بن عبد الملك بقصيدة أولها :

مدحه ليزيد

صرمت حبلك الغداة نوار
بشر لو يدب ذر عليه
إن أروى إذا تذكر أروى
قلبه كاد قلبه يستطار

يقول فيها :

من يكن سائلاً فإن يزيداً
عم معروفه فعز به الدير
وأقام الصراط فأبتهج الحق منيراً كما أثار النهار
ملك من عطائه الإكثار
من وذلت ملكه الكفار

(١) مفتح : يقنع به ويرضى برأيه وقضائه .

(٢) القصار : الغاية .

تمثل عبد الملك
بشعره حين خطب
أهل المدينة

وذكر أنه لما قدم عبد الملك بن مروان حاجاً سنة خمس وسبعين ، وذلك بعد ما أجمع عليه الناس بعامين ، جلس على المنبر فشم أهل المدينة ووجَّههم ، ثم قال : إني والله يا أهل المدينة ، قد بلوتكم تنفسون القليل وتحسدون الكثير ، وما وجدتُ لكم مثلاً إلا قول مُحَنِّسكم وأخيم الأحوص :

وكم نزلتُ بي من خطوب^(١) مُلَمَّة صبرت^(٢) عليها ثم لم اتَّخَشَعْ
وأدبرَ عني شرُّها لم أبلَ^(٣) بها ولم أدعُكم في كربها المتطَلَّع

فقام إليه نوفل بن مُساحق فقال : يا أمير المؤمنين ، أقررنا بالذَّنب ، وطلَبنا المَعذرة ، فعُدَّ بحلمك ، فذلك ما يُشبهنا منك ويُشبهك منا ، فقد قال من ذكرتُ بعد بيتيه الأولين :

وإني مُسْتَأْنِفٌ ومنتظرٌ بكم وإن لم تقولوا في الملمات^(٤) دَعْدَع
أوْمل منكم أن تروا غير رأيكم وشيكاوكم تنزعوا خيرَ منزِع

للفرزديك وجريير
وقد سئلا عنه

وقيل . إنه قيل للفرزديك : من أنسبُ الناس ؟ قال الذي يقول :

لى لَيْلتانِ فليلاً مَعسولة ألقى الحبيبَ بها بنجمَ الأسْعِدِ
ومُريحة^(٥) همِّي على كائنِي حتى الصباح مُعلَقٌ بالفرْقَدِ

وقيل لجريير : من أنسبُ الناس ؟ قال : الذي يقول :

يا لَيْتَ شعري عَمَّنْ كَلِفْتُ به من خَشَعٍ إذ نأيتُ ما صَنَعُوا

(١) في بعض الأصول : « مهمة » مكان « ملمة » .

(٢) في بعض الأصول : « خذلت » مكان « صبرت » .

(٣) أبل ، أصله : أبالي . حذف آخره للجازم ، ثم سكنت اللام للتخفيف ، ثم حذفت الألف

لالتقاء الساكنين .

(٤) دع دع : كلمة تقال للعائر . ومعناها : دع العثاروقم . وقد تجعل اسماً فتعرب ، ومنه قول

الشاعر : لحي الله قوما لم يقولوا لعائر ولا لابن عم ناله العثر دعدعا

(٥) مريحة : من أراح الإبل ، إذا ردها إلى المرعى من العشي . والمراد أنها تسوق إليه هه .

قومٌ يَحْلُونُ بالسَّديرِ وبالدِّ
حِيرةً منهم مَرَأى ومُسْتَمَعٌ
أَنْ شَطَّتْ الدَّارُ عَنْ دِيَارِهِمْ
أَمْسَكُوا بِالْوَصَالِ أَمْ قَطَعُوا
بَلْ هُمْ عَلَى خَيْرٍ مَا عَهَدْتُ وَمَا
ذَاكَ إِلَّا التَّأْمِيلُ وَالطَّمَعُ
والشعر للأحوص .

وقيل :

أبو عبيدة بن عمار
وقد سمع شعره

أَنشدَ إنسانٌ إبراهيمَ بنَ هشامَ للخزوميَّ ، وهو والى المدينة ، وعنده أبو عبيدة
ابن عمار بن ياسر ، قولَ الأحوص :

سَقِيًّا لِرَبْعِكَ مِنْ رَبْعِ بَذَى سَلَمٍ وَلِلزَّمانِ بِهِ إِذَا ذَاكَ مِنْ زَمَنِ
إِذْ أَنْتَ فِينَا لِمَنْ يَنْهَكَ عَاصِيَةً وَإِذْ أَجَرٌ إِلَيْكُمْ سَادِرًا رَسَنِ

فوثب أبو عبيدة بن عمار قائماً ، ثم أَرخى رِدَاءَهُ وَمَضَى يَمْشَى عَلَى تِلْكَ الْحَالِ
وَيَجْرُهُ إِلَى أَنْ بَلَغَ الْعِرْضَ ^(١) ، ثُمَّ رَجَعَ . فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ ، حِينَ
جَلَسَ : مَا شَأْنُكَ ؟ فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا الْبَيْتَ مَرَّةً فَأَعْجَبَنِي ،
خَلَفْتُ أَلَّا أَسْمَعَهُ إِلَّا جَبَرْتُ رَسَنِي .

وحكى عبدُ الملكِ بن عبد العزيز قال : قال لى أبو السائبِ الخزومى : أَنشدنى
للأحوص . فَأَنشدتهُ قولَه :

طرب الخزومى
بشعره

قَالَتْ وَقُلْتُ تُخَرِّجُنِي وَصِلِي حَبْلَ أَمْرِيءَ بَوْصَالِكُمْ صَبٌّ
صَاحِبٌ ^(٢) إِذَا بَعْلِي قَتَلْتُ لَهَا الْغَدْرُ شَيْءٌ لَيْسَ مِنْ ^(٣) شَعْبِي
أَمَّا الْخَلِيلُ فَلَسْتُ فَاجِعَهُ وَالْجَارُ أَوْصَانِي بِهِ رَبِّي
عُوجُوا كَذَا نَذَرْتُ لَغَايَةِ بَعْضَ الْحَدِيثِ مَطِيَّكُمْ صَحْبِي

(١) العرض : مكان بعينه . (٢) فى بعض الأصول : « واصل » مكان « صاحب » .

(٣) فى بعض الأصول : « ضربى » مكان « شعبى » .

وَنَقُلْ لَهَا فِيمَ الصَّدُودُ وَلَمْ نَذْنِبْ بَلْ أَنْتِ بَدَأْتَ بِالذَّنْبِ
إِنْ تَقْبَلِي تَقْبَلِ وَنُنْزِلْكَم مِّنَّا بَدَارِ السَّهْلِ وَالرَّحْبِ
أَوْ تُدْبِرِي تَكْذُرُ مَعِيشَتَنَا وَتُصَدِّعِي مَتْلَامَ الشَّعْبِ

قال : فأقبل على أبو السائب وقال : يا بن أخي ، هذا والله المحب عينا ،
لا الذي يقول :

وَكُنْتُ إِذَا خَلِيلٌ رَامَ هَجْرِي وَجَدْتُ وَرَأَى مُنْفَسِحًا عَرِيضًا
أَذْهَبْ ، لَا صَبْحَكَ ^(١) الله بخير ولا وسع عليك . يعني قائل هذا البيت .

سؤال المهدي عن
أنسب بيت
ورضاؤه عن بيت
الأحوص

وحكى عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان الجحى قال :
حملت دينا بعسكر المهدي ، فركب المهدي بين أبي عبيد الله وعمر بن بزيع ،
وأنا وراءه على برذون قطوف ^(٢) ، فقال : ما أنسب بيت قالته العرب ؟ فقال
أبو عبيد الله : قول امرئ القيس :

وَمَا ذَرَفْتُ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُّقْتَلٍ
فقال : هذا أعرابي قح . فقال عمر بن بزيع : قول كثير بن عبد الرحمن :
أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ
فقال : ما هذا بشيء ! وما له يريد أن ينسى ذِكْرَهَا حتى تمثّل له ! فقلت :
عندي حاجتك يا أمير المؤمنين ، جعلني الله فداك ! قال : الحق بي . قلت : لا لحاق بي ،
جعلني الله فداك ، ليس ذاك في دابتي . قال : أحملوه على دابة . قلت : هذا أول
الفتح . فحملت على دابة ، فالحقت به ، فقال لي : ما عندك ؟ قلت : قول الأحوص :
إِذَا قُلْتُ إِنَّي مُشْتَفٍ بِلِقَائِهَا وَحُمَّ التَّلَاقِ بَيْنَنَا زَادَنِي سُقْمًا

(١) في بعض الأصول : « فلا صبحك الله ولا وسع عليك » .

(٢) القطوف : المبطيء .

فقال : أحسن والله ؛ أقضوا عنه دينه . فُقضى عني ديني .

وتمام هذه الأبيات التي لكثير :

وَأَذَنُ أَصْحَابِي غَدًا بِقُفُولِ	أَلَا حِينًا لَيْلَى أَجَدَّ رَحِيلَى
أَلَا رَبِّمَا طَالِبْتُ غَيْرَ مُنِيلِ	وَلَمْ أَرْ مِنْ لَيْلَى نَوَالًا أَعْدَهْ
إِذَا غَبْتُ عَنْهُ بَاعِنِي بِخَلِيلِ	وَلَيْسَ خَلِيلِي بِالْمَلُولِ وَلَا الَّذِي
وَيَحْفَظُ سِرِّي عِنْدَ كُلِّ دَخِيلِ	وَلَكِنْ خَلِيلِي مَنْ يَدُومُ وَصَالُهُ

وبيت الأحوص من قصيدة أولها :

فَقَدْ هَاجَ أَحْزَانِي وَذَكَرَنِي نُعْمَى	أَلَا قِفْ بِرَسْمِ الدَّارِ وَأُسْتَنْطِقِ الرَّسْمَا
إِذَا أَذْهَبَتْ هَمًّا أَتَاخَتْ لَهُ هَمًّا	فَبِتُّ كَأَنِّي شَارِبٌ مِنْ مُدَامَةٍ

أخبار الدلال

اسمه وولائه

واسمه ناقد . وكُنيتُه أبو زيد . وهو مدنيّ ، مولى بنى فهم .

ولم يكن في المُخَنَّثين أحسنُ وجهاً ولا أنظفُ ثوباً ولا أظرفُ منه . وهو أحد شيء عنه من خصاه ابنُ حزم من المُخَنَّثين . فلما فعل به ذلك قال : الآن تَمَّ الخُث .

وكان كثيرَ النوادر . نَزَرَ الحديث ، فإذا تكلم أضحك الشَّكلى .

وكان غناؤه ضعیفاً . وُسِّى الدَّلالَ لظُرْفِهِ وشَكْلِهِ وحُسْنِ دَلِّهِ وحلاوة منطِقِهِ .

وكان مَشْغُوفاً بِمُخَالَطَةِ النِّسَاءِ ، وَيُكْثِرُ وَصْفَهُنَّ لِلرِّجَالِ . وكلَّ مَنْ أَرَادَ خِطْبَةَ امرأة سألَهُ عنها وعن غيرها ، فلا يزالُ يَصِفُ النِّسَاءَ واحدةً واحدةً حتى يَنْتَهِيَ إلى وَصْفِ ما يُعْجِبُهُ ، ثم يَتَوَسَّطُ بَيْنَهُ وَيُبَيِّنُ مَنْ يُعْجِبُهُ مِنْهُنَّ حتى يَتَزَوَّجَهَا . وكان يُشَاغِلُ كُلَّ مَنْ يُجَالِسُهُ عَنِ الْغِنَاءِ بِتِلْكَ الْأَحَادِيثِ ، كِرَاهَةً مِنْهُ لِلْغِنَاءِ .

وذكر أنه كتب سليمان بن عبد الملك إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، سبب خصائه فخصى تسعة ، أحدهم الدلال .

وقيل :

كان السببُ في ذلك أنَّ سليمان بن عبد الملك كان مُسْتَلْقِياً لَيْلَةً على فراشه ، وجاريةٌ لَهُ إلى جَنْبِهِ وعليها غِلَالَةٌ وَرِدَاءٌ مُعْصَفَرَان ، وفي عُنُقِهَا فَصْلَانِ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرَجْدٍ وَيَاقُوتٍ . وكان سليمان بها مَشْغُوفاً . وفي عسكرِهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ سَمِيرٌ يُغْنِي ، فلم يَفَكَّرْ سليمانُ في غِنَائِهِ شُغْلاً بِهَا وإِقْبَالاً عَلَيْهَا ، وهى لاهيةٌ عَنْهُ لَا تُجِيبُهُ مُصْغِياً إلى الرَجُلِ ، حتى طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فحوَّلَ وَجْهَهُ عَنْهَا مُغْضِباً . ثم عاد إلى ما كان مَشْغُولاً عَنْ فَهْمِهِ بِهَا ، فَسَمِعَ سَمِيرًا يُغْنِي بِأَحْسَنِ صَوْتٍ :

مَحْجُوبَةٌ سَمِعْتُ صَوْتِي فَأَرْقَهَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مَا طَلَّهَا ^(١) السَّحَرُ
تُذْنِي عَلَى جِيدِهَا ثَنِيَّ مُعْصَفَرَةٍ وَالْحُلَى مِنْهَا عَلَى لَبَاتِهَا خَصِرُ
فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مَا يَدْرِي مُضَاجِعُهَا أَوْجُوهُهَا عِنْدَهُ أَبْهَى أَمِ الْقَمَرُ
لَوْ خُلِّيتْ لَمَشَتْ نَحْوِي عَلَى قَدَمٍ تَكَادُ مِنْ رِقَّةٍ لَمَشَى تَنْفَطِرُ

فلم يشك سليمان أن الذي بها مما سمعت ، وأنها تهوى سُميراً . فوجه من وقته
من أحضره وحَبَسه ، ودعا بالجارية ودعا بسيف ونِطع وقال : والله لئن لم تصدقيني
لأضربن عنقك . قالت : سل ما بدا لك . قال : أخبريني عما بينك وبين هذا
الرجل . قالت : والله ما أعرفه ولا رأيته قط ، وأنا جارية منسئي الحجاز ، ومن
هناك حملت إليك ، والله ما أعرف بهذا البلاد أحداً سواك . فرق لها وأحضر
الرجل وجالسه وتلطّف في المسألة . فلم يجد بينه وبينها شيئاً . ولم تطب نفسه
بتخلية سُمير سويّاً ، فخصاه .

وذُكر أن سليمان بن عبد الملك قال يومئذ : هدر الجمل فضِيعَتِ الناقة ^(٢) ،
ونَبَّ التَّيْسُ فَاسْتَحْرَمْتُ ^(٣) الشَّاةَ ، وهَدَلُ الطَّائِرُ فزَافَتْ ^(٤) الحمامة ، وغَنَى
الرجل فطربت المرأة . ثم سأل عن الغناء : أين أصله ؟ فقالوا : بالمدينة في المخنثين ،
وهم أئمتّه والحُذَّاق فيه . فكتب يأمر بخصائهم .

وقيل :

حديث هربه من
المدينة إلى مكة

كَانَ الدَّلَالُ مَلَازِمًا لَأُمِّ سَعِيدِ الْأَسَمِيَّةِ ، وَبَنَتْ لِيَحْيَى بْنِ الْحَكَمِ بْنِ
أَبِي الْعَاصِي ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْنِ النَّسَاءِ ، وَكَانَتْ تَخْرُجَانِ فَتُرَكِّبَانِ الْفَرَسَيْنِ ثُمَّ تَسْتَبْقَانِ

(١) في بعض أصول الأغاني : « حتى شفهها السهر » . (٢) ضيعت : اشتهت .

(٣) استحرمت : أرادت الفعل . وفي بعض أصول الأغاني : « شكرت » . وشكرت الشاة :

امتلاً ضرعها ، ويكنى بذلك عن حنينها .

(٤) زافت : تبخترت في مشيتها .

عليهما حتى تَبْدُوَ خَلاخِيلُهُمَا . فقال معاويةُ بن أبي سفيان لمروان بن الحكم :
كفني بنت أخيك . قال : أفعل . فأمر بيتر فحُفِرَتْ في طريقها وُعْطِيَتْ بِمَحْصِر .
فاستزارها ، فلما مشَتْ عليه سقطتْ في البئر ، فكانت قبرها . وطلب الدَّلالُ فهرب
إلى مكة . فقال له نساء أهل مكة : قتلت نساء أهل المدينة وحيَّتْ لتقتلنا ! فقال :
والله ما قتلتهنَّ إلا الحُكَاكَ . فقلن : أعزُّبُ أخزأك الله ولا أدنى بك . قال :
من لكنَّ بعدى يدلُّ على دائكن ، ويعلم موضع شفائكن ؟ والله ما زينتُ قطُّ
ولا زُني بي ، وإني لأشتهي ما تشتهي نساؤكم ورجالكم .

وقيل :

هو والوالى وقد
وجد سكران مع
غلام

وُجد الدلال مع غلام وهما سكرانان . فأمر والى أن يُدار بهما في السُّكك .
فقيل : ما هذا يا دلال ؟ قال : أشتهى الأميرُ أن يجمع بين رأسين فيجمع بيني وبين
هذا ، ولو قيل له : إنَّكَ قَوَاد ! غَضِبَ . فقال : خَلُّوا سبيلَهُمَا . لعنةُ الله عليهما !

وقيل :

غنى نائلة فأجازته

جاء الدَّلالُ يوماً إلى منزل نائلة بنت عمار الكلبي ، وكانت عند معاوية بن
أبي سفيان فطلَّقها - وسبب طلاق معاوية لها أنه قال لفاخته بنت قِرَظَة : أذهبي فانظري
إليها . فذهبتُ ونظرتُ ، فقالت له : ما رأيْتُ مثَلَهَا ، ولكن رأيْتُ تحت سُرَّتِهَا
خالاً ليُوضَعَنَّ منه رأسُ زوجها في حِجْرِهَا . فطلَّقها . فتزوَّجت بعده رجلان ، أحدهما
حبيب بن مسامة ، والآخر النعمان بن بشير الأنصاري . فقتل أحدهما ووضع رأسه
في حِجْرِهَا - ففرع الدلالُ بابها فلم تفتح له ، فعنَى بشعر مجنون بنى عامر ، ونقر بدُفهِ عليه :

خيلي لا والله لا أملك البكا إذا علم من أرض ليلي بداليا

خيلي إن بانوا بليلي فهيئا لي النعش والأكفان وأستغفرا ليا

فخرج خَدْمُهَا فَرَجَرُوهُ وقالوا : تَنَحَّ عن الباب . وسمعتِ الجلبة فقالت : ما هذه

الضجّة بالباب ؟ فقالوا : الدّلال . فقالت : إيذّنوا له . فلما دَخَلَ عليها شقَّ ثوبه وطَرَحَ الترابَ على رأسه وصاح بويّله وحرّبه . فقالت له : لك الويل ! مالك ؟ ومادهاك ؟ قال : ضَرَبَنِي حَشَمَك . قالت : ولم ؟ قال : غَنَيْتُ صَوْتًا أُرِيدُ أَنْ أُسْمِعَكَ إِيَّاه . قالت : أَفِ لِمَ وَتَف ! نحن نبلغ ما تحبُّ ونُحَسِّنُ تَأْدِيَتَهُمْ . يا جارية ، هاتِي ثيابًا مقطوعةً . فلما طَرَحَتْ عليه الثَّيَّاب ، قالت : ما حاجتُك ؟ قال : لا أسألك حاجةً حتّى أُغْنِيَ لَكَ . قالت : فذلك إليك . فاندفع يُغْنِي بِشعر جميل :

أرحمَنِي فَقَدْ بَلَيْتُ فَحَسَبِي بعضُ ذا الداءِ يا بُيْنَتَهُ حَسَبِي
لَا مَنِي فِيكَ يا بُيْنَتَهُ صَحْبِي لَا تَكُومُوا قَدَرَحِ الحُزْنِ^(١) قَلْبِي
زَعَمَ النَّاسُ أَنَّ دَائِي طِبِّي أَنْتِ وَاللَّهِ يا بُيْنَتَهُ طِبِّي

ثم جلس ، فقال : هل من طعام ؟ فقالت : علىّ بالمائدة . فأَتَى بها كأنها كانت مهيّأة ، عليها أنواعُ الأطعمة . فأكل ثم قال : هل من شراب ؟ قالت : أمّا نبِذ فلا ، ولكنْ غيره . فأَتَى بأنواع الأَشربة . فشرب ثم قال : هل من فاكهة ؟ فأَتَى بأنواع الفاكهة فتنكّه . ثم قال : حاجتي خمسة آلاف درهم ، وخمس حُلل من حُلل معاوية ، وخمس حُلل من حُلل ابنِ مَسْلَمَة ، وخمس حُلل من حُلل النُّعْمان بنِ بَشِير . قالت : وما أردت بهذا ؟ قال : هو والله ذاك ، والله والله ما أرضى ببعضٍ دون بعض . فإِما الحاجة وإِما الرَّد . فدعت له بما سأل . فقبضه ثم قام . فلما توسَّط الدار غَنَّى وَنَقَرَ بِدُفٍّ :

لَيْتَ شَعْرِي أَجْفَوَةٌ أَمْ دَلَالٌ أَمْ عَدُوٌّ أَتَى بُيْنَتَهُ بَعْدِي
فَمُرِّنِي أَطْعَمَكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ أَنْتِ وَاللَّهِ أَوْجَهُ النَّاسِ عِنْدِي

وذكر أنّ الدلال كان لا يشرب النبيذ ، فخرج مع قوم إلى مُتَنَزَّهٍ لهم ، ومعهم نبيذ ، فشرَبوا ولم يَشْرَبْ منه ، وسَقَوْه عَسَلًا مُجْدُوْحًا^(٢) ، وكان كما تغافل صَيَّرُوا

سبب تركه الخمر

(١) في بعض أصول الأغاني : « أفرح الحب » . (٢) المجدوح : المخلوط .

في شرا به نبيذاً فلا يُنكره ، حتى كثر ذلك فسَكَر وطَرَب ، وقال : اسقوني
من شرا بكم . فسقوه حتى تَمَل ، وغنَّاهم في شعر الأحوص :

طاف الخيالُ وطال الليلُ فأعتكرا عند الفراش فآب الهمُّ مُحْتَضِراً
أراقبُ النجم كالخيران مُرتقباً وقلَّص النّومُ عن عيني فأنشَمراً
من لوعةٍ أورثتُ قرحاً على كبدى يوماً فأصبح منها القلبُ مُنْقَطِراً
ومن يَبِت مُضْمرًا حبًّا^(١) كما ضمنت منى الضلوعُ يَدِ مُستبطنًا غيراً
وأستحسن القومُ وطربوا وشربوا . ثم غنى :

طرَبْتُ وهاجك من تَدَكَّر ومن لست من حُبِّه تَعَذَّر
فإن بان^(٢) منها الذى أرتجى فذاك لَعَمْرى الذى أُنْتَظَر
وإلا صبرتُ فلا مُفْحِشًا عليها بسوء ولا^(٣) مُنْتَهَر

وسَكَر الدَّلالُ حتى خَلَعَ ثيابه ونام عُرْياناً ، فغطَّاه القومُ بثيابهم وحملوه إلى
منزله ليلاً فنوَّموه وأنصرفوا عنه . فأصبح وقد تَقَيَّأ ولَوَّث ثيابه بقيئه ، فأنكر نفسه ،
وحلف لا يُعْنَى أبداً ولا يُعَاشِر مَنْ يَشْرَب التَّبِيد . فوقى بذلك إلى أن مات . وكان
يُجَالِسُ المَشِيخَةَ والأَشْرَافَ فيُفِيضُ معهم في أخبار النَّاسِ حتى قَضَى نَحْبَهُ ،
رحمه الله .

(١) في بعض أصول الأغاني : « هما » .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « نلت » مكان « بان » .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « مبهر » . « والابتهاز : قول الكذب واللف عليه .

أخبار طريح

نسبه

وهو طريح بن إسماعيل بن عبيد بن أسيد بن عالج بن أبي سلمة بن عبد العزى
ابن عزة بن عوف بن قسي . وهو ثقيف بن مُنبه بن بكر بن هوازن .
ومن النسابين من يقول : إن ثقيفاً هو قسي بن مُنبه بن النبيت بن منصور
ابن يقدم بن أفصى بن دُعيمي بن إياد بن نزار .
ومنهم من يقول : إن ثقيفاً من أبي رغال . وقيل : عبد أبي رغال ، وأنه من
بقايا ثمود .

الحجاج ونسب
ثقيف

وذُكر أن الحجاج بن يوسف الثقفي قال في خطبة خطبها بالكوفة : بلغني
أنكم تقولون : إن ثقيفاً من ثمود . وهل نجا من ثمود إلا خيارهم ومن آمن بصالح
فبقى معه . قال الله عز وجل : (وَتَمُودَ فَمَا أَبْقَى) . فبلغ ذلك الحسن البصري رحمه الله
فتضحك به وقال : حكم اللكع لنفسه ! إنما قال عز وجل : (فَمَا أَبْقَى) أى لم
يُبقهم ، أى أهلكهم . فرفع ذلك إلى الحجاج فطلبه . فتوارى حتى هلك الحجاج .
وقد طول أبو الفرج القول في نسب ثقيف ، فرأيتُ الأقتصار على ما ذكرتُ .
وأم طريح بنت عبد الله بن سباع بن عبد العزى ، من خزاعة . وسباع قتله
حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه يوم أحد . وسيأتي ذكره في موضعه .

أمه

كذبيته وشيء عنه

ويكنى طريح بأبي الصلت ، لأبني له يُسمى صلتاً . وكان طريح قد نشأ
في دولة بني أمية وأستفرغ شعره في مدائحهم ، وخاصة في الوليد بن يزيد بن
عبد الملك . وأدرك دولة بني العباس . ومات في خلافة الهادي . وكان الوليد مُكرماً
له مقدماً ، لا يُقاطعه ، لخوالة الوليد في ثقيف .

رضى الوليد بن
يزيد عنه بعد
غضب

وذكر أن الوليد كان يُدني مجلسه ، وجعله أول داخل وآخر خارج . وكان لا يُصدر إلا عن رأيه ، فأستفرغ مداحه كلها وعامة شعره فيه . فحسده أناس من أهل بيت الوليد . وقدم حماد الراوية من العراق إلى الشام ، وذلك في خلافة هشام ابن عبد الملك ، والوليد بن يزيد إذ ذاك ولي العهد لعمه هشام . فشكوا إليه ذلك وقالوا : والله لقد ذهب طريح بالأمر ، فما لنا منه ليل ولا نهار . فقال حماد : أبغوني من يُنشد الأمير بيتين من شعر فأسقط منزلته . فطلبوا إلى الخصى الذي كان يقوم على رأس الوليد ، وجعلوا له عشرة آلاف درهم ، على أن يُنشد الأمير البيتين في خلوة ، فإذا سأله : من قول من هذا ؟ قال : من قول طريح . فأجابهم الخصى إلى ذلك - وعلموه البيتين - فلما كان ذات يوم دخل طريح على الوليد ، وفتح الباب وأذن للناس ، فجلسوا طويلاً ، ثم نهضوا . وبقي طريح مع الوليد ، فدعا بعدائه فتغدياً جميعاً . ثم إن طريحاً خرج وركب إلى منزله وترك الوليد في مجلسه ليس معه أحد . فاستلقى على فراشه . وأغتم الخصى خلوته فأندفع يُنشد :

سيرى ركبى إلى من تسعدين به فقد أقت بدار الهون ما صلحاً
سيرى إلى سيد ستمح خلائقه ضخم الدسيعة^(١) فرم يحمل المدحا

فأصغى الوليد إلى الخصى يسمعه ، وأعادها الخصى غير مرة . ثم قال الوليد : ويحك يا غلام ! من قول من هذا ؟ قال : من قول طريح . فغضب الوليد حتى امتلأ غيظاً وغضباً ، ثم قال : والمفتاه على أم لى لم تلدنى ! جعلته أول داخل وآخر خارج ، ثم يزعم أن هشاماً يحمل المدح ولا أحملها ! ثم قال : على بالحاجب . فاتاه . فقال : لا أعلم ما أذنت لطريح ولا رأيته في بسيط الأرض ، فإن حاولك فاخطفه بالسيف . فلما كان العشي وصليت العصر ، جاء طريح للساعة التي كان يؤذن له فيها ، فدنا من الباب ليدخل ، فقال له الحاجب : وراءك ! فقال : مالك ؟ هل

دَخَلَ عَلَى وَلِيِّ الْعَهْدِ أَحَدُهُ غَيْرِي ؟ قَالَ : لَا . وَلَكِنْ سَاعَةٌ وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ دَعَانِي
وَأَمَرَنِي إِلَّا أَذِنَ لَكَ ، وَإِنْ حَاوَلْتَنِي فِي ذَلِكَ خَطَفْتُكَ بِالسَّيْفِ . قَالَ : لَكَ عَشْرَةٌ
آلَافٍ وَأُذِنَ لِي فِي الدُّخُولِ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتَنِي خَرَجَ الْعِرَاقِ
مَا أَذِنْتُ لَكَ ، وَمَا لَكَ مِنْ خَيْرٍ فِي الدُّخُولِ ، فَأَرْجِعْ . فَقَالَ : وَيْحَكَ ! هَلْ تَعْلَمُ مَنْ
دَهَانِي عِنْدَهُ ؟ قَالَ الْحَاجِبُ : لَا وَاللَّهِ ، لَقَدْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَمَا عِنْدَهُ أَحَدٌ ، وَلَكِنَّ
اللَّهَ يَحْدِثُ مَا يَشَاءُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . فَرَجَعَ طَرِيحٌ فَأَقَامَ بِيَابِ الْوَلِيدِ سَنَةً لَا يَخْلُصُ
إِلَيْهِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الدُّخُولِ عَلَيْهِ . فَأَرَادَ الرُّجُوعَ إِلَى بَلَدِهِ وَقَوْمِهِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنْ
هَذَا لِعَجْزِي أَنْ أَرْجِعَ وَلَمْ أَتَقِ وَلِيَّ الْعَهْدِ وَأَعْلَمُ مَنْ دَهَانِي عِنْدَهُ . وَرَأَى أَنَا سَاءً
كَانُوا لَهُ أَعْدَاءً قَدْ فَرَّ حَوَا بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ ، فَكَانُوا يَدْخُلُونَ عَلَى الْوَلِيدِ وَيَحْدِثُونَهُ
وَيَصْدُرُ عَنْ رَأْيِهِمْ . فَلَمْ يَزَلْ يَلْطَفُ بِالْحَاجِبِ وَيُؤْمِنُهُ حَتَّى قَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : أَمَّا إِذَا
أَطَلْتَ الْمَقَامَ فَأَكْرَهُ أَنْ تَنْصَرِفَ عَلَى حَالِكَ هَذِهِ ، وَلَكِنَّ الْأَمِيرَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا
يَدْخُلُ الْحَمَامَ ثُمَّ يَأْمُرُ بِسَرِيرِهِ فَيَبْرُزُ عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ حِجَابٌ ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ
الْيَوْمَ أَعْلَمْتُكَ فَتَكُونُ قَدْ دَخَلْتَ عَلَيْهِ وَظَفِرْتَ بِحَاجَتِكَ ، وَأَكُونُ أَنَا عَلَى حَالٍ
عُذْرٍ . فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ دَخَلَ الْحَمَامَ وَأَمَرَ بِسَرِيرِهِ فَأَبْرَزَ ، وَجَلَسَ عَلَيْهِ وَأُذِنَ
لِلنَّاسِ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَالْوَلِيدُ يَنْظُرُ إِلَى مَنْ أَقْبَلَ . وَبَعَثَ الْحَاجِبُ إِلَى طَرِيحٍ ، فَأَقْبَلَ ،
وَقَدْ تَنَاطَعَ النَّاسُ . فَلَمَّا نَظَرَ الْوَلِيدُ مِنْ بَعِيدٍ حَوْلَ وَجْهِهِ عَنْهُ وَأُسْتَحْيَا أَنْ يَرُدَّهُ مِنْ
بَيْنِ النَّاسِ . فَدَنَا وَسَلَّمَ ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ . فَقَالَ طَرِيحٌ يَسْتَعْطِفُهُ وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ ،
فَقَصِيدَتُهُ الَّتِي أَوَّلَهَا :

لَيْلٌ أَكْبَدَهُ وَهَمٌّ مُضْلِعٌ	نَامَ الْخَلِيَّ مِنَ الْهُمُومِ وَبَاتَ لِي
أَرْقٍ وَأَغْفَلٌ مَا لَقِيتُ الْهَجْعَ	وَسَهَرْتُ لَا أُسْرَى وَلَا فِي لَذَّةٍ
أَزَمْتُ عَلَى وَسَدٍّ مِنْهَا الْمَطْعَ	أَبْغَى وَجُوهَ مَخَارِجِي مِنْ تَهْمَةٍ
مِنْ قَبْلِ ذَاكَ مِنَ الْحَوَادِثِ أَجْزَعُ	جَزَعًا لَمَعْتَبَةِ الْوَلِيدِ وَلَمْ أَكُنْ
أَمْسَيْتَ عِصْمَتَهُ بِلَاءٍ مُفْطَعُ	يَا بْنَ الْخَلَائِفِ إِنْ سَخِطَكَ لَا مَرَى

إِنْ كُنْتَ فِي ذَنْبٍ عَتَبْتَ فَإِنِّي
وَيَسْتُمْنِكَ فَكُلْ عُسْرًا سَطًّا
مَنْ بَعْدَ أَخَذِي مِنْ جِبَالِكَ بِالَّذِي
فَارُبُّ^(١) صَنِيعَكَ بِي فَإِنْ بَاعِينَ
أَدْفَعْتَنِي حَتَّى أَتَقَطَّعْتُ وَسُدَّدْتُ
وَرُجِيتُ وَأُتَقِيمَتْ يَدَايَ وَقِيلَ قَدْ
وَدَخَلْتُ فِي حَرَمِ الذِّمَامِ وَحَاطَنِي
أَفَاهِدِمُ مَا قَدْ بَنَيْتَ^(٢) وَنَاقِضُ

وَمَدَحَهُ بِقَصِيدَةٍ أُخْرَى مِنْهَا :

يَا بْنَ الْخِلَافِ مَالِي بَعْدَ مَقْرَبَةٍ
مَالِي أَذَاذُ وَأَقْصَى حِينَ أَقْصِدُكُمْ
كَأَنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
لَوْ كَانَ بِالْوَدِّ يَدُنِي مِنْكَ أَرْزَلْتَنِي
وَكُنْتُ دُونَ رِجَالٍ قَدْ جَعَلْتَهُمْ
إِنْ يَسْمَعُوا الْخَيْرَ يُخَفُّوهُ وَإِنْ سَمِعُوا
رَأَوْا صُدُودَكَ عَنِّي فِي اللَّقَاءِ فَقَدْ

فَأَدْنَاهُ الْوَلِيدُ وَقَرَّبَهُ وَضَحَكَ إِلَيْهِ ، وَعَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ .

وقيل :

جلس الوليدُ بن يزيد يوماً في مجلس له عامٌّ ، ودخل إليه أهلُ بيته ومواليه
والشُّعراءُ وأصحابُ الحوائجِ ، وكان أشرفَ يومِ رؤْيٍ له . فقام بعضُ الشُّعراءِ فأَنشد ،

(٢) في بعض الأصول : « ونخافض » .

(١) أربب : زد .

(٤) إل : عهد .

(٣) العرة : الجرب .

ثم قام طريح ، وهو عن يسار الوليد ، وكان أهل بيته عن يمينه ، وأخواله عن شماله وهو فيهم ، فأنشده :

أنت ابن مُسْلَنْطَحِ البطاح ولم تُطَرِّقْ عليك الحِنَى^(١) والوُلُجُ
طُوبَى لَفَرَعَيْكَ مِنْ هُنَا وَهُنَا طُوبَى لَأَعْرَاقِكَ الَّتِي^(٢) تَشِجُ
لَوْ قُلْتَ لِلسَّيْلِ دَعْ طَرِيقَكَ وَالْ مَوْجُ عَلَيْهِ كَالْهَضْبِ^(٣) يَعْتَلِجُ
لِسَاخَ وَأَرْتَدَّ أَوْلَكَ لَهْ فِي سَائِرِ الْأَرْضِ عَنْكَ مُنْعَرَجُ
فطرب الوليد بن يزيد حتى رُئِيَ الأرتياخُ منه ، وأمر له بخمسين ألف درهم ، وقال : ما أرى منكم أحداً يَحْيِيْنِي اليومَ بمثل ما قال لى خالى ، ولا يُنْشِدُنِي أحدٌ شيئاً بعده . وأمر لسائر الشعراء بصلاتٍ ، وأنصرفوا . واحتبس طريحاً عنده ، وأمر ابن عائشة فعَتَى في هذا الشعر .

وقيل :

بينه وبين المنصور في مدحه للوليد

لما أفضت الخلافةُ إلى بنى العباس وولى أبو جعفر المنصور ، دَخَلَ عليه طريح في الشعراء ، فقال : لا حَيَّاكَ اللهُ ولا بَيَّاكَ ! أما أَتَقِيْتُ اللهُ ! ويلك ! حيث تقول للوليد بن يزيد :

لو قلت للسَّيْلِ البيت

فقال طريح : قد علم الله أنَّى قلتُ ذلك ويدي مَمْدُودَةٌ إليه عزَّ وجل ، وإيَّاد تبارك وتعالى عَنِيْتُ . فقال المنصور : ياربِّيع ، أما تَرَى هذا التَّخْلُصُ !

(١) المسلطح من البطاح : ما اتسع واستوى . وتطرق : تطبق وتضييق . والحنى : ما انخفض من الأرض . والولج : كل متسع من الوادى . أى لم تكن بين الحنى والولج فيخفى مكانك . يريد أنه ليس فى موضع خفى من الحسب .

(٢) تشج : تشبك وتلتف . يريد أن أعراقه واشجة فى الكرم ، أى نابتة فيه ، وأنه كريم الأبوين .

(٣) يعتلج : يلتطم . يقول : أنت ملك هذا الأبطح والمطاع فيه ، فكل من تأمره يطيعك .

من جيد مدحه
في الوليد

ومن جيد مدح طريح في الوليد بن يزيد قصيدته التي يقول فيها :

لَمْ أُنْسَ سَامِي وَلَا لِيَالِينَا بِالْحَزَنِ إِذْ عَيْشُنَا بِهَا رَغْدُ
إِذْ نَحْنُ فِي مَيْعَةِ الشَّبَابِ وَإِذْ أَيَّامُنَا تِلْكَ غَضَّةٌ جُدُ
فِي عَيْشَةٍ كَالْفَرِيدِ عَازِبَةِ الشَّقْوَةِ خَضَاءُ غُضْنِهَا ^(١) خَضَدُ
نُحْسَدُ فِيهَا عَلَى النِّعَمِ وَمَا يُوَلِّعُ إِلَّا بِالنَّعْمَةِ الْحَسَدُ
أَيَّامَ مَلَمَى غَرِيرَةٍ أَنْفُ كَانَهَا خُوطُ بَانَةٍ ^(٢) رُؤْدُ
وَيُنْحَى غَدًا إِنْ غَدَا عَلَى بَمَا أَكْرَهَ مِنْ لَوْعَةِ الْفِرَاقِ غَدُ
قَدْ كُنْتُ أَبْكِي مِنَ الْفِرَاقِ وَحَيٍّ سَانَا جَمِيعًا وَدَارُنَا ^(٣) صَدَدُ
فَكَيْفَ صَبْرِي وَقَدْ تَجَاوَبَ بَالُ فُرْقَةٍ مِنْهَا الْغُرَابُ وَالضَّرَدُ

يقول فيها من المديح :

أَنْتَ إِمَامُ الْهُدَى الَّذِي أَصْلَحَ اللَّهُ بِهِ النَّاسَ بَعْدَ مَا فَسَدُوا
لَمَّا أَتَى النَّاسَ أَنْ مُلْكُهُمْ إِلَيْكَ قَدْ صَارَ أَمْرُهُ سَجَدُوا
وَأُسْتَبَشَرُوا بِالرِّضَى تَبَاشَرَهُمْ بِالْخُلْدِ لَوْ قِيلَ إِنَّكُمْ خُلْدُ
وَعَجَّ بِالْحَمْدِ أَهْلُ أَرْضِكَ حَتَّى كَادَ يَهْتَزُّ فَرَحًا أَحَدُ
رُزِقْتَ مِنْ وَدَّهِمْ وَطَاعَتِهِمْ مَا لَمْ يَجِدْهُ لَوَالِدٌ وَلَدُ

ومنها :

قَدْ طَلَبَ النَّاسُ مَا بَلَغَتْ فَمَا نَالُوا وَلَا قَارِبُوا وَقَدْ جَهَّادُوا
يَرْفَعُكَ اللَّهُ بِالتَّكْرُمِ وَالتَّقْوَى فَتَعْلُوا وَأَنْتَ مُقْتَصِدُ

(١) عازبة الشقوة : بعيدتها . وخضد : رطب .

(٢) غريرة : بلهاء . وأنف : عذراء . والخوط : الغصن . والرؤد : الغصن أرطب ما يكون

وأرخصه .

(٣) صدد : بصدها وقبالتها .

حَسْبُ أَمْرِي مَنْ غَنَى تَقَرُّبُهُ مِنْكَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ^(١) لَهُ سَبْدٌ
فَأَنْتَ حِرْزٌ ^(٢) لِمَنْ يَخَافُ وَلَدٌ مَخْذُولٌ أَوْ دَى نَصِيرُهُ عَصْدٌ
ومنها :

قَدْ صَدَّقَ اللَّهُ مَا دَحِيكَ فَمَا فِي قَوْلِهِمْ فِرْيَةٌ وَلَا فَنَدٌ
وَحَكِي أَبُو وَرْقَاءَ الْخَنْفَى قَالَ :

هو أبو ورقاء في
مفر

خَرَجْتُ مِنَ الْكُوفَةِ أُرِيدُ بَغْدَادَ ، فَلَمَّا صَرْتُ بِأَوَّلِ خَانَ نَزَلْتُهُ ، وَبَسَطْتُ غِلْمَانُنَا
وَهَيَأُوا غِدَاءَهُمْ وَلَمْ يَحْيَ أَحَدٌ بَعْدُ ، إِذْ رَمَانَا الْبَابُ بِرَجُلٍ فَارِهِ الْبِرْذَوْنَ حَسَنِ
الْهِئَةِ . فَصَحَّتْ بِالْغِلْمَانِ ، فَأَخَذُوا دَابَّتَهُ ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِمْ . وَدَعَوْتُ بِالْغِدَاءِ ، فَبَسَطَ
يَدَهُ غَيْرَ مُحْتَشِمٍ . فَجَعَلْتُ لَا أَكْرِمُهُ بِشَيْءٍ إِلَّا قَبْلَهُ . ثُمَّ جَاءَ غِلْمَانُهُ بَعْدَ سَاعَةٍ
فِي ثَقَلٍ ^(٣) سَرَى وَهِيئَةً حَسَنَةً . فَتَنَاسَبْنَا فَإِذَا الرَّجُلُ طُرِيحُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الثَّقَفِيُّ .
فَلَمَّا أُرْتَحِلْنَا أُرْتَحِلْنَا فِي قَافِلَةٍ غَنَاءَ لَا يُدْرِكُ طَرَفَاهَا . فَقَالَ لِي : مَا حَاجَتُنَا إِلَى زِحَامِ
هَؤُلَاءِ ، وَلَيْسَتْ بِنَا إِلَيْهِمْ وَحْشَةٌ وَلَا عَلَيْنَا خَوْفٌ ، نَتَقَدَّمُهُمْ بِيَوْمٍ فَيَخْلُونَا الطَّرِيقَ
وَنُصَادِفُ الْخَنَاتِ فَارِغَةً وَنُودِعُ أَنْفُسَنَا إِلَى أَنْ يُوَافُوا . قَالَ : قُلْتُ : ذَلِكَ لَكَ .
فَأَصْبَحْنَا مِنَ الْغَدِ فَنَزَلْنَا الْخَانَ ، فَتَعَدَّيْنَا وَإِلَى جَانِبِنَا نَهْرٌ ظَلِيلٌ ، فَقَالَ : هَلْ لَكَ
أَنْ نَسْتَنْقِعَ فِيهِ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : شَأْنُكَ . فَلَمَّا سَرَا ^(٤) ثِيَابَهُ إِذَا مَا بَيْنَ عَصْعَصِهِ إِلَى
كُرْدِهِ ^(٥) ذَاهِبٌ ، وَفِي جَنْبِيهِ أَمْثَالُ الْجُرْذَانِ : فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْهُ شَرٌّ عَظِيمٌ .
فَنَظَرْتُ إِلَى وَفَظِنَ ، فَتَبَسَّمتُ ثُمَّ قَالَ : قَدْ رَأَيْتُ ذُعْرَكَ مِمَّا رَأَيْتَ ، وَحَدِيثُ هَذَا إِذَا

(١) السبد : الشعر . يقال : مال سبد ولا لبد ، أى ليس له شيء . وفي بعض أصول الأغاني :

« سنله » .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « أمن » مكان « حرز » .

(٣) الثقل : متاع المسافرين وحشمه .

(٤) مرا ثيابه : ألقاها عنه .

(٥) الكرد : العتق . وقيل : أصله .

سَرُّنا العشيَّةَ أذكره لك إن شاء الله . فلما ركبنا قلتُ : الحديث . قال : نعم .
 قدمتُ من عند الوليد بن يزيد بالدُّنيا ، وكتب إلى يوسف بن عمر فملاً
 يديَّ أصحابه . فخرجت أريد الطائف ، فلما أمتدَّ بي الطريقُ ، وليس يصحبني
 فيه خلق ، عن لي أعرابيٌّ على بعير فحدثني ، فإذا هو حسنُ الحديث ، وروى الشعر
 فإذا هو راويةٌ ، وأنشدني لنفسه فإذا هو شاعر . فقلت : من أين أقبلت ؟ فقال :
 لا أدري . قلت : فأين تريد ؟ فذكر قصةً يخبر فيها أنه عاشقٌ لمُرِيئةٍ فدأفست
 عليه عقله ، وسَترها عنه أهلها وخلعه أهلُه . فإِنما يستريح إلى الطريق ينحدر مع
 منحدره ويصعد مع مُصعديه . فقلت : وأين هي ؟ قال : غداً نزل بإزائها . فلما
 نزلنا رأى جبلاً صغيراً عن يسار الطريق ، فقال لي : أترى ذلك الجبل ؟ قلت
 أراه . قال : إنها في مسقطه . فأذكركتني أريحية الشباب ، فقلت : أنا والله آتيها
 برسالتك . فخرجتُ وأتيتُ الجبل ، وإذا بيتٌ حَرِيدٌ^(١) وفيه امرأةٌ ظريفة جميلة ،
 فذكرته لها ، فزفرت زفرةً كادت أضلاعُها تَسَاقُطُ ، ثم قالت : أوحىَّ هو ؟
 قلت : نعم ، تركته برحلى وراء هذا الجبل ، ونحن باثنون ومُصبحون . فقالت :
 يا أباي ، إن لك وجهاً يدلُّ على خير ، فهل لك في الأجر ؟ فقلت : أنا والله فقير
 إليه . قالت : فألبس ثيابي ودعني حتى آتيه ، وذلك مُعَيَّرُبان الشمس . قلت :
 أفعلى . قالت : إنك إذا أظلمت أذاك زوجي في هَجْمَةٍ^(٢) من إبله ، فإذا بركتُ
 أذاك فقال : يا فاجرة ! يا هَنْتاهُ^(٣) ! فأوسعك سباً ، فأوسعهُ صَمْتاً . ثم يقول :
 أقمعي^(٤) سقاءك . فضع القِمعَ في هذا السِّقَاءِ حتى يُحْمَنَ^(٥) فيه ، وإيَّاك وهذا

(١) حريد . منغل .

(٢) الهجمة من الابل : من الأربعين إلى ما زادت . أو ما بين السبعين إلى المائة .

(٣) ياهنتاه ، أى ياهذه . وقيل : يابلهاء .

(٤) قمع الإناء : إذا وضع القمع في فيه .

(٥) يحمن : يجتمع .

الْآخَرَ فَإِنَّهُ وَاهِي الْأَسْفَلِ . نَجَاءَ زَوْجُهَا وَفَعَلْتُ مَا أَمَرْتَنِي ، ثُمَّ قَالَ : أَقْمَعِي
سِقَاءَكَ . فَحِينَنِي ^(١) اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَتَرَكْتُ الصَّحِيحَ وَقَمَعْتُ الْوَاهِي ، فَمَا شَعَرْتُ
إِلَّا وَاللَّبَنُ بَيْنَ رَجْلَيْهِ ، فَعَمَدَ إِلَى قِدِّ مَرْبُوعٍ ^(٢) فَشَنَاهُ بِأُثْنَيْنِ فَصَارَ عَلَى ثَمَانِي
قُوًى ، ثُمَّ جَعَلَ لَا يَتَّقِي مِنِّي رَأْسًا وَلَا رِجْلًا وَلَا جَنْبًا ، فَخَشِيتُ أَنْ يَبْدُوَ لَهُ وَجْهِي
فَتَكُونَ الْآخَرَى ، فَأَلْزَمْتُ وَجْهِي الْأَرْضَ ، فَعَمَلْتُ فِي ظَهْرِي مَا تَرَى .

(١) حِينَهُ اللَّهُ : لَمْ يُوَفِّقْهُ لِلرَّشَادِ .

(٢) الْقَد : السَّيْرُ مِنَ الْجُلْدِ . وَمَرْبُوع : ذُو أَرْبَعِ قُوًى .

أَخْبَارُ أَبِي سَعِيدٍ

مولى فائد

هو اسمه إبراهيم . وفائد هو مولى عمرو بن عثمان بن عفان . وهو يعرف اسمه وولائه
في الشعراء بأبي سَعِيدٍ ، مولى بني أُمِيَّة . وفي الْمُعْتَنِينَ بأبي سعيد مولى فائد .
وكان شاعراً مجيداً . ومغنياً ناسكاً ، فاضلاً ، مقبول الشَّهادة بالمدينة معدلاً .
عاش إلى خلافة الرَّشِيد ، ولقي إبراهيم بن المهدي ، وإسحاق الموصلي .
وله قصائدٌ جيّادٌ في مراثي بني أُمِيَّة الذين قَتَلَهُمُ عبدُ الله ، وداود ، أبنا عليّ
أَبْنِ عبد الله بن العباس ، في أول الدولة العباسيّة .

هو والمهدي وقد
أراد على الغناء

وذكر أن المهدي استحضر أبا سعيد وأمره أن يُغَنِّيَ له :

لقد طُفْتُ سَبْعًا قُلْتُ لِمَا قَضَيْتُهَا أَلَا لَيْتَ هَذَا لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا

وقد كان أبو سعيد نَسَكًا . فقال : أَوْ أَغْنِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْسَنَ مِنْ
هَذَا ؟ قال : أَنْتَ وَذَاكَ . فغَنَّاهُ مِنْ شَعْرِهِ بِقَوْلِهِ :

إِنَّ هَذَا الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ نَشَرَ الْمَجْدَ بَعْدَ مَا كَانَ مَاتَا
وَبَنَاهُ عَلَى أَسَاسٍ وَثِيقٍ وَعِمَادٍ قَدْ أُثْبِتَتْ إِثْبَاتَا
مِثْلَ مَا قَدْ بَنَى لَهُ أَوَّلُوهُ وَكَذَا يُشَبِّهُ الْبُنَاةَ^(١) الْبُنَاتَا

فقال له المهدي : أَحْسَنْتَ يَا أبا سعيد ! فغَنَّنِي « لَقَدْ طُفْتُ سَبْعًا » . فقال :
أَوْ أَغْنِيكَ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا ؟ قال : أَنْتَ وَذَاكَ . فغَنَّاهُ :

(١) في التجريد : « النبات النباتا » وهي رواية بعض أصول الأغاني .

قَدِمَ الطَّوِيلُ فَأَشْرَقَتْ وَأُسْتَبَشِّرَتْ أَرْضُ الْحِجَازِ وَبَانَ فِي الْأَشْجَارِ
إِنَّ الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ فَأَعْلَمُوا سَادَ الْخُضُورَ وَسَادَ فِي الْأَسْفَارِ

فَأَحْسَنَ فِيهِ . فَقَالَ : غَنَّنِي : « لَقَدْ طَفْتُ سَبْعًا » . قَالَ : أَوْ أَغْنَيْكَ أَحْسَنَ
مِنْهُ ؟ قَالَ : أَفْعَلُ . فغَنَّاه :

أَيُّهَا السَّائِلُ الَّذِي يَخْبِطُ الْأَرْزَ ضَدَعَ النَّاسَ أَجْمَعِينَ وَرَاكَ
وَأَتِ هَذَا الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ إِنَّ تَخَوَّفْتَ عَيْلَةً^(١) أَوْ هَلَكَ

فَأَحْسَنَ . فَقَالَ لَهُ : غَنَّنِي : « لَقَدْ طَفْتُ سَبْعًا » فَقَدْ أَحْسَنْتَ فِيمَا غَنَيْتَ ،
وَلَكِنَّا نُحِبُّ أَنْ تَغْنِيَنَا مَا دَعَوْنَاكَ إِلَيْهِ . فَقَالَ : لَأَسِيلَ إِلَى ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
لَأَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَنَامِي وَفِي يَدِهِ شَيْءٌ لَا أَدْرِي مَا هُوَ ،
وَقَدْ رَفَعَهُ لِيَضْرِبَنِي ، وَهُوَ يَقُولُ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، لَقَدْ طَفْتُ سَبْعًا ! لَقَدْ طَفْتُ سَبْعًا !
لَقَدْ طَفْتُ سَبْعًا ! مَا صَنَعْتَ بِأُمْتِي فِي هَذَا الصَّوْتِ ؟ قُلْتَ : بِأَبِي وَأُمِّي ، أَغْفِرْ لِي ،
فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، وَأَصْطَفَاكَ بِالنَّبُوءَةِ ، لَا غَنَيْتُ هَذَا الصَّوْتُ أَبَدًا . فَرَدَّ يَدَهُ
عَنِّي وَقَالَ : عَفَا اللَّهُ عَنْكَ . ثُمَّ أَتَيْتُهُ ، وَمَا كُنْتُ لِأُعْطِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا فِي مَنَامِي وَأَرْجِعَ عَنْهُ فِي يَقْظَتِي . فَبَكَا الْمَهْدِيُّ وَقَالَ : أَحْسَنْتَ
يَا أَبَا سَعِيدٍ ! أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ! لَا تَعُدْ فِي غِنَائِهِ . وَحَبَّاهُ وَوَصَلَهُ .

شئ عن عبد الله
المخزومي

وَالطَّوِيلُ الْمَذْكُورُ فِي هَذِهِ الْأَسْفَارِ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْمَخْزُومِيُّ . وَكَانَ
مَدْحًا . وَهَذَا الْبَيْتُ الَّذِي هُوَ « لَقَدْ طَفْتُ سَبْعًا » مِنْ أَيْيَاتِ لِأَبِي سَعِيدٍ
مَوْلَى فَائِدٍ ، وَهِيَ :

يَسْأَلُنِي صَاحِبِي فَمَا أَعْقَلَ الَّذِي يَقُولُونَ مِنْ ذِكْرِ اللَّيْلِ أَعْتَرَانِيَا
إِذَا جِئْتَ بَابَ الشَّعْبِ شِعْبَ ابْنِ عَامِرٍ فَأَقْرِيءْ غَزَالَ الشَّعْبِ مِنِّي سَلَامِيَا

وقل لَنَزَالِ الشَّعْبُ هَلْ أَنْتَ نَازِلٌ
لَقَدْ زَادَنِى الْحَجَّاجُ شَوْقًا إِلَيْكُمْ
وما نظرتُ عيني إلى وَجْهِ قَادِمٍ
وحكى إبراهيمُ بن المهدى قال :

سأله إبراهيم بن
المهدى أن يغنيه
فى المسجد

كنتُ بمكة فى المسجد الحرام ، وإذا شيخٌ قد طلع ، وقد قلب إحدى نعليه
على الأخرى وقام يُصَلِّي . فسألتُ عنه ، فقيل : هذا أبو سعيد مولى فائد . فقلتُ
لبعض الغلمان : أَحْصِيْوه . فَحْصَبْه أَحَدُهُمْ . فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وقال : مَا يَظُنُّ أَحَدُكُمْ
إذا دخل المسجد إلا أَنَّهُ لَهُ ! فقلتُ للغلام : قُلْ لَهُ : يقول لك مولاي : أَبْلُغْنِي .
فقال ذلك لَهُ . فقال أبو سعيد : مَنْ مَوْلَاكَ ؟ حَفِظَهُ اللهُ ! قال : مولاي إبراهيم
ابن المهدى ، فمن أنت ؟ قال : أبو سعيد مولى فائد ، وقام فجلس بين يديّ ، وقال :
لا والله — بأبي أنت وأُمى — ما عَرَفْتُكَ ! فقلتُ : لا عليك ، أخبرني عن
هذا الصَّوت :

أَفَاضَ الْمَدَامِعَ قَتَلَى كُدَى وَقَتَلَى بَكْثُوَّةٌ^(١) لَمْ تُرْمَسْ
فقال : هولى . فقلتُ : وربُّ هذه الْبَنِيَّةِ لَا تَبْرَحُ حَتَّى تُغْنِيَهُ . فقال :
وربُّ هذه الْبَنِيَّةِ لَا تَبْرَحُ حَتَّى تَسْمَعَهُ . ثُمَّ قَلَبَ إِحْدَى نَعْلَيْهِ ، وَأَخَذَ بِعَقَبِ
الْأُخْرَى ، وَجَعَلَ يَقْرَعُ بِحَرْفِهَا عَلَى الْأُخْرَى وَيُغْنِيَهُ ، حَتَّى أَتَى عَلَيْهِ . فَأَخَذَتْهُ
مِنْهُ . وَهَذَا الْبَيْتُ مِنْ شِعْرِ لَعَبْدِ اللهِ الْعَبْلَى يَرِثِي بَنَى أُمِيَّة ، وَهُوَ :

أَفَاضَ الْمَدَامِعَ قَتَلَى كُدَى وَقَتَلَى بَكْثُوَّةٌ لَمْ تُرْمَسْ
وَقَتَلَى بَوَجٍّ وَبِالْأَبْتِيَّةِ
بَنٍ مِنْ يَثْرِبٍ خَيْرُ مَا أَنْفُسُ

(١) كدى ، وكثوة : موضعان .

(٢) وج : واد بالطائف . واللابتان : حرتان تكتنفان المدينة .

وبالزَّائِبِينَ نَفُوسٌ ثَوَتْ
أَوَّلُكَ قَوْمِي أَنَاخْتُ بِهِمْ
إِذَا رَكَبُوا زَيْنَوا الموكِبِينَ
ومنها: تقول أُمَامَةٌ لَمَّا رَأَتْ
وَقِلَّةَ نَوْمِي عَلَى مَضْجَعِي
أَبِي، مَا عَرَاكَ؟ فَقُلْتُ الْهُمُومُ
عَرَيْنَ أَبَاكَ فحَبَسْنَاهُ
لِقَدِّ الْأَحْبَبَةِ إِذْ نَالَهَا
رَمَتْهَا الْمَنُونُ بِلَا نُكُلٍ
بِأَسْمُهُمُهَا الْمُتَلَفَاتِ النَّفُوسِ
فَصَرَّعْنَهُمْ فِي نَوَاحِي الْبِلَادِ
تَقَى أَصِيبَ وَأَثَوَابَهُ
وَأَخْرُ قَدْ دُسَّ فِي حُفْرَةٍ
إِذَا عَنْ ذِكْرِهِمْ لَمْ يَنْمِ
فَذَاكَ الَّذِي غَالَنِي فَأَعْلَمِي
هُمْ أَضْرَعُونِي لَرَيْبِ الزَّمَانِ

ثم استطرد أبو الفرج بذكر قتلى بني أمية، فذكره، وأقدم عليه مقدمة تفهيم ما ذكره من الأخبار والأشعار.

(١) الزايبان: الأعلى، والأسفل. والأول بين الموصل وإربل، وفيه كانت وقعة بين مروان الحمار وبني العباس. والثاني بينه وبين الأعلى مميرة يومين أو ثلاثة، وفيه كان مقتل عبيد الله بن زياد. وأبو فطرس: نهر قرب الرملة من فلسطين، وبه كانت الوقعة بين عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس وبين بني أمية سنة ١٣٢ هـ.

(٢) في بعض الأصول: «عرون» وهما بمعنى.

(٣) في بعض الأصول: «فلا تبلسي» أي لا تحزني.

(٤) الرس: الدفن. (٥) الرغم، مثلثة الراء: التراب. والمعطس: الأنف.

خبر مقتل بنى أمية

اتفق أصحاب الأخبار على أن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي كان أخا هاشم
ابن عبد مناف ، جد النبي صلى الله عليه وسلم لأبيه وأمه . وذكر أنها كانا
توأمين ، وأنهما خرجا ملتصقين ، ففصل بينهما فجرى منهما دم ، فتطير من ذلك ،
وقيل : إنه يكون بين الأخوين دم ، فكان كذلك . فكان أمية بن عبد شمس
ينافس ابن عمه عبد المطلب بن هاشم ويحسد مكاتته . وكان عبد المطلب أجلاً
وأعظم . ولما جاء الإسلام وبعث النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن
عبد المطلب بن هاشم ، كان أشد البطون عداوة له بنو عبد شمس . كان منهم عتبة ،
وشيبة ، والوليد ، صناديد الكفر ؛ وأبو سفيان بن حرب قائد قريش . ومن الله
سبحانه على جماعة منهم بالإسلام والسبق والهجرة ، وهم عثمان ، وأبو حذيفة
ابن عتبة ، وخالد بن سعيد ، رضى الله عنهم . ثم أظهر الله رسوله وفتح له مكة وأسلم
أبو سفيان ومن بقى من أهل مكة . ثم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وولى
بعده الخلفاء الراشدون ، وقمع الله بهم إحن الجاهلية . فلما انقضت أيام الخلفاء
الراشدين وصارت الخلافة إلى بنى أمية أظهروا عداوة بنى هاشم وإبعادهم ،
وأكد ذلك في نفوسهم خوفاً منهم أن يسلبوهم ملكهم ، إذ كان الناس إلى بنى هاشم
أميل . فقتل في أيامهم الحسين بن علي رضى الله عنهما ، وجماعة من أهل بيته
بكر بلاء ، ثم قتل يزيد بن علي بن الحسين بالكوفة وصلب بها وأُحرق ،
ثم قتل أبنه يحيى بن يزيد بخراسان . فقتويت بسبب ذلك الإحن بين البيتين
وصارت لبني العباس شيعة بخراسان ، واضطرب في آخر الأمر ملك بنى أمية

تمهيد لابن واصل
في العداوة بين
عبد شمس وهاشم

ووقعت الفتن بينهم ، فقويت شيعته بنى هاشم بخراسان وظهر بها أبو مسلم صاحب الدعوة ، وأستولى على خراسان وعظمت جنوده وجعلوا شعارهم السواد . ثم قصدت المسودة العراق وبايعوا بالخلافة السفاح أبا العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وكان هو وأهل بيته مقيمين بالشام بقرية يقال لها الحميمة . وكان صاحب الأمر الذي الدعوة له أخوه إبراهيم الإمام . فظفر به مروان بن محمد الحمار ، وهو آخر خلفاء بني أمية ، وحبسه بجران ثم قتله في الحبس . ولما قبض على إبراهيم أوصى إلى أخيه أبي العباس . ولما بويع أبو العباس بعث عمه عبد الله بن علي في الجنود لقتال مروان الحمار ، فالتقوا بزاب الموصل . فأنهزم مروان هزيمة قبيحة ، وأتبعته الجيوش . فقصد دمشق ثم مصر .

مقتل مروان
الحمار

قال أبو الفرج : فأتبعه عبد الله بن علي بقائد من قواد خراسان ، يقال له : عامر أبو إسماعيل ، فلحقه بقرية من قرى مصر يقال لها : بوسير . فقتله يوم الأحد ثلاث بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة . ووجه برأسه إلى عبد الله ابن علي ، فأنفذه إلى أبي العباس السفاح . فلما وضع الرأس بين يديه خرَّ ساجداً وقال : الحمد لله الذي أظهرني عليك وأظفرني بك ، ولم يبق ثأري قبلك وقبل رَهطك أعداء الدين . وتمثل بقول ذي الإصبع العدواني :

لَوْ يَشْرَبُونَ دَمِي لَمْ يَزُوْا شَارِبَهُمْ وَلَا دِمَاؤُهُمْ لِلغَيْظِ تَرْوِينِي وَقِيلَ :

عبد الله بن علي
واين مسلمة في
الحرب

نظر عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس إلى فتى عليه أبهة الشرف وهو يُقاتل مُستقتلاً^(١) ، فناداه : يا فتى ، لك الأمان ولو كنت مروان بن محمد . فقال : إلا أكنه فليست بدونه . قال : فلك الأمان ولو كنت من كنت . فأطرق ثم قال :

(١) في بعض أصول الأغاني : « مستقتلاً » والمستقتل : الخارج عن الصف .

أَذَلَّ الحِياةَ وَكُزَّهَ المات وَكُلَّأَ أَرَاهَ طَعَامًا وَبَيْلًا
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَيْرُ إِحْدَاهَا فَسِيرًا إِلَى المَوْتِ سِيرًا جَمِيلًا
ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، فَإِذَا هُوَ ابْنُ مُسْلِمَةَ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ .
وقيل :

شعر سديف يغرى
العباس بنى أمية

جَلَسَ أَبُو العَبَّاسِ بْنِ السَّفَّاحِ يَوْمًا عَلَى سَرِيرِهِ ، وَبَنُو هَاشِمٍ دُونَهُ عَلَى
الْكُرَاسِيِّ ، وَبَنُو أُمَيَّةٍ عَلَى الوَسَائِدِ قَدْ ثُنِيَتْ لَهُمْ . وَكَانُوا فِي أَيَّامِ دَوْلَتِهِمْ يَجْلِسُونَ
هُمْ وَالْخَلِيفَةُ مِنْهُمْ عَلَى السَّرِيرِ ، وَيَجْلِسُ بَنُو هَاشِمٍ عَلَى الكُرَاسِيِّ . فَدَخَلَ الْحَاجِبُ
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، بِالْبَابِ رَجُلٌ حِجَازِيٌّ أَسْوَدُ رَاكِبٌ عَلَى نَجِيبٍ مِثْلَهُمْ
يَسْتَأْذِنُ وَلَا يُخْبِرُ بِأَسْمِهِ ، وَحَلَفَ أَلَّا يَحْسِرَ اللَّثَامُ عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى يَرَاكَ . فَقَالَ :
هَذَا مَوْلَايَ سُدَيْفٌ ، يَدْخُلُ . فَدَخَلَ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى العَبَّاسِ وَبَنِي أُمَيَّةٍ حَوْلَيْهِ ،
حَدَرَ اللَّثَامَ عَنْ وَجْهِهِ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَصْبَحَ المَلِكُ ثَابِتَ الأَسَاسِ بِالْبَهَالِيلِ ^(١) مِنْ بَنِي العَبَّاسِ
بِالصُّدُورِ المُتَقَدِّمِينَ قَدِيمًا وَالرُّءُوسَ القَمَاقِمِ ^(٢) الرُّؤُوسِ
يَا أَمِيرَ المُطَهَّرِينَ مِنَ الذِّمِّ وَيَارَأْسَ مُنْتَهَى كُلِّ رَأْسٍ
أَنْتَ مَهْدِيُّ هَاشِمٍ وَهْدَاهَا كَمْ أَنَا رَجُوكَ بَعْدَ أَنَا
لَا تُقِيلَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ عِثَارًا وَأَقْطَعَنَّ كُلَّ رَقْلَةٍ ^(٣) وَغِرَاسٍ
أَنْزَلُوهَا بِحَيْثُ أَنْزَلَهَا اللَّهُ بَدَارِ المَوَانِ وَالْإِنْعَاسِ
خَوْفُهَا أَظْهَرَ التَّوَدُّدِ مِنْهَا وَبِهَا مِنْكُمْ كَحَزِّ المَوَاسِي
أَقْصِهِمْ أَيُّهَا الخَلِيفَةُ وَأُحْسِمِ عَنْكَ بِالسَّيْفِ شَافَةَ الأَرْجَاسِ

(١) البهاليل : جمع بهلول ، وهو العزيز .

(٢) القماقم ، بالضم : السيد الكثير الخير الواسع الفضل .

(٣) الرقلة : النخلة الطويلة .

وَأُدْ كُرْنَ مَصْرَعِ الْحُسَيْنِ وَزَيْدٍ وَقَتِيلٍ بِجَانِبِ^(١) الْمِهْرَاسِ
وَالْإِمَامِ^(٢) الَّذِي بَحْرَانُ أَمْسَى رَهْنَ قَبْرِ فِي غُرْبَةٍ وَتَنَاسَى
فَلَقَدْ سَاءَ نِي وَسَاءَ سَوَائِي قُرْبَهُمْ مِنْ نَمَارِقٍ وَكَرَاسِي
نَعِمَ كَلْبُ الْمِهْرَاشِ مَوْلَاكَ لَوْلَا أَوْدُ^(٣) مِنْ حَبَائِلِ الْإِفْلَاسِ

فَتَغَيَّرَ لَوْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ وَأَخَذَهُ الزَّمْعُ وَالرُّعْدَةُ ، وَأَلْتَفَتَ بَعْضُ وَلَدِ سُلَيْمَانَ
أَبْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ كَانَ إِلَى جَنْبِهِ فَقَالَ : قَتَلْنَا وَاللَّهِ الْعَبْدُ ! ثُمَّ أَقْبَلَ
أَبُو الْعَبَّاسِ عَلَيْهِمْ وَقَالَ : يَا بَنِي الْفَوَاعِلِ ! أَرَى قَتْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ قَدْ سَلَفُوا وَأَنْتُمْ
أَحْيَاءُ تَتَلَذَّذُونَ فِي الدُّنْيَا ! خُذُوهُمْ . فَأَخَذَتْهُمْ الْخُرَاسَانِيَّةُ بِالْكَافِرِ كَوْبَاتِ^(٤)
فَأَهْمَدُوهُمْ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَإِنَّهُ اسْتَجَارَ
بِدَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ وَقَالَ لَهُ : إِنْ أَبِي لَمْ يَكُنْ كَأَبَائِهِمْ ، وَقَدْ عَلِمْتَ صَنِيعَهُ إِلَيْكُمْ . فَأَجَارَهُ
وَأَسْتَوْهَبَهُ مِنَ السَّفَاحِ وَقَالَ : قَدْ عَلِمْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَنِيعَ أَبِيهِ إِلَيْنَا . فَوَهَبَهُ لَهُ
وَقَالَ : لَا تُرِئْنِي وَجْهَهُ وَلِيَكُنْ بِحَيْثُ نَأْمَنُهُ . ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عُمَالِهِ بِالنَّوَاحِي بِقَتْلِ
بَنِي أُمِيَّةَ .

وقيل :

السفاح بعد قتله
بني أمية

إِنَّ السَّفَاحَ أَمَرَ بِالْغَدَاءِ حِينَ أَمَرَ بِقَتْلِ بَنِي أُمِيَّةَ ، وَأَمَرَ بِبَسَاطٍ فَبُسِطَ عَلَيْهِمْ ،
وَجَلَسَ فَوْقَهُ يَأْكُلُ وَهُمْ يَضْطَرُّونَ تَحْتَهُ . فَلَمَّا أَكَلَ قَالَ : مَا أَعْلَمُنِي أَكَلْتُ أَكْلَةً
قَطٌّ كَانَتْ أَهْنًا وَلَا أَطِيبَ فِي نَفْسِي مِنْهَا . فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْأَكْلِ قَالَ : جُرُّوا
بِأَرْجُلِهِمْ وَأَلْقُوهُمْ فِي الطَّرِيقِ لِيَلْعَنَهُمُ النَّاسُ أَمْوَاتًا كَمَا لَعَنُوهُمْ أَحْيَاءَ . قَالَ^(٥) :

(١) المهراس : ماء بأحد . ويريد بالقتيل : حمزة بن عبد المطلب ، قتل يوم أحد .

(٢) الإمام ، هو إبراهيم ، رأس الدعوة العباسية ، قتله مروان بن محمد .

(٣) الأود : الكد والجهد .

(٤) الكافر كوبات : آلات كالعمد يضرب بها . فارسية .

(٥) المتحدث من إليه أسند الخبر ، وهو المعيطي ، كما ذكر أبو الفرج .

فَرَأَيْتُ الْكِلَابَ تَجَرُّ بِأَرْجُلِهِمْ وَعَلَيْهِمْ سِرَاوِيْلَاتُ الْوَشَى حَتَّى أَنْتَنُوا ، ثُمَّ
حَفَرْتُ لَهُمْ حَفَائِرَ فَأَلْقَوْا فِيهَا .

لسديف يحرض
السفاح

وَذُكِرَ أَنَّ سُدَيْفًا مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ أَنْشَدَ السَّفَاحَ ، وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ :

يَا بَنَ عَمِّ النَّبِيِّ أَنْتَ ضِيَاءٌ أُسْتَبْنَا بِكَ الْيَقِينَ الْجَلِيًّا
لَا يَغُرُّكَ مَا تَرَى مِنْ رِجَالٍ إِنَّ تَحْتَ الصُّلُوعِ دَاءٌ دَوِيًّا
جَرَّدَ السَّيْفِ وَأَرْفَعَ الْعَفْوَ حَتَّى لَا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِهَا أُمُومِيًّا
بَطْنَ الْبُغْضِ فِي الْقَدِيمِ وَأُضْحَى ثَابِتًا^(١) فِي قُلُوبِهِمْ مَطُومِيًّا

وهي قصيدة طويلة . فقال : يا سُديف ، خُلق الإنسان من مَجَل . ثم قال
السفاح مُتَمَثِّلًا :

أَحْيَا الضَّغَائِنَ آبَاءَ لَنَا سَلَفُوا فَلَنْ تَبِيدَ وَلِلْآبَاءِ أَبْنَاءُ
ثُمَّ أَمَرَ بَنَ عِنْدَهُ فَقَتَلُوا .

قتل سليمان بن علي
لجماعة من الأمويين

وقيل :

حَضَرَ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ،
وَعَلَيْهِمُ الثِّيَابُ الْمَوْشَاةُ الْمُزْتَفَّةُ ، فَأَمَرَ بِهِمْ فَقَتَلُوا .

قال الرَّأَوِيُّ : فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَحَدِهِمْ وَقَدْ أَسْوَدَّ عَارِضَاهُ مِنَ الْغَالِيَةِ^(١) .
ثُمَّ جُرَّ بِأَرْجُلِهِمْ وَأُلْقُوا عَلَى الطَّرِيقِ ، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَسِرَاوِيْلَاتِ الْوَشَى وَإِنَّ الْكِلَابَ
لَتَجَرُّ بِأَرْجُلِهِمْ .

وحكى المبارك قال :

جَاءَنِي رَسُولُ عَمْرُو بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرُو بْنِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، فَقَالَ :

(١) في الأصل : « ثاويًا » .

(٢) الغالية : ضرب من الطيب .

وفود عمرو بن
معاوية على سليمان

يقول لك عمرو : قد جاءت هذه الدولة وأنت حديث السن كثير العيال منتشر
 الأموال ، فما أكون في قبيلة إلا شهر أمرى وعرفت ، وقد عزمت على أن أfdى
 حرى بنفسى ، وأنا صائر إلى باب الأمير سليمان بن على ، فصر إلى . فوافيته ،
 فإذا عليه طيلسان أبيض مطبق وسراويل وشي مسدول ، فقلت : سبحان الله !
 ما تصنع الحدائث بأهلها ! أبهذا اللباس تلقى هؤلاء القوم لما تريد لقاءهم فيه !
 قال : لا والله ، ولكنه ليس عندى ثوب إلا أشهر مما ترى . فأعطيته طيلسانى
 وأخذت طيلسانه ، ولويت سراويله إلى ركبته . فدخل إلى الأمير ثم خرج
 مسروراً . فقلت له : حدثنى ما جرى بينك وبين الأمير . قال : دخلت عليه ولم
 يرنى قط ، فقلت : أصلح الله الأمير ، لفظتنى إليك البلاد ، ودلنى عليك فضلك ،
 فإما قتلتنى غانماً ، وإما رددتنى سالماً . قال : ومن أنت ؟ ما أعرفك . فانتسبت له .
 فقال : مرحباً بك ، أقعد فتكلم غانماً . ثم أقبل على فقال : ما حاجتك يابن أخى ؟
 قلت : إن الحرم اللواتى أنت أقرب الناس إليهن معنا ، وأولى الناس بهن بعدنا ،
 قد خفن بخوفنا ، ومن خاف خيف عليه . فوالله ما أجانى إلا بدُموعه على خدي .
 ثم قال لى : يا بن أخى ، يحمن الله دمك ، ويحفظك فى حرمك ، ويوفر عليك
 مالك ، والله لو أمكننى ذلك فى جميع قومك لفعلت ، فكن متوارياً كظاهر ،
 وآمناً كخائف ، ولتأتى رقاءك . قال : فكنت والله أكتب إليه كما يكتب
 الرجل إلى أبيه وعمه . فلما فرغ من الحديث رددت عليه طيلسانه . فقال : مه !
 إن شأننا إذا فارقتنا ثيابنا ألا ترجع إلينا .

ومن شعر سديف الذى فيه يُحرّض السفاح على قتل بنى أمية :

كيف بالعفو عنهم وقديماً قتلوكم وهتكوا الحرمات
 أين زيدٌ وأين يحيى بن زيد يالها من مُصيبةٍ وتِرات
 والإمام الذى أُصيب بجرّاً ن إمام الهدى ورأس النقات

من شعر سديف
 فى تحريض السفاح

قتلوا آل أحمد لا عفا الله لمروان غابر^(١) السيئات

وقال رجل من شيعة بنى العباس يحرضهم على قتل بنى أمية :

لرجل من الشيعة
في مثله

إيّاكم أن تليّنوا لاعتذارهم فليس ذلك إلا الخوف والطمع
لو أنّهم آمنوا أبدوا عداوتهم لكنهم قمعوا بالذل فأنقمعوا
أليس في ألف شهرٍ قد مضت لهم سقوكم جرعا من بعدها جرعا
حتى إذا ما انقضت أيام دولتهم متّوا إليكم بالأرحام التي قطعوا
هيئات لا بدّ أن يسقوا بكأسهم ربيّوا أن يخصد الزرع^(٢) ما زرعوا
إنّا وإخواننا الأنصار شيعتكم إذا تفرقت الأهواء والشيع

(١) في بعض أصول الأغاني « سافر » مكان « غابر » والبيت يروى :

قتلوا آل أحمد لا عفا الذئ * ب لمروان غافر السيئات

(٢) في بعض أصول الأغاني : « الزرع الذي زرعوا » .

خبر حميد بن ثور

هو حميد بن ثور بن عبد بن عامر بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر
ابن صَعَصَعَة بن مُعَاوِيَة بن بَكْر بن هَوَازِن بن مَنصُور بن عِكْرِمَة بن خَصَفَة
ابن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار .

سببه

وهو شاعر من شعراء الإسلام ، وقد أدرك الجاهليّة .

نخضرم

وذكر أنه تقدّم عمر بن الخطاب رضى الله عنه في الشعراء ألا ينسب^(١)
رجلٌ بأمرأة إلا جلد . فقال حميد بن ثور :

شعره بعد نهى عمر
عن النسب

أبى الله إلا أن سرحه مالكٌ على كل أفنان العِصاهِ^(٢) ترؤقُ
وقد ذهبت عرساً وما فوق طولها من السرحِ إلا عِشّةُ^(٣) وسحوق
فلا الظلُّ من برد الضحى تستطيعه ولا الفئء^(٤) من برد العِشَى تذوق
وهل أنا إن علّت نفسى بسرحه من السرحِ موجودٌ^(٥) على طريق
وهى قصيدة طويلة ، أولها :

نأت أم عمرو فالقواد مشوق يحنّ إليهما وهما ويتوق
وقيل :

وفوده على بعض
الخلفاء

وفد حميد بن ثور على بعض خلفاء بنى أمية ، فقال له : ما جاء بك ؟ فقال :

(١) فى بعض أصول الأغاني : « يشيب » .

(٢) السرحة : الشجرة الطويلة ، يكنى بها عن المرأة . والعصاه : أعظم الشجر ؛ الواحدة :
عصاهة . وترؤق : تزيد عليها بحسنها .

(٣) العِشّة : القليلة الأغصان والورق . والسحوق : المفردة فى الطول .

(٤) الظل : من أول النهار إلى الزوال . والفئء : من بعد الزوال إلى الليل .

(٥) ويروى : « مأخوذ على » و « مسدود على » .

أَتَاكَ بَنَى اللَّهِ الَّذِي فَوْقَ مَنْ تَرَى وَخَيْرٌ وَمَعْرُوفٌ إِلَيْكَ دَلِيلُ
وَمَطْوِيَّةُ الْأَقْرَابِ أَمَّا نَهَارُهَا فَنَصٌّ وَأَمَّا لَيْلُهَا ^(١) فَذَمِيمِل
وَيَطْوَى عَلَى اللَّيْلِ حِصْنِيهِ إِنِّي لَذَاكَ إِذَا هَابَ الرَّجَالُ فَعُولُ
فَوْصَلَهُ وَصَرَفَهُ شَاكِرًا .

(١) الأقرباب : جمع قرب ، وهو الخاصرة . والفرس قربان ، ولكنهم يجمعون . يريد وصفها بالضمور . والنص : أقصى السير . والذميل : السير اللين . والذي في التجريد : « فرقل » مكان « فنص » .

أخبار فليح بن العوزاء

ولاؤه

هو من أهل مكة . مولى لبني مخزوم .

قال أبو الفرج : ولم يقع إلينا اسم أبيه .

محلّه في الفناء

وهو أحد المغنين في الدولة العباسية ، وله محل كبير من صناعته ، وموضع جليل .

منزلته عند المهدي

وحكى الفضل بن الربيع قال :

كان المهدي يسمع المغنين جميعاً ، ويحضرون مجلسه ، ويتغنّون من وراء الستارة ، إلا فليح بن العوزاء ، فإن عبد الله بن مضعب الزبيري كان يرويه شعره في مدائحه للمهدي ليغنيه فيه . فدرس في أضغافها بيتين يسأله فيهما أن يناديه ، وسأل فليحاً أن يغنيهما في أضغاف أغانيه ، وهما :

يا أمين الإله في الشرق والغرب ب على الخلق وابن عم الرسول
مجلساً بالعشي عندك في المي بدان أبغي والإذن لي في الوصول

فغناه فليح إياها . فقال المهدي : يا فضل ، أجب عبد الله إلى ما سأل . وأحضره مجلسي إذا حضره أهلي وموالي وجلسْتُ لهم ، وزدّه على ذلك أن ترفع بيني وبين روايته فليح الستارة . فكان فليح أول مغن عابن وجهه في مجلسهم .

وحكى بعضهم قال :

صلته بمحمد بن سليمان

دعاني محمد بن سليمان بن علي ، فقال لي : قد قدّم فليح بن العوزاء من الحجاز ونزل عند مسجد ابن رغبان^(١) فصر إليه ، وأعلمه أنه إن جاءني قبل أن يدخل

(١) في غربي بغداد . والذي في التجريد : « ابن عتاب » تحريف .

على الرّشيد خلعتُ عليه خِلعةً سنّيةً من ثيابي ، ووهبتُ له خمسة آلاف درهم .
فمضيتُ إليه فخبّرتُهُ بذلك . فأجابني إجابةً مَسرورةً به نشيط له ، وخرج معي .
فعدَل إلى حَمّام كان بقرْبه ، فدعا القِيَمَ وأعطاه درهمين وسأله أنْ يَجِيئه بشيء
يأكله ، وبنّبيذٍ يشربه . فجاءه برأس كاه رأسُ عجل ، وبنّبيذ دُوشابي^(١) غليظ
ردىء . فقلت : لا تفعل . وجهدتُ به ألا يأكل ولا يشرب إلّا عند محمد بن
سليمان . فلم يلتفتْ إليّ ، وأكل من ذلك الرأس وشرب من النّبذ الغليظ ، حتى
طابتْ نفسه وغنى ، وغنى القِيَمُ معه مليّاً ، ثم خاطب القِيَمَ بما أغضبه ، وتلاحيا
وتواثبا ، فأخذ القِيَمُ شيئاً فضرب به رأسه فشجّه حتى جرى دمه . فلما رأى الدمَ
على وجهه اضطرب وجزع . ثم قام وغسل وجهه وجرحه وعالجه بصُوفةٍ مُحرقَةٍ
وزيت ، وعصبه وتعمّم وقام معي . فلما دخلنا دارَ محمد بن سليمان ، ورأى الفرشَ
والآلة ، وحضر الطعَامُ فرأى سرّوه^(٢) وطِيبه ، ورأى النّبذَ ، ومُدّت الستائرُ وغنّت
الجواري ، أقبل عليّ وقال : يا مجنون ، سألتك بالله : أيّما أحقّ وأولى بالعرْبة :
مجلس القِيَمِ أو مجلس الأمير ؟ فقلت : وكأنه لا بدّ من عَرْبة ! قال : لا والله ،
مالي منها بدّ ، فأخرجتها من رأسي هناك . فقلت : أمّا على هذا الشرط فالذي فعلتَ
أحوطُ . فسألني محمد عما كُنّا فيه ، فأخبرته . فضحك ضحكاً عالياً وقال : هذا الحديثُ
والله أظرف وأطيبُ من غنائه . وخلع ثيابه عليه^(٣) ، وأعطاه خمسة آلاف درهم .

وحكى فليح قال :

كان بالمدينة فتى يَعشَقُ ابنةَ عمِّ له ، فوعده أنها تزوره ، وشكا إلى أنها تأتيه
ولا شيء عنده . فأعطيته ديناراً للنّفقة . فلما زارته قالت له : من يُلهمنا ؟ قال :
صديق لي ، ووصفني لها ، ودعاني فأتيته . فكان أول ما غنّيته :

(١) دوشابي : نسبة إلى دوشاب ، وهو نبيذ التمر . فارسي معرب .

(٢) سروره ، أي جودته وكثرته . والذي في بعض أصول الأغاني : « سروره » .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « وخلع عليه » .

مِنْ الْخَفِرَاتِ لَمْ تَقْضَحْ أَخَاهَا وَلَمْ تَرْفَعْ لَوَالِدَهَا ^(١) شَنَارًا
 فقامتُ إلى ثوبها فلبسته لتتصرف . فتعلّق بها وجهد كلّ الجهد في أن تُقيم .
 فلم تفعل ، وأنصرفت . وأقبل علىّ يكومني في أن غنيتها ذلك الصوت . فقلت :
 والله ما هو شيء أعتمدتُ به مساءتك ، ولكنه شيء أتفق . قال : فلم نبرح حتى
 عاد رسولها ومعه صُرة فيها ألف دينار فدفعها إلى الفتى وقال : تقول لك أبنسة
 عمك : هذا مهري فأدفعه إلى أبي وأخطبني . ففعل وتزوّجها .

والشعر لسليك بن الشلكة السعدي :

كَأَنَّ مَجَامِعَ الْأُرْدَافِ مِنْهَا نَقًّا دَرَجَتْ عَلَيْهِ الرِّيحُ ^(٢) هَارًا
 يَعَافُ وَصَالَ ذَاتَ الْبَذْلِ قَلْبِي وَأَتَّبَعَ الْمُنْعَةَ ^(٣) النُّوَارَ

(١) الخفريات : الشديدة الحياء . والشنار : العيب والعار .

(٢) النقا : الكثيب من الرمل . وهار : سقط وتهدم .

(٣) النوار : المرأة النفور من الريبة .

أَخْبَارُ ابْنِ هَرْمَةَ

نسبه

هو إبراهيمُ بن عليّ بن سَلَمَةَ بن عامر بن هَرْمَةَ بن الهذيل بن الرَّبيع بن عامر بن صُبَيْح بن كِنانة بن عدى بن قَيْس بن الحارث بن فِهْر . وإلى فِهْر يَنْتَهِي نَسَبُ قُرَيْش . وقيل إنهم ينتهون إلى النَّضْر بن كِنانة .

وولد قيس بن الحارث يقال لهم : الْخُلُج . وكانوا في عَدَوَان ، ثم أُنتَقِلُوا عَنْهُمْ إلى بنى نَضْر بن مُعَاوِيَةَ بن بكر بن هَوَازن . فلما أَفْضَتِ الْخِلَافَةُ إلى عمر بن الْخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَوْهُ لِيُفْرِضَ لَهُمْ ، فَأَنْكَرَ نَسَبَهُمْ . فلما اسْتُخْلِفَ عُثْمَانُ بن عَفَّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَوْهُ فَأَثْبَتَهُمْ فِي بنى الْحَارِثِ بن فِهْر ، وجعل لهم دِيوَانًا . وَإِنَّمَا سُمُّوا الْخُلُجَ لِأَنَّهُمْ اخْتَلَجُوا مِمَّنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ عَدَوَانٍ وَمِنْ بنى نَضْر بن مُعَاوِيَةَ . وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ يَقُولُونَ : إِنَّمَا سُمُّوا الْخُلُجَ ، لِأَنَّهُمْ نَزَلُوا بِالْمَدِينَةِ عَلَى خُلُجٍ فَسُمُّوا بِذَلِكَ . وَلَهُمْ بِالْمَدِينَةِ عَدَدٌ .

عتابه بنى الحارث

وقيل : نَفَى بنو الْحَارِثِ بن فِهْرٍ نَسَبَ ابْنِ هَرْمَةَ ، فَقَالَ :

أَحَارِ بن فِهْرٍ كَيْفَ تَطَرَّحُونَنِي وَجَاءَ الْعِدَامِ غَيْرَكُمْ تَبْتَغِي نَضْرِي

فَصَارَ مِنْ وَلَدِ فِهْرٍ فِي سَاعَتِهِ .

وكان ابْنُ هَرْمَةَ دَعِيًّا فِي الْخُلُجِ ، وَالْخُلُجُ أَدْعِيَاءُ فِي قُرَيْش . وكان ابْنُ وَصَفَهُ نَفْسَهُ بِاللَّؤُمِ هَرْمَةَ يَقُولُ : أَلَأَمْ الْعَرَبُ دَعِيٌّ أَدْعِيَاءُ ! وَيَعْنِي نَفْسَهُ .

حديثه مع أسمى

وحكى عَبْدُ اللَّهِ بن أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ :

زَرْتُ عَبْدَ اللَّهِ بنَ حَسَنٍ بِبَادِيَتِهِ ، وَزَارَهُ ابْنُ هَرْمَةَ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَسْلَمَ ، فَقَالَ ابْنُ هَرْمَةَ لِعَبْدِ اللَّهِ بنِ حَسَنٍ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! سَلِ الْأَسْلَمِيَّ أَنْ يَأْذَنَ لِي

أن أخبرك خبري وخبره . فقال له عبد الله بن حسن : إيدن له . فأذن له الأسلمي .
 فقال إبراهيم بن هرمة : إني خرجت — أصلحك الله — أبغى ذوداً^(١) لي ،
 فأوحشت^(٢) ، وضفت هذا الأسلمي ، فذبح لي شاة وخبز لي خبزاً وأكرمني . ثم
 غدوت من عنده ، فأقمت ما شاء الله . ثم خرجت أيضاً في طلب ذود لي ، فأوحشت
 وقلت : لو ضفت الأسلمي ؟ فقلت إليه . فجاءني بلبن وتمر . ثم خرجت بعد ذلك
 فقلت : لو ضفت الأسلمي ؟ فاللبن والتمر خير من الطوى . فضففته ، فجاءني بلبن حامض .
 فقال الأسلمي : قد أجبتك — أصلحك الله — إلى ما سألت ، فسله أن يأذن لي
 أن أخبرك لم فعلت . فقال : إيدن له . فأذن له . فقال الأسلمي : ضافني فسألتك
 من هو ؟ فقال : رجل من قريش . فذبحت له الشاة التي ذكرها . والله لو كان لي
 غيرها لذبحتها له حين ذكر أنه من قريش . ثم غدا من عندي وغدا على الحى ،
 فقالوا : من كان ضيفك البارحة ؟ فقلت : رجل من قريش . فقالوا : ليس هذا من
 قريش ، ولكنه دعى فيها . ثم ضافني الثانية على أنه دعى في قريش ، فخبثته بلبن
 وتمر وقلت : دعى قريش خير من غيره . ثم غدا من عندي وغدا على الحى علي
 فقالوا : من كان ضيفك البارحة ؟ فقلت : الرجل الذي زعمتم أنه دعى في قريش .
 فقالوا : لا والله ما هو دعى في قريش ، ولكنه دعى أدياء قريش . ثم جاءني
 الثالثة ، فقرئته لبناً حامضاً . والله لو كان شر منه عندي لقريته إياه . فأنخذل ابن
 هرمة ، وضحك عبد الله وضحكنا معه .

وكان ابن هرمة مخضرم الدولتين ، وهو أحد الشعراء الفحول المجيدين ،
 وكان مُدْمِناً للشراب ، وامتدح أبا جعفر المنصور فوصله بعشرة آلاف درهم . فقال :
 لا تقع هذه مني موقعاً . فقال : ويحك ! إنها كثيرة . فقال : إن أردت أن تهنيئني

لم يرض من
 المنصور إلا بإباحة
 الشرب له

(١) الذود من الإبل : من الثلاث إلى التسع . وقيل : ما بين الثلاث إلى الثلاثين ، ولا يكون
 إلا من الإناث . (٢) أوحش : جاع وفقد زاده .

فَأَجَّحَ لِي الشَّرَابَ فَإِنِّي مُغْرَمٌ بِهِ . فَقَالَ : وَيْحَكَ ! هَذَا حَدٌّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ . فَقَالَ :
احتل لي يا أمير المؤمنين . قال : نعم . فكتب إلى والي المدينة : من أتاك بأبن هرمة
سكران فأضربه مائة سوط وأضرب ابن هرمة ثمانين . فجعل الجُلُواز^(١) إذا مرَّ
بأبن هرمة وهو سكران قال : من يشتري الثمانين بالمائة ! فلا يعرض له أحد .

وحكى ابن هرمة قال :

ما رأيت قطُّ أسخى ولا أكرم من رجلين : إبراهيم بن عبد الله بن مُطيع ،
وإبراهيم بن طلحة بن عمرو بن عبد الله بن معمر . أمَّا إبراهيم بن طلحة فأتيتُه
فقال : أَحْسِنُوا ضِيَاةَ أَبِي إِسْحَاقَ . فَأَتَيْتُ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الطَّعَامِ . فَأَرَدْتُ أَنْ
أُنْشِدَهُ ، فَقَالَ : لَيْسَ هَذَا وَقْتُ الشَّعْرِ . ثُمَّ أَخْرَجَ إِلَيَّ الْغَلَامَ رُقْعَةً ، فَقَالَ : إِيَّتِهَا
الْوَكِيلَ . فَأَتَيْتُهُ ، فَقَالَ : إِنْ شِئْتَ أَخَذْتُ لَكَ جَمِيعَ مَا كَتَبَ بِهِ ، وَإِنْ شِئْتَ
أَعْطَيْتُكَ الْقِيَمَةَ . فَأَعْطَانِي مَائَتِي دِينَار . وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَأَتَيْتُهُ فِي مَنْزِلِهِ
بِمَشَاشٍ^(٢) عَلَى بئرِ ابْنِ الْوَلِيدِ^(٣) بَنِ عُمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ
بِرُزْمَةٍ فِيهَا ثِيَابٌ ، وَضُرَّةٌ دِرَاهِمٌ وَدَنَانِيرٌ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ مَا بَقِينَا فِي مَنْزِلِنَا ثَوْبًا
إِلَّا ثَوْبًا نَوَارِي بِهِ أُمْرَأَةٌ ، وَلَا حَلِيًّا وَلَا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا . وَقَالَ ابْنُ هَرْمَةَ
يَمْدَحُ إِبْرَاهِيمَ :

أَرْقَنْتَنِي تَلَوْنِي أُمُّ بَكْرِ	بعد هدء واللوم قد يؤذيني
حَذَّرْتَنِي الزَّمَانَ ثُمْتَ قَالَتْ	ليس هذا الزمان بالمأمون
قُلْتُ لَمَّا هَبَّتْ تُحَذِّرُنِي الدَّهْ	رَدَعِيَ اللُّومَ عَنْكَ وَأُسْتَبَقْنِي
إِنَّ ذَا الْجُودِ وَالْمَكَارِمِ إِبْرَا	هيمَ يَعْنِيهِ كُلُّ مَا يَعْنِينِي
قَدْ خَبَرَنَاهُ فِي الْقَدِيمِ فَأَلْفَيْ	سَنَا مَوَاعِيدَهُ كَعَيْنِ الْيَقِينِ

(١) الجُلُواز : الشرطي . (٢) مشاش : موضع على نصف مرحلة من مكة .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « بئر الوليد » .

قلتُ ما قلتُ للذي هو حقُّ مُستبينٌ لا للذي يُعطيني
نَضَحْتُ أرضنا سماءُكَ بعدَ الدَّ جَدَبَ منها و بعدَ سوءِ الظَّنُونِ
فرعينا آثارَ غَيْثٍ أراقَتْ ه يَدَا مُحْكَمِ القَوَى مَيَمُونِ

وقيل :

مدحه للسري

قصدُ ابنِ هَرَمَةَ السَّريِّ بنَ عبدِ الله الهاشميِّ باليَمامَةِ لَدَيْنَ لَرِمِهِ ، فمدَحَه
بأشعارٍ كثيرةٍ ، منها قولُه :

وقلُّ للسَّريِّ الواصلِ البرِّ ذِي النَّدَى مديحاً إذا ما بُثَّ صُدُقُ قائلُه
جوادٌ على العِلاتِ يَهْتَرُ للنَّدَى كما أَهْتَزَّ عَضْبُ أَخْلَصْتَه صَيَّاقِلُه
نَفَى الظُّلَمِ عن أَهلِ اليَمامَةِ عَدْلُه فعاشُوا وزاح^(١) الظُّلَمُ عنهم وباطِلُه
وناموا بأَمْنٍ بعدَ خَوْفٍ وشِدَّة بسيرةٍ عَدْلٍ ما تُخافُ غوائلُه
وأنتَ تُرَجِّى للذي أنتَ أَهْلُه وتَنفَعُ ذِي القُرْبَى لَدَيْكَ وسائلُه
بِكَ اللهُ أَحيا أرضَ حَجَرٍ^(٢) وَغَيرَها من الأَرْضِ حَتَّى عاشَ بالبَقْلِ آكلُه
ومدحه بقصيدة أولها :

* عُوْجا نُحْيِ الطُّلُولَ^(٣) بالكُتْبِ *

يقول في مديحها :

دَعْ عَنْكَ سَلَمَى وَقُلْ^(٤) مُحَبَّرَةً لِمِاجِدِ الجَدِّ طَيِّبِ النَّسَبِ
مُحَضِّ مَصَفَى العُرُوقِ يَحْمَدُه في العُسْرِ واليُسْرِ كُلِّ مُرْتَقِبِ
الواهِبِ الخَيْلِ في أَعْنَتِها والوَصَفاءِ الحِسانِ كالذَّهَبِ

(١) زاح : انزاح وذهب .

(٢) في الأصل : * بك الله أحيا الأرض حجراً وأهلها *

(٣) الكُتْب : موضع بديار طيء .

(٤) المحبرة : المقالة المحودة والمحسنة .

مجداً وحمداً يفیده كرمًا والحمدُ في الناس خيرٌ مُكتسب
فأمر له بسبعائة دينار لقضاء دينه ، ومائة دينار يتجهز بها إلى أهله ، ومائة
دينار يأخذ بها هديةً لهم .

بينه وبين رجل
سأله عن بيتين

وقيل : قال رجلٌ لأبن هرمة : من قائل هذين البيتين :

ومهما ألام^(١) على حُبِّهم فإني أحبُّ بني فاطمة
بني بنت من جاء بالمُحكما تِ والدِّين والسُّنة القائمة

والبيتان لأبن هرمة . فقال أبن هرمة : قائلهما من عَصَّ بَظْرُ أمه . فقال له
بنه : يا أبت ، ألسْتَ قائلهما ؟ قال بلى . قال : فلم شمتَ نفسك ؟ قال : أيس
أن يَعَصَّ المرءُ بَظْرَ أمه خيرٌ من أن يأخذه أبنُ قَحْطِبة^(٢) .

تعقيب لابن واصل
في بطش المنصور
بالعلويين

قلت : وإنما خاف ابن هرمة من نسبة الشعر ، لأنَّ المنصور كان شديدَ الطلب
لمن يميل إلى العلويين ، والتَّبع لمن يُحبهم لخروجهم عليه . وكان خرج عليه محمد
ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالمدينة ، وأخوه إبراهيم
بالبصرة ، سنة خمس وأربعين ، فهزما وقتلا وحمل رأساهما إليه .

نزوله برجل يقود
على ابنتيه

وقيل :

نزل أبن هرمة على رجل ، له زوجة وأبنتان كأنهما طيبتان يقود عليهما ،
ودفع إليهما دراهم لينفقهما عليهما في طعام وشراب . وأقام ابن هرمة مع ابنتيه حتى
خفَّ ذلك المَالُ . وجاء قوم آخرون ومعهم مال ، فأخبرهم الرجلُ بمكان أبن هرمة ،
فأستقلوه وكرهوا أن يعلم بهم . فأمر ابنتيه ، فقالتا : يا أبا إسحاق . ما دريت
ما الناسُ فيه : زُلْزُل بالروضة ؟ فتغافلتهما . ثم جاء أبوهما مُتغازعا ، فقال له :

(١) لم يجزم الفعل هنا شذوذاً .

(٢) هو حميد بن قحطبة ، ولي مصر للمنصور .

أى أبا إسحاق ، ألا ترى إلى ما الناس فيه ؟ قال : وما هم فيه ؟ قال : زُلْزِلَ بالروضة . فقال : قد جاءكم الآن إنسان معه مال ، وقد نفَضْتُ ما جِئْتُكم به وثَقُلْتُ عليكم ، فأردت إدخاله وإخراجي ، أيزلزل بروضة من رياض الجنة ويترك منزلك وأنت تجمع فيه الرجال على أبنيتك ! والله لا عدتُ إليك ! وخرج من عنده .

هو وابن عمران
وأبو ثابت

وقيل :

مدح ابنُ هرمة محمد بن عمران الطلحي ، فالفاه روايته وقد جاءته غير له تحمل غلة قد جاءته من ^(١) الفرع أو خير . فقال له رجل كان عنده : أعلم والله أن أبا ثابت عمران بن عبد العزيز أغراه بك وأنا حاضر عنده ، وأخبره بعيرك هذه . فقال : إنما أراد أبو ثابت أن يعرضني للسانه ، قودوا القطار إليه .

ليم في مدحه
أبا الحكم

وقيل :

مدح ابنُ هرمة أبا الحكم المطلب بن عبد الله بقوله :
لَمَّا رَأَيْتُ الْحَادِثَاتِ كَنَفَنِي وَأَوْرَثَنِي بُؤْسِي ذَكَرْتُ أَبَا الْحَكَمِ
سَلِيلُ مُلُوكٍ سَبْعَةٍ قَدْ تَتَابَعُوا هُمُ الْمُصْطَفُونَ وَالْمُصَفَّوْنَ بِالْكَرَمِ
فَلَامُوهُ وَقَالُوا : أَمْدَحْ غَلَامًا حَدِيثَ السَّنِّ بِمَثَلِ هَذَا ؟ وَكَانَتْ لِابْنِ هَرْمَةَ
أَبْنَةُ كَانَ يَلْقَاهَا عَيْنَةً ، فَقَالَ مُجِيبًا لَهُمْ :

كَانَتْ عَيْنَةٌ فِينَا وَهِيَ عَاطِلَةٌ بَيْنَ الْجَوَارِي فَخَلَّاهَا أَبُو الْحَكَمِ
فَمَنْ لَحَانًا عَلَى حُسْنِ الْمَقَالِ لَهُ كَانَ الْمَلِيمَ وَكُنَّا نَحْنُ لَمْ ^(٢) نَلِمَ

وقيل :

سبب هجائه
لعبد العزيز بن
المطلب

أرسل ابنُ هرمة إلى عبد العزيز بن المطلب بكتاب يشكو فيه بعض حاله

(١) الفرع : قرية قرب الربرة على ثمانية برد من المدينة .

(٢) ألأم الرجل : وقع فيما يلام عليه .

فبعث إليه بخمسة عشر ديناراً . فكث شهراً ثم بعث يطلب شيئاً آخر بعد ذلك . فقال : أنا والله لا أقوى على ما كان يقوى عليه الحكم بن المطلب . وكان عبدالعزيز هذا قد خطب إلى امرأة من ولد عمر ، رضى الله عنه ، فردته ، فخطب إلى امرأة من بنى عامر بن لؤى ، فزوجوه . فقال ابن هرمة يهجوهم :

خَطَبْتَ إِلَى كَعْبٍ فَرَدُّوكَ صَاغِراً فُحَوِّلْتَ مِنْ كَعْبٍ إِلَى جِذْمٍ عَامِرٍ
وَفِي عَامِرٍ عَزٌّ قَدِيمٌ وَإِنَّمَا أَجَازَكَ فِيهِمْ هَزْلُ أَهْلِ الْمُقَابِرِ
وَقَالَ فِيهِ أَيْضاً :

أَبَا لُبَيْخٍ تَطْلُبُ مَا قَدَّمْتُ عَرَانِينَ جَادَتْ بِأُمَوَالِهَا
فَهِيهَاتَ خَالَفْتَ فِعْلَ الْكِرَامِ خَالَفَ الْجِمَالَ بِأَبْوَالِهَا

وقيل :

أغراه قوم بالحكم
فسأله فأجابه

جلس ابن هرمة مع قوم على شراب ، فذكر الحكم بن المطلب فأطرب في مدحه . ف قيل له : إنك لتكثر ذكر رجل لو طرقت الساعة في شاة يقال لها « غراء » تسأله إياها لردك عنها . فقال : أهو يفعل هذا ؟ قالوا : إى والله . وكانوا قد عرفوا أن الحكم بها معجب . وكان في داره سبعون شاة تحلب . فخرج وفي رأسه ما فيه ، فدخل باب الحكم ، فخرج إليه غلامه . فقال : أعلم أبا مروان بمكانى . وكان أَمْرٌ أَلَّا يُحْجَبَ ابْنُ هَرَمَةَ عَنْهُ ، فَأَعْلَمَهُ بِهِ . فخرج إليه متشحاً ، فقال : أفى هذه الساعة ! قال : نعم . جُعِلَتْ فِدَاكَ ، وَلَدُ لَأَخٍ لِي فِي هَذِهِ السَّاعَةِ مَوْلُودٌ فَلَمْ تَدِرْ عَلَيْهِ أُمَّهُ ، فَطَلَبُوا شاةً حُلُوبَةً فَلَمْ يَجِدُوهَا ، فَذُكِرْتَ لِي شاةٌ عِنْدَكَ يُقَالُ لَهَا « غراء » فَسَأَلْنِي أَنْ أَسْأَلَ كُهَا . فقال : تجىء في هذه الساعة ثم تنصرف بشاة واحدة ! والله لا بَقِيَ في الدار شاةٌ إِلَّا أَنْصَرَفَتْ بِهَا ، سَوْقُوهنَّ مَعَهُ . فَخَرَجَ بِهِنَّ

إلى القوم ، ثم قال لهم : ويلكم ! أى شىء صنعتُم ! ^(١) وقصَّ عليهم القصَّة .
وقال : فيهن والله ما ثمنه عشرة دنانير وأكثَر من عشرة .

وقيل :

هو وجيرانه وقد
أفرط في السكر

بلغ من غرامه بالنَّبِيذ أنه مرَّ يوماً على جيرانه وهو مُنبتٌ ^(٢) سكرًا حتى دَخَلَ
منزله ، فلما كان من الغد دخلوا إليه فعاتبوه على الحال التى رأوه فيها . فقال لهم :
أنا فى طابٍ مثلها منذُ دهرٍ ، أما سمعتمُ قولى :

أَسْأَلُ الله سكرَةً قبل موتى وصِيَّاح الصَّيَّان يا سكرانُ
فنفَضُوا ثيابهم وخرجوا . وقالوا : ليس يُفْلَح هذا والله أبدًا !

وحكى الزُّيْر بن بكَّار قال :

شعر له صدقته
جنازته

أَنشدنى عَمَّى لأبنِ هَرَمَة :

ما أَظُنُّ الزَّمانَ يا أُمَّ عمرو تاركًا إنْ هَلَكْتَ مَن يَبْكِينِي

قال : فكان والله كذلك ، لقد مات فأخبرنى من رأى جنازته ما يحملها
إلا أربعة نُفَرٍ حتى دُفِنَ فى البَقِيع .

والشَّعر الذى فيه الغناء ، وأُفْتُتِحَ به أبو الفَرَج أخبار ابنِ هَرَمَة ، هو :

شعره الذى فيه
الغناء

أَفْأَظُمُ إنَّ النَّأْيَ يُسَلِّي من ^(٣) الهوى ونَأْيُكَ عَنِّي زادَ قَلْبِي بِكُمْ وَجَدًا
أَرى حَرَجًا ما نَلْتُ من حُبِّ غيرِكُم وَنافِلَةٌ مَن حُبِّكُمْ نَلْتُها ^(٤) رُشْدًا
وما نَلْتُقى مَن بَعْدَ نَأْيٍ وَفُرْقَةٍ وشَحْطِ نَوَى إِلَّا وَجَدْتُ لَهُ بَرْدًا
على كَبِدٍ قد كادَ يُبْدى بِها الهوى نُدُوبًا وَبعضُ القومِ يَحْسِبُنِي جَلْدًا

(١) فى بعض أصول الأغاني : « فقالوا : ويحك ! أى شىء صنعت ! فقص » .

(٢) أى منقطع . (٣) فى بعض أصول الأغاني : « ذوى » مكان « من » .

(٤) فى بعض أصول الأغاني : « ونافلة ما نلت من ودكم » .

أخبار يونس الكاتب

وابن رهيمة الشاعر

نسب يونس

أما يونس ، فهو ابن سليمان بن كُرد بن شهر يار ، من ولد هُرْمُز .
وذُكر أنه مولى لعمرو بن الزبير . ومنشؤه بالمدينة . وكان أبوه مُقيماً^(١) بها ،
فأسلمه في الديوان وكان من كتّابه .

وأخذ الغناء عن معبد ، وابن سريج ، وابن مُحَرِّز ، والغريص . وأكثر روايته أساتذته في الغناء
عن معبد . وهو أحذق من أخذ عنه .

ابن رهيمة
وتشبيهه بزَيْنَب

وأما ابن رهيمة فهو شاعر ، كان في أيام الدولة الأموية ، وكان ابن رهيمة
يُشَبَّب بزَيْنَب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ،
ويُغْنَى فيه يونس الكاتب ، فأفتضحت بذلك وأستعدى عليه أخوها هشام
ابن عبد الملك ، فأمر بضربه خمسمائة سوط ، وأن يُباح دمه إن وجد قد عاد
لذِكْرها ، وأن يفعل ذلك بكل من غنى في شيء من شعره . فهرب ابن رهيمة
ويونس الكاتب فلم يُقدَّر عليهما . فلما ولي الوليد بن يزيد الخلافة ظهر ابن رهيمة
ويونس . وقال ابن رهيمة :

لئن كنت أطردتني ظالماً فقد كشف الله ما أُرهبُ
ولو نلت مني ما تشتهي لقلَّ إذا رضيت زَيْنَب
وما شئت فأصنعه بي بعد ذا فحُبِّي لزَيْنَب لا يذهب

(١) في بعض أصول الأغاني : « فقيها » .

ومما قاله ابن رُهَيْمَة في زَيْنَب ، وهو الشعر الذي فيه الغناء وأُفْتَحَ به
أبو الفرج أخبارهما :

أَقْصَدْتُ زَيْنَبُ قَلْبِي بَعْدَ مَا ذَهَبَ الْبَاطِلُ عَنِّي وَالْغَزَلُ
وَعَلَا الْمَفْرَقَ شَيْبٌ شَامِلٌ وَاضْحٌ فِي الرَّأْسِ مَيِّ فَاشْتَعَلَ
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

أَقْصَدْتُ زَيْنَبُ قَلْبِي وَسَبَتْ عَقْلِي وَلَبِّي
تَرَكْتَنِي مُسْتَهَامًا أَسْتَغِيثُ اللَّهَ رَبِّي
لَيْسَ لِي ذَنْبٌ إِلَيْهَا فَتُجَازِينِي بِذَنْبِي
وَلَهَا عِنْدِي ذَنْوبٌ فِي تَنَائِيهَا وَقُرْبِي
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

إِنَّمَا زَيْنَبُ هَمِّي بِأَبِي تِلْكَ وَأُمِّي
بَأَبِي زَيْنَبُ لَا أَكُزُّ بَنِي وَلَكِنِّي أُسَمِّي
بَأَبِي مَنْ لَيْسَ فِي قَلْبِهِ قِيْرَاطُ^(١) رُحْمٍ
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

يَا زَيْنَبُ الْحَسَنَاءُ يَا زَيْنَبُ يَا أَكْرَمَ النَّاسِ إِذَا تُنْسَبُ
تَقِيكَ نَفْسِي حَادِثَاتِ الرَّدَى وَالْأُمُّ تَقْدِيكَ مَعًا وَالْأَبُ
هَلْ لَكَ فِي وُدِّ أَمْرِي صَادِقٍ لَا يَمْدُقُ الْوُدَّ وَلَا يَكْذِبُ
لَا يَبْتَغِي فِي وُدِّهِ^(٢) مَحْرَمًا هِيَمَاتِ مَنْكَ الْعَمَلُ^(٣) الْأَعْيَبُ
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

فَلَيْتَ الَّذِي يَلْحَقِي عَلَى زَيْنَبِ الْمَنَى تَعَلَّقَهُ مِمَّا لَقِيتُ^(٤) عَشِيرُ
فَحَسْبِي لَهُ بِالْعُشْرِ مِمَّا لَقِيتُهُ وَذَلِكَ فِيمَا قَدْ تَرَاهُ يَسِيرُ

(١) الرحم : الرحمة . (٢) المحرم : الحرام .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « الأريب » وهو ذو الريب . (٤) عشير ، أى جزء من عشرة .

أخبار إسماعيل بن يسار

النسائي

يُكنى أبا فائد . وهو مولى لبني تيم بن مرة . تيم قریش . وكان مُنقطعاً إلى آل الزبير ومُدحه خلفاء بني أمية الزبير رحمه الله ومُدحه ، ومُدح الخلفاء من ولده بعده . وعاش عُمرًا طويلاً إلى آخر سلطان بني أمية . ولم يدرك الدولة العباسية .

وكان مليح النادرة ، وإنما سُمي أبوه يسار النسائي لأنه كان يصنع طعام العرس ويبيعه ، فيشتريه منه من أراد التعريس من المتجملين ، ومن لا تبلغ حاله أصطناع ذلك .

وكان أصله من الفرس . وكانت فيهم شعوبية شديدة وتعصب للعجم على العرب ، وله في ذلك أشعار كثيرة يفخر بها الأعاجم . من ذلك القصيدة التي أولها :

لو أبان الغداة رجَعَ الجواب	ما على رسم منزل ^(١) بالجناب
دائم الودق مكفهر ^(٢) السحاب	غيرته الصبا وكلُّ ملث
عائد بالهوى وصفو الجناب	دار هند وهل زمانى بهند
لم تشبه بهجرة وأجتنب	كالذى كان والصفاء مضمون
وهي رؤود كدمية ^(٣) المحراب	ذاك منها إذ أنت كالغصن غصن

(١) الجناب : موضع . (٢) الملت : الدائم أياما لا ينقطع . والودق : المطر .

(٣) الرؤود : الحسنة . والدمية : الصورة .

غَادَةً تَسْتَبِي الْعُقُولَ بَعْدَ ذِ
طَيِّبِ الطَّعْمِ بَارِدِ الْأَنْيَابِ
وَأَثِيثٍ مِنْ فَوْقِ لَوْنِ نَقْيٍ
كَبِيَاضِ اللَّجِينِ فِي (١) الزَّرْيَابِ
فَأَقِلَّ الْمَلَامَ فِيهَا وَأَقْصِرْ
لَجَّ قَلْبِي مِنْ عَوَلَتِي (٢) وَأَكْتَبَانِي
صَاحٍ أَبْصَرْتَ أَوْ سَمِعْتَ بَرَاغٍ
رَدَّ فِي الضَّرْعِ مَا قَرَى فِي (٣) الْعِلَابِ
أُنْقَضَتْ شَرَّتِي وَأَقْصَرَ جَهْلِي
وَأَسْتَرَحْتُ عَوَاذِلِي مِنْ عِتَابِي
يَقُولُ فِيهَا يَفْتَخِرُ بِالْعَجَمِ :

رُبَّ خَالٍ مُتَوَجِّحٍ لِي وَعَمٍّ
مَاجِدٍ مُجْتَدِي كَرِيمِ النَّصَابِ
إِنَّمَا سُمِّيَ الْفَوَارِسُ بِالْفَرِّ
سِ مِضَاهَاةٍ رِفْعَةٍ الْأَنْسَابِ
فَاتَّرَكِي الْفَخْرَ يَا أُمَامَ عَلَيْنَا
وَأَتَّرَكِي الْجَوْرَ وَأَنْطِقِي بِالصَّوَابِ
وَأَسْأَلِي إِنْ جَهِلْتَ عَنَّا وَعَنْكُمْ
كَيْفَ كُنَّا فِي سَالِفِ الْأَحْقَابِ
إِذْ نُرَبِّي بَنَاتِنَا وَتَدُسُّو
نَ سَفَاهَا بَنَاتِكُمْ فِي التُّرَابِ

هو وأشعب في
بيت له

وَسَمِعَ أَشْعَبُ هَذَا الْبَيْتَ بِحُضُورِ جَمَاعَةِ فَقَالَ : صَدَقْتَ وَاللَّهِ يَا أَبَا فَاثِدٍ ، أَرَادَ
الْقَوْمُ بَنَاتِهِمْ لَغَيْرِ مَا أَرَدْتُمُوهُنَّ لَهُ . قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : دَفَنَ الْقَوْمُ بَنَاتِهِمْ خَوْفًا
مِنَ الْعَارِ عَلَيْهِنَ ، وَرَبَّيْتُمُوهُنَّ لَتَلَيَكُوْهُنَّ . فَضَحَكَ الْحَاضِرُونَ حَتَّى اسْتَغْرَبُوا (٤) .
وَحَجَلَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَسَارٍ حَتَّى لَوْ قَدَّرَ أَنْ يَسِيخَ فِي الْأَرْضِ لَفَعَلَ .

وقيل :

افتخر بقومه عند
هشام فعذبوه ونفاه

دَخَلَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَسَارٍ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي خِلَافَتِهِ ، وَهُوَ بِالرُّصَافَةِ
جَالِسٌ عَلَى بَرَكَةٍ لَهُ فِي قَصْرِ ، فَأَسْتَشْدَهُ وَهُوَ يَرِي أَنَّهُ يُدْشِدُهُ مَدِيحًا لَهُ ، فَأَنْشَدَهُ
قَصِيدَةً يَفْخَرُ فِيهَا بِالْعَجَمِ عَلَى الْعَرَبِ ، أَوْهَا :

- (١) الْأَثِيثُ : الشَّعْرُ الْكَثِيرُ ، وَالزَّرْيَابُ : الذَّهَبُ .
(٢) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « لَوْعَةٌ » مَكَانٌ « عَوَلَتِي » .
(٣) قَرَى : جَمَعَ . وَالْعِلَابُ : الْإِنَاءُ يَحْلِبُ فِيهِ .
(٤) اسْتَغْرَبُوا : بِالْغُلَا فِي الضَّحْكَ .

يَا رَبِّعَ رَامَةَ بِالْعَلِيَاءِ مِنْ^(١) رِيمٍ هَلْ تَرْجِعَنَّ إِذَا حَيَّيْتُ تَسْلِمِي
حتى انتهى إلى قوله :

إِنِّي وَجَدْتُكَ لَا عُودِي بِذِي خَوَرٍ عِنْدَ الْحِفَاطِ وَلَا حَوْضِي بِمَهْدُومٍ
أَصْلِي كَرِيمٌ وَبِحَدِي لَا يُقَاسُ بِهِ إِلَى لِسَانٍ كَحَدِّ السَّيْفِ مَسْمُومٍ
مِنْ مِثْلُ كِسْرَى وَسَابُورِ الْجُنُودِ مَعًا وَالْهَرْمُزَانِ لِفَخْرٍ أَوْ لَتَعْظِيمٍ
جَحَاجِحٍ سَادَةٍ بُلُجٍ^(٢) مَرَازِبَةٍ جُرْدٍ عِتَاقٍ مَسَامِيحٍ مَطَائِمٍ
أُسْدُ الْكِتَابِ يَوْمَ الرَّوْعِ إِنْ زَحَفُوا وَهُمْ أَذَلُّوا مُلُوكَ الشَّرْقِ وَالرُّثُومِ
يَمُشُونَ فِي حَلَقِ الْمَآذِي سَابِغَةً مَشَى الضَّرَاغِمَةُ الْأُسْدُ^(٣) اللَّهُامِيمِ
هَنَّاكَ إِنْ تَسَالَى تُذَبِّي بَأْنَ لَنَا جُرْثُومَةً قَهَرْتُ عِزَّ الْجَرَائِمِ

فغضب هشام وقال : يا عاضَّ بَظْرُ أمه ! علىَّ تَفَخَّرْ وإِيَّاي تُنْشِدُ قَصِيدَةً
تَمْدَحُ بِهَا نَفْسَكَ وَأَعْلَاجَ قَوْمِكَ ! غُطُّوه فِي الْمَاءِ . فغَطُّوه فِي الْبَرَكَةِ حَتَّى كَادَتْ
نَفْسُهُ تَخْرُجُ . ثُمَّ أَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ وَهُوَ بَشِيرٌ ، وَنَفَاهُ مِنْ وَقْتِهِ عَنِ الرُّصَافَةِ . وَأَخْرَجَ
مِنْ وَقْتِهِ إِلَى الْحِجَازِ . وَكَانَ مُبْتَلًى بِالْعَصْبِيَّةِ لِلْعَجَمِ وَالْفَخْرِ بِهِمْ ، فَكَانَ لَا يَزَالُ
مَحْرُومًا مَضْرُوبًا مَطْرُودًا .

وقيل :

استقدم الوليدُ بن يزيد إسماعيلَ بن يسار من الحجاز ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا دَخَلَ
إِلَيْهِ أَسْتَنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ الْمِيمِيَّةَ الَّتِي مِنْهَا :

كَلَّمْتُ أَنْتَ الْهَمُّ يَا كَلَّمْتُ وَأَتَمُّ الدَّاءِ الَّذِي أَكْتَمُ

(١) رامة : منزل في طريق البصرة إلى مكة . والريم ، يهمز ولا يهمز : واد قرب المدينة .

(٢) جحاجح : سادة ؛ الواحد : جحجج . والمرازبة : رؤساء الفرس ؛ الواحد : مرزبان .

(٣) الحلق : جمع حلقة ، وهي الدرع . والمآذى : الدروع اللينة السهلة . واللهاميم : جمع لهميم ،

وهو السابق الجواد .

أَكَاثِمِ النَّاسَ هَوًى شَفَفَى وَبَعْضُ كِتْمَانِ الْهَوَى أَحْزَمِ
 قَدْ لُمْتَنِي ظُلْمًا بِلَاظِنَةِ وَأَنْتِ فِيمَا بَيْنَنَا أَلْوَمِ
 أَبْدَى الَّذِى تُخْفِنُهُ ظَاهِرًا أَرْتَدُّ فِيهِ عَنْكَ أَوْ أَقْدَمِ
 إِمَّا بِيَأْسٍ مِنْكَ أَوْ مَطْمَعِ يُسَدِّى بِحُسْنِ الْقَوْلِ ^(١) أَوْ يُلَحِّمِ
 لَا تَتْرُكْنِي هَكَذَا مَيِّتًا لَا أُمْنَحُ الْوُدَّ وَلَا أَصْرَمِ
 أَوْفِي بِمَا قُلْتِ وَلَا تَنْدِمِ إِنَّ الْوَفَى الْقَوْلِ لَا يَنْدَمِ
 آيَةٌ مَا جِئْتُ عَلَى رِقْبَةٍ بَعْدَ الْكَرَى وَالْحَى قَدْ نَوَّمُوا
 وَدُونَ مَا حَاوَلْتُ إِذْ زُرْتَكُمْ أَخَوَكِ وَالْخَالُ مَعًا ^(٢) وَالْحَمِ
 أَخَافْتُ الْمَشَى حِذَارَ الرَّدَى وَاللَّيْلُ دَاجٍ حَالِكٌ مُظْلَمِ
 وَلَيْسَ إِلَّا اللَّهُ لِي صَاحِبٌ إِلَيْكُمْ وَالصَّارِمُ ^(٣) اللَّهُذَمِ
 حَتَّى دَخَلْتُ الْبَيْتَ فَأَسْتَذَرْتُ عَيْنَاكِ لِي مِنْ شَفَقٍ تَسْجُمِ
 ثُمَّ أُنْجَلَى الْحُزْنَ وَرَوْعَاتِهِ وَغَيْبَ الْكَاشِحِ ^(٤) وَالْمُبْرَمِ
 فَبِتُّ فِيمَا شِئْتُ مِنْ نَعْمَةٍ يَمْتَحِنُهَا نَحْرُهَا وَالْقَمِ
 حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ بَدَأَ ضَوْؤُهُ وَغَابَتِ الْجُوزَاءُ وَالْمِرْزَمِ
 خَرَجْتُ وَالْوَطْءُ خَفِيٌّ كَمَا يَنْسَابُ مِنْ مَكْنِهِ الْأَرْقَمِ

فطرب الوليد بن يزيد حتى نزل عن فرشه وسريره ، وأمر المغنين فغنّوا
 الصوتَ وشرب عليه أقداحاً ، وأمر لإسماعيل بجائزة سنّية وكسوة ، وسرّحه
 إلى المدينة .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « الود » مكان « القول » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « والعلم » .

(٣) اللهزم : القاطع .

(٤) المبرم : الخليلس الثقيل .

وقيل :

أنشد عبد الملك
بعد مقتل ابن
الزبير فأجازه

دخل إسماعيلُ بن يسار على عبد الملك بن مروان لما أفضت الخلافةُ إليه ،
بعد مقتل عبد الله بن الزبير ، فسلم ووقف موقف المنشد وأستأذن في الإنشاد ،
فقال له عبد الملك : الآن يا بن يسار ! إنما أنت أمرؤ زبيرى ، لسنا نريد أن تُنشدنا .
فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أصغر شأنًا من ذلك ، وقد صفحتَ عنى هو أعظمُ جرمًا
وأكثر غناءً لأعدائك منى ، وإنما أنا شاعر . فتبسّم عبد الملك ، وأوماً إليه الوليدُ
ابن عبد الملك أن يُنشدّه . فأنشده قوله ، وهو الشعر الذى فيه الغناء :

ألا يا لقومى للشرّقاد^(١) المُشرّد
وللحال بعد الحال يرّكبا الفقى
وللمرء يلحى فى التّصاوى وقبله
وكيف تناسى القلبِ سلمى وحُبها
وللماء ممّوعاً من الحائم الصّدى
وللحُبّ بعد السّلوّة التّمرد
صبا بالقوافى كلّ قرم مُجدّد
كجمر الغضى تحت الشّراسيف^(٢) موقّد
حتى انتهى إلى قوله :

إليك إمامَ الناس من أرض يثرب
رحلنا لأنّ الجود منك خليفة
ملكْتَ فزِدْتَ الناسَ ما لم يزِدْهُمْ
وقلتَ^(٤) فلم تنقُضْ قضاءَ خليفة
ولكنّ بما ساروا من العدل^(٥) تقنّدى
وأسندتَه ما تاتلى خير مُسند
وليّين للعهد الوثيق المؤكّد
جعلتَ هشاماً والوليدَ ذخيرةً

(١) فى بعض أصول الأغاني : « المسهد » مكان « المشرّد » .

(٢) الشّراسيف : الأضلاع .

(٣) المصدرد : القليل .

(٤) فى بعض أصول الأغاني : « وقمت » .

(٥) فى بعض أصول الأغاني : « من الفعل » .

فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا عَبْدُ الْمَلِكِ مُتَبَسِّمًا ، وَالتَفَتَ إِلَى سُلَيْمَانَ فَقَالَ : أَخْرَجْتُ إِسْمَاعِيلَ
مِنْ هَذَا الْأَمْرِ . فَقَطَّبَ سُلَيْمَانُ وَنَظَرَ إِلَى إِسْمَاعِيلِ نَظْرَ مُغْضَبٍ . فَقَالَ إِسْمَاعِيلُ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا وَزَنَ الشَّعْرَ أَخْرَجَهُ مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ، وَقَدْ قُلْتُ بَعْدَهُ :
وَأَمْضَيْتَ عَزْمًا فِي سُلَيْمَانَ رَاشِدًا وَمَنْ يَعْتَصِمَ بِاللَّهِ مِثْلَكَ يَرْشُدْ
فَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِي دِرْهَمٍ ، وَزَادَ فِي عَطَائِهِ ، وَفَرَضَ لَهُ ، وَقَالَ لِأَوْلَادِهِ : أَعْطُوهُ .
فَأَعْطَوْهُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ :

أخبار النابغة الجعدي

وهو حَبَّان بن قيس بن عبد الله بن وَحَّوح بن عُدَّس بن ربيعة بن جَعْدَة
ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور
ابن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر. وَيُكْنَى أبا لَيْلَى .
وَأُمُّهُ فَاخِرَةُ بِنْتُ عَمْرِو الْأَسَدِيَّةِ .

وُسِّى النابغةُ لَأَنَّهُ أَقَامَ مُدَّةً لَا يَقُولُ الشَّعْرُ ثُمَّ نَبَغَ فَقَالَ .
وقيل : أقام ثلاثين سنة لا يتكلم ثم تكلم بالشعر .

وقيل : كان قديماً شاعراً مُفْلِقاً طَوِيلَ الْبَقَاءِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ ، وَإِنَّهُ
أَكْبَرُ مِنَ النابغة الذبياني . وهو القائل :

وَمَنْ يَكُ سَائِلاً عَنِّي مِنْ الْفَتَيَانِ أَيَّامَ ^(١) الْخُنَانِ
أَتَتْ مَائَةٌ لَعَامٌ وَلِدْتُ فِيهِ وَعَشْرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَحِجَّتَانِ
فَقَدْ أَبَقْتُ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنِّي كَمَا أَبَقْتُ مِنَ السَّيْفِ الْيَمَانِي

وعمر بعد ذلك عمراً طويلاً . وأراد النابغةُ بأيَّامِ الْخُنَانِ وَقَعَةَ كَانَتْ لَهُمْ ، قَالَ
قَاتِلُ مِنْهُمْ ، وَقَدْ لَقُوا عَدُوَّهُمْ : خُنُوهُمْ ^(٢) بِالرَّمَا ح . فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْعَامُ عَامَ الْخُنَانِ .
ومما يدلُّ على أَنَّهُ أَقْدَمُ مِنَ النابغة الذبياني أَنَّهُ عُمِّرَ مَعَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْمُحَرِّقِ قَبْلَ
الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ ، وَكَانَ النابغة الذبياني مَعَ الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ فِي عَصْرِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ

(١) الْخُنَانُ : دَاءٌ يَأْخُذُ فِي حُلُقِ الطَّيْرِ وَعَيْنِهَا ، وَالْإِبِلُ فِي مَنَاخِرِهَا . وَيُشِيرُ إِلَى مَا كَانَ
أَيَّامَ الْمُنْذِرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ .

(٢) خُنُوهُمْ : أَقْطَعُوهُمْ .

قَدَمَ ، إِلَّا أَنَّهُ مَاتَ قَبْلَ الْجَعْدَى ، وَلَمْ يُدْرِكِ الْإِسْلَامَ . وَأَدْرَكَهُ النَّابِغَةُ الْجَعْدَى
الَّذِى يَقُولُ :

تَذَكَّرْتُ شَيْئًا قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ وَمِنْ عَادَةِ الْمَحْزُونِ أَنْ يَتَذَكَّرَا
كُهُولٌ وَفَتِيَانٌ كَأَنَّ وَجُوهَهُمْ دَنَايَرُ مِمَّا شِيفَ (١) فِي أَرْضٍ قَيْصَرَا
وَعُمَّرَ مِائَةً وَثَمَانِينَ سَنَةً ، وَقَالَ :

لَبَسْتُ أَنَسًا فَأَفْنَيْتُهُمْ وَأَفْنَيْتُ بَعْدَ أَنَسٍ أَنَسًا
ثَلَاثَةَ أَهْلِينَ أَفْنَيْتُهُمْ وَكَانَ الْإِلَهُ هُوَ الْمُسْتَأْسَا

وهى قصيدة طويلة يقول فيها :

وَكُنْتُ غَلَامًا أَقَاسَى الْخُرُ بَ يَلْقَى الْمُقَاسُونَ مَنَى الْمِرَاسَا
فَلَمَّا دَنَوْنَا لَجَرَسِ النَّبَا حَ لَمْ نَعْرِفِ الْحَى إِلَّا التَّمَاسَا
أَضَاءَتْ لَنَا النَّارُ وَجَهًا أَغْرَرْتُ مُلْتَبَسًا بِالْجَمَالِ (٢) أَلْتَبَاسَا

وَقِيلَ : إِنَّ النَّابِغَةَ الْجَعْدَى أَنْشَدَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْيَاتِهِ السَّيْنِيَّةَ
الَّتِى يَقُولُ فِيهَا :

* ثَلَاثَةَ أَهْلِينَ أَفْنَيْتُهُمْ *

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : كَمْ لَبَسْتَ مَعَ كُلِّ أَهْلٍ ؟ قَالَ : سِتِّينَ سَنَةً .
وَذَكَرَ ابْنُ قُتَيْبَةَ أَنَّهُ عَاشَ مِائَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَمَاتَ بِأَصْبَهَانَ .
قَالَ أَبُو الْقَرَجِ :

وَمَا ذَاكَ بِمُنْكَرٍ ، لِأَنَّهُ قَالَ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّهُ أَفْنَى ثَلَاثَةَ قُرُونٍ ، كُلُّ
قَرْنٍ سِتِّينَ سَنَةً ، فَهَذِهِ مِائَةٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً ، ثُمَّ عُمَّرَ بَعْدَهُ فَكَثَّ إِلَى أَيَّامِ عَبْدِ اللَّهِ

(١) سَافَ السَّيْفُ : جَلَاهُ . (٢) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِى : « بِالْفَوَادِ »

ابن الزُّبير ، وقَدِمَ عليه بمكة ، وقد دعا لنفسه وأُستَماحه ومدحه . وبين عبد الله ابن الزُّبير وبين عُمرَ نَحْوُ مما ذَكَرَ ابنُ قُتَيْبَةَ . فلا شك أنه بلغ هذه السنين .
وهاجى أوس بن مَعْرَاءَ بِحُضْرَةِ الْأَخْطَلِ ، والعجَّاج ، وكعب بن جُعَيْل ، فغلبه
أوس ، وكان ^(١) مُغَلَّبًا .

هاجى ابن مَعْرَاءَ
فغلبه

قدومه على النبي
صلى الله عليه
وسلم ومدحه

وقيل : قدم النابغةُ الجعديُّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه
بقصيدة ، منها :

بلغنا السماءَ مَجْدُنَا وَجُدُودُنَا وإنا لنرجو فوق ذلك مَظْهَرًا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : فأين المَظْهَرُ يا أبا لَيْلَى ؟ فقال : إلى الجنة . فقال
صلى الله عليه وسلم : قل إن شاء الله . فقال : إن شاء الله . ومن هذه القصيدة :
ولا خَيْرَ في حِلْمٍ إذا لم يكن له بَوَادِرُ تَحْمَى صَفْوُهُ أَنْ يُكَدَّرَا
ولا خَيْرَ في جَهْلٍ إذا لم يكن له حَلِيمٌ إذا ما أورد الأمرَ أَصْدَرَا
فقال صلى الله عليه وسلم : لا يَقْضُضُ اللهُ فَاك . فلقد أتت عليه مائةُ سنةٍ
أو نحوها وما أنْفَضَ مِنْ فِيهِ سِنٌ .

وكان النابغةُ مِمَّنْ أَنْكَرَ الْخَمْرَ وَالشُّكْرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَهَجَرَ الْأَصْنَامَ وَالْأَزْلَامَ . في جاهليته
وروى أنه دَخَلَ على عثمان بن عفَّانَ رضى الله عنه فقال : أَسْتودِعُكَ اللهُ
يا أمير المؤمنين . قال : وأين تُريدُ يا أبا لَيْلَى ؟ قال : أَلْحَقُ بِإِبِلِي فَأَشْرَبُ مِنْ أَلْبَانِهَا ،
فإِنِّي أَنْكَرُ نَفْسِي . قال : أَنْعَرُبًا ^(٢) بعد الهِجْرَةِ يا أبا لَيْلَى ! أما علمتَ أن ذلك
مَكْرُوهٌ ؟ قال : ما علمتُهُ ، وما كنتُ لأُخْرِجُ حَتَّى أُعْلِمَكَ . فَأُذِنَ لَهُ وَأَجَّلَهُ فِي ذَلِكَ

استئذانه عثمان في
سكنى البادية

(١) مغلب : يغلب كثيراً .

(٢) تعرب الرجل : صار أعرابياً بعد أن كان عربياً . وفي الحديث : ثلاث من الكبائر ،
منها : التعرب بعد الهجرة . وهو أن يعود إلى البادية ويقيم مع الأعراب بعد أن كان مهاجراً .

أَجَلًا . فدخل على الحسن والحسين رضى الله عنهما فودعهما . فقالا له : أنشدنا من شعرك يا أبا ليلى . فأنشدهما :

الحمدُ لله لا شريكَ له من لم يقلها فنفسه ظمًا

فقال له الحسن : ما كنّا نرى هذا الشعر يا أبا ليلى إلا لأمية بن أبي الصلت . فقال : يا بن رسول الله ، إني لصاحبُ هذا الشعر ، وإن السروق عين السروق من سرق شعر أمية .

وحضر النابغة الجعدي مع علي رضى الله عنه حرب صفيين .

شهد صفين
مع علي

وقيل : إن النابغة هاجى أوس بن مغراء ، ولم يكن أوس مثله ولا قريباً منه في الشعر . فقال النابغة : إني وإياه لبنتدر بيتاً ، أينما يسبق إليه يغلب صاحبه . فلما بلغه قول أوس :

مهاجاته أوس بن
مغراء وليلى

لَعَمْرُكَ مَا تَبَلَّى سَرَايِلُ^(١) عَامِرٍ مِنَ اللُّؤْمِ مَا دَامَتْ عَلَيْهَا جُلُودُهَا

قال النابغة : هذا البيت الذي كنّا نبتدر إليه ، فغلب عليه أوس^(٢) .

وهاجى النابغة لىلى الأخيلية :

أَلَا حَيَّا لَيْلَى وَقُولَا لَهَا هَلَا فَقَدْ رَكِبْتُ أَيْرَاءً أَعْرَ مُحَجَّلَا

وكيف أهاجى شاعراً رُفِحه أُسْتُهُ خَضِيبَ الْبَنَانِ لَا يَزَالُ مُكْحَلَا

فأجابته لىلى الأخيلية فقالت :

أَنَابِعُ إِنْ تَنَبَّعْ بَلُؤْمُكَ لَا تَجِدْ لِلْؤْمِكِ إِلَّا وَسْطَ جَعْدَةٍ مُجْعَلَا

تَعَيَّرْنِي دَاءً بِأُمِّكَ مِثْلَهُ وَأَيَّ حَصَانٍ لَا يُقَالُ لَهَا هَلَا

فغلبته .

(١) السراييل : جمع سرايل ، وهو القميص والدرع .

(٢) سبق شيء (ص : ٦١٥) عن مهاجاته لأوس .

وفوده على
ابن الزبير

وذكر أنه أقحمت السنة^(١) نابغة بنى جعدة ، فدخل على ابن الزبير المسجد الحرام ، فأنشده :

حكيت لنا الصديق لما^(٢) أتيتنا وعثمان وال فاروق فأنزاح^(٣) مُعْدم
أتاك أبو ليلى يحوب به الذجي دجى الليل جوابُ الفلاة^(٤) عثْمْ
لتجبر منه جانباً دَعْدَعَتْ به صروفُ الليالى والزمانُ المصم

فقال له ابن الزبير : هوّن عليك أبا ليلى ، فإن الشعر أهونُ وسائلك عندنا ، أما صفوةُ مالنا فلأل الزبير ، وأما عِفْوته^(٥) فإن بنى أسد بن عبد العزى تشغلها عنك . ولكن لك فى مال الله حقان : حق برويتك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحق بشركتك أهل الإسلام فى فيئهم . ثم أخذ بيده فدخل به دار النعم فأعطاه قلائصَ سباعاً وجمالاً رجلاً^(٦) ، وأوفّر له الرّكابُ بُراً وتمرّاً وثياباً . فجعل النابغةُ يستعجل فياً كل الحبّ صِرْفاً . فقال ابنُ الزبير : ويح أبى ليلى ! لقد بلغ به الجهدُ . فقال النابغة : أشهد لقد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما وليتُ قريشَ فعُدتْ ، وأسُرتُهم فرحمت ، وحدثتُ فصدقت ، ووعدتُ فأنجزت ، فأنا والنبِيُّونَ فُرَاطٌ لها ضُمن . وفى رواية : فُرَاطُ القاصفين^(٧) .

وقيل :

لما خرج على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى صفين خرج ومعه نابغة بنى جعدة ، فساق به يوماً فقال :

(١) السنة : الحذب والقحط . وأقحمته : قذفت به . يريد نزوحه من البادية إلى الريف حيث الحاضرة والماء . (٢) فى بعض أصول الأغاني : « وليتنا » مكان « أتيتنا » .

(٣) فانزاح معدم ، أى لم يبق معدم . والرواية فى بعض أصول الأغاني : « فارتاح معدم » .

(٤) العثْم : الجمل الشديد الطويل .

(٥) العفوة : أحل المال وأطيبه . (٦) الرجيل : القوى على السير .

(٧) الفراط : المتقدمون . والقاصفون : المزدحمون .

قد عِلِمَ المِصْرانَ والعِراقُ أنَّ عليًّا فُهلها^(١) العُتاقُ
 أبيضُ جَحْجَاحٍ له رُواق وأُمُّه غالى بها الصَّـداقُ
 أكرمُ من شُدَّ بها النِّطاق إنَّ الألى جاروك لا أفاقوا
 لكم سِيقٌ ولهم سِيق قد علمتْ ذلكمُ الرِّفاقُ
 سَقَمَ إلى نَهْجِ الهدى وساقوا إلى التي ليس لها^(٢) عِراقُ
 في مِلَّةٍ عادتْها النِّفاقُ

فلَمَّا قَدِمَ معاويةُ بنَ أبي سُفيانِ الكوفةَ ، قام النابغةُ بين يديه فقال :
 أَلَمْ تَأْتِ أَهْلَ المَشْرِقِينَ رِسالتي برأى^(٣) نَصيحَ لا يَبِيتُ على العَتَبِ
 مَلِكُكُمْ فَكانَ الشَّرُّ آخِرَ عَهْدِكُمْ لئنْ لَمْ تَدَارِكْكُمْ حُلُومُ^(٤) بَنِي كَعْبِ
 وَقَدْ كانَ معاويةُ كَتَبَ إلى مَروانَ بنِ الحَكَمِ ، فأخَذَ أَهْلَ النابغةِ ومالَهُ .
 فَدَخَلَ النابغةُ على معاويةَ ، وعِنْدَهُ عبدُ اللَّهِ بنَ عامرٍ ومَروانُ ، فَأَنشَدَهُ :

مَنْ رَاكِبٌ يَأْتِي أَبْنَ هَندٍ بِحَاجَتِي بِكُوفانَ^(٥) والأَنْبَاءُ تَمْنَى وَتُجَلَبُ
 فَيُخْبِرُ عَنِّي ما أَقولُ أَبْنَ عامرٍ وَنِعَمَ الفَتَى ياوِي إِلَيْهِ^(٦) المُعَصَّبُ
 فَإِنْ أَخَذُوا أَهْلِي وَمالِي بِظَنَّةٍ فَإِنِّي لِحَرَّابِ الرِّجالِ^(٧) مُحَرَّبُ
 صَبُورٌ على ما يَكْرَهُ المَرءُ كُلَّهُ سِوَى الظُّلَمِ إِنِّي إِنْ ظَلَمْتُ سَأَغْضَبُ

فَأُلْتَفَتَ معاويةُ إلى مَروانَ وقالَ : ما تَرى ؟ قالَ : أَرى الأَتْرَدَ عَلَيهِ شَيْئًا . قالَ :
 ما أَهوَنَ وَاللَّهِ عَلَيبُكَ أَنْ يَنْجَحِرَ هَذا في غارٍ ثُمَّ يَقْطَعُ عِرْضِي عَلَيَّ ثُمَّ تَأْخُذَهُ العَرَبُ

(١) المِصْران : الكوفة والبصرة . والعِتاق ، أى الكَريم .

(٢) أى إلى مُضِلَّة لا نِهايةَ لها . (٣) فى بعض أصول الأغاني : « وأى » .

(٤) فى بعض أصول الأغاني : « حرب » .

(٥) كوفان : الكوفة . وفى بعض أصول الأغاني : « على النَّأى » مكان « بكوفان » .

(٦) المُعَصَّب : الذى عَصَبَتْهُ السَّنُون وأَكَلَتْ مالَهُ .

(٧) حَراب مُحَرَّب ، أى شَدِيد الكَيْد والنِّكاية .

فترويه . أما والله إن كنت لمن يرويه ! أردد عليه كل شيء أخذت منه .

شعره الذي فيه
الغناء

والشعر الذي فيه الغناء ، وأفتتح به أبو الفرج أخبار النابغة الجعدي ، شعره قاله
النابغة يُخاطب به عِقال بن خُوَيْلِد العُقَيْلِي يحذره غِبَّ الظُّلْم ، لما أجار بني وائل
ابن معن الباهليين ، وكانوا قتلوا رجلاً من بني جعدة ، فحذروهم مثل حرب
البسوس إن أقاموا على مثل ذلك فيهم ، وهو :

فأبلغ عِقالاً أن غاية داحسٍ	بكفئك فاستأخر لها أو تقدّم
تُجِير علينا وائلاً في دمانا	كأنك عما ناب أشياءنا عم
كليبُ لعمري كان أكثر ناصرًا	وأيسرَ جرماً منك ضُرِّج بالدم
رمى ضرع نابٍ فاستمرَّ بطعنةٍ	كحاشية البُردِ اليماني المسهم

ثم استطرد أبو الفرج بذكر وقعة البسوس ، فنذكرها مختصرة .

ذِكْرُ حَرْبِ الْبَسُوسِ

قالت الرواة :

سبها

كان كليب بن ربيعة بن سنان بن مرثد بن عبد بن عمرو بن بشر بن مرثد، أخو بني قيس بن ثعلبة، قد ساد ربيعة، فبغا بغياً شديداً. وكان هو الذي يُنزلهم منازلهم ويُرحّلهم، فلا ينزلون ولا يرّحلون إلا بأمره. فبلغ من عزّه وبغيه أنّه اتخذ جرّو كلب، فكان إذا نزل منزلاً فيه كلاًّ قذف ذلك الجرّو فيعوى، فلا يرعى أحدٌ ذلك الكلاًّ إلا بأمره. وكان يفعل ذلك بحياض الماء، فلا يردها أحدٌ إلا بإذنه، أو من آذن بحرب. فضرب به المثلُ فقيل: أعزُّ من كليب وائل. وكان يحمي الصيد فيقول: صيدُ ناحية كذا وكذا في جوارى. فلا يصيد أحدٌ منه شيئاً. وكان لا يمرُّ بين يديه أحدٌ إذا جلس، ولا يمتبى في مجلسه غيره. وكان لمرّة بن ذهل بن شيبان عشرة بنين، جساس أصغرهم. وكانت أختهم زوجة كليب. وكانت البسوس خالة جساس بن مرّة. وهى التى يضرب العرب المثل بشؤمها فيقولون: أشأم من البسوس. فنزلت على ابن أختها جساس. وكانت جارةً لبني مرّة، ومعها ابنٌ لها، ولها ناقة خوّارة^(١) من نعم بني سعد، ولها فصيل معها. فبينما زوجة كليب، وهى أخت جساس بن مرّة، يوماً تغسل رأس كليب بن ربيعة وتُسرحه إذ قال لها: من أعزُّ وائل؟ فصمتت. فأعادها. فلما أكثر عليها قالت: أخواى: جساس وهمام. فنزع رأسه من يدها وأخذ القوس فرمى فصيل ناقة البسوس، خالة جساس وجارة بني مرّة، فقتله. فأغضوا على ما فيها وسكتوا على ذلك. ثم لقي كليب بن ربيعة جساس بن مرّة^(٢)، فقال: ما فعل

(١) خوّارة: حسنة جميلة. (٢) فى بعض أصول الأغاني: «ابن البسوس».

فصیلُ نأقتکم؟ قال: قتلته وأخليت لنا لبن أمه. فأغضوا على هذه أيضاً. ثم إن كليباً أعاد على أمراته فقال: من أعزُّ وائل؟ قالت: أخوای. فأضمرها وأسرّها وسكت، حتى مرّت به إبل جسّاس، فرأى الناقة فأنكرها، فقال: ماهذه الناقة؟ قالوا: لخالة جسّاس. فقال: أو قد بلغ من أمر ابن السعدية أن يحير علىّ بغير إذني! فأخذ القوس فرمى ضرع الناقة. فأختلط دمهّا بلبنها. فراحت الرعاة إلى جسّاس وأخبروه بالأمر. فقال: احلبوا مكيالاً لبن لها ولا تذكروا لها من هذا شيئاً. ثم أغضوا على ذلك أيضاً. وسكت جسّاس حتى ظعن بنو بكر وبنو تغلب، ابني وائل. فمرّت بكر بن وائل على نهى^(١) يقال له: شُبَيْث، فنهاهم^(٢) كليب عنه، وقال: لا يذوقون منه قطرة. ثم مرّوا على نهى آخر يقال له: الأحص. فمنعهم إياه أيضاً. فمضوا حتى نزلوا الذنائب. وأتبعهم كليب وحيه حتى نزلوا عليه. ثم مرّ عليه جسّاس وهو واقف على غدير الذنائب، فقال: طردت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشاً! فقال كليب: ما منعناهم من ماء إلا نحن له شاغلون. فناداه جسّاس فقال: هذا كفيلك بناقة خالتي! فقال: أو قد ذكرتّها! أما إني لو وجدتُها في غير إبل مرة لاستحلّمت تلك الإبل بها. فعطف عليه جسّاس بن مرة فرسه فطعنه بالرّمح فأنفذ حِصْنِيه. فقال: يا جسّاس، أسقني الماء. فقال: ما عقلت استسقاءك الماء منذ ولدتك أمك إلا هذه الساعة. وعطف عليه المزدلف بن عمرو ابن أبي ربيعة فاحتزّ رأسه.

وكان همّام أخو جسّاس صديقاً لمهلل بن ربيعة، أخى كليب، وكان عاقدّه
 ألا يكتّمه شيئاً. ولما قتل جسّاس كليباً كان همّام ومهلل جالسين، ومرّ جسّاس
 بعد أن قتل كليباً يركض فرسه مخرجاً فخذيه. فقال همّام أخوه: إن له لأمرأ! والله
 ما رأيته كاشفاً فخذيه في ركض قطّ. فلم يلبث قليلاً حتى جاءته خادمه فسارته

(١) النهى: الغدير. (٢) في بعض أصول الأغاني: «ففناهم».

بأنَّ جَسَّاسًا قَتَلَ كُليِّبًا . فقال : ما أَخْبَرْتُكَ ؟ قال : أَخْبَرْتُنى أَنَّ أَخى قَتَلَ أَخاك .
فقال : هو أَضيقُ أَسْتًا مِنْ ذَلِكَ !

جَسَّاس
وَأَبُوهُ مَرَّة

وَجاءَ جَسَّاسٌ إِلَى أَبِيهِ مَرَّةً . فقال : ماوراءُكَ يا بُنَى ؟ فقال : ورائى أَنّى طَعَنْتُ
طَعْنَةً لَتُسْغَلَنَّ بِها شُيوخُ بَنى وائِلَ زَمَنًا . قال : أَقَتَلْتَ كُليِّبًا ؟ قال : نَعَمْ . قال :
وَدِدْتُ أَنَّكَ وَإِخْوَتَكَ مِثْمَ قَبْلِ هَذَا ! ما بى إِلَّا أَنْ يَتَشَاءَ بى أَبْناءُ وائِلَ .

بَنُو تَغْلِبَ
وَمَرَّةُ بَنِ ذَهَلِ

وَلَمَّا قَتَلَ كُليِّبَ ، قالَتِ بَنُو تَغْلِبَ قَوْمُهُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لا تَعْجَلُوا عَلَى إِخْوَتِكُمْ
حَتَّى تُعْذَرُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ . فأنْطَلَقَ رَهْطٌ مِنْ أَشْرافِهِمْ وَذَوَى أَسْنامِهِمْ حَتَّى أَتَوْا
مَرَّةَ بَنِ ذَهَلِ ، أبا جَسَّاسَ ، فَعُظِّمُوا ما بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ وَقَالُوا : اخْتَرْ مَنَّا خِصَالًا : إِمَّا أَنْ
تَدْفَعَ إلينا جَسَّاسًا فنَقْتَلَهُ بِصاحِبِنا ، فَلَمْ يَظَلِّمْ مِنْ قَتْلِ قاتِلِهِ ؛ وإِمَّا أَنْ تَدْفَعَ إلينا
هَمَّامًا ؛ وإِمَّا أَنْ تُقَيِّدَنا مِنْ نَفْسِكَ . فَسَكَتَ ، وَقَدَّ حَضَرَتْهُ وُجُوهُ بَنى بَكْرِ بْنِ
وائِلَ ، فَقَالُوا : تَكَلِّمْ غَيْرَ نَحْذُولٍ . قال : أَمَّا جَسَّاسٌ فَإِنَّهُ غَلامٌ حَدِيثُ السَّنِّ رَكَبَ
فَرَسَهُ فَهَرَبَ حِينَ خافَ ، فَلاعِلِمَ لى بِهِ . وَأَمَّا هَمَّامٌ فَأَبْوَ عَشْرَةَ ، وَعَمَّ عَشْرَةَ ، لو دَفَعْتُهُ
إِلَيْكُمْ لَصَيَّحَ بَنُوهُ فى وَجْهِى وَقَالُوا : دَفَعْتَ أَبا نا لِيُقْتَلَ بِجَريرةٍ غَيْرِهِ . وَأَمَّا أنا
فَلَا أَتَعَجَّلُ المَوْتَ ، وَهَلْ تَزِيدُ الخَيْلُ عَلَى أَنْ تَجُولَ جَوْلَةً فَأَكُونَ أَوَّلَ قَتِيلٍ !
وَلَكِنْ هَلْ لَكُمْ فى غَيْرِ ذَلِكَ : هَؤُلاءِ بَنى فَخَذُوا أَحَدَهُمْ فَأَقْتَلُوهُ بِهِ ، وَإِنْ شِئْتُمْ
فَلَكُمْ أَلْفُ نَاقَةٍ تَضُمُّنَها لَكُمْ بَكْرِ بْنِ وائِلَ . فَغَضِبُوا وَقَالُوا : إِنَّا لَمْ نَأْتِكَ لِنُرْزَلَ
لِنا بَنِيكَ ^(١) ، وَلا لِنَسْومَنا اللَّبْنَ ! فَتَفَرَّقُوا ، وَوَقَعَتِ الحَرْبُ بَيْنَهُمْ .

كَلِمَةُ الحارِثِ
ابْنِ عِبادٍ

وَتُسَكِّمُ فى ذَلِكَ عِنْدَ الحارِثِ بَنِ عِبادٍ فَقَالَ : لا نَاقَةَ لى فى هَذَا وَلا جَمَلَ . وَهُوَ
أَوَّلُ مَنْ قَالَهَا . فَذَهَبَتْ مِثْلًا .

وَكانَتِ الحَرْبُ بَيْنَهُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً . وَكانَ بَيْنَهُمْ فى تِلْكَ السَّنِينَ خَمْسَ وَقَعَاتٍ

الحَرْبِ بَيْنَ الحَيِّينَ

(١) أَى تَعْطِينَا رِذالَ بَنِيكَ .

مُزاحفات ، وفيما بين تلك الوقعات مُغاورات ^(١) : كان الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ ،
والرَّجُلانِ الرَّجُلَيْنِ ، ونحو هذا . وكانت تارة يكون الظُّهُورُ لبكر ، وتارة لتغلب ،
وتارة يَنْتَصِفُ كُلُّ مَنْهُم من صاحبه .

مقتل همّام

وفي بعض تلك الحُرُوب قُتِلَ همّام بن مُرة أخو جَسَّاس . وكان من حديث
قَتَلَهُ أَنَّهُ وَجَدَ غُلَامًا مَطْرُوحًا ، فالتقطه ورَبَّاه وسمّاه : ناشرة ، فكان عنده لقيطًا .
فلما شَبَّ فإذا هو من تغلب . فلما التقوا جعل همّام يُقاتل ، فإذا عطش رَجَعَ إلى قِربة
فشَرِبَ منها ، ثم وضع سلاحه . فوجد ناشرةً من همّام غَفَلَةً ، فشدَّ عليه ^(٢) بالعِزَّة
فأَقْصَدَهُ فقتله ، ولحق بقومه تغلب .

مشاركة الحارث
ابن عباد

فكان رئيسَ بكر ، بعد همّام بن مُرة ، الحارثُ بن عباد ، وكان قد اعتزل
الحرب لما قُتِلَ كُليب واستعظم قَتْلَ كُليب في سُودده لناقته . فقتل مهلهلُ بن ربيعة
بُجَيْرًا ، ابن أخى الحارث — وقيل : بل هو ابن الحارث نفسه — وقال حين
قتله : بُؤْ بِشِيعِ نَعْلِ كُليب ! وبلغ قتله الحارث فقال : نَعِمَ الغُلَامُ غُلَامٌ أَصْلَحُ
بين أبنى وائِل ! فلما سمعت بكرٌ قولَ الحارث قالوا له : إِنَّ مُهْلِلًا لما قَتَلَهُ قال :
بُؤْ بِشِيعِ نَعْلِ كُليب ! فغضب الحارثُ عند ذلك ونادى بالرَّحِيل ، وقال :

قَرَبًا مَرَبَطَ النَّعْمَاةَ مِنِّي لَقِحتُ حربُ وائِلَ عن ^(٣) حِيَالِي
لَا بُجَيْرُ أَغْنَى قَتِيلًا وَلَا رَهْ طُ كُليبِ تَزَاجِرُوا عَن ضَلالِ
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا شَهِدَ اللَّهُ لَهُ وَإِنِّي بِمَجَرِّهَا الْيَوْمَ صَالِي

ثم كانت بين الفريقين وقعةٌ أسرف فيها الحارثُ بنُ عباد مُهْلِلًا وهو لا يعرفه ، فقال أسرار الحارث لمهلهل

(١) مغاورات : يغير فيها بعضهم على بعض .

(٢) العِزَّة : شبه العكازة ولها زج من أسفلها .

(٣) النعامة : فرسه . ولقحت : حملت . والحِيَال : ألا تحمل الأثني . يريد : هاجت الحرب بعد

له : دُلّني على مُهلهل . فقال : ولي دَمِي؟ قال : ولك دُمُك . قال : ولي ذِمَّتْكَ وذِمَّةُ
أبيك؟ قال : نعم . قال : فأنا مُهلهل . قال : فدُلّني على كُفء لبُجير . قال :
لا أعلمه إلا امرأ القيس بن أبان ، هذاك علمه . فجزّ الحارث ناصية مُهلهل وأطلقه ،
وقصد قصْد امرئ القيس فقتله ببُجير .

وخرج مُهلهل بعد الأسر فلاحق بأرض اليمى ، فكان في جنب^(١) . فخطب
إليه أحدُهم أبنته . فأبى أن يفعل . فأكرهوه . فأنكحها إِيَّاه ، وقال في ذلك :
خروج مهلهل
ولا كراهه على
تزيوج ابنته

أنكحها فقَدُّها الأراقم^(٢) في
لو بأبانين^(٣) جاء يخطبها
أصبحتُ لا مُنْفساً^(٤) أصبتُ ولا
هان على تغلب بما لقيتُ
ليسوا بإخواننا^(٥) الكرام ولا
جَنبٍ وكان الحباء من أَدَمِ
ضُرِّج ما أنفُ خاطبٍ بَدَمِ
أُبت كريمةً حُرّاً من النَّدَمِ
أُختُ بنى المالِكين من جُشَمِ
يُغْنُون من عَيْلَةٍ ولا عَدَمِ
ومات جَسَّاس بن مُرّة — فيما ذُكر — حتف أنفه .

وقيل :

ترحيل جلييلة
عن ماتم كليب

لما قتل جَسَّاس كُليلاً أُجتمعت نساء الحى فقلن لأخت كليب : رحّلى جلييلة بنت
مُرّة ، أخت جَسَّاس ، عن مأتمنا ، فإن قيامها فيه شماتة وعارٌ علينا عند العرب .
فقلت لها : أخرجى عن مأتمنا ، فأنت أختُ وَاثرنا وشقيقة قاتلنا . فخرجتُ وهى تجرُّ
أعطافها . فلقيا أبوها مُرّة فقال : ما وراءك يا جلييلة؟ قالت : تُكَلِّ العَدَدَ ،
وحُزن الأبد ؛ وفقد حليل ، وقتل أخٍ عمّا قليل ؛ وبين ذَيْن غرسُ الأحقاد ،

(١) جنب : حى باليمن من مذحج .

(٢) الأراقم : حى من تغلب .

(٣) أبانان : جيلان .

(٤) النفس : المال الكثير . (٥) فى بعض أصول الأغاني : « بأكفائنا » .

وتفتت الأكباد . قال : أويكف عن ذلك كرم الصفح وإغلاء الديات ؟ فقالت :
أمنية مخدوع ورب الكعبة ، إنك لتعلم أن تغلب لا تدع دم ربها لك .
وقيل : قالت أخت كليب لما رحلت جليلة : رحلة المعتدى ، وفراق الشامت ،
ويل غداً لآل مرة ، من الكرة بعد الكرة . فبلغ قولها جليلة ، فقالت : كيف
تسمت الحرة بهتك سترها ، وترقب وترها . وأنشأت تقول :

يأبنة الأقيوم إن شئت فلا	تعجلي باللوم حتى تسألي
فإذا أنت تبينت الذي	يوجب اللوم فلومي واعذلي
إن تكن أخت أُمريء ليمت على	شفق منها عليه فافعلي
جلّ عندي فعلُ جساس فيا	حسرتي عما انجلت أو تنجلي
فعلُ جساس على وجدى به	قاطع ظهري ومُذن أجلى
لو بعين فقت عيني سوى	أختها فانفقت لم أحفل
يا قتيلاً قوّض الدهرُ به	سقف بيتي جميعاً من عل
هدم البيت الذي استحدثته	وأثنى في هدم بيتي الأول
ورماني قتله من كُشب	رمية المصمى به المستأصل
يا نيسأى دونكن اليوم قد	خصني الدهرُ برزء مُعضل
خصني قتلُ كليب بلظي	من ورأى ولظي مُستقبلي
ليس من يبكي ليوميه كمن	إنما يبكي ليوم ينجلي
يشفي المدرك بالثأر وفي	دركي بالثأر ثكل ^(١) المُشكل
ليته كان دمي فاحتلبوا	بدلاً منه دماً من ^(٢) أكل
إنني قاتلة مقتولة	فلعل الله أن يرتاح لي

(١) المُشكل : التي لازمها الحزن .

(٢) الأكل : عرق في الذراع .

(*) أخبار ابن قيس الرقيات

هو عُبَيْدُ اللَّهِ بن قَيْس بن شُرَيْح بن مَالِك بن ربيعة بن أَهْيَب بن ضُبَاب بن حُجَيْر بن عَبْدِ بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَيٍّ بن غالب بن فِهْر بن مَالِك بن النَضْر .
 وأمّه قَتِيلَةُ بنت وَهَب بن عبد الله . من بنى بكر بن عبد مناة بن كِنانة .
 وإنما لُقِبَ بالرَّقِيَّاتِ لأنه شَبَّ بثلاث نسوة مُّمَيِّن جميعاً رُقِيَّةً ، منهن : رُقِيَّةُ بنت عبد الواحد بن أَبِي سعد بن قَيْس ، من بنى عامر بن لُؤَيٍّ ؛ وابنة عمِّ لها يقال لها : رُقِيَّةُ ؛ وأخرى من بنى أُمَيَّة ، يقال لها : رُقِيَّةُ .

نسبه

أمه ولقبه

قيل :

وفوده على عبد الملك

بعد مقتل مصعب

الزبيرى

كان عُبَيْدُ اللَّهِ بن قَيْس الرَّقِيَّاتِ مُنْقَطِعاً إلى مُصْعَب بن الزُّبَيْر بن العَوَّام ، ولم يزل فى صُحْبَتِهِ إلى أن قُتِلَ .

قال عُبَيْدُ اللَّهِ :

خَرَجْتُ مع مُصْعَب بن الزُّبَيْر حين بَلَغَهُ شُخُوصُ عبدِ الْمَلِك بنِ مَرْوانِ إليه ، فلما نَزَلَ مُصْعَب بن الزُّبَيْر بِمَسْكِن^(١) ورأى معالمَ الْغَدْرِ ، دَعَانِي ودعا بِمَالٍ وَمَنَاطِقَ ، فلأَ الْمَنَاطِقِ من ذلك المَالِ وأَلْبَسَنِي منها وقال لى : اُنْطَلِقْ حيثُ شِئْتَ فَإِنِّي مُقْتَوْلٌ . فقلتُ : والله لا أَرِيْمُ حتى أرى سَبِيلَكَ ، فأَقَمْتُ معه حتى قُتِلَ . ثم أَقبلْتُ إلى الكُوفَةِ ، فأول بيت صرْتُ إليه دخلتُهُ . فإذا فيه امرأة لها ابنتان كأنهما ظَبِيَّتَانِ ، فَرَقِيتُ فى درجة لها إلى مَشْرَبَةٍ^(٢) فقعدتُ فيها . فأمرت لى المرأة

(*) جرد ابن واصل تجريده من « أخبار الهذلى » . وقد أورد أبو الفرج لسعيد الهذلى المغنى

بعض أخبار قليلة قبل أخبار ابن قيس الرقيات .

(١) مسكن : موضع على نهر دجيل . كانت به الوقعة بين عبد الملك ومصعب سنة ٧١ هـ .

(٢) المشربة : الغرفة .

بما أحتاج إليه من الطعام والشراب والفرش والماء للوضوء . فمكثت كذلك عندها أكثر من حول تقيم لي ما يصلحني ، وتغدو عليّ في كل صباح فتسألني بالصباح^(١) والحاجة . ولا تسألني من أنا ، ولا أسأله من هي ، وأنا في ذلك أسمع الصياح فيّ والجعل . فلما طال المقام وفقدت الصياح فيّ وغرّضت بمكاني غدت عليّ تسألني بالصباح والحاجة . فأعلمتها أنّي قد غرّضت وأحببت الشخصوس إلى أهلي . فقالت لي : نأتيك بما تحتاج إليه إن شاء الله . فلما أمسيت وضرب الليل بأرواقه رقيت إليّ وقالت : إذا شئت ؟ فزلت . فأعدت لي راحلتين عليهما ما أحتاج إليه ومعهما عبد ، وأعطت العبد نفقة الطريق ، وقالت : العبد والراحتان لك . فركبت وركب العبد معي حتى طرقت أهلي بمكة ، فدققت منزلي . فقالوا : من هذا ؟ فقلت : عبيد الله بن قيس الرقيات . فولولوا وبكّوا وقالوا : ما فارقنا طلبك إلا في هذا الوقت . فأقمت عندهم حتى أسحرت ، ثم نهضت ومعى العبد حتى قدمت المدينة ، فجنّت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عند المساء ، وهو يعشّي أصحابه ، فجلست معهم وجعلت أتعاجم وأقول : يار ، يار ، ابن طيار^(٢) . فلما خرج أصحابه كشفت له عن وجهي . فقال : ابن قيس الرقيات ؟ قلت : ابن قيس ، جئتك عائذاً بك . فقال : ويحك ! ما أجدهم في طلبك وأحرصهم على الظفر بك ، ولكني سأكتب إلى أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، وهي زوجة الوليد ابن عبد الملك ، وعبد الملك أرقّ شيء عليها . فكتب إليها يسأله أن تشفع إلى عمّها . وكان عبد الملك يدخل إليها ويسأله : هل من حاجة ؟ فدخل إليها عبد الملك كما كان يفعل وسأله : هل من حاجة ؟ قالت له : نعم ، لي حاجة . قال : قضيت

(١) أى كيف أصبحت وما حاجتك .

(٢) يار : كلمة فارسية بمعنى : صاحب ، وشفيق ، ومعين . وطيار : لقب جعفر بن أبي طالب ، والد عبد الله . وكان قد قطعت يده في غزوة مؤتة فأثابه الله بذلك جناحين يطير بهما إلى حيث شاء في الجنة . والذي في بعض أصول الأغاني : « تيار ، تيار ، أى طيار » .

كُلُّ حاجة لك إلا ابن قيس الرقيات . فقالت : لا تستثن على شيئاً . ونفح يده
فأصاب وجهها . فوضعت يدها على خدّها . فقال : يا بنتى ، أرفعى يدك ، فقد قضيتُ
كل حاجة لك وإن كانت ابن قيس الرقيات . فقالت : إن حاجتى ابن قيس
تؤمّنه ، كتب إلى أبى يسألنى أن أسألك ذلك . قال : فهو آمن ، فمُرّيه أن يحضر
مجلسى العشيّة . فحضر ابن قيس ، وحضر الناس حين بلغهم مجلس عبد الملك .
وأخّر الإذن ، ثم أذن للناس . وأخّر إذن ابن قيس الرقيات حتى أخذوا مجالسهم ،
ثم أذن له . فلمّا دخل عليه . قال عبد الملك : يا أهل الشام ، أتعرفون هذا ؟ قالوا :
لا . قال : هذا عبّيد الله بن قيس الرقيات الذى يقول :

كيف نوى على الفراش ولما تشمل الشام غارة شعواء
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام^(١) العقيلة العذراء

فقالوا : يا أمير المؤمنين ، استقنا دم هذا المنافق . قال : الآن وقد أمّنته وصار
فى منزلى ! وقد أخرتُ الإذن لتقتلوه فلم تفعلوا . فاستأذنه ابن قيس أن يُنشدّه .
فانشدّه قصيدته التى يقول فيها :

عاد له من كثيرة الطرب فعينه بالذمّوع تنسكب
كوفية نازح محلّتها لا أمم دارها ولا صقّب
والله ما إن صبت إلى ولا إن كان بينى وبينها سبب
إلا الذى أورث^(٢) كثيرة فى الأ قلب وللحُبّ سورة عجب

حتى قال فيها :

(١) الخدام : جمع خدمة ، بالتحريك ، وهو الخلخال . وهو هنا فى نية : عن خدامها .
وعدى « تبدى » بعن ، لأن فيه معنى : تكشف .

(٢) فى بعض أصول الأغاني : « أثارت » مكان « أورث » .

إِنَّ الْأَغْرَ الَّذِي أَبُوهُ أَبُو الْـ
 يَعْتَدِلُ التَّاجَ فَوْقَ مَفْرَقِهِ عَلَى جَبِينٍ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ
 فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : تَمَدَحْنِي بِالتَّاجِ كَأَنِّي مِنَ الْعَجَمِ ، وَتَقُولُ فِي مُصْعَبِ :
 إِنَّمَا مُصْعَبٌ شَهَابٌ مِنَ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلَامَةُ
 مَلِكُهُ مُلْكُ رَحْمَةٍ ^(١) لَيْسَ فِيهِ جَبْرُوتٌ يُرَى ^(٢) وَلَا كِبَرِيَاءُ
 أَمَّا الْأَمَانُ فَقَدْ سَبَقَ لَكَ ، لَكِنْ وَاللَّهِ لَا تَأْخُذْ مَعَ الْمُسْلِمِينَ عَطَاءُ أَبَدًا .
 وَمِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الْبَائِيَّةُ :

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْمِلُونَ إِنْ غَضِبُوا
 وَأَنَّهُمْ سَادَةُ الْمُلُوكِ فَلَا تَصْلَحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ

ملح ابن جعفر
 على إحسانه إليه

وَقَالَ ابْنُ قَيْسٍ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ : مَا يَنْفَعُنِي أَمَانِي ، تَرُكْتُ حَيًّا كَمِيتٍ ، لَا أَخُذُ
 مَعَ النَّاسِ عَطَاءً ! فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ : كَمْ بَلَغْتَ مِنَ السَّنِّ ؟ قَالَ : سِتِّينَ
 سَنَةً . قَالَ : فَعَمَّرَ نَفْسَكَ . قَالَ : عَشْرِينَ سَنَةً مِنْ ذِي قَبَلٍ ^(٣) . قَالَ : عَشْرِينَ سَنَةً ،
 فَذَلِكَ ثَمَانُونَ . قَالَ : كَمْ عَطَاؤُكَ ؟ قَالَ : أَلْفُ دِرْهَمٍ . قَالَ : فَأَمْرُهُ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ،
 وَقَالَ : ذَلِكَ لَكَ حَتَّى تَمُوتَ عَلَى تَعْمِيرِكَ نَفْسَكَ . فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ يَمْدَحُهُ :

تَقَدَّتْ بِي ^(٤) الشَّهْبَاءُ نَحْوَ ابْنِ جَعْفَرٍ سَوَاءٌ عَلَيْهِمَا لَيْلُهُمَا وَنَهَارُهُمَا
 تَزُورُ أُمْرًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ تَجُودٌ لَهُ كَفٌّ بَطِيءٌ ^(٥) غِرَارُهُمَا
 أَتَيْنَاكَ نُذْنِي بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ عَلَيْكَ كَمَا أَتْنِي عَلَى الْأَرْضِ جَارُهُمَا

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « عِزَّةٌ » مَكَانُ « رَحْمَةٍ » .

(٢) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « مِنْهُ » مَكَانُ « يُرَى » .

(٣) أَيْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ .

(٤) تَقَدَّتْ : أَيْ سَارَتْ سِيرًا لَيْسَ بِعَجَلٍ وَلَا مَبْطِئَةٍ .

(٥) الْغِرَارُ : أَنْ تَمْنَعَ النَّاقَةَ دَرْتَهَا . يُرِيدُ أَنْ مَنَعَهَا الْمَعْرُوفَ بَطِيءًا . وَفِي رِوَايَةٍ : « قَلِيلٌ

قَرَارُهَا » .

فوالله لولا أن تَزُرَّ ابنَ جَعْفَرٍ لكان قليلاً في دِمَشْقٍ قَرَارُهَا
إِذَا مِتَّ لَمْ يُوصَلْ صَدِيقٌ وَلَمْ تَقُمْ طَرِيقٌ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْتَ مَنَارُهَا
ذَكَرْتُكَ أَنْ فَاضَ الْفُرَاتُ بِأَرْضِنَا وَفَاضَ بِأَعْلَى الرِّقَّتَيْنِ ^(١) بِحَارُهَا
وَعِنْدِي تَمَّا خَوَّلَ اللَّهُ هَجْمَةً عَطَاؤُكَ مِنْهَا شَوْهُمَا ^(٢) وَعِشَارُهَا
مُبَارَكَةٌ كَانَتْ عَطَاءً مُبَارَكٍ تَمَانِجُ ^(٣) كُنْزِهَا وَتَنْمِي صِغَارُهَا
وقيل :

أمر له عبدُ الله بن جعفر بجاريةٍ حَسَنَاءَ بعد أن أَمَّنَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : فقال يمدحه
ويذكر إحسانه إليه :

إِذَا زُرْتُ عَبْدَ اللَّهِ نَفْسِي فِدَاؤُهُ رَجَعْتُ بِفَضْلٍ مِنْ نَدَاهُ وَنَائِلِ
وإنْ غَبْتُ عَنْهُ كَانَ لِلوُدِّ حَافِظًا وَلَمْ يَكُ عَنِّي فِي الْمَغِيبِ بَغَائِلِ
تَدَارَكْنِي عَبْدُ الْإِلَهِ وَقَدْ بَدَتْ لَدَى الْحَقْدِ وَالشَّنَانِ مَنِيَّ مَقَاتِلِ
وَأَنْقَذَنِي مِنْ غَمْرَةِ الْمَوْتِ بَعْدَ مَا رَأَيْتُ حِيَاضَ الْمَوْتِ جَمَّ الْمَنَاهِلِ
حَبَانِي لَمَّا جِئْتُهُ بِعَطِيَّةٍ وَجَارِيَةٍ حَسَنَاءَ ذَاتِ خَلَاحِلِ

وحكى سَعِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ بن وهب قال :

دَخَلْتُ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ نَوْفَلِ بْنِ مُسَاحِقٍ ، فَإِنَّهُ
لَمُعْتَمِدٌ عَلَيَّ ، إِذْ مَرَرْنَا بِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ فِي مَجْلِسِهِ ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْنَا سَلَامَنَا ،
ثُمَّ قَالَ لِنَوْفَلٍ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، مَنْ أَشْعَرُ : أَصَاحِبُنَا أَمْ صَاحِبُكُمْ ؟ يَعْنِي عَبْدُ اللَّهِ

بين ابن المسيب
ونوفل في المفاصلة
بينه وبين ابن
أبي ربيعة

(١) الرقَّتَانِ : الرقة والرافقة ، بلدان على الفرات متصلتا البناء .

(٢) الهجمة : الأربعون من الإبل إلى ما زادت . أو ما بين السبعين إلى المائة . والشول :
جمع شائلة ، وهي من الإبل ما أقي عليها من يوم نتاجها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وخف لبنها .
والعشار : جمع عشاء ، وهي التي مضى حملها عشرة أشهر .

(٣) تمانح : تدر في الشتاء .

ابن قيس الرقيات ، أو عمر بن أبي ربيعة . فقال نوفل : حين يقولان ماذا ؟ فقال :
حين يقول صاحبنا :

خليلاً ما بال المظي كائنا نراها على الأدبار بالقوم تنكص
وقد أبعد الحادي سرائن وأنتحي بهن وما يالو عجول مقلص
وقد قطعت أعناقهن صبايةً فأنفسنا مما تكلف تشخص
يزدن بنا قرأً فيزداد شوقنا إذا زاد طول العهد والبعد ينقص

ويقول صاحبكم ما شئت . فقال نوفل : صاحبكم أشهر بالقول في الغزل ،
وصاحبنا أكثر أفانين شعر . قال : صدقت . فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر
جعل سعيد بن المسيب رحمه الله يستغفر الله ويعتد بيده ويعد بالجلس كلها
حتى وفي المائة . فلما فارقناه قلت لنوفل : أتراد استغفر الله من إنشاده الشعر في
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : كلا ، هو كثير الإنشاد والاستنشاد ،
ولكني أحسبه للفخر بصاحبه .

فضله ابن أبي عتيق
هو وابن أبي ربيعة
على كثير

وحكى إبراهيم بن أبي عبيد الله^(١) قال :

أنشد كثيرُ ابن أبي عتيق كلمته التي يقول فيها :

ولست براضي من خليل بنائلٍ قليلٍ ولا أرضى له بقليلٍ

فقال له : هذا كلام مكافئ ليس بعاشق ! القرشيان أصدق وأقنع منك :

ابن أبي ربيعة حيث يقول :

ليت حظي كطرفة العين منها وكثيرٍ منها القليل المهنأ

وقوله :

(١) في بعض أصول الأغاني : « إبراهيم بن أبي عبد الله » . وفي بعض آخر : « إبراهيم

ابن عبد الله » .

فَعِدَى نَائِلًا وَإِنْ لَمْ تُنِيلِ إِنَّهُ يُقْنِعَ الْمُحِبَّ الرَّجَاءُ

وابن قيس الرقيات حيث يقول :

رُقَى بَعِيثُكُمْ لَا تَهْجُرِينَا وَمَنْيِّنَا الْمُنَى ثُمَّ امْطَلِينَا
عِدِينَا فِي غَدٍ مَا شِئْتَ إِنَّا نُحِبُّ وَإِنْ مَطَلْتَ الْوَاعِدِينَا
فَإِمَّا تُنْجِزِ عِدَّتِي وَإِمَّا نَعِيشُ بِمَا نُؤْمَلُ مِنْكَ حِينَا
أَغْرَكَ أَنْتَى لَا صَبْرَ عِنْدِي عَلَى هَجْرٍ وَأَنْتَ تَصْبِرِينَا
وَيَوْمَ تَبْعُتُكُمْ وَتَرَكْتُ أَهْلِي حَنِينَ الْعَوْدِ ^(١) يَتَّبِعُ الْقَرِينَا

قال : فذكرت ذلك لأبي السائب المخزومي ، ومعه ابن المولى . فقال : صدق

ابن أبي عتيق وفقه الله ! ألا قال المديون كثير كما قال هذا حيث يقول :

وَأَبْكِي فَلَا لَيْلِي بِكَتٍ مِنْ صَبَابَةٍ لِبَاكِ وَلَا لَيْلِي لَذَى الْوَدِّ تَبَذَّلُ
وَأَقْنَعُ ^(٢) بِالْعُمْبَى إِذَا كُنْتُ مُذْنِبًا وَإِنْ أَذْنِبْتُ كُنْتُ الَّذِي أَتَنْصَلُ

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار ابن قيس الرقيات ، هو :

شعر الذى فيه الغناء

عَلَّلَ الْقَوْمَ يَشْرَبُوا كَى يَلَذُّوا وَيَطْرَبُوا
إِنَّمَا ضَلَّلَ الْفُؤَا دَ غَزَالَ مُرَبَّبَ
فَرَشْتَهُ عَلَى النَّمَى رِقِ سُعْدَى وَزَيْنَبَ
حَالَ دُونَ الْهَوَى وَدَو ن سُرَى اللَّيْلِ مُصْعَبَ
وَسَيَّاطُ عَلَى أَكْ فَ رِجَالٍ تَقْلَبُ

وهذا الشعر قاله ابن قيس الرقيات فى مُصْعَب بن عبد الرحمن بن عوف

الزهرى ، وكان مروان بن الحكم ، لما كان والياً على المدينة ، ولأه شرطته ، فقال :

خبر مصعب بن
عبد الرحمن على
المدينة

(١) العود : الجمل المسن وفيه بقية .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وأخنع » .

إِنِّي لَا أَضْبِطُ الْمَدِينَةَ بِحَرَسِ الْمَدِينَةِ ، فَاغْنِي رَجَالًا مِنْ غَيْرِهَا . فَدَعَا لَهُ بِمَائَتِي رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ أَيْلَةٍ^(١) ، فَضَبَطَهَا ضَبْطًا شَدِيدًا . فَبَقِيَ إِلَى أَنْ وَلِيَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ الْمَدِينَةَ ، وَخَرَجَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ . فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : أَهْدِمِ دُورَ بَنِي هَاشِمٍ وَآلِ الزُّبَيْرِ . فَقَالَ : لَا أَفْعَلُ . فَقَالَ : انْتَفِخْ سَحْرَكَ^(٢) يَا بَنُ أُمِّ حَرْيْثٍ ! أَلْقِ سَيْفَنَا . فَأَلْقَاهُ وَلَحِقَ بِابْنِ الزُّبَيْرِ . وَوَلَّى عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ شَرْطَتَهُ عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ، وَأَمَرَهُ بِهَدْمِ دُورِ بَنِي هَاشِمٍ وَآلِ الزُّبَيْرِ . فَفَعَلَ ، وَبَلَغَ مِنْهُمْ كُلِّ مَبْلَغٍ ، وَهَدَمَ دَارَ ابْنِ مُطِيعٍ الَّتِي يَقَالُ لَهَا : الْعَنْقَاءُ . وَضَرَبَ ابْنَ أَخِيهِ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الزُّبَيْرِ مِائَةَ سَوْطٍ . ثُمَّ دَعَا بِأَخِيهِ عُروَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ — رَحِمَهُ اللَّهُ — لِيَضْرِبَهُ . فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : أَتَضْرِبُ عُروَةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا سَبْلَافِي^(٣) ، إِلَّا أَنْ تَحْتَمِلَ ذَلِكَ عَنْهُ . قَالَ : أَنَا أَحْتَمِلُهُ . فَضَرَبَهُ مِائَةَ سَوْطٍ أُخْرَى . وَلَحِقَ عُروَةَ بِأَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ . وَضَرَبَ عَمْرُو النَّاسَ ضَرْبًا شَدِيدًا ، فَهَرَبُوا مِنْهُ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ . فَلَمَّا أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ ظَفَرَ بِأَخِيهِ عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ ، فَضَرَبَهُ بِالسَّيَاطِ ضَرْبًا مُبْرَحًا ، فَمَاتَ مِنَ الضَّرْبِ . فَدَفَنَهُ فِي غَيْرِ مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَالَ لِلنَّاسِ : إِنَّ عَمْرًا مَاتَ مُرْتَدًّا عَنِ الْإِسْلَامِ .

قلت :

وإلى مفارقة عمرو وأخاه ابن الزُّبَيْرِ ، وصيرورته مع أعدائه ، وإلى مفارقة عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَخَاهُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَصِيرورته مع معاوية ، وحضوره معه حَرْبِ صَفِيِّينَ ، أشار أبو فراس بقوله :

نَعَمْ دَعَتْ الدُّنْيَا إِلَى الْغَدْرِ دَعْوَةً أَجَابَ إِلَيْهَا عَالَمٌ وَجَهْلٌ
وفارق عمرو بْنُ الزُّبَيْرِ شَقِيقَهُ وَخَلَّى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَقِيلَ

(١) أَيْلَة : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام .

(٢) السحر : الرثة . وهذه كلمة تقال للجبان .

(٣) السبلافي : الطويل السبلة ، وهي شعرات تكون في المنحر .

أخبار مالك بن أبي السمح

هو مالك بن أبي السمح . واسم أبي السمح : جابر بن ثعلبة الطائي ، أحد بني ثعل ، ثم أحد بني عمرو بن دَرَماء . ويُكنى أبا الوليد . وأمه قُرَشِيَّة من بني مخزوم . وكان أبوه مُنْقَطِعاً إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . وكان مالك يَتِمّاً في حِجره ، أوصى به أبوه إليه . وكان ابن جعفر يكفله وَيَتُمُّهُ ، وأدخله وسائر إخوته في دَعْوَةِ بني هاشم .

أُسميه وكنيته وشي
من صفاته

وأخذ الغناء عن جَمِيلَةٍ ، ومُعَبَّد . ومُعَرَّح حتى أدرك الدولة العبَّاسِيَّة . وكان مُنْقَطِعاً إلى سُليمان بن عليّ بن عبد الله بن العبَّاس . ومات في خلافة أبي جعفر المنصور .

عن أخذ الغناء
وعمره

وفي مالك هذا يقول الحسين بن عبيد الله بن العبَّاس :

شعر للحسين بن
عبيد الله فيه

لا عَيْشَ إِلَّا بِمَالِكَ بْنِ أَبِي السَّـ
مَحْ فَلَا تَلَحْنِي وَلَا تَلِمْ
أَبْيَضُ كَالْبَدْرِ أَوْ كَمَا يَلْمَعُ الْـ
بَارِقُ فِي حَالِكٍ مِنَ الظُّلَمِ
مَنْ لَيْسَ يَعْصِيكَ إِنْ رَشَدْتَ وَلَا
يَهْتِكُ حَقَّ الْإِسْلَامِ وَالْحَرَمِ
يُصِيبُ مِنْ لَذَّةِ الْكَرِيمِ وَلَا
يَجْهَلُ آيَ التَّرْخِيصِ فِي (١) اللَّمَمِ
يَارُبَّ يَوْمٍ لَنَا كَحَاشِيَةِ الْـ
بُرْدِ وَيَوْمٍ كَذَاكَ لَمْ يَدُمِ
نَعَمْتُ فِيهِ وَمَالِكُ بْنُ أَبِي السَّـ
مَحِ الْكَرِيمِ الْأَخْلَاقِ وَالشِّمِّ
وقيل : إن مالكا لما سمع هذا الشعر قال : لا والله ، ولا إن غويت
أيضاً أعصيك .

(١) اللمم : مقاربة الذنب من غير موافقة . قال تعالى : (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش
إلا اللمم) .

غنى للوليد فلم يطرب
ثم غناه ثانية
فطرب

وحكى أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك قال لمعبد المغنى : قد آذنتى ولولتلك
هذه ! وقال لابن عائشة : قد آذانى استهلالك هذا ! فاطلبا لى رجلا يكون مذهبه
متوسطاً بين مذهبيكما . فقالا له : مالك بن أبى السمح . فكتب فى إشخاصه
إليه وسائر مغنى الحجاز المذكورين . فلما قدم مالك على الوليد ، فىمن معه من
المغنيين ، نزل على الغمر بن يزيد . فأدخله على الوليد ، فعناه فلم يعجبه . فلما
انصرف الغمر قال : إن أمير المؤمنين لم يعجبه شىء من غنائك . فقال له : جعلنى الله
فداك ! اطلب لى الإذن عليه مرة أخرى ، فإن أعجبه شىء مما أغنيته وإلا انصرفت
إلى بلادى . فلما جلس الوليد مجلس اللهو ذكره الغمر ، فطلب له الإذن وقال له :
إنه هابك فحصر ، فأذن له . فبعث إليه . فأمر مالك الغلام فسقاه ثلاث
صراحيات^(١) صرفاً ، وخرج حتى دخل عليه يخظر فى مشيته . فلما بلغ باب
المجلس وقف ولم يسلم ، وأخذ بحلقة الباب ففققعها ، ثم رفع صوته فغنى :

لا عيش إلا بمالك بن أبى السَّـ منح فلا تلحنى ولا تلم

فطرب الوليد ورفع يديه ماداً لهما إليه حتى بان إبطاه ، وقام فاعتنقه وقال له :
أذن يابن أخى . فدنا حتى اعتنقه . ولما انتهى مالك إلى قوله :

أبيض كالسيف أو كما يلعب الـ سبارق فى حالك من الظلم
قال له الوليد بن يزيد :

أحول كالقرد أو كما يرقب السـ سارق فى حالك من الظلم
وكان مالك طويلاً أحنى فيه حول .

ثم أخذ مالك فى صوته ، فلم يزلوا فيه أياماً . ثم أجزل له العطيّة حين
أراد الانصراف .

(١) الصراحيات : آنية للخمر .

وحكى ابن عائشة قال :

بين ابن عائشة
وابن أبي السمح
في مقتل الوليد

حضرنا الوليد بن يزيد يوم قُتل ، وكان معنا مالك بن أبي السمح ، وكان
من أحق الخلق ، فلما قُتل الوليد قال : اهرُب بنا . فقلت : وما يُريدون منا ؟ قال :
وما يُؤمنك أن يأخذوا رأسينا فيجعلوا رأسه بينهما ليحسنوا بذلك أمرهم .
قال ابن عائشة : فما رأيت منه عقلاً قطُّ قبل ذلك اليوم .

أخبار النهدي والوليد بن عُقبة

ابن أبي معيط

حديث إيفار زهير
صدر الحارث
الغساني على
النهدين

أما النهدي، فذكر أن الحارث بن مارية الجفني الغساني كان مُكرماً لزهير
ابن جَنَاب الكَلْبِي، يُنادمه ويُحدِّثُه^(١). فَقَدِمَ على المَلِكِ رِجلان من بني نَهْد
ابن زَيْد، يُقال لهما: سَهْل، وَحَزَن، ابنا رِزاح. وكانَ عندهما حديثٌ من
أحاديث العرب وأخبارها. فاجتباها المَلِكُ، ونَزَلَا منه المَكانَ الأثِير. فَحَسَدَها
زُهَيْرُ بنِ جَنَاب، فقال: أيها المَلِكُ، ها والله عَيْنُ المُنْذِرِ عَلَيْكَ — يعني المُنْذِرَ
الأَكْبَرَ جَدَّ النُّعْمانِ بنِ المُنْذِرِ — وها يَكْتُبُانِ إِلَيْهِ بَعُورَتُكَ وَخَلَلُ ما يَريان مِنْكَ.
فقال: لا. فلم يزل به زُهَيْرُ حتى أَوْغَرَ صَدْرَهُ. وكانَ إِذا رَكِبَ يَبْعَثُ إِلَيْهِما بَعِيرَيْنِ.
فَبَعَثَ إِلَيْهِما بِناقَةً واحدة، فَعَرَفَا الشَّرَّ، فلم يَرَكِبْ أَحَدُهما، فقال له الآخر:
فإِلا تَجَلَّلَها يُعَالِوكَ^(٢) فوقها وكيف تَوَقَّى ظَهَرَ ما أَنْتَ رَاكِبُهُ
فَرَكِبَها هو وأخوه، ومُضَى بِهِما فُقُتَلا.

وهذا البيتُ من أبياتِ الوليد بن عُقبة، وهو الشَّعرُ الَّذِي فِيهِ الفِئاءُ، وافتتح
به أبو الفَرَجِ أخبارَ النهدي والوليد. وأبيات الوليد:

نَعَمْ^(٣) قَتَلُوهُ كَي يَكُونُوا مَكانَهُ كما غَدَرْتُ يَوماً بِكَسرى مَرازِبُهُ
بَنِي هاشِمٍ خَلَّوا^(٤) سِلاحَ ابنِ أُخْتِكم ولا تَنهَبُوهُ لا تَحِلُّ مَناهِبُهُ

(١) في بعض الأصول من الأغاني: «يحادثه».

(٢) تتجلها، أى تتجلها، مضارع حذفت تاءه. وتجل الشيء: علاه. وعلاه:

رفعه.

(٣) في بعض أصول الأغاني: «هم» مكان «نعم».

(٤) في بعض أصول الأغاني: ردوا» مكان «خلوا».

حديث مقتل رزاح

قيل : إنَّ الملك الحارث بَحَثَ عن أمر النَّهْدِيِّينَ بعد ذلك فوجده باطلاً ،
فشتم زُهيراً وطرده . فانصرف إلى بلاد قومه . وقَدِمَ رِزاح أبو الغلامين ، فأكرمه
الملك وأعطاه دية ابنه . وبلغ زهير بن جناب مكانه ، فدعا ابناً له يقال له : عامر ،
وكان من فتيان العرب لساناً وبياناً ، فقال له : إنَّ رِزاحاً قد قَدِمَ على الملك ،
فالحق به واحتل في أن تكفينيه ، واذموني عند الملك ، وتبرأ مني . وأثر به آثاراً .
فخرج الغلام حتى قَدِمَ الشام ، فتلطَّفَ للدُّخول على الملك حتى وصل إليه . فأعجبه مارأى
منه ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا عامرُ بن زهير بن جناب . قال : فلا حيَّاك
الله ولا حيَّا أباك الغادر الكذوب الساعى ! فقال له : نعم ، فلا حيَّا الله ! انظر
أيها الملك ما صنع بظَهري . وأراه الضَّرب . فقَبِلَ منه ذلك وأدخله في نُدْمائه .
فبينما هو يوماً يُحدِّثه إذ قال له : أيها الملك ، إن أبي وإن كان مُسيئاً فلست أدع
أن أقول الحقَّ ، قد والله نصحك أبي . ثم أنشأ يقول :

فيا لك نصحةً لما ندَّقْها أراها نصحةً ذهبت ضلَّالاً

ثم تركه أيَّاماً ، وقال له بعد ذلك : أيها الملك ، مات قول في حَيَّةٍ قَطَعَتْ ذَنبها
وبقي رأسُها ؟ قال : ذاك أبوك وصنيعه بالرَّجُلين ما صنع . قال : أبيت اللعن !
والله ما قَدِمَ رِزاح إلَّا ليثَّار بهما . فقال : وما آيةُ ذلك ؟ قال : اسقه الخمر ثم ابعث
إليه عينا يأتك بخبره . ففعل ، فلما انتشى صَرَفه إلى بيته ومعه بنتٌ له ، وبعث
إليه عُيوناً . فلما دخل قُبَّتَه ، قامت ابنته تُسانده ، فقال :

دَعيني من سِنادك إنَّ حَزناً وسهلاً ليس بعدهما رُقودُ
ألا تسلين عن شِيبليٍّ ماذا أصابهما إذا اهترش^(١) الأسود
فإني لو ثارتُ المرءَ حَزناً وسهلاً قد بدا لك ما أريدُ

(١) اهترشت الأسود : تقاتلت وتواثبت .

فرجع القوم إلى الملك فأخبروه بما سمعوا ، فأمر بقتل النهدي ، وردَّ زهيراً إلى موضعه .

وأما الوليد بن عقبة

نسب الوليد بن عقبة

فيكنى أبا وهب . وهو أخو عثمان بن عفان رضي الله عنه لأمه أروى بنت كُريز . وأمهما البيضاء ، عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

توليه الكوفة

وكان من فتيان قُريش وشُجعانهم وكُرمائهم ، وكان فاسقاً . ولّاه عثمان رضي الله عنه الكوفة ، فشرب الخمر ، وشهد عليه بذلك ، فحدّه عثمان رضي الله عنه وعزّله .

وذُكر أن سبب توليته الكوفة أن عثمان رضي الله عنه لم يكن يجلس معه على سريره إلا العباس بن عبد المطلب ، وأبو سُفيان بن حرب ، والحكم بن أبي العاص ، والوليد بن عقبة . فأقبل الوليد يوماً فجلس ، ثم أقبل الحكم ، فلما رآه الوليد زَحَلَ^(١) له عن مجلسه . فلما قام الحكم قال الوليد : والله يا أمير المؤمنين لقد تلجلج في صدري بيتان قلتهما حين رأيتك آثرت عمك على ابن أمك . فقال له عثمان : إنه شيخ قُريش ، فما البيتان اللذان قلت ؟ قال : قلت :

رَأَيْتُ لَعَمَّ الْمَرْءِ زُلْفَى قَرَابَةٍ دُوَيْنَ أَخِيهِ حَدَثًا لَمْ يَكُنْ قَدِمًا

فَأَمَلْتُ عَمْرًا أَنْ يَشِبَّ وَخَالِدًا لَكِي يَدْعُوَانِي يَوْمَ مَرَحَةٍ^(٢) عَمَّا

يعنى : عمراً ، وخالداً ، ابني عثمان . فرق له عثمان وقال : قد وليتكَ العراق ، يعنى الكوفة .

قيل :

سيرته

في الكوفة

(١) زحل : تنحى وتبعد .

(٢) في بعض الأصول : « يشيب » مكان « يشب » و « مزحة » مكان « مرحة » .

لما ولّاه عثمان رضى الله عنه الكوفة، وعليها سعد بن أبى وقاص، فأخبر بقدمه فقال: وما صنع؟ قال: وقف فى الشوق فهو يحدث الناس هناك، ولسنا نُنكر شيئاً من شأنه. فلم يلبث أن جاءه نصف النهار، فاستأذن على سعد، فأذن له، فسلم عليه بالإمرة وجلس معه. فقال له سعد: ما أقدمك أباهب؟ قال: أحببت زيارتك. قال: وعلى ذلك أحببت بريدأ؟ قال: أنا أرزن من ذلك، ولكن القوم احتاجوا إلى عملهم فسرّحوني إليه، وقد استعمنى أمير المؤمنين على الكوفة. فمكث طويلاً ثم قال:

خُذْنِي وَجُرِّئِي ضِبَاعُ وَأَبْشِرِي بلحم أمرى لم يشهد اليوم ناصِرُهُ
فقال الوليد: أما والله لأنا أقول للشعر وأروى له منك! وإن شئت لأجبتك، ولكنى أدع ذلك لما لا تعلم^(١). نعم والله، وقد أمرت بمحاسبتك والنظر فى أمر عمالك. ثم بعث إلى عماله فحبسهم وضيق عليهم. فكتبوا إلى سعد يستغيثون. فكلّمه فيهم، فقال: أوّ للمعروف عندك موضع؟ قال: نعم والله! فخلّى سبيلهم.

وذُكر أن الوليد صلّى بأهل الكوفة الغداة أربع ركعات، ثم التفت إليهم فقال: أزيدكم؟ فقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: ما زلنا معك فى زيادة منذ اليوم.

وقال الخطيئة فيه، حين شهد عليه بشرب الخمر:

شَهِدَ الْخَطِيئَةُ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ أَنْ الْوَلِيدَ أَحَقُّ بِالْعُذْرِ
نَادَى وَقَدْ تَمَّتْ صَلَاتُهُمْ أَأَزِيدُكُمْ سُكْرًا وَمَا يَدْرِ
فَأَبَوْا أَبَاهُ وَهَبٍ وَلَوْ أَذِنُوا لَقَرَنْتَ بَيْنَ الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ
كَفُّوا عِنَانَكَ إِذْ جَرَيْتَ وَلَوْ تَرَكُوا عِنَانَكَ لَمْ تَزَلْ تَجْرَى

شعر الخطيئة
فى شربه الخمر

(١) فى بعض أصول الأغاني: «لما تعلم».

وقال الحطيئة أيضاً :

تكلّم في الصّلاة وزاد فيها علانيةً وجاهر بالنفاق
ومبجّ الخمر في سنن المصلّي ونادى والجميعُ إلى افتراق
أزيدكم على أن تحمدوني وما لكم ومالي من خلاق

حده وحديث ذلك

وذُكر أن الوليد تقيّاً الخمر في المحراب وقرأ في الصلاة رافعاً صوته :

عَلَيْ الْقَلْبُ الرَّبَّابَا بعد ما شابت وشابَا

فشخص أهل الكوفة إلى عثمان فأخبروه بخبره ، وشهدوا عليه بشربه الخمر .
فأتى به وأمر رجلاً ليضربه الحدّ . فلما دنا منه قال : نَشَدْتُكَ الله وقرابتي
من أمير المؤمنين . فخاف عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه أن يُعطّل الحدّ ، فقام
إليه فحدّه . فقال الوليد : نَشَدْتُكَ الله والقرابة ! فقال له عليّ : اسكت يا أبا وهب .
فإنما هلكت بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدود ! وقال : لتدعونّ قریش بعد
هذا جلادها .

وقيل :

إنّ عثمان رضى الله عنه لمّا قال لعليّ رضى الله عنه : قم فاضربه . فقال له
الحسن : مالك ولهذا ؟ يكفيك غيرك . فقال عليّ لعبد الله بن جعفر : قم فاضربه .
فضربه بمِخْصَرة^(١) فيها سيرٌ لها رأسان . فلما بلغ أربعين قال : حَسْبُكَ ! أَمْسِكْ ،
جلد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أربعين ، وجلد أبو بكر أربعين ، وكمّلها عمر
ثمانين ، وكلّ سنة .

وقيل :

كان أبو زيد الطائي نديماً للوليد بن عقبة أيام ولايته الكوفة . فلما شهد
عليه بالشكر من الخمر وخرج عن الكوفة ، قال أبو زيد الطائي :

(١) المِخْصَرة : العصا ، والمقرعة ، ونحوهما .

مَنْ يَرَى الْعَيْرَ لَا بِنَ أُرْوَى عَلَى ظَهَرِهِ
يَعْرِفُ الْجَاهِلُ الْمُضِلَّ أَنْ الـ
لَيْتَ شِعْرِي كَذَا كَمِ الْعَهْدِ أَمْ كَا
بَعْدَ مَا تَعْلَمِينَ يَا أُمَّ زَيْدٍ
وَوُجُوهٌ تَوَدُّنَا (١) مُشْرِقَاتٌ
وَلَعَمْرُو الْإِلَهَ لَوْ كَانَ لِلْسَيِّئِ
مَا تَنَاسَيْتُكَ الصَّفَاءَ وَلَا الْوُ
قُولُهُمْ شُرْبُكَ الْحَرَامِ وَقَدْ كَا
وَأَبَى الظَّاهِرُ الْعِدَاوَةَ إِلَّا
مَنْ يَخُنُكَ الصَّفَاءُ أَوْ يَتَبَدَّلُ
فَاعْلَمْ أَنَّي أَخُوكَ أَخُو الْوُ
وَلَكِ النَّصْرَ بِاللِّسَانِ وَبِالْكَدِ
رَ الْمُرُورَى حُدَاتِهِنَّ عِجَالُ
دَّهْرٍ فِيهِ النَّكْرَاءُ وَالزَّلْزَالُ
نُؤَا أَنْسَاءً كَنْ يَزُولُ فَزَالُوا
كَانَ فِيهِمْ عِزٌّ لَنَا وَجَمَالُ
وَنَوَالُ إِذَا يُعَدُّ النَّوَالُ
فَ مَصَالُ وَلِلْسَانَ مَقَالُ
دَّ وَلَا حَالُ دُونَكَ الْأَشْغَالُ
نَ شَرَابُ سِوَى الْحَرَامِ حَلَالُ
شَنَانًا وَقَوْلَ مَا لَا يُقَالُ
أَوْ يَزُلْ مِثْلَ مَا تَزُولُ الظَّلَالُ
دَّ حَيَاتِي حَتَّى تَزُولَ الْجِبَالُ
فَ إِذَا كَانَ لِلْيَدَيْنِ مَصَالُ

وَذُكِرَ أَنَّهُ لَمَّا قَدَّمَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ الْكُوفَةَ ، قَدَّمَ عَلَيْهِ أَبُو زُبَيْدُ الطَّائِي ، وَهُوَ
نَصْرَانِيٌّ ، فَأَنْزَلَهُ دَارَ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ . فَكَانَ مِمَّا احْتَجَّ بِهِ
عَلَى الْوَلِيدِ أَهْلُ الْكُوفَةِ أَنَّ أَبَا زُبَيْدٍ كَانَ يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْ دَارِهِ يَخْتَرِقُ الْمَسْجِدَ فَيَجْعَلُهُ
طَرِيقًا ، وَيَسْمُرُ عِنْدَهُ وَيَشْرَبُ مَعَهُ ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيَشُقُّ الْمَسْجِدَ وَهُوَ سَكْرَانٌ .

مثل من تقرّبه
لأبي زبيد

وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ
فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) إِنَّمَا نَزَلَ فِي الْوَلِيدِ
ابْنِ عُقْبَةَ هَذَا . كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ إِلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ مُصَدِّقًا ،
فَلَمَّا رَأَوْهُ أَقْبَلُوا نَحْوَهُ ، فَهَابَهُمْ . فَرَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُمْ

ما نزل فيه من
القرآن

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « بَوْدُنَا » مَكَانَ « تَوْدُنَا » .

قد ارتدوا عن الإسلام . فبعث النبي ﷺ خالد بن الوليد وأمره أن يتثبت ولا يعجل . فانطلق خالد حتى أتاهم ليلاً ، فبعث عُيونه ، فجاوه فأخبروه أنهم مُتَمَسِّكون بالإسلام ، وسمعوا آذانهم وصلاتهم . فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأى ما أعجبه ، فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره .

الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين امرأته

وحدث علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أن امرأة الوليد بن عقبة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تشتكي الوليد ، وقالت : إنه يضربها . فقال لها : ارجعي وقولي له : إن رسول الله قد أجارني . فانطلقت فكثت ساعة ثم رجعت ، فقالت : ما أوقع غنى . فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم هُدبة من ثوبه ثم قال : امضي بها ثم قولي : إن رسول الله أجارني . فانطلقت ، فكثت ساعة ثم رجعت فقالت : يا رسول الله ، ما زادني إلا ضرباً . فرفع صلى الله عليه وسلم يده وقال : اللهم عليك الوليد ! مرتين أو ثلاثاً .

وقيل :

قدوم أمه به على النبي صلى الله عليه وسلم وهو صبي

إن الوليد بن عقبة قال : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم ، فيدعوهم بالبركة ويمسح بيده على رؤوسهم . فجاء به إليه وأنا مُخَلَّقٌ ^(١) ، فلم يمسني ، وما منعه إلا أن أُمي خلقتني بخلق ! فلم يمسني من أجل ذلك .

وقيل :

حديثه مع جندب حين قتل الساحر

كان عند الوليد بن عقبة ، وهو والي الكوفة ، رجلٌ ساحر ، فجعل يدخل في جوف بقرة ويخرج . فرآه جندب بن كعب ، فذهب إلى بيته فاشتمل على سيف ، فلما دخل الساحر في البقرة قال جندب : أتأتون السحر وأنتم تبصرون !

(١) مخلق : مطيب بالخلوق ، وهو الزعفران .

ثم ضَرَبَ وسط البقرة فقتلها وقطع الساحر . فاندعر الناس . فسجنه الوليدُ ، وكتب بذلك إلى عثمان رضى الله عنه . وكان السَّجَّانُ يفتح له بالليل فيذهب إلى أهله ، فإذا أصبح دخل السجن . وكان على السَّجَّانِ رجلٌ ، فلما رأى جُنْدَبًا يقوم ويصبح صائمًا ، قال : والله إنَّ قومًا هذا شرُّهم لقومٌ صدق . فوكلَّ بالسجن رجلاً ودخل الكوفةَ ، وكان السجنُ خارجًا ، فسأل عن أفضل أهل الكوفة . فقالوا : الأشعثُ بن قيس . فاستضافه . فجعل الأشعثُ ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغدائه . فخرج من عنده فسأل : أى أهل الكوفة أفضل ؟ فقالوا : جرير بن عبد الله . فوجده ينام الليل ثم يصبح فيدعو بغدائه . فاستقبل السَّجَّانُ القبلة وقال : ربِّ ربُّ جُنْدَب ، ودينى على دين جُنْدَب ، وأسلم .

وقيل :

ذكر الرسول صلى
الله عليه وسلم
لابن صوحان
وجندب

لما انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من غزاة بنى المُصطلق ، نزل رجلٌ فساق بالقوم ورجز ، ثم آخر فساق ورجز . ثم بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤاسى أصحابه ، فنزل فساق بالقوم ورجز ، وجعل يقول : جُنْدَبُ وما جُنْدَب ! والأقطعُ الخيرُ زيد ! فدنا منه أصحابه فقالوا : يا رسول الله ، ما ينفعنا مسيرُك مخافة أن تلسعك دابة أو تُصيبك نكبةٌ . فركب . ودنوا منه وقالوا : قلت قولاً ما ندرى ما هو ! قال : وما ذاك ؟ قالوا : قولك : جُنْدَب وما جُنْدَب ، والأقطعُ الخيرُ زيد . قال : رجالان يكونان في هذه الأمة يضرب أحدهما ضربةٌ تفرق بين الحق والباطل ، وتقطع يد الآخر في سبيل الله فيُتبع الله آخرُ جسده بأوله .

وكان زيد بن صُوحان قُطعت يده في سبيل الله يوم جُلُولاء^(١) ، وقتل يوم الجمل مع عليّ رضى الله عنه . وجُنْدَب هو الذى تقدّم ذكره .

(١) جُلُولاء : يوم للمسلمين على الفرس .

ابن العاص بن أمية
بعد الوليد على
الكوفة

ولما عزل عثمان رضي الله عنه الوليد بن عقبة عن الكوفة أمر عليها سعيد
ابن العاص بن أمية ، ولما أقبل عائداً إلى الكوفة جعل يرتجز في طريقه :

ويلٌ لشبَّان^(١) العراق مني كأنني سمع^(٢) من جنٍّ

فلما قدم الكوفة قال : اغسلوا هذا المنبر ، فإن الوليد كان رجساً نجساً .
فلم يصعده حتى غسل ، عيياً على الوليد . وكان الوليد أسن منه وأسخى وألين جانباً
وأرضى عندهم . فقال بعض شعرائهم :

وجاءنا من بعده سعيد ينقص في الصّاع ولا يزيد

ولما قُتل عثمان رضي الله عنه ، أرسل على رضي الله عنه فأخذ ما كان في داره
وإبلاً من إبل الصدقة . فقال الوليد بن عقبة يرثي عثمان أخاه ويعرض بعلي
رضي الله عنه ، وهو الشعر الذي فيه الغناء :

ألا من ليلٍ لا تغور كواكبُه إذا غار^(٣) نجمٌ لاح نجم يُراقبُه
بنى هاشمٍ رُدُّوا سلاح ابن أختكم ولا تنهبوه لا تحلُّ مناهبه
بنى هاشمٍ لا تعجّلونا فإنه سوا علينا قاتلاه وسالبه
فقد يُجبر العظم الكسير وينبى لذي الحق يوماً حقه فيطالبه
وإنّا وإيّاكم وما كان منكم كصدع الصفا لا يرأب الصدع شاعبه
لعمرك لا أنسى ابن أروى وقتله وهل ينسين الماء ما عاش شاربه
هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما فعلت^(٤) يوماً بكسرى مرابه
وإني لمُجتابٌ إليكم بحفَل يصمُّ السميع جرّسه^(٥) وجلائبه

(١) في بعض أصول الأغاني : « ويل نسيات » .

(٢) السميع : السريع الخفيف .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « لاح » مكان « غار » .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « غدرت » مكان « فعلت » .

(٥) الجرس : الصوت .

للفضل في الرد
عليه

فأجابه الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب :

فلا تسألونا بالسَّلاح فإنَّه أضيع وألقاه لدى الرَّوع صاحبُه
وشبَّهتُه كسرى وقد^(١) كان مثله شبيهاً بكسرى هديه ومذاهبه

شعر الوليد
في التحريض على
الأخذ بشار عثمان

وقال الوليد يرثي عثمان ويحرض معاوية بن أبي سفيان على أخذ ثأره :

والله ما هند بأملك إن مضى الله بهارٌ ولم يثار بعثانٌ ثائرٌ
أَيقتلُ عبدُ القوم سيِّدَ أهله ولم تقتلوه ليت أملك عاقر
وإنَّا متى نقتلهم لا يُقْدَ بهم مُقيدٌ فقد دارت علينا الدوائر

لأشجع السلمي
فيه وفي أبي زبيد
وقد مر بقبريهما

وتوفي الوليد بن عتبة فويق الرقة ، ومات أبو زبيد صديقه هناك ، فدُفِنَا جميعاً

في موضع واحد ، فمرَّ بقبريهما أشجع السلمي فقال :

مررتُ على عظام أبي زبيدٍ وقد لاحت ببلقعة^(٢) صلود

وكان له الوليد نديمٌ صدقٍ فنادم قبره قبر الوليد

ثم استطرد أبو الفرج بذكره حكايةً تتعلّق بقول الوليد « هم قتلوه » فنذكرها :

الأمين في آخر
عهده

حكى إبراهيم بن المهدي قال :

أرسل إلى الأمين محمد بن زبيدة في ليلة من ليالي الصيف مقمرة ، فقال :

يا عم ، إنَّ الحرب بيني وبين طاهر قد سكنت ، فصِرْ إلىَّ ، فإنِّي إليك مُشتاق .

فجثته وقد بسط له على سطح زبيدة ، وعنده سليمان بن جعفر ، وعليه كساء

رؤذباري^(٣) وقلنسوة طويلة ، وجواريه بين يديه ، وضعفُ جاريته عنده . فقال

لها : غيَّ ، فقد سررتُ بعمومي . فاندفعتُ تغنيه :

هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما فعلتُ يوماً بكسرى مراربه

بنى هاشم كيف التَّواصل بيننا وعند أخيه سيفه ونجائبه

(١) في الاستيعاب : « وما » . (٢) البلقعة : الأرض القفر . والصلود : الفلاة الصلبة التي لا تنبت شيئاً .

(٣) رؤذباري : نسبة إلى رؤذبار : مكان .

فغضب وتطيّر وقال : ويحك ! ما قصّتك ؟ انثني وانتبهني وغنيّني ما يسّرني .
فاندفعت وغنّت :

هَذَا مَقَامُ مُطَرِّدٍ ^(١) هُدِمَتْ مَنَازِلُهُ وَدُورُهُ

فازداد تطيُّراً . ثم قال : ويحك ! أنتبهني وغنيّ غير هذا . فغنّت :

كَلِيبُ لَعَمْرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِراً وَأَيْسَرُ جُرْماً مِنْكَ ضَرْجٌ بِالْدَمِ
فَقَالَ لَهَا : قُومِي إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ ! فَوَثَبْتُ ، وَكَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَدْحٌ بَلَّورٌ كَانَ لِحَبِّهِ
إِيَّاهُ سَمَاءٌ « مُحَمَّدًا » بِاسْمِهِ ، فَأَصَابَهُ طَرَفُ ذَيْلِهَا فَسَقَطَ عَلَى بَعْضِ الصَّوَانِي فَانْكَسَرَ
وَتَفَتَّتْ . فَأَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ : أَرَى وَاللَّهِ يَا عَمُّ أَنْ هَذَا آخِرُ أَمْرِنَا . فَقُلْتُ : كَلَا ،
بَلْ يُبْقِيكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَيُسْرِكَ . قَالَ : وَدِجَلَةٌ وَاللَّهِ هَادِئَةٌ مَا فِيهَا صَوْتُ
مُجْدَافٍ وَلَا أَحَدٍ يَتَحَرَّكُ ، وَلَا هِيَ إِلَّا كَالطَّاسِثَةِ هَادِئَةٌ ، فَسَمِعْتُ هَاتِفًا يَهْتِفُ :
(قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) . فَقَالَ لِي : أَسَمِعْتَ يَا عَمُّ مَا سَمِعْتُ ؟ فَقُلْتُ :
وَمَا هُوَ ؟ وَقَدْ وَاللَّهِ سَمِعْتُهُ . فَقَالَ : الصَّوْتُ الَّذِي جَاءَ السَّاعَةَ مِنْ دِجَلَةٍ . فَقُلْتُ :
مَا سَمِعْتُ شَيْئًا وَلَا هَذَا إِلَّا تَوَهُّمٌ . وَإِذَا الصَّوْتُ قَدْ عَادَ يَقُولُ : (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي
فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) . فَقَالَ : انْصَرَفَ يَا عَمُّ إِلَى بَيْتِكَ أَثَابَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ ، فَحَالَ إِلَّا أَنْ
تَكُونَ الْآنَ قَدْ سَمِعْتَ مَا سَمِعْتُ . فَانْصَرَفْتُ ، وَكَانَ آخِرُ الْعَهْدِ بِهِ .

(١) مطرد : مطرود .

أخبار إبراهيم الموصلي

هو إبراهيم بن ماهان . وأصله من الفرس ، وله بيتٌ شريف في العجم .
 وكان يقال له : إبراهيم بن ميمون . وسببُ نسبته أنه كتب إلى صديق له فعنون
 كتابه : « من إبراهيم بن ماهان » . فقال له بعض فتيان الكوفة : أما تستحي
 من هذا الاسم ؟ فقال : هذا اسم أبي . قال : فغيره . قال : كيف أُغيره ؟ فأخذ
 الكتاب فحذف « ماهان » وكتب ميمون .

نسبه وأصله

وأمه من بنات الدهاقين الذين هربوا من فارس لما هرب أبو إبراهيم .
 فنزلوا جميعاً الكوفة ، فزوجهها « ماهان » بالكوفة فولدت له إبراهيم . ومات
 في الطاعون الجارف ، وخلف إبراهيم طفلاً .

أمه

وكان مولده سنة خمسٍ وعشرين ومائة . وتوفي ببغداد سنة ثمانٍ وثمانين ومائة .
 وعمر ثلاثاً وستين سنة .

مولده ووفاته

وكان مقام إبراهيم مع أمه وأخواله حتى ترعرع ، فكان مع ولد خزيمة
 ابن خازم . فبهذا السبب صار ولاؤه لبني تميم .

ولاؤه

وإنما قيل له : الموصلي ، لأنه لما نشأ وأدرك صحب الفتيان واشتبه الغناء ،
 فطلبه . واشتدَّ أخواله عليه في ذلك وبلغوا منه ، فهرب إلى الموصل فأقام بها نحواً
 من سنة ، فلما رجع إلى الكوفة قال له إخوانه من الفتيان : مرحباً بالفتي الموصلي .
 فغلبت عليه .

سبب تلقيبه
بالموصلي

وأول هاشميَّ صحبه إبراهيم وغيَّ عنده : عيسى بن سليمان بن علي ، أخو جعفر ،
 ومحمد ، وكان فتاهم ظرفاً ولهواً وسماحةً . وأول خليفة سَمِع غناء المهدى ،
 وُصف له فأخذه من عيسى .

أول من صحب
وغيَّ عنده

وحكى إبراهيم الموصلي قال :

حبس المهدي له
في شربه الخمر
ومنعته إياه من
الدخول على ابنه

كان المهدي لا يشرب ، فأرادني على ملازمته وترك الشرب ، فأبيت عليه .
وكنت أغيب عنه الأيام ، فإذا جئته جئته مُنْشِياً . فغاضه ذلك ، فضر بني
وحبسنى ، فحذقت الكتابة والقراءة في الحبس ، ثم دعاني يوماً فعاتبني على شربي
في منازل الناس والتبذل معهم . فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنما تعلمت هذه الصنعة
للذئ وعشرة إخواني ، ولو أمكنني تركها وجميع ما أنا فيه لتركها والله (١) .
فغضب غضباً شديداً وقال : لا تدخل على موسى وهارون ، فوالله إن دخلت
عليهما لأفعلن ولأصنعن . فقلت له : نعم . ثم بلغه أني كنت معهما في نزهة لهما ،
ومعهما أبان الخادم ، فسعى بهما وبني إلى المهدي وحدثه بما كنا فيه . فدعاني
فسألني ، فأنكرت . فأمر بني فجردت ، فضر بني ثلثمائة وستين صوتاً . فقلت له ،
وهو يضربني : إن جرمي ليس من الأجرام التي يحل بها سفك دمي ، والله
لو كان سرُّ أبنيك تحت قدمي مارفعتها عنه ولو قطعت ، ولو فعلت ذلك كنت
في حال أبان الساعي العبد ! فلما قلت له هذا ، ضر بني بالسيف في جفنه ،
فسقط مغشياً على ساعة ، ثم فتحت عيني فوقعنا على عيني المهدي ، فرأيتهما
عيني نادم . وقال لعبد الله بن مالك : خذه إليك . فأخرجني عبد الله إلى داره ،
وأنا أرى الدنيا في عيني صفراء وخضراء وسحراء ، من حرِّ السَّوْط ، وأمره أن
يتخذ لي شبيهاً بالقبر فيحبسنى فيه . فدعا عبد الله بكبشٍ فدبح وسُلخ وألبسنى
جلده ليسكن ألم الضرب ، ودفعني إلى خادم له فصيرني في ذلك القبر ، ووكل بي
جارية . فتأديت بنز كان في ذلك القبر وابلق ، وكان فيه خلاء أستريح إليه .
فقلت للجارية : اطلبي لي أجرّة عليها فحم وكُنْدُر يذهب عني هذا البق . فلما
دخنت أظلم القبر على حتى كادت نفسي تخرج ، فاسترحت إلى النز وألصقت
أنفي به حتى خف الدخان . فلما ظننت أني قد استرحت مما كنت فيه ، إذا حيّتان

(١) في بعض أصول الأغاني : « لله جل وعز » .

مُقبِلتان نحوى من شقِّ القبر يدوران حولي بحفيف شديد . فهممت أن آخذ
واحدةً بيدي اليمنى والأخرى بيدي اليسرى ، فإمّا على وإمّا لى ، ثم كُفيتُهما .
فدخلتا في الثقب الذي خرجتا منه . فكثتُ في ذلك القبر ما شاء الله .

وقال إبراهيم في محبسه ذلك :

ألا طال ليلى أراعى النجوم أعالج في الساق كنبلاً ثقيلاً
بدارِ الهموم^(١) وشرِّ الديار أسامُ بها الخسفَ صبراً جميلاً
كثيرَ الأخلاء عند الرّخاء فلمّا حُبستُ أراهم قليلاً
لطول بلائى قلّ الصّديقُ فلا يأمّننّ خليلٌ خليلاً

قال :

ثم أخرجني المهديّ وحلّفتي بالطلاق والعِتاق وكلَّ يمين لا فُسحةَ فيها
ألا أدخل على ابنيّه : موسى وهارون أبداً ، ولا أغنيهما . وخلّى سبيلي .

فلما مات المهديّ وولى موسى الهادي الخلافة استنتر إبراهيمُ منه ولم يظهر له ،
بسبب الأيمان التي حلّفته بها . وكان منزله ومنازل أهله تُسكّس في كل وقت .
وأهله يُروّعون بطّبه ، حتّى أصابوه ، فمضوا به إليه . فلما حضر عنده غنّاه لحناً
في شعره :

يا بن خير الملوّك لا تنر كني غرضاً للعدوّ يُرمي حيالي
إنّني في هواك فارقتُ أهلي ثم عرّضتُ مُهجتي للزّوال
ولقد عفّت في هواك حياتي وتغرّبتُ بين أهلي ومالي

فمّواه الهادي وخوّله ، وأخذ منه في يوم واحد مائة ألف وخمسين ألف دينار .

وحكى أن إسحاق بن إبراهيم قال لابنه حمّاد :

حديث حماد عن
قراء إبراهيم وكرمه

(١) في بعض الأصول : « الهوان » .

نظرتُ إلى ما صار إلى جدِّك من الأموال والصَّلات ، وثنى ما باع من جوائزه ، فوجدته أربعةً وعشرين ألفَ ألفِ درهمٍ ، سوى أرزاقه الجارية ، وهى عشرةُ آلافِ درهمٍ فى كلِّ شهرٍ ، سوى غلات ضياعه ، وسوى الصَّلات النِّزرة التى لم يُحصِها . ولا والله ما رأيتُ أكرمَ منه ، كان له طعامٌ مُعدُّ أبداً فى كلِّ وقت . قال حماد : يا أبى ، كيف يُمكنه ذلك ؟ قال : كان له فى كلِّ يوم ثلاثُ شِياهٍ : واحدة مقطَّعة فى القدور ، وأخرى مسلوخة معلَّقة ، وأخرى حيَّة ، فإذا أتاه قوم طعموا ما فى القدور ، وإذا فرغتُ قطعت الشاة المعلَّقة ونُصبت القدور ، ودُبحَت الشاةُ الثالثة وعُلِّقت ، وأتى بأخرى وهى حيَّة فى المطبخ . وكانت وظيفته لطعامه وطيبه وما يتَّخذ له فى كلِّ شهر ثلاثين ألفَ درهمٍ ، سوى ما كان يُجرى وسوى كُسوته . ولقد انفقَ عنده مرةً من الجوارى الدَّائع لإخوانه ثمانون جاريةً ، ما منهنَّ واحدةٌ إلا ويُجرى عليها من الطعام والكسوة والطَّيب مثلُ ما يُجرى لأخصَّ جواريه ، فإذا رُدَّت الواحدةُ منهنَّ إلى مولاهما وصلها وكساها . ومات وما فى ملكه إلا ثلاثه آلاف دينار ، وعليه سبعةُ دنانير ، قُضيت منها .

وقال إسحاق بن إبراهيم :

اشترى الرِّشيدُ من أبى جاريةً بسنةٍ وثلاثين ألفَ دينار ، فأقامتُ عنده ليلةً ، ثم أرسل إلى الفضل بن الرِّبيع : إنَّا اشترينا هذه الجارية من إبراهيم ، ونحسب أنها من بابتنا^(١) ، وليست كما ظنَّنا ، وما قرَّبنا ، وقد ثقل على الثمن ، وبينك وبينه ما بينكما ، فاذهب إليه واسأله أن يُحطَّنا من ثمنها ستة آلاف دينار . فصار الفضل إليه فاستأذن . فخرج فتلقاه . فقال : دَغى من هذه الكرامة التى لا مؤونة فيها ، لستُ ممن يُخدع ، وقد جئتُك فى أمرٍ أصدِّقك عنه . ثم أخبره الخبرَ كُلَّهُ . فقال له إبراهيم : إنما أراد أن يَبْلُوَ قدرَكَ عندى . ثم قال : ما لى

حديث الجارية
التي اشتراها منه
الرَّشيد

(١) أى تصلح لنا .

فى المساكين صدقة إن لم أضعفه لك ، قد حططت لك اثنى عشر ألف دينار . فرجع الفضل إليه بالخبر ، فقال : ويلك ! احمل إلى هذا ماله ، فما رأيت سوقاً قط أنبل نفساً منه . قال إسحاق : وكنت قد أتيتك وقلت له : ما كان لحطيطة هذا المال معنى وما هو بقليل . فقال لى : أنت أحمق ! أنا أعرف الناس به . والله لو أخذت المال منه مكملاً ما أخذته إلا وهو كاره له ، ويحمد على ذلك ، وكنت أكون عنده صغير القدر ، وقد مننت عليه وعلى الفضل ، وانسبطت نفسه ونشط وعظم قدرى عنده ، وإنما اشتريت الجارية بأربعين ألف درهم ، وقد أخذت بها أربعة وعشرين ألف دينار . فلما حمل المال إليه بدون حطيطة دعانى وقال : كيف رأيت يا إسحاق ! من البصير أنا أم أنت ؟ فقلت : جعلنى الله فداك ! أنت .

وقيل :

أخرجه الرشيد من الحبس فغناه فوصله

غضب الرشيد عليه يوماً مرةً فقيده وحبسه بالرقعة . ثم جلس للشرب يوماً فى مجلس ، قد زينته وحسنه ، فقال لعيسى بن جعفر : هل لمجلستنا عيب ؟ قال : نعم ، غيبة إبراهيم الموصلى عنه . فأمر بإحضاره ، فأحضر فى قيوده ، ففكت عنه بين يديه ، وأمرهم فناولوه عوداً ، وقال : غنى إبراهيم ، فغناه :

تَضَوَّعَ مِسْكاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةِ خَفَرَاتِ
فاستعاده وشرب وطرب وقال : هَنَاتْنِي يَوْمِي وَسَاهَنِيكَ بِالصَّلَةِ ، قَدْ وَهَبْتُ
لَكَ الْهَنَى وَالْمَرَى ، وهما قرستان عظيمتان من قرى الرقة . فلما أصبح عوّضه عنهما مائتي ألف درهم .

وحكى إبراهيم قال :

رَأَيْتُ يَحْيَى بْنَ خَالِدٍ خَارِجاً مِنْ قَصْرِهِ الَّذِي عِنْدَ بَابِ الشَّامِ سَيِّئُ رِيدِ قَصْرِهِ
الَّذِي بِيَابِ الْبَرْدَانِ^(١) ، وهو يتمثل :

ثنى بيتاً أنشده يحيى وغناه فيسه فأجازه

(١) البردان : قرية من قرى بغداد .

هَوَىٰ بِتَهَامَةٍ وَهَوَىٰ بِنَجْدٍ فَاتْلَفْنِي ^(١) التَّهَامُ وَالنَّجْدُ
فَزِدْتُهُ عَلَيْهِ :

أُقِيمُ بَذَا وَأَذْكُرُ عَهْدَ هَذَا فلي ما بين ذاك هَوَىٰ جَدِيدُ
وصنعتُ فيه لحناً ثم صرتُ إليه فغَنَيْتُهُ . فأمر لي بألف دينارٍ وبدابته التي
كانت تحته يومئذٍ بسرجه ولجامه . فقلتُ : جزاك الله من سيّد خيراً ! فإنك تأتي
الأنفُسَ وهي شوارد فتقرها ، والأهواء وهي سقيمة فتصحبها . فأمر لي بألف دينارٍ
أخرى . قال إبراهيم : ثم ضرب الدّهر من ضربه ^(٢) ، فبينما أنا أسير معه ، إذ لقيه
العبّاس بن الأحنف ، وكان ساخطاً عليه لشيء بلغه عنه ، فترجّل له وأنشده :

بِالله يا غضبانُ إِلَّا رَضِيتُ أَذَا كَرُّ لِلْعَهْدِ أَمْ قَدْ نَسِيتُ
فقلت : بل ذا كَرُّ يا أبا الفضل . وأضفتُ إليه هذا البيت :

لو كنتُ أبغى غير ما تشتهي دعوتُ أن تُبَلِّى كما قد بليتُ
وصنعتُ فيه لحناً وغَنَيْتُهُ به . فأمر لي بألف دينار ، وضحك . فقلتُ : من
أى شيء تضحك يا سيدي ؟ لا زلتَ ضاحكاً مسروراً . قال : ذكرتُ ما جرى
في الصّوت الأول ، وأنه كان مع الجائزة دابةً بسرجه ولجامه ، ولن تنصرف الليلة
إلا بمثله . فقمْتُ فقبلتُ يده . فأمر لي بألف دينارٍ أخرى وقال : تلك الكثرة
شكرتَ على الجائزة بكلامٍ وزدناك ، والآن شكرتَ بفعلٍ أوجب الزيادة ، ولولا
أنى مضيق في هذا الوقت لضاعفتها ، ولكن الدّهر بيننا مُستأنف .

قيل :

وكان إبراهيم في براعته في الغناء وتقدّمه فيه كالرجل المَفوّه ، إن خطب
أحسن ، وإن كتب أحسن ، وإن قال شعراً أحسن ، بخلاف غيره من المغنّين .

(١) في بعض أصول الأغاني : « فأبليتني » . (٢) أى مر من مروره ومضى بعضه .

شعر أبي العتاهية له
في حبسه

وذكر أنه لما حبس الرشيد إبراهيم الموصلي قال أبو العتاهية مخاطبه :

أيا غمّي لغمّك يا خليلي ويأويلى عليك وياعويلي
يعزّ على أنّك لا تراني وأنّى لا أراك ولا رسولي
وأنّك في محلّ أذى وضيق وليس إلى لقاءك من سبيل
وأنّى لست أملك عنك دفعاً وقد فوجئت بالخطب الجليل

وقال أيضاً في حبسه :

سئم يا سئم ليس دونك^(١) سرّ حبس الموصلي فالعيش مرّ
ما استطاب اللذات مذّغاب في المط يبق رأس اللذات في الناس حرّ
ترك الموصلي من خلق الله جميعاً وعيشهم مكفهر
حبس اللهو والشورور فما في الـ أرض شيء يلهمي به أو يسرّ

وحكي محارق قال :

هو ومحارق
وأخذهما دراهم من
يحيى البرمكي
وأولاده

اشتغل الرشيد يوماً واصطبج مع الحرّم ، وقد أصبحت السماء متغيّمة تطشّ
طشاً خفيفاً . فقلت : والله لأذهبنّ إلى أستاذي إبراهيم فأعرف خبره ، ثم أعود .
فأمرت من عندي أن يسووا مجلساً لنا إلى وقت رجوعي ، فجئت إلى إبراهيم
الموصلي ، وإذا الباب مفتوح والذهليز قد كنس والبواب قاعد ، فقلت : ما خبر
أستاذي ؟ فقال : أدخل . فدخلت ، فإذا هو جالس في رواق له وبين يديه قدور
تغرغر وأباريق تزهر ، والسّتارة منصوبة والجواري خلفها ، وإذا قدّامه طست
فيه رطلية وكوز وكأس . فدخلت أترنم ببعض الأصوات ، وقلت له : ما بال
السّتارة لست أسمع من ورائها صوتاً ؟ فقال : اقعد ويحك ! إنّي أصبحت على
الذي ظننت ، فجاءني خبر ضيعة تجاورني ، وقد والله طلبتها زماناً وتمنيتها

(١) في بعض أصول الأغاني : « ستر » مكان « سر »

ولم أملكها . وقد أعطى بها صاحبها مائة ألف درهم . فقلت له : ما يمنعك منها ؟ فوالله لقد أعطاك الله أضعاف هذا المال وأكثر . فقال : صدقت ، ولكن لست أطيب نفساً بأن أخرج هذا المال . فقلت : فمن يعطيك الساعة مائة ألف درهم ؟ والله ما أطعم في ذلك من الرشيد فكيف بمن دونه ! فقال : أجلس ، خذ هذا الصوت . سم نقر بقضيب على الدواة وألقى هذا الصوت على :

نام الخليلون عن همٍّ وعن^(١) سقمٍ . وبِتُّ من كثرة الأحزان لم أتم .
يا طالب الجود والمعروف مجتهداً . أعمد ليحيى حليف الجود والكرم
والشعر لأبي النصير^(٢) يمدح به يحيى بن خالد بن برمك . قال : فأخذته
وأحكمته . ثم قال لي : أمض الساعة إلى الوزير يحيى بن خالد فإنك تجد الناس
عليه قبل أن يفتح الباب ، ثم تجد الباب قد فُتح ولم يجلس بعد ، فاستأذن عليه
قبل أن يصل إليه أحد ، فإنه سيُنكر مجيئك ويقول : من أين أقبلت في هذا
الوقت ؟ فحدثه بقصدك إياي وما ألقيتُ إليك من خبر الضيعة ، وأعلمه أنني قد
صنعتُ هذا الصوت وأعجبني ، ولم أر أحداً يستحقه إلا جاريته فلانة ، وأني
ألقيته عليك حتى أحكمته لتطرحه عليها . فسيدعوها ويأمر بالسَّتارة فتُنصب
ويوضع لها كرسي ويقول لك : أطرحه عليها بحضرتي . فافعل وأتني بما يكون
بعد ذلك من الخبر . قال : فجئتُ باب يحيى بن خالد ، فوجدته كما وصف . وسألني ،
فأعلمته بما أمرني به . ففعل كل شيء قال لي إبراهيم . وأحضر الجارية فألقيته عليها .
ثم قال : تقيم عندنا يا أبا المهنا أو تنصرف ؟ فقلت : أنصرف ، أطال الله بقاءك ،
فقد علمت ما أذن لنا فيه . فقال : يا غلام ، احمل مع أبي المهنا عشرة آلاف

(١) في بعض أصول الأغاني : « من هم ومن سقم » .

(٢) هو عمر بن عبد الملك البصري ، شاعر من شعراء البصرة ، وكان يغني على جوار له مولدات ، وكان صديقاً لأبان اللاحق ثم افترقا وتهاجيا . وانقطع أبو النصير إلى البرامكة إلى أن مات . وسترده ترجمته .

درهم ، واحمل إلى أبي إسحاق مائة ألف درهم ثمن هذه الضيعة . فحملت العشرة آلاف معي ، وأتيت منزلي وقلت : أسرتُ يومى وأشرب وأسرّ من عندي . ومضى الرسول بالمال إلى إبراهيم . فدخلت منزلي ونثرت على من عندي من الجوارى دراهم من تلك البسدة ، وتوسدتها وأكلت وشربت يومى كله . فلما أصبحت قلت : والله لآتين أستاذى ولأعرفن خبره . فأتيته فوجدت الباب كهيئته بالأمس . ودخلت فوجدته على مثل ما كان عليه ، فترنمت وطربت ، فلم يتلق ذلك بما يجب . فقلت : ما الخبر ؟ ألم يأتك المال ؟ قال : بلى . فما كان خبرك أنت ؟ فأخبرته بما كان وهب لى ، وقلت : ما ينتظر من خلف الستارة ؟ فقال : ارفع السجف . فرفعته فإذا عشر بدر . فقلت : فأى شئ بقى عليك فى أمر الضيعة ؟ فقال : ويحك ! ما هو والله إلا أن دخلت منزلي حتى شححت عليها وصارت مثل ما حويت قديماً . فقلت : سبحان الله العظيم ! فتصنع ماذا ؟ قال : قم حتى ألقى عليك صوتاً صنعتُهُ يفوق ذلك . فقممتُ فجلست بين يديه . فألقى على :

وَيَفْرَحُ بِالْمَوْلُودِ مِنْ آلِ بَرِّمَكِ بُغَاةَ النَّدى وَالسَّيْفِ وَالرُّمْحِ وَالنَّضْلِ
وَتَنْبُسُطُ الْأَمْوَالُ فِيهِ لِفَضْلِهِ وَلَا سِيَا إِنْ كَانَ مِنْ وَلَدِ الْفَضْلِ
والشعر لأبى النضر .

قال : فلما ألقى على الصوت سمعت ما لم أسمع بمثله قط وصغر فى عيني الأول ، فأحكمته . ثم قال : امض الساعة إلى الفضل بن يحيى ، فإنك تجده لم يأذن لأحد بعد ، وهو يريد الخلوة مع جواريه اليوم ، فأستأذن عليه وحديثه مجدينا أمس . وما كان من أبيه إلينا وإليك . وأعلمه أنى قد صنعتُهُ بالأمس وأنى ألقيته عليك حتى أحكمته . ووجهت بك قاصداً لتلقيه على فلانة جاريتيه . فصرت إلى باب الفضل فوجدت الأمر على ما ذكره ، واستأذنت فوصلت ، وسألنى عن الخبر ، فأعلمته بخبرى وما وصل إلى وإليه من المال . فقال : أخزى الله إبراهيم ! ما أبخله

على نفسه ! ثم دعا خادماً فقال : اضرب الستارة ، فضربها . ثم قال : ألقه . فلما غنيتته لم أتمه حتى أقبل يجير مطرفه ، ثم قعد على وسادة دون الستارة وقال : أحسن والله أستاذك ! وأحسنت أنت يا مخارق ! فلم أبرح حتى أخذته الجارية فأحكمته . فسُرَّ بذلك سُروراً شديداً وقال : أقيم عندي اليوم . فقلت : ياسيدي ، إنما بقي لنا يومٌ واحد ، ولولا أنني أحب سُرورك لم أخرج من منزلي . فقال : يا غلام ، احمل مع أبي المهنأ عشرين ألف درهم ، وإلى أبي إسحاق مائتي ألف درهم . فانصرفتُ إلى منزلي بالمال . وفتحتُ بكرةً فنثرتُ منها على الجوارى وشربتُ أنا ومن عندي . فلما أصبحتُ بكرتُ إلى إبراهيم أتعرف خبره وأعرفه خبري . فوجدته على الحال التي كان عليها أولاً وآخرأ . فدخلتُ أثرهم وأصقق . فقال لي : أدن . فقلت : ما بقي ؟ فقال : اجلس وارفع سِجْف هذا الباب . ففعلتُ ، فإذا عشرون بكرةً مع العشرة . فقلت : ما تنتظر ؟ فقال : ويحك ! ماهو والله إلا أن حصلتُ حتى جرتُ مجرى ما تقدّم . فقلت : والله ما أظن أن أحداً نال في هذه الدولة ما نلت ، فلم تبخل على نفسك بشيء تمنيتَه دهرأ ، وقد ملكك الله أضعافه ؟ فقال : اجلس فخذ هذا الصوت . فجلست ، فألقى على صوتاً أنساني صوتي الأولين ، وهو :

أفي كلِّ يومٍ أنت صَبٌّ وليلةٍ إلى أمِّ بَكْرٍ لا تُفِيقُ فتُقصِرُ
أحبُّ على الهجران أكنافَ بيتها فيالك من بيتٍ يُحبُّ ويُهجرُ
إلى جعفرٍ سارتُ بنا كلُّ^(١) جَسرةٍ طواها سُراها نحوَه والتهجرُ
إلى واسعٍ للمُجْتدين فِناوَه ترُوح عطاياه عليهم وتبكرُ
والشعر لمروان بن أبي حَفْصة .

(١) الجسرة : الناقة العظيمة .

قال مخارق : ثم قال لى إبراهيم : هل سمعتَ مثلَ هذا ؟ فقلتُ : ما سمعتَ قطُّ مثله . فلم يزل يُردِّده علىَّ حتى أخذته . ثم قال لى : امضِ إلى جعفر فافعل به كما فعلتَ بأبيه وأخيه . قال : فمضيتُ ففعلتُ مثلَ ذلك ، وخبرته ما كان ، وعرضتُ الصوتَ ، فسرَّ به . ودعا خادماً فأمره بضرب الستارة ، وأحضر الجارية وقعد على كرسيٍّ ثم قال : هاتِ يا مخارق . فاندفعتُ فألقيتُ الصوتَ عليها حتى أخذته . فقال : أحسنتِ يا مخارق ! وأحسن استاذك ! فهل لك فى المقام عندنا اليوم ؟ فقلت : ياسيدى ، هذا آخر أيامنا ، وإنما جئتُ لموقع الصوتِ منى حتى ألقينه على الجارية . فقال : يا غلام ، تحمل مع مخارق ثلاثين ألف درهم ، وإلى الموصلى ثلاثمائة ألف درهم . فصرتُ إلى منزلى بالمال ، وأقمتُ ومن عندى مسرورين ، نشرب طول يومنا ونطرب . ثم بكرتُ إلى إبراهيم فتلقانى قائماً ، ثم قال : أحسنتِ يا مخارق ! فقلت : ما الخبر ؟ فقال : اجلس . فجلستُ . وقال لمن خلف الستارة : خذوا فيما أتم فيه . ثم رفع السجف . فإذا المالُ . فقلت : ما خبر الضيعة . فأدخل يده تحتِ مسورة^(١) وهو مُتَّكئ عليها ، فقال : هذا صكُّ بالضيعة ، سئل عن صاحبها فوجد ببغداد ، فاشتراها منه يحيى بن خالد وكتب إلى : قد علمتُ أنك لا تسخو نفسك بشراء هذه الضيعة من مالٍ يحصل لك ولو حوتِ الدنيا كلها ، وقد ابتعتها لك من مالى . ووجه إلى بصكها وهذا المال كما ترى . ثم بكى وقال : يا مخارق ، إذا عاشرتَ فعاشراً مثل هؤلاء ، وإذا احتكرتَ فاحتكر^(٢) مثل هؤلاء ، ستمائة ألف ، وضيعة بمائة ألف ، وستون ألف درهم لك . حصلنا ذلك أجمع وأنا جالس فى بيتى لم أبرح منه ، فمتى يدرك مثل هؤلاء .

وحكى إبراهيم الموصلى قال :

أعطاء الفضل بن
يحيى بعد أن حبس
الخليفة عنه يده

(١) المسورة : الوسادة .

(٢) فى بعض أصول الأغاني : « خنكرت فخنكر مثل هؤلاء » . وخنكر ، أى غنى ، فارسى .

أتيتُ الفضل بن يحيى يوماً فقلتُ له : يا أبا العباس ، جعلتُ فداك ! هب لي
دراهم فإن الخليفة قد حبس يده عني . فقال : يا أبا العباس ، ما عندي ما أرضاه لك .
ثم قال : هاه ، إلا أن هاهنا خَصْلَةٌ ^(١) : أتانا رسولُ صاحبِ اليمين فقضينا حوائجه ،
ووجهُ بخمسين ألف دينار يشتري لنا بها محبَّتنا ، فما فعلتُ فلانةُ جاريَتك ؟ قلتُ :
عندي ، جعلتُ فداك . قال : فهوذا ، أقول لهم يشترونها منك ، فلا تنقصها من
خمسين ألف دينار . فقبَلتُ رأسه ثم انصرفتُ . فبكرتُ على رسولِ صاحبِ اليمين
ومعه صديقٌ له ولي ، فقال : جاريَتك فلانة عندك ؟ فقلتُ : عندي . قال :
اعرضها عليَّ . فأخرجتها . فقال : بكم ؟ فقلتُ : بخمسين ألف دينار ، ولا أنقص منها
ديناراً واحداً . وقد أعطاني الفضلُ بن يحيى أمسٍ هذه العطية . فقال لي : هل لك
في ثلاثين ألف دينار مُسَلَّمة لك ؟ وكان شرائي الجارية بأربعمائة دينار . فلما وقع
في أذني ذِكْرُ ثلاثين ألف دينار ، أرتج على ولحقتي زَمْعٌ ^(٢) . وأشار عليَّ
صديقي الذي معه بالبيع ، وخِفْتُ والله أن يحدث بالجارية حَدَثٌ أُوْبِي أو بالفضل
ابن يحيى ، فسأمتها وأخذت المال . ثم بكرت على الفضل ، فإذا هو جالسٌ وحده .
فلما نظر إليَّ ضحك وقال لي : يا ضيقَ العطنِ والحوصلة ^(٣) ، حرمتُ نفسك
عشرين ألف دينار . فقلتُ له : جعلتُ فداك ! دع ذا عنك فوالله ، لقد دخلني
شئٌ أعجزُ عن وصفه ، وخِفْتُ أن يحدث بي حادثٌ أو بالجارية أو بالمشتري
أو بك ، أعاذك الله من كل سوء ، فبادرت بقبول الثلاثين ألف دينار . فقال :
لا ضير ، يا غلام ، جِئْ بالجارية . فجِئْتُ بها بعينها . فقال : خذ بيدها وانصرف
مباركاً لك فيها . فما أردنا إلا منفعتك ولم نرُد الجارية . فلما نهضتُ قال لي :

(١) الخصلة : إصابة الهدف . يريد : حلا ومحرجا .

(٢) زمع : شبه رعدة .

(٣) العطن : مبرك الإبل . والحوصلة ، من الطير معروفة . ويكنى بضيقهما عن قلة الصبر ،

كما يكنى بها عن البخل .

مكانك ، إن رسول صاحب أرمينية قد جاءنا فقَضِينَا حوائجَه ونَقَذْنَا كُتْبَه . وقد ذكر أنه جاءنا بثلاثين ألف دينار يشتري بها لنا ما نُحِب ، فاعرض عليه جاريتك ولا تنقصها من ثلاثين ألف دينار . فانصرفتُ بالجارية . وبكرتُ على رسول صاحب أرمينية ومعه صديقٌ لى آخر . فقاولنى بالجارية ، فقلتُ له : لستُ أنقصها من ثلاثين ألف دينار . فقال لى : معى عشرون ألف دينار مُسَلِّمة ، خُذْهَا بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا . فدخلنى واللهِ مِثْلُ الذى دخلنى فى المرة الأولى وخفتُ مثل خَوْفى الأول . فسَلَمْتُهَا وأَخَذْتُ المَالَ . وبكرتُ على الفضل بن يحيى فإذا هو وحده . فلما رآنى ضَحَكُ وضَرَبَ برجله ثم قال : ويحك ! حرمتَ نَفْسَكَ عَشْرَةَ آلَافِ دينار ! فقلتُ : أَصْلَحَكَ اللهُ ! خِفْتُ واللهِ مِثْلَ ما خِفْتُ فى المَرَّةِ الأولى . فقال : لا ضير ، يا غلام ، جاريتَه . فجئى بها . فقال : خُذْهَا ، ما أردناها ولا أردنا إلا منفعتك . فلما وَلَّتِ الجاريةُ صَحَّتُ بها : أرجعى . فرجعتُ . فقلتُ : أَشْهَدُكَ ، جُعِلْتُ فِدَاكَ ، أنها حُرَّةٌ لوجه الله وأنى قد تزوجتها على عشرة آلاف درهم ، كَسَبْتُ لى فى يومين خمسين ألف دينار ، فما جزاؤها إلا هذا . فقال : وَفَّقْتُ إن شاء الله .

هو ومحمد بن يحيى
فى يوم مهرجان

وذكر أن إبراهيم الموصلى أتى محمد بن يحيى بن خالد بن برمك فى يوم مهرجان ، فسأله محمد أن يُقيم عنده . فقال : ليس يُمكننى ، لأن رسول أمير المؤمنين أتانى . قال : فتمرر بنا إذا انصرفت ولك عندنا كُلُّ ما يُهدى إلى اليوم . فقال : نعم . وترك فى المجلس صديقاً له يُحْصَى ما يُبْعَثُ به إليه . قال : فجاءت هدايا عجيبة من كل ضرب . وأهدى له تِمثالُ فيل من ذهب عَيْنَاهِ ياقوتتان . فقال محمد للرجل : لا تخبره بهذا لِنَبْعَثُ به إلى فلانة . ففعل . وانصرف إبراهيم إليه فقال : أَحْضِرْنِى ما أُهدى إليك . فأحضره ذلك كُلَّهُ إلا التمثال . ثم قال له : لا بُدَّ من صِدْقِكَ ، كان الأمر كذا وكذا . فقال : لا . إلا على الشريطة وكما ضَمِنْتَ . فجئى بالتمثال . فقال إبراهيم : أليس الهدية لى أعمل فيها ما أريد ؟ قال :

بلى . فردَّ التَّمثال على الجارية ، وجعل يُفرِّق الهدايا على جُلساء محمد شيئاً فشيئاً ، وعلى جميع مَنْ حَضَرَ من إخوانه وغلمانه ، وعلى مَنْ في دُور الحُرَم ، حتى لم يَبْقَ منها شيء . ثم أخذ من المجلس تَفَاحَتَيْن لَمَّا أراد الانصراف وقال : هَذَا لِي ، وانصرف . فجعل محمد يَعِجِب من كِبَرِ نَفْسِهِ ونُبُلِهِ .

وَحَكَى إبراهيم قال :

هووالرشيد في ليلة
بلغه فيها ما أغضبه
فغناه حتى سرى عنه

بينَا أَنَا عَشِيَّةٌ فِي بَيْتِي إِذْ أَتَانِي خَادِمٌ مِنْ خَدَمِ الرَّشِيدِ ، فَاسْتَحْتَنِي بِرُكُوبِي إِلَيْهِ . فَخَرَجْتُ شَبِيهاً بِالرَّأْكَضِ . فَلَمَّا صِرْتُ إِلَى الدَّارِ عُدَلْتُ بِي عَنْ الْمَدْخَلِ إِلَى دَارٍ لَا أَعْرِفُهَا ، فَأَتَيْتُ بَنِي دَارٍ جَدِيدَةِ الْبِنَاءِ . فَدَخَلْتُ صَحْنًا وَاسِعًا ، وَكَانَ الرَّشِيدُ يَشْتَهِي الصُّحُونِ الْوَاسِعَةَ . فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسَى فِي وَسْطِ ذَلِكَ الصَّحْنِ لَيْسَ عِنْدَهُ أَحَدٌ إِلَّا خَادِمٌ يَسْقِيهِ ، وَإِذَا هُوَ فِي لِبْسَتِهِ الَّتِي كَانَ يَلْبَسُهَا فِي الصَّيْفِ : غِلَالَةٌ رَقِيقَةٌ مَتَوَشَّحٌ عَلَيْهَا بِإِزَارِ رَشِيدِي عَرِيضَ الْقَلَمِ أَحْمَرٍ . فَلَمَّا رَأَيْتُ هَاشِمَ لِي وَسُرَّ وَقَالَ : يَا مُوصَلِيَّ ، إِنِّي اشْتَهَيْتُ أَنْ أَجْلِسَ فِي هَذَا الصَّحْنِ فَلَمْ يَتَّفَقْ لِي إِلَّا الْيَوْمَ ، وَأَحْبَبْتُ أَلَّا يَكُونَ مَعِيَ وَمَعَكَ أَحَدٌ . ثُمَّ صَاحَ : يَا غَلَامَ ، فَأَتَاهُ مَائَةٌ وَصَيْفٌ . وَإِذَا هُمْ فِي الْأَرْوَقَةِ مُسْتَتِرُونَ بِالْأَسَاطِينِ ^(١) حَيْثُ لَا يَرَاهُمْ ، فَلَمَّا نَادَاهُمْ جَاءُوا جَمِيعًا . فَقَالَ : مُقْطَعَةٌ لِإِبْرَاهِيمَ . وَكَانَ هُوَ أَوَّلَ مَنْ قَطَعَ الْمُصْلَكِيَّاتِ . فَأَتَيْتُ بِمَقْعَدٍ فَأَلْقَى لِي تَجَاهَ وَجْهِهِ بِالْقُرْبِ مِنْهُ . وَدَعَا بَعُودَ وَقَالَ : بِحَيَاتِي أَطْرَبُ بَنِي مَا قَدَرْتُ . قَالَ : فَفَعَلْتُ وَاجْتَهَدْتُ فِي ذَلِكَ وَنَشَطْتُ لَهُ وَرَجَوْتُ الْجَائِزَةَ فِي عَشِيَّتِي . فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ مَسْرُورُ الْكَبِيرِ فَقَامَ مَقَامًا كَانَ إِذَا قَامَهُ عُلْمٌ أَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُسَارَّهُ بِشَيْءٍ . فَأَوَّمَا إِلَيْهِ ، فَأَلْقَى فِي أُذُنِهِ كَلِمَةً خَفِيفَةً ثُمَّ تَنَحَّى . فَاسْتَشَاطَ غَضَبًا وَاحْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ ، ثُمَّ قَالَ : حَتَّامٌ أَصْبِرُ عَلَى آلِ بَنِي أَبِي طَالِبٍ ! وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُهُمْ وَلَا أَقْتُلَنَّ شِعْيَتَهُمْ وَلَا أَفْعَلَنَّ ! فَقُلْتُ : إِنَّا لِلَّهِ ! لَيْسَ وَاللَّهِ عِنْدَ هَذَا أَحَدٌ يُخْرِجُ غَضَبَهُ عَلَيْهِ غَيْرِي ، أَحْسِبُهُ وَاللَّهِ سَيُوقِعُ بِي ، فَاذْدَفْتُ فَعْنَيْتُ :

نِعْمَ عَوْنًا عَلَى الْهُمُومِ ثَلَاثُ مُتْرَعَاتٍ مِنْ بَعْدِهَا ثَلَاثُ
بَعْدَهَا أَرْبَعٌ تَتَمَّةٌ عَشْرٌ لَا بَطَاءَ لَكِنَّهُنَّ (١) حِثَّاتٍ
فَإِذَا نَاولَتْكُمُهنَّ جَوَارٍ عَطِرَاتٍ بِيضُ الْوُجُوهِ خِنَاثٍ
تَمَّ فِيهَا لَكَ السُّرُورُ وَمَا طَيَّبَ سَبَّ عَيْشًا إِلَّا الْخِنَاثُ الْإِنَاثُ

فقال : ويحك ! استغنى ثلاثًا لا أموت (٢) هَمًّا . فَشَرِبَ ثَلَاثًا مُتَتَابِعَةً ، ثُمَّ قَالَ :
أَعِدْ . فَعَنَيْتُ . فَلَمَّا قُلْتُ :

* ثَلَاثُ * مُتْرَعَاتٍ مِنْ بَعْدِهَا ثَلَاثُ *

قال : هاتِ ويحك ثلاثًا ! ثُمَّ قَالَ لِي : غَنِّ . فَلَمَّا عَنَيْتُهُ ، قَالَ : حُثَّ عَلَى
بَارِعِ تَتَمَّةِ الْعَشْرِ . فَفَعَلْتُ . فَوَاللَّهِ مَا اسْتَوْفَى آخِرُهُنَّ حَتَّى سَكِرَ وَنَامَ . فَهَبَضْتُ
لِيَدْخُلَ وَقَالَ : قُمْ يَا مُوصِلِي فَأُنْصَرِفْ ، يَا مَسْرُورَ ، أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِحَيَاتِي وَبِحَقِّي
إِلَّا سَبَقْتَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، لَا أُسْتَأْمَرُ فِيهَا وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْهَا . فَخَرَجْتُ وَاللَّهِ وَقَدْ
أَمِنْتُ خَوْفِي ، وَأَدْرَكْتُ مَا رَجَوْتُ ، وَوَأَفَيْتُ مَنْزِلِي وَقَدْ سَبَقَنِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

وَحَكَى إِبْرَاهِيمُ قَالَ :

حديث مع الرشيد
في جارية عرض
بها في مجلسه

قال لِي الرَّشِيدُ يَوْمًا : يَا إِبْرَاهِيمُ ، بَكَرْتُ عَلَى غَدَاً حَتَّى نَصْطَبِحَ . فَقُلْتُ لَهُ :
أَنَا وَالصُّبْحُ كَفَرَسَى رِهَانٍ . فَبَكَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِهِ خَالِيًا وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا
خُوطُ بَانٍ أَوْ جَدْلُ عَنَانٍ ، حُلُوةُ الْمَنْظَرِ ، دَمِثَةُ الشَّمَائِلِ ، وَفِي يَدَيْهَا عَوْذٌ . فَقَالَ لَهَا :
غَنِّي . فَعَنَنْتُ فِي شَعْرِ أَبِي نُوَّاسٍ :

تَوَهَّمَهُ قَلْبِي فَأَصْبَحَ خَدُّهُ وَفِيهِ مَكَانُ الْوَهْمِ مِنْ نَظَرِي أَثَرُ
وَمَرَّ بَقَلْبِي (٣) خَاطِرًا فَجَرَحْتُهُ وَلَمْ أَرَجِسْمًا قَطُّ يَجْرَحُهُ الْفِكْرُ
وَصَاحَفَهُ كَفِّي فَأَلَمَ كَفَّهُ فَمِنْ غَمَزٍ كَفِّي (٣) فِي أَنَامِلِهِ عَقَرُ

(١) حِثَّاتٍ : مُسْرَعَاتٍ . (٢) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « لَا أَمْتُ » .

(٣) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « بُوْهِي » . (٤) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « قَلْبِي .. قَلْبِي » .

قال إبراهيم : فذهبتُ والله بعقلي حتى كدتُ أفتضح ، فقلتُ : من هذه يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذه التي يقول فيها الشاعر :

لها قلبي الغداة وقلبيها لي فنحن كذاك في جسدَيْنِ رُوح
ثم قال : غني . فغنيتُ :

تقول غداة البين إحدى نساءهم لي الكيدُ الحرسي فسرُّ ولك الصبرُ
وقد خنقتها عبرة فدموعها على خدِّها بيضٌ وفي نحرها صُفرُ
والشعر لأبي الشيص الخزاعي .

قال : فشرب ، ثم سقاني وسقاها . وقال : غنَّ يا إبراهيم . فغنيتُ :

تَشْرَبُ قلبي حُبَّها ومَشَى به تَمْشِي حُمَيَّا الكأس في جِسمِ شَارِبِ
ودبَّ هواها في عِظامي فَشَفَّها كادبٌ في المَلْسُوعِ سَمُّ العقاربِ
فَطَنَ لتعريضى ، وكانت جهالةً مِنِّي . فأمرني بالانصراف ولم يدعني شهراً
ولا حضرتُ مجلسه . فلما كان بعد شهر دسَّ إلىَّ خادماً معه رقعةً فيها مكتوب :

قد تخوفتُ أن أموت من الوجْ ولم يدُرْ مَنْ هَوَيْتُ بما بي
يا كِتَابِي فأقرَّ السَّلام على مَنْ لا أُسمِّي وقُلْ له يا كِتَابِي
إنَّ كُفَّاً إِلَيْكَ قد ^(١) بعثتني في شقاءِ مُواصلٍ وعَذابِ

فأتاني الخادمُ بالرقعة ، فقلتُ له : ما هذا ؟ فقال : رقعةُ فلانة الجارية التي غنَّتك بين يدي أمير المؤمنين . فأحسستُ بالقصة ، فشتمتُ الغلام ووثبتُ إليه فضرَبته ضرباً شفيتهُ به نفسى وغيظى . وركبتُ إلى الرشيد من فورى فأخبرتهُ ، وأعطيتُهُ الرقعة . فضحك حتى كاد يستلقى وقال : على عمْد فعلتُ ذاك بك لأمتحك وأعرف مذهبك وطريقتك . ثم دعا بالخادم ، فخرج ، فلما رآني قال :

(١) في الأصل : « كتبتني » مكان « بعثتني » .

قطع الله يدَيْكَ ورجلَيْكَ ! قتلتني ! فقلتُ : القتلُ والله كان بعضُ حقِّكَ لما وردتَ به عليَّ ، ولكنِّي رحمتُكَ فأبقيتُ عليك وأخبرتُ أمير المؤمنين ليأتي في عُقوبتك بما تستحقه . فأمر لي الرشيدُ بصلة سنَّة . والله يعلم ما فعلت ذلك عفاً ولكن خوفاً .

وحكى إبراهيم قال :

هو وإيليس

استأذنت الرشيدَ في أن يَهَبَ لي يوماً من الجمعة لا يبعث إليَّ فيه بوجه ولا سبب ، لأخلو فيه بجواري وإخواني . فأذن لي في يوم السبت وقال : هذا يومُ أستقبله ، فآلهُ فيه بما شئت . ففعدتُ في منزلي وتقدّمت بإصلاح طعامي وشرابي وما أحتاج إليه ، وأمرت بوابي فأغلق الأبواب ، وتقدّمت إليه ألا يأذن لأحد على البتة . فبينما أنا في مجلسي والحرم قد حَفُّوا بي وجواري يتردّدن بين يديّ ، إذا أنا بشيخ ذي هيئة وجمال ، عليه خُفَّان قصيران وقميصان ، وروائح الطيب تفوح منه حتى ملأ البيت والدار . فدخلى لدخوله عليَّ مع ما تقدّمت فيه غيظاً ما دخلني قطُّ مثله ، وهممتُ بطرد بوابي ومن يحجبني لأجله . فسلم عليَّ أحسن سلام . فرددتُ عليه وأمرته بالجلوس . ثم أخذ في أحاديث الناس وأيام العرب وأشعارها حتى سلَّ ما كان بي من الغضب ، وظننتُ أن غلامي تخيروا مسرّتي بإدخال مثله عليَّ لأدبه وظرفه . فقلتُ له : هل لك في الطعام ؟ فقال : لا حاجة لي فيه . فقلت : هل لك في الشراب ؟ قال : ذاك إليك . فشربتُ رطلاً وسقيته مثله . فقال لي : يا أبا إسحاق ، أريد أن تُغنيّ لنا شيئاً فنسمع من صَبْعَتِكَ ما نفقت به عند الملوك والخاصّ والعام . فغاضني قوله ، ثم سهّلتُ الأمر على نفسي ، فأخذتُ العود وجسسته ، ثم ضربتُ وغنيتُ . فقال : أحسنتَ يا إبراهيم ! فازداد غيظي . وقلت : ما رضى بما فعله من دخوله عليَّ بغير إذني ، واقتراحه أن أغنيه ، حتى سمّاني ولم يُسكّنني ولم يُجمل مخاطبتي ! ثم قال : هل لك في أن تزيد ؟ فتدّمت

وَأَخَذْتُ الْعُودَ فَغَنَيْتُ . فَقَالَ : أَجَدْتَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ . فَأَتَمَّ حَتَّى نَكَافَتْكَ وَنَغْنَيْكَ .
فَأَخَذْتُ الْعُودَ وَتَغْنَيْتُ وَتَحَفَّظْتُ ، وَقُمْتُ بِمَا غَنَيْتَهُ إِيَّاهُ قِيَامًا تَامًا مَا تَحَفَّظْتُ مِثْلَهُ ،
وَلَا قُمْتُ بَعْنَاءَ كَمَا قُمْتُ بِهِ لَه بَيْنَ يَدَيِ خَلِيفَةِ قَطُّ وَلَا غَيْرِهِ ، لِقَوْلِهِ : أَكَافَتْكَ .
فَطَرِبَ وَقَالَ : أَحَسَنْتَ يَا سَيِّدِي وَيَا أَوْثَقَ عُدْدِي . ثُمَّ قَالَ : أَتَأْذَنُ لِعَبْدِكَ فِي
الْغِنَاءِ ؟ فَقُلْتُ : شَأْنُكَ . وَاسْتَضَعَفْتُ عَقْلَهُ فِي أَنْ يُغْنِيَ بِحَضْرَتِي بَعْدَ مَا سَمِعَهُ مِنِّي .
فَأَخَذَ الْعُودَ وَجَسَّهُ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ خِلْتُ أَنَّهُ يَنْطِقُ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ ، لِحَسَنِ مَا سَمِعْتُهُ
مِنْ صَوْتِهِ . ثُمَّ غَنَى :

وَلِي كَيْدٌ مَقْرُوحَةٌ مِنْ يَبِغْنِي بِهَا كَيْدًا لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوحِ
أَبَاهَا عَلَى النَّاسِ مَا يَشْتَرُونَهَا وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عُرَةٍ ^(١) بِصَحِيحِ
أَنْ مِنْ الشَّوْقِ الَّذِي فِي جَوَانِحِي أَنْيْنَ غَصِيصٍ بِالشَّرَابِ جَرِيحِ
قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَوَاللَّهِ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّ الْحَيَّاطَانَ وَالْأَبْوَابَ وَكُلَّ مَا فِي الْبَيْتِ
يُحِبُّهُ وَيُغْنِي مَعَهُ مِنْ حُسْنِ غِنَائِهِ ، حَتَّى خِلْتُ أَنِّي أَسْمَعُ أَعْضَائِي وَثِيَابِي تُجَاوِبُهُ ،
وَبَقِيَتْ مُبْهَوْتًا لَا أَسْتَطِيعُ الْكَلَامَ وَلَا الْجَوَابَ وَلَا الْحَرَكَةَ بِمَا خَالَطَ قَلْبِي . ثُمَّ غَنَى :

أَلَا يَا حَامَاتِ اللَّوَى عُدْنَ عَوْدَةً فَأَنَّى إِلَى أَصْوَاتِكِنَّ ^(٢) حَزِينَ
فَعُدْنَ فَلَمَّا عُدْنَ كِدْنَ يُمَتْنَنِي وَكِدْتَ بِأَسْرَارِ ^(٣) لَهْنِ أُبَيْنِ
دَعَوْنَ بِتَرْدَادِ الْمَهْدِيلِ كَأَمَّا شَرِبْنَ ^(٤) سُلَافًا أَوْ بَهَنَ جُنُونِ
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَهُنَّ حَامِمًا بَكَيْنَ وَلَمْ تَدْمَعْ لَهْنِ عُيُونِ
قَالَ : فَكَادَ عَقْلِي أَنْ يَذْهَبَ طَرِبًا وَارْتِيَا حَا لَمَّا سَمِعْتُهُ . ثُمَّ غَنَى :

أَلَا يَا صَبَا نَجْدٍ مَتَى هِجَّتْ مِنْ نَجْدٍ لَقَدْ زَادَنِي مَسْرَاكِ وَجْدًا عَلَى وَجْدٍ

(١) العرة : الحرب . وفي بعض أصول الأغاني : « علة » .

(٢) في الأصل : « حنين » مكان « حزين » .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « بأسراري » .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « الهدير ... سقين » .

أَنَّ هَتَفْتُ فِي جُنْحِ لَيْلٍ حَامَةٍ عَلَى غُصْنٍ غَضَّ النَّبَاتِ مِنْ (١) الرِّندِ
 بَكَيْتُ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ (٢) صَبَابَةً وَذُبْتُ مِنَ الْحَزَنِ الْمُبْرِحِ وَالْجَهْدِ
 وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْمَحَبَّ إِذَا دَنَا يَمَلُّ وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ
 بِكُلِّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يُشْفَ مَا بَنَا عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ

ثم قال : يا إبراهيم ، هذا الغناء الماخوري ، فُخِذْ وَأُنْحِ نَحْوَهُ فِي غَنَائِكَ وَعَلَّمَهُ
 جَوَارِيكَ . فقلت : أعدده عليّ . فقال : لست محتاج ، قد أخذته وفرغت منه .
 ثم غاب عني . فارتعتُ وقُمتُ إلى السَّيْفِ فَجَرَدْتُهُ وَعَدَوْتُ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدْتُهَا
 مُعْلَقَةً ، وقلت للجواري : أي شيء سمعتن عندى ؟ فقلن : سمعنا أحسنَ غناء
 سُمِعَ . فخرجت متحيرةً إلى باب الدار ، فوجدته مُعْلَقًا ، فسألت البوابَ عن الشَّيْخِ .
 فقال : أي شيخ ! والله ما دخل البابَ اليومَ أحدٌ . فرجعتُ لأتأملَ أُمْرِي ، فإذا
 هو قد هَتَفَ بِي مِنْ بَعْضِ جَوَانِبِ الْبَيْتِ : لَا بَأْسَ عَلَيْكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، أَنَا إِبْلِيسُ ،
 وَأَنَا كُنْتُ نَدِيمَكَ الْيَوْمَ .

فركبتُ إلى الرشيد وقلت : لَا أُطْرِفُهُ أَبَدًا بِطُرْفَةٍ مِثْلِ هَذِهِ . فدخلتُ إِلَيْهِ
 وَحَدَّثْتُهُ الْحَدِيثَ ، فقال : وَيْحَكَ ! تَأْمَلُ هَذِهِ الْأَصْوَاتَ : هَلْ أَخَذْتَهَا ؟ فَأَخَذْتُ
 الْعُودَ فَامْتَحَنْتُهَا ، فَإِذَا هِيَ رَاسِخَةٌ فِي قَلْبِي كَأَنَّهُا لَمْ تَزَلْ . فَطَرَبَ الرَّشِيدُ عَلَيْهَا وَجَلَسَ
 يَشْرَبُ ، وَلَمْ يَكُنْ عَزَمَ عَلَى الشَّرَابِ . وَأَمَرَنِي بِصَلَةِ وَمُحْلَانِ (٣) ، وقال : الشَّيْخُ
 كَانَ أَعْلَمَ بِمَا قَالِ مِنْ أَنَّكَ أَخَذْتَهَا وَفَرَّغْتَ مِنْهَا ، فَلَيْتَهُ أَمْتَعَنَا بِنَفْسِهِ يَوْمًا وَاحِدًا
 كَمَا أَمْتَعَكَ .

(١) الرند : شجر طيب الرائحة . والرواية في بعض أصول الأغاني :

أَنَّ هَتَفَ وَرَقَاءَ فِي رَوْنَقِ الضَّحَى عَلَى فَنَنِ غَضِّ النَّبَاتِ مِنَ الرِّندِ

(٢) في بعض الأصول : « الحزين » .

(٣) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة .

وحكى إبراهيم الموصلي قال :

حديث اختصاصه
بشعر ذى الرمة يغنى
فيه الرشيد

قال لى جعفر بن يحيى ، وقد علم أن الرشيد قد أذن لى والمغنين جميعاً فى الأنصراف يومئذ : صرّ لى حتى أهب لك شيئاً حسناً . فصرتُ إليه ، فقال : أيّما أحبُّ لك : الشئ الحسن ، أو أرشدك إلى شئ تكسب به ألف ألف درهم ؟ فقلت : لا بل يُرشدنى الوزير — أعزه الله — إلى هذا الوجه ، فإنّه يقوم مقام إعطائه إياى هذا المال . فقال : إنّ أمير المؤمنين يحفظ شعر ذى الرمة حفظ الصبي ويعجبه ويؤثره ، فإذا سمع فيه غناء أطرب به أكثر مما يطرب به غيره ممّا لا يحفظ شعره ، فإذا غنّيته فاطر بته وأمر لك بجائزة ، فقم على رجلتك وقبل الأرض بين يديه وقُل : إنّ لى حاجة غير الجائزة أريد أن أسألها أمير المؤمنين ، وهى حاجة تقوم عندى مقام كلِّ فائدة ، ولا تضُرُّه ولا ترزُوه . فإنه سيقول لك : أى شئ حاجتك ؟ فقل : قطعة تقطعنيها سهلة عليك ولا قيمة لها ولا منفعة لأحد فيها . فإذا أجابك إلى ذلك فقل : تقطعنى شعر ذى الرمة أغنى فيه ما أختاره ، وتحظُر على المغنين جميعاً أن يَدْخلونى فيه ، فإنى أحب شعره وأستحسنه ، ولا أحب أن ينغصه على أحد منهم . وتوثّق منه فى ذلك . فقيلتُ ذلك القول منه ، وما انصرفتُ مع ذلك القول إلّا بجائزة . وتوخيّت وقتاً للكلام فى هذا المعنى حتى وجدته ، فقلتُ فسألت كما قال لى ، قرأيت السُرور فى وجهه ، وقال : ما سألت شططاً ، قد أقطعتك ما سألت . فجعلوا يتضحكون من قولى ويقولون : لقد استضحمت القطيعة ! وهو ساكت . فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لى فى التوثّق ؟ فقال : توثّق كيف شئت . فقلت : بالله وبرسوله وتربة أمير المؤمنين المهديّ إلّا جعلتني على ثقة من ذلك ، بأن تحلف أنك لا تعطى أحداً من المغنين جائزة على شئ يُغنيّه من شعر ذى الرمة ، فإن ذلك وثيقتى . فحلف عليها مجتهداً لئن غنى أحد منهم فى شعر ذى الرمة لا أثابه ولا برّه ولا سمع غنّاءه . فشكرتُ فعُله وقبلتُ الأرض بين يديه ، وانصرفنا .

فغَنِيَّتُهُ مائةٌ صوتٍ وزيادة عليها في شعر ذِي الرُّمَّة ، فكان إذا سَمِعَ منها صوتاً
طَرِبَ وزاد طَرِبُهُ ووصلني وأَجْزَلَ . ولم يَنْتَفِعْ أَحَدٌ منهم به غَيْرِي . فَأَخَذْتُ منه
أَلْفَ أَلْفِ درهم ، وأَلْفَ أَلْفِ درهم .

وَذُكِرَ أن الرِّشِيدَ كان يَمُجِدُ بِمَارِدَةَ ، أم ولده المَعْتَصِم ، وجداً شديداً ، فغَضِبْتُ
عليه وغَضِبَ عليها ، وتَمَادَى بينهما المَهْجَرُ . فَأَمَرَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى العَبَّاسَ بن
الأَحْنَف ، فقال :

ترضى الرشيد
ماردة بشعر غناه
هو فيه

رَاجِعْ أَحَبَّتِكَ الَّذِينَ هَجَرْتَهُمْ إِنْ الْمُتَيْمِّمْ قَلَمًا يَتَجَنَّبُ
إِنْ التَّجَنُّبَ إِنْ تَطَاوَلَ مِنْكُمْ دَبَّ السَّلَؤُ وَعَزَّ مِنْكَ الْمَطْلَبُ

وأَمَرَ إِبْرَاهِيمَ المَوْصِلِيَّ أن يُغْنِيَ به الرِّشِيدَ . فلما سَمِعَهُ بَادَرَ إلى مَارِدَةَ ففَرَضَها .
فَسَأَلْتُ عن السَّبَبِ في ذلك فَعَرَفْتُهُ . فَأَمَرْتُ لِكُلِّ واحدٍ من العَبَّاسِ وإِبْرَاهِيمَ
بِعِشْرِينَ أَلْفَ درهم ، وسَأَلْتُ الرِّشِيدَ أن يُكَافِئَهُمَا . فَأَمَرَ لَهَا بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ درهم .

وقيل :

أول جائزة
خرجت من الرشيد
لشاعر كانت له

أول جائزة خَرَجَتْ لِشَاعِرٍ من الرِّشِيدِ ، لما وَلِيَ الخِلاَفَةَ ، جائزة إِبْرَاهِيمَ المَوْصِلِيَّ ؛
فإنه قال يمدحه لما وَلِيَ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ كَانَتْ مَرِيضَةً فَلَمَّا وَلِيَ هَارُونُ أَشْرَقَ نُورُهَا
تَلَبَّسْتُ^(١) الدُّنْيَا جَمَالاً بِوَجْهِهِ فَهَارُونُ وَالِهَا وَيَحْيَى وَزِيرُهَا

فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ درهم . وَأَمَرَ لَهُ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ بِخَمْسِينَ أَلْفَ درهم .

وَحَكَى إِبْرَاهِيمُ المَوْصِلِيَّ قال : قال لِي الرِّشِيدُ يوماً : إني قد جعلتُ غداً لِلْهَرَمِ ،
وجعلتُ ليلته للشرب مع الرِّجَالِ ، وأنا مُقْتَصِرٌ مِنَ الْمُغْنِيِّينَ عَلَيْكَ ، فلا تَشْتَغَلْ غداً
بشيءٍ ولا تَشْرَبْ نبيذاً ، وَكُنْ بِحَضْرَتِي في وقت عِشاء الآخرة . فقلتُ : السَّمْعُ

هو والرشيد
وقصة الزنبيل

(١) في بعض أصول الأغاني : « فالتبست » .

والطاعة لأمر المؤمنين . فقال : وحق أبي لو تأخرت أو أعتلت بشيء لأضربن عنقك ! أفهمت ؟ قلت : نعم . وخرجت . فما جاءني أحد من إخواني إلا احتجبت عنه ، ولا قرأت رُقعةً لأحدٍ ، حتى إذا صليت المغرب ركبت قاصداً إليه . فلما قرُبت من داره مررت بفناء قصرٍ ، فإذا زنبيل كبير مُستوثق منه بجمال وأربع عُرى ، قد دُلِّي من القصر ، وجارية قائمة تنتظر إنساناً قد وُعد ليجلس . فنازعتني نفسي إليه ، فقلت : هذا خطأ ، فلعله يعوقني عن الخليفة فيكون الهلاك . فلم أزل أنازع نفسي وتنازعني حتى غلبتني . فنزلت فيه ، ومُدَّ الزنبيل حتى صار بأعلى القصر . ثم خرجت فنزلت . فإذا جوارٍ كأنهن المَهْما جُلوسٌ ، فضحكُن وطربُن وقلُن : قد جاء والله ! فلما رأيتني من قريب تبادرن الحجاب وقلُن : يا عدو الله ! ما الذي أدخلك علينا ؟ فقلت : يا عدوات الله ! من الذي أردتن إدخاله ؟ ولم صار أولى مني بهذا ؟ فلم يزل ذلك دأبنا ، وهُن يضحكن وأضحك معهن . فقالت إحداهن : أما من أردناه فقد فات ، وما هذا إلا ظريف ، فهلم نعاشره عشرةً جميلة . فأخرج لي طعام فدُعيتُ إلى أكله ، ولم يكن في فضلة ، إلا أنني كرهت أن أنسب إلى سوء العشرة ، فأصبت منه إصابةً مُعَذِّراً^(١) . ثم جيء بالشراب فجعلنا نشرب ، وأخرجن إلي ثلاث جوارٍ لهن ، فغنَّين غناءً مليحاً ، فغنَّت إحداهن صوتاً لمعبد . فقالت إحدى الثلاث من وراء الستارة : أحسن إبراهيم الموصلي ! هذا له . فقلت : كذبت ! ليس هذا له ، هذا لمعبد . فقالت : يا فاسق ، وما يدريك الغناء ما هو ! ثم غنَّت الأخرى صوتاً للغريص . فقالت تلك : أحسن إبراهيم ! هذا أيضاً له . فقلت : كذبت ! هذا للغريص . فقالت : اللهم أخزه ، ويحك ! وما يدريك ! ثم غنَّت الجارية صوتاً لي . فقالت تلك : أحسن ابنُ سُرَّيح ! هذا له . فقلت : كذبت ، هذا لإبراهيم ، وأنت تنسبين غناء الناس إليه وغناءه إليهم . فقالت :

ويلك ! وما يدريك ؟ فقلت : أنا إبراهيم . فتباشرن بذلك جميعاً وظهرن كلهن
وقلن : كتمتنا نفسك وقد سررتنا . فقلت : أنا الآن أستودعكن الله . فقلن : وما
السبب ؟ فأخبرتهن بقصتي مع الرشيد . فقلن : الآن طاب حبسك ، علينا وعلينا
إن خرجت أسبوعاً . فقلت : هو والله القتل . فقلن : إلى لعنة الله ! فأقمت عندهم
أسبوعاً لا أزول . فلما كان بعد أسبوع ودعني ، وقلن : إن سلمك الله فأنت
بعد ثلاثة عندنا . فأجلسني في الزنبريل وسرحت . فمضيت من وجهي ^(١) إلى دار
الرشيد ، فإذا النداء في طلبي في بغداد ، وأن من أحضرني فقد سوغ ملكي
وأقطع مالي . فاستأذنت . فتبادر الخدم حتى أدخلوني على الرشيد ، فلما رآني شتني
وقال : السيف والنطع ! إيه يا إبراهيم ! تهاونت بأمرى وتشاغلتي بالعوام عما
أمرتك به ! وجلست مع أشباهك من السفهاء حتى أفسدت على لذاتي ! فقلت :
يا أمير المؤمنين ، أنا بين يديك ، وما أمرت به غير فائت ، ولي حديث عجيب ما سمع
بمثله قط ، وهو الذي قطعني عنك ضرورة لا اختياراً ، فإن كان عذراً فأقبله
وإلا فأنت أعلم . فقال : هاتيه ، فليس بمنجيك . فحدثته . فوجم ساعة ثم قال : إن
هذا لعجب ! أفتحضرنى معك هذا الموضع ؟ فقلت : نعم ، وأجسك معهن إذا
شتت قبلي حتى تحصل معهن ، وإن شئت فعلى موعد . قال : بل على موعد .
قلت : أفعل . فقال : انظر . قلت : ذلك حاصل لك متى شئت . فعدل عن رأيه
وأجلسني وشرب وطرب . فلما أصبحنا أمرني بالانصراف وأن أجيئه من الغد .
فمضيت إليهن في وقت الموعد . فلما وافيت الموضع إذا الزنبريل معلق ، فجلست فيه ،
ومده الجوارى فصعدت . فلما رأيتهن تباشرن وحمدن الله على سلامتي . فأقمت ليلتي .
فلما أردت الانصراف قلت : إن لي أخاهو عدل نفسي عندي ، وقد أحب معاشرتك
ووعده بذلك . فقلن : إن كنت ترضاه فمرحبا به . فوعدتهن ليلة غد ، وانصرفت

(١) في بعض أصول الأغاني : « لوجهي » .

فَأْتَيْتُ الرَّشِيدَ فَأَخْبَرْتُهُ . فَلَمَّا كَانَ الْوَقْتُ خَرَجَ مَعِيَ مُتَخَفِيًّا حَتَّى أَتَيْنَا الْمَوْضِعَ .
فَصَعَدْتُ وَصَعِدَ بَعْدِي ، وَنَزَلْنَا جَمِيعًا . وَقَدْ كَانَ اللَّهُ وَقَفَتْنِي لِأَن قُلْتُ لَهُنَّ : إِذَا
جَاءَ صَدِيقِي فَلَا تَسْتَرْنَ عَنْهُ وَعَنِّي وَلَا يَسْمَعَنَّ لَكُنْ نَظْفَقَةً ، وَلَيْكُنْ مَا تَخْتَرْتُهُ
مِنْ غِنَاءٍ أَوْ تَقْلُنُهُ مِنْ قَوْلِ مُرَاسَلَةٍ . فَلَمْ يَتَعَدَّيْنِ ذَلِكَ ، وَأَقَمْنِ عَلَى أَتَمِّ سِتْرٍ وَخَفَرٍ .
وَشَرِبْنَا كَثِيرًا . وَقَدْ كَانَ أَمْرُنِي إِلَّا أَخَاطِبُهُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَلَمَّا أَخَذَ مِنِّي الشُّكْرَ
قُلْتُ سَهْوًا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَتَوَاتَبْنَا مِنْ وَرَاءِ السِتَارَةِ حَتَّى غَابَتْ عَنَّا حَرَكَاتُهُنَّ .
فَقَالَ لِي : يَا إِبْرَاهِيمَ ، قَدْ أَفْلَتَ مِنْ أَمْرِ عَظِيمٍ ، وَاللَّهِ لَوْ بَرَزْتَ لَكَ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ
لَضَرَبْتُ عُنُقُكَ ! قُمْ بِنَا . فَانْصَرَفْنَا . فَإِذَا هُنَّ جَوَارِي لَهُ قَدْ غَضِبَ عَلَيْهِنَّ فَحَبَسَهُنَّ
فِي ذَلِكَ الْقَصْرِ . ثُمَّ وَجَّهَ مِنْ غَدٍ بِخَدَمٍ لَهُ فَرَدَّهِنَّ إِلَى قَصْرِهِ ، وَوَهَبَ لِي مِائَةَ أَلْفِ
دِرْهَمٍ . وَكَانَتْ الْهَدَايَا وَالْأَلَطَافُ تَأْتِينِي بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُنَّ .

وحكى إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، قال :

لَمَّا دَخَلْتُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ اشْتَدَّ أَمْرُ الْقَوْلَنْجِ عَلَى أَبِي وَلَزَمَهُ ، وَكَانَ
يَعْتَادُهُ فِي الْأَحْيَانِ ، فَقَعَدَ عَنْ خِدْمَةِ الْخَلِيفَةِ وَعَنْ نَوْبَتِهِ فِي دَارِهِ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

مَلَّ وَاللَّهِ طَيِّبِي عَنْ مُقَاسَاةِ الَّذِي بِي
سَوْفَ أَنْعَى عَنْ قَرِيبٍ لَعْدُوِّ وَحَبِيبِ

وَوَضَعَ فِيهِ لِحْنًا . وَكَانَ آخِرَ شَعْرِ قَالَهُ ، وَآخِرَ لَحْنٍ وَضَعَهُ .

وحكى أَنَّ الرَّشِيدَ رَكِبَ حِمَارًا وَدَخَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ فِي الْأَبْزَنِ ^(١)
جَالِسٌ ، فَقَالَ : كَيْفَ أَنْتَ يَا إِبْرَاهِيمَ ؟ قَالَ : أَنَا وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

سَقِيمٌ مَلٌّ مِنْهُ أَقْرَبُوه وَأَسْأَلُهُ الْمَدَاوِي وَالْحَمِيمُ

فَقَالَ الرَّشِيدُ : إِنَّا لِلَّهِ ! وَخَرَجَ . فَمَا بَعُدَ حَتَّى سَمِعَ الْوَاعِيَةَ ^(٢) عَلَيْهِ .

(١) الْأَبْزَنُ : حَوْضٌ مِنْ نَحَاسٍ يَسْتَنْقَعُ فِيهِ ، مَرْبُوبٌ . (٢) الْوَاعِيَةُ : الصَّرَاخُ عَلَى الْمَيِّتِ .

تقديم المأمون
لابن الأحنف
عليه في الصلاة
عليهما

ومات إبراهيم في هذه السنة — أغنى سنة ثمان وثمانين ومائة — ومات في ذلك اليوم العباس بن الأحنف ، وهشيمة الحمارة . فرُفِعَ ذلك إلى الرّشيد ، فأمر المأمون أن يُصَلَّى عليهم . فخرج فصفوا بين يديه ، فقال : من هذا الأول ؟ قالوا : إبراهيم الموصلي . فقال : أخرّوه وقدموا العباس بن الأحنف . فقدم فصلى عليهم . فلما فرغ دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعي فقال له : يا سيدي ، كيف آثرت العباس بالتقدمة على من حَضَرَ ؟ قال لقوله :

وسعى بها ناسٌ وقالوا إنها لى التى تشقى بها وتكادُ
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم إني ليعجبني المحبُّ الجاحد
ثم قال : آتحفظها ؟ قلت : نعم . قال : فأنشدني باقيها . فأنشدته :

لما رأيتُ الليلَ سدَّ طريقه عني وعذبني الظلامُ الرّاكِدُ
والنَّجمُ في كبدِ السماءِ كأنه أعمى تحيّر ما لديه قائد
ناديتُ من طرَد الرُّقادِ بصدّه عما أعالج وهو خلوّ هاجد
إذا الذي صدع الفؤاد^(١) بهجره أنت البلاء طريفه والتّالّد
ألتقيت بين جفون عيني^(٢) حرقةً فإلى متى أنا ساهرٌ يراقد

فقال لى المأمون : أليس من قال هذا حَقِيقٌ بالتّقدمة ؟ قلت : بلى والله يا سيدي .

شعر ابنه إسحاق
في رثائه

ولما توفى إبراهيم الموصلي رثاه ابنه إسحاق بقوله :

سلامٌ على القبر الذى لا يُحِينا ونحن نُحْيِي تَرْبَهُ ونُخاطِبُهُ
ستَبْكِيه أشرافُ الملوك إذا رأوا محلَّ التّصابي قد خلا منه جانبُهُ
ويَبْكِيه أهلُ الظَّرَفِ طُرًّا كما بَكَى عليه أميرُ المؤمنين وحاجِبُهُ

(١) فى الأصل : « بصدّه » مكان « بهجره » .

(٢) فى الأصل : « جفوة » مكان « حرقة » .

ولمَّا بدا لي اليأسُ منه وأنزفتُ عيون^(١) بواكيه وملّت نواذيه
وصار شِفاه النَّفس من بعد^(٢) فقده جعلتُ على عَيْنِي للصُّبح عَبرة
وقال أيضاً يرثيه :

عليك سلامُ الله من قَبْرِ فاجعٍ وجادك من نوء السِّماكينِ وابِلُ
هل أنتُ مُحَيِّي القَبَر أم أنت سائلُ وكيف تُحييَا ثُربةً وجَنادِلُ
أظَلُّ كَأَنِّي لم تُصِبنِي مُصِيبَةٌ وبالصدْر من وَجدٍ عليك بَلابِلُ
وهوَنٌ عندي فقده أنْ شَخَّصَه على كُلِّ حالٍ بين عَيْنِي ماثِلُ

وحكى إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال :

دخلتُ إلى الرَّشيد بَعقب وفاة أبي ، وذلك بعد شهر من يوم وفاته ، فلما
جلستُ ورأيتُ موضعه الذي كان يجلس فيه دمعتُ عيناى ، فكفكفتُهما
وتصَبَّرت . ولمَحَنِي الرَّشيد فدعاني إليه فأدنانى منه . فقَبَّلْتُ يَدَه ورجلَه والأرضَ
بين يديه . فاستعبر ، وكان رقيقاً . فوثبتُ قائماً بين يديه وقلت :

في بقاء الخليفة الميمون خلفٌ من مُصِيبَةِ المَحْزُونِ
لا يَضِيرُ المصابَ حُزنٌ^(٣) إذا ما كان ذا مَفْزَعٍ إلى هارون
فقال لي : كذاك هو والله ، ولن تَفْقِدَ من أيبك ما دُمْتُ حياً إلا شَخْصَه .
وأمر بإضافة رِزْقِه إلى رِزْقِي . فقلتُ : بل يأمر به أميرُ المؤمنين لولده ، ففي خِدْمَتِي
إِيَّاه ما يُعْنِينِي . فقال : اجعلوا رِزْقَ إبراهيم لولده وأضعفوا رِزْقَ إسحاق .

(١) أنزفت العيون : نفذ ماؤها .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « بعض ما بها » مكان « بعد فقده » .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « رزء » .

أخبار إسحاق بن إبراهيم الموصلي

كنيته
وُيكنى أبا محمد . وكان الرشيدُ يولعُ به فيكنّيه أبا صفوان . وهذه كنيةٌ أوقعها عليه إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب مزحاً .

منزلته في العلم والغناء
وموضعه من العلم ، ومكانه من الأدب ، ومحله من الرواية ، وتقدمه في الشعر ، ومنزلته في سائر المجالس ، أشهرُ من أن يُدلَّ عليه فيها بوصف . أما الغناء فكان أصغر علومه وأدنى ما يوسم به ، وإن كاب الغالب عليه وعلى ما كان يُحسنه ، فإنه كان له في سائر أدواته نظراء وأكفاء ، ولم يكن له في هذا نظير ، لحق بمن مضى فيه وسبق من قد بقى ، فهو إمام أهل صناعته وقُدوتهم ورأسهم ومعلمهم ، وكان يكره أن يُنسبَ إلى الغناء غاية الكراهية .

تمناه المأمون للقضاء
وذُكر أن المأمون قال : لولا ما سبق لإسحاق على ألسنة الناس وشهرته عندهم من الغناء لوليتُهُ القضاء بحضرتي ؛ فإنه أعفٌ وأصدق وأكثريناً وأمانةً من هؤلاء القضاة .

مشايخه في الحديث
وروى الحديث ولقى أهله ؛ مثل : مالك ، وسفيان بن عيينة ، وهشيم بن بشير ، وإبراهيم بن سعد ، وأبي معاوية الضرير ، وروح بن عبادة ، وغيرهم من شيوخ العراق والحجاز .

ضنه بالغناء وما أحدثه فيه
وكان مع كراهيته الغناء أضنَّ خلق الله به ، وأشدَّهم بخلافه على كل أحد ، حتى على جواريه وغلمانِه ومن يأخذ عنه ويُنسب إليه ، فضلاً عن غيرهم . وصحَّح أجناس الغناء وطرائقه وميزها تمييزاً لم يقدر عليه أحد بعده .

أمه
وأم إسحاق امرأةٌ من أهل الرى ، يقال لها : شاهك .

وحكى إسحاق قال : بقتُ دهرًا من دهرى أغلّس كلَّ يوم إلى هُشيم فأسمع منه ، ثم أصير إلى الكسائي ، والفرّاء ، وابن غزّالة ، فأقرأ عليه جزءا من القرآن . ثم آتى منصوراً ، المعروف بزّازل ، فيضار بنى طَرْقَيْن^(١) أو ثلاثة ، ثم آتى عاتكة بنت شهدة فأخذ منها صوتاً أو صوتين ، ثم آتى الأصمعيّ وأبا عبيدة فأناشدهما وأحدثهما وأسفيد منهما ، ثم صير إلى أبي فأعْلمه ما صنعتُ ومَنْ لقيتُ وما أخذتُ ، وأنغدىّ معه ، فإذا كان العِشاء صرتُ إلى أمير المؤمنين الرشيد .

وحكى أن الواثق بالله كان يقول : ما غنّاني إسحاق قطُّ إلا ظننتُ أنه قد زيد في مُلكي ، ولا سمعته قطُّ يغني غناء ابن سُرَيْج إلا ظننتُ أن ابن سُرَيْج فيه نُشْر ، وإنّه ليحضرنى غيره ، إذا لم يكن حاضراً ، فيتقدمه عندى بطيب الصوت ، حتى إذا اجتمعنا عندى رأيتُ إسحاق يعلو رأيت من ظننتُ أنه يتقدمه ينقص . وإنَّ إسحاق لنعمةٌ من نعم الملوك التي لا يُخصَّش^(٢) أحدٌ بمثلها ، ولو أن العمر والشباب والنشاط مما يشتري لا شترتيهن له بشرط مُلكي .

وذُكر أنه سأل إسحاق الموصليّ المأمون أن يكون دُخوله إليه مع أهل العلم هو والمأمون وقد سأله الدخول مع العلماء ثم مع الفقهاء . ثم سأله بعد مُدة طويلة أن يأذن له في الدُخول مع الفقهاء ، فأذن له . فقيل : إنَّ محمد بن الحارث بن بُسْخَر وعَلّويه ومُحارقاً كانوا في حُجرة لهم جلوساً ينتظرون جلوس المأمون لهم وخروج الناس من عنده ، إذ دخل القاضي يحيى بن أكرم وعليه سواده وطويلته^(٣) ويده في يد إسحاق يُماشيه ، حتى جلس معه بين يدي المأمون . فكاد عَلّويه أن يُجَنّ ، وقال : يا قوم ، سمعتم بأعجب من هذا ! يدخل قاضي القضاة ويده في يد مُغنٍ حتى يجلسا بين يدي الخليفة ! ثم مضت مُدة على ذلك . فسأل إسحاق

(١) الطرق : الصوت والنعمة . (٢) في بعض أصول الأغاني : « لم نخط » .

(٣) السواد : شعار العباسيين . والطويلة : القلنسوة .

المأمون في لبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه في المقصورة . فضحك المأمون وقال :
ولا كل هذا بإسحاق ! وقد اشتريت منك هذه المسألة بمائة ألف درهم ، وأمر له بها .
وذُكر أن المغنين كانوا يحضرون مجلس الواثق وعيدانهم معهم ، إلا إسحاق
فإنه يحضر بلا عود للشرب والمجالسة . فإذا أمره الخليفة أن يُعنى أحضر له عود ،
وإذا فرغ وغنى سلّ من بين يديه إلى أن يطلبه .

شأنه بين المغنين
في حضرة الواثق

وكان الواثق كثيراً ما يكنّيه ، رفعا له أن يدعوّه باسمه . وكان إذا غنى وفرغ
الخليفة من شرب قدّحه قطع الغناء ولم يُعِدْ منه حرفاً ، إلا أن يكون في بعض بيت
فيتمه ، ثم يقطع ويضع العود من يده .

وحكى إسحاق قال :

خرجت مخموراً من داري أتسّم الهواء ، ففرتُ برجل يُنشد رجلاً معه
لذي الرّئمة :

غنى المأمون في
شعر لذي الرمة
فأجازه وحديث
ذلك

ألم تعلّم يا مئى أتى وبيننا
ذكرتك أن مرّت بنا أم شادن^(٢)
من المؤلّفات الرّمل أدماه حرّة
هى الشّبه أعطافاً وجيداً ومقلّة
لئن كانت الدّنيا على كما أرى
فأعجبني وصنعتُ فيه لحناً غنّيت به المأمون ، فأخذتُ منه مائة ألف درهم .

وحكى إسحاق الموصلى قال :

كنتُ عند الرّشيد يوماً وعنده نُدماؤه وخاصّته وإبراهيم بن المهدي ، فقال
الرّشيد : غنّ :

هو وإبراهيم بن
المهدي في صوت
غناه عند الرّشيد

(١) في غير التجريد : « مطرح » مكان « مطمح » . (٢) أم شادن : الطيبة .

شَرِبْتُ مُدَامَةً وَسُقِيتُ أُخْرَى وَرَاحَ الْمُتَنَشِّشُونَ وَمَا أُنتَشِيتُ
وَقَبِلَ هَذَا الْبَيْتَ :

أَعَاذَلُ مَا كَبَّرْتُ وَفِيَّ مَلَهَى وَلَوْ أَدْرَكْتُ غَايَتَكَ أَتَيْتُ

فَغَنَيْتُهُ . فَأَقْبَلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ فَقَالَ لِي : مَا أَصَبْتَ يَا إِسْحَاقُ
وَلَا أَحْسَنْتَ ! فَقُلْتُ : لَيْسَ هَذَا مِمَّا تَعْرِفُهُ وَلَا تُحْسِنُهُ ! وَإِنْ شِئْتَ فَغَنَّهُ ، فَإِنْ
لَمْ أَجِدْكَ أَنْكَ تُحْطِئُ فِيهِ مِنْذُ ابْتِدَائِكَ إِلَى انْتِهَائِكَ فَدَعَيْ حِلَالًا . ثُمَّ أَقْبَلْتُ
عَلَى الرَّشِيدِ فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذِهِ صِنَاعَتِي وَصِنَاعَةُ أَبِي ، وَهِيَ الَّتِي قَرَّبَتْنا
مِنْكَ وَاسْتَحْدَمْتَنَا لَكَ ، فَإِذَا نَازَعْنَا أَحَدًا بَلَا عِلْمٍ لَمْ نَجِدْ بُدًّا مِنَ الْإِيضَاحِ وَالذَّبِّ .
فَقَالَ : لَا غَرُّ وَلَا لَوْمٌ عَلَيْكَ . وَقَامَ الرَّشِيدُ لِيُيَوِّلَ ، فَأَقْبَلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ
وَقَالَ : يَا إِسْحَاقُ ، وَيْحَكَ ! تَجَسَّرْتَ عَلَىَّ وَتَقُولُ لِي مَا قُلْتَ يَا بَنَ الْفَاعِلَةِ !
لَا يَكُنِّي . فَدَخَلَنِي مَا لَمْ أَمْلِكْ نَفْسِي مَعَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ تَشْتُمْنِي وَلَا أَقْدِرُ عَلَى
إِجَابَتِكَ ، وَأَنْتَ ابْنُ الْخَلِيفَةِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكُنْتُ أَقُولُ لَكَ : يَا بَنَ الزَّانِيَةِ ، كَمَا قُلْتَ لِي :
يَا بَنَ الزَّانِيَةِ ! أَوْ تَرَانِي كُنْتُ لَا أَحْسَنُ أَنْ أَقُولَ : يَا بَنَ الزَّانِيَةِ ، وَلَكِنْ قَوْلِي فِي
ذِمِّكَ يَنْصَرِفُ كُلُّهُ إِلَى خَالِكَ الْأَعْلَمِ^(١) ، وَلَوْلَاكَ لَذَكَرْتُ صِنَاعَتَهُ وَمَذْهَبَهُ — قَالَ
إِسْحَاقُ : وَكَانَ بَيْطَارًا — قَالَ : ثُمَّ سَكَتُ وَعَلِمْتُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ سَوْفَ يَشْكُونِي إِلَى
الرَّشِيدِ ، وَسَوْفَ يَسْأَلُ مَنْ يَحْضُرُ عَمَّا جَرَى ، فَيُخْبِرُونَهُ . فَتَلَا فَيَتُ ذَلِكُ بِأَنْ قُلْتُ :
أَنْتَ تَظُنُّ أَنَّ الْخِلَافَةَ تَصِيرُ لَكَ ، فَلَا تَزَالُ تَتَهَدَّدُنِي بِذَلِكَ وَتُعَادِينِي كَمَا تُعَادِي سَائِرَ
أَوْلِيَاءِ أَخِيكَ حَسَدًا لَهُ وَلَوْلَدِهِ عَلَى الْأَمْرِ ، وَأَنْتَ تَضَعُفُ عَنْهُمْ وَتَسْتَخَفُّ
بِأَوْلِيَائِهِمْ تَشَقُّيًا ، وَأَرْجُو أَلَّا يُخْرِجَهَا اللَّهُ عَنِ الرَّشِيدِ وَوَلَدِهِ ، وَأَنْ يَقْتُلَكَ دُونَهَا .
فَإِنْ صَارَتْ إِلَيْكَ — وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ — فَحَرَامٌ عَلَيَّ يَوْمُئِذٍ الْعَيْشُ ، وَالْمَوْتُ
أَطْيَبُ لِي مِنَ الْحَيَاةِ مَعَكَ ، فَاصْنَعْ حِينَئِذٍ مَا بَدَا لَكَ . قَالَ : فَلَمَّا خَرَجَ الرَّشِيدُ

(١) الْأَعْلَمُ : الْمَشْقُوقُ الشَّفَّةُ الْعَلِيَا .

وَتَبَّ إِبْرَاهِيمَ وَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، شَتَمَنِي وَذَكَرَ أُمِّي
وَأُسْتَحَفَّ بِي . فَغَضِبَ وَقَالَ لِي : وَيْلَكَ ! مَا تَقُولُ ؟ قُلْتَ : لَا أَعْلَمُ ، فَسَلْ مَنْ
حَضَرَ . فَأَقْبَلَ عَلَى مَسْرُورٍ وَحَيْنٍ وَسَأَلَهُمَا عَنِ الْقِصَّةِ — فَجَعَلَا يُخْبِرَانِهِ وَوَجْهُهُ
يَتَرَبَّدُ^(١) إِلَى أَنْ انْتَهَيَا إِلَى ذِكْرِ الْخِلَافَةِ — فَسَرَّيَ عَنْهُ وَرَجَعَ لَوْنُهُ . وَقَالَ
لِإِبْرَاهِيمَ : لَا ذَنْبَ لَكَ ، شَتَمْتَهُ فَعَرَّفَكَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى جَوَابِكَ ، ارْجِعْ إِلَى مَوْضِعِكَ
وَأَمْسِكْ عَنْ هَذَا . فَلَمَّا انْقَضَى الْجُلُوسُ وَانْصَرَفَ النَّاسُ أَمَرَ بِأَلَا أُبْرَحَ . وَخَرَجَ
كُلُّ مَنْ حَضَرَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ غَيْرِي . فَسَاءَ ظَنِّي وَأَهْمَتْنِي نَفْسِي . فَأَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ :
يَا إِسْحَاقُ ، أَتُرَانِي لَمْ أَفْهَمْ قَوْلَكَ وَمَرَادَكَ ! قَدْ وَاللَّهِ زَيْنَتُهُ ثَلَاثَ مَرَاتٍ . أَتُرَانِي
لَا أَعْرِفُ وَقَائِعَكَ وَأَقْدَامَكَ وَأَيْنَ ذَهَبْتَ ! وَيْلَكَ ! لَا تَعُدْ . حَدَّثَنِي عَنْكَ :
لَوْ ضَرَبَكَ إِبْرَاهِيمُ أَكُنْتُ أَقْتَصُّ لَكَ مِنْهُ فَأُضْرِبُهُ يَا جَاهِلَ وَهُوَ أَخِي ! أَتُرَادُ
لَوْ أَمَرَ غُلَامَانَهُ فَقَتَلُوكَ أَكُنْتُ أَقْتُلُهُ بِكَ ! فَقُلْتُ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ وَاللَّهِ
قَتَلْتَنِي بِهَذَا الْكَلَامِ ، وَلَئِنْ بَلَغَهُ لَيَقْتُلَنِي ، وَمَا أَشْكُ فِي أَنَّهُ قَدْ بَلَغَهُ الْآنَ .
فَصَاحَ بِمَسْرُورٍ وَقَالَ : عَلَيَّ يَا إِبْرَاهِيمَ . فَأَحْضَرَ . فَقَالَ لِي : قُمْ فَأَنْصَرِفْ . فَقُلْتُ
لِلْجَمَاعَةِ مِنَ الْخُدَمِ ، وَكُلِّهِمْ كَانَ لِي مَحَبًّا وَإِلَى مَا نِلَّا مُطِيعًا : أَخْبِرُونِي بِمَا يَجْرِي مِنْ
غَدٍ . فَأَخْبَرُونِي أَنَّهُ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَبَخَّ وَجْهَهُ وَقَالَ : أَتَسْتَحَفُّ بِخَادِمِي وَصَنِيعَتِي ،
وَأَبْنِ خَادِمِي وَصَنِيعَتِي ، وَصَنِيعَةَ أَبِي فِي مَجْلِسِي ، وَتَقْدُمُ عَلَى ذَلِكَ ، وَتَسْتَحَفُّ بِمَجْلِسِي
وَحَضَرَتِي ! هَاهُ ! هَاهُ ! هَاهُ ! أَتَقْدُمُ عَلَى هَذَا وَأَمْثَالِهِ ! وَأَنْتَ مَالِكٌ وَلِلْغِنَاءِ ؟
وَمَا يُدْرِيكَ مَا هُوَ ؟ وَمَنْ أَخَذَكَ بِهِ وَطَارَحَكَ إِيَّاهُ حَتَّى تَتَوَهَّمُ أَنَّكَ تَبْلُغُ مَبْلَغَ
إِسْحَاقَ الَّذِي غَدَى بِهِ وَعُلَّمَهُ وَهُوَ مِنْ صِنَاعَتِهِ ؟ ثُمَّ تَظُنُّ أَنَّكَ تُحِطُّهُ فِيمَا لَا تَدْرِيهِ ،
وَيَدْعُوكَ إِلَى إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ فَلَا تَتَبُّهُ لَذَلِكَ وَتَعْتَصِمُ بِشَتْمِهِ ، هَذَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى
السَّقُوطِ وَضَعْفِ الْعَقْلِ وَسُوءِ الْأَدَبِ مِنْ دُخُولِكَ فِيمَا لَا يَنْسُبُكَ إِلَّا إِلَى فِرَاطِ الْجَهْلِ .
أَلَا تَعْلَمُ — وَيْحَكَ — أَنَّ هَذَا سُوءُ أَدَبٍ وَقَلَّةُ مَعْرِفَةٍ وَقَلَّةُ مُبَالَاةٍ بِالْخَطَا وَالتَّكْذِيبِ

والردّ القبيح ! ثم قال : والله العظيم وحقّ رسوله ، وإلا فأنا برىء من المهدي ، لأن أصابه أحد بسوء ، أو سقط عليه حجر من السماء ، أو سقط من دابّته ، أو سقط عليه سقّف ، أو مات فجأة ، لأقتلنك به . والله ، والله ، والله ، وأنت أعلم ، فلا تعرض له . قم الآن فاخرج . فخرج وقد كاد أن يموت .

فلما كان بعد ذلك دخلت عليه وإبراهيم عنده ، فجعل ينظر إليه مرةً وإلى مرة ويضحك ، ثم قال له : إني أعلم محبتك لإسحاق وميلك إليه وإلى الأخذ عنه ، وأن هذا لا يحييتك من جهته كما تريد إلا بعد أن يرضى ، والرضى لا يكون بمكرهه ، ولكن أحسن إليه وأكرمه وأعرف حقّه وبرّه وصلّه ، فإذا فعلت ثم خالف ما تهواه عاقبته بيدٍ مستطيّلة منبسطة ولسانٍ منطلق . ثم قال لي : قم إلى مولاك وابن مولاك فقبّل رأسه . فقمّت إليه وقام إليّ وأصلح الرشيد بيننا .

وحكى إسحاق الموصلي قال :

صنع في بيتين ودح
بهما الفضل بن
يحيى غناء فأجازوه

لما أراد الفضل بن يحيى بن خالد الخروج إلى خراسان ودّعته ، ثم أنشدته بعد التوديع :

فراقك مثل فراق الحياة وفقدك مثل أفنقاد الدّيم
عليك السّلام فكم من وفاء أفارق فيك وكم من كرم

قال : فضمّني إليه وأمر لي بألف دينار وقال : يا أبا محمد ، لو حلّيت هذين البيتين بصنعة وأودعتهما من يصبّحنا لأهديت لي بذلك أنساً وأذكرتني بنفسك . ففعلت ذلك وطرحته على بعض المغنّين . فأمر لي بألف دينار . وكان كتابه لا يزال يرد عليّ ومعه ألف دينار ، يصلني بذلك كلّما غني بهذا الصوت .

أنشد المعتصم يهنئه
بالخلافة فأجازه

وحكى إسحاق قال :

لَمَّا وَلِيَ الْمُعْتَصِمُ الْخِلَافَةَ دَخَلَتْ إِلَيْهِ فِي جُمْلَةِ الْجُلَسَاءِ وَالشُّعْرَاءِ ، فَهَنَّأَهُ الْقَوْمُ
نَثْرًا وَنَظْمًا ؛ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى مُسْتَنْطَقًا ، فَأَنشَدَتْهُ :

لَا حَ بِالْمَفْرُقِ مِنْكَ الْقَتِيرُ وَذَوَى غُصْنِ الشَّبَابِ النَّصِيرُ
هَزَيْتُ أَسْمَاءَ مَنِيَّ وَقَالَتْ أَنْتَ يَا بَنَ الْمُوصَلِيِّ كَبِيرُ
وَرَأَتْ شَيْبًا عَلَانِيًا ^(١) فَصَدَّتْ وَأَبْنُ سَتِينٍ بِشَيْبٍ جَدِيرُ
قَدْ يُفْلُ السَّيْفُ وَهُوَ جَرَّازُ وَيَصُولُ اللَّيْثُ وَهُوَ ^(٢) عَقِيرُ
يَا بَنَى الْعَبَّاسِ أَنْتُمْ شِفَاءُ وَضِيَاءُ لِلْقُلُوبِ وَنُورُ
أَنْتُمْ أَهْلُ الْخِلَافَةِ فِينَا وَلَكُمْ مِنْ بُرْهَا وَالسَّرِيرِ
لَا يَزَالُ الْمُلْكُ فِيكُمْ مَدَى الدَّهْرِ بِرِ مُقِيمًا مَا أَقَامَ ^(٣) ثَبِيرُ
وَأَبُو إِسْحَاقَ خَيْرُ إِمَامٍ مَا لَهُ فِي الْعَالَمِينَ نَظِيرُ
مَا لَهُ فِيمَا يَرِيشُ وَيَبْرَى غَيْرُ تَوْفِيقِ الْإِلَهِ وَزِيرُ
وَاضِحُ الْغُرَّةِ ^(٤) لِلْخَيْرِ فِيهِ حِينَ يَبْدُو شَاهِدٌ وَبَشِيرُ
زَانَهُ هَدَى تُقَى وَجَلَالُ وَعَفَافٌ وَوَفَاءُ ^(٥) وَخِيرُ
لَوْ تَبَارَى جُودَهُ الرِّيحُ يَوْمًا نَزَحَتْ وَهِيَ طَلِيحُ ^(٦) حَسِيرُ

قال : فَأَمْرٌ لِي بِجَائِزَةٍ فَضَّلَنِي فِيهَا عَلَى الْجَمَاعَةِ .

وحكى أحمد بن يحيى المكي قال :

دَعَانِي الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ وَدَعَا عَلَوِيَهُ وَمُحَارِقًا ، وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ بَعْدَ

هو وعلويه في
مجلس الفضل
ابن الربيع

(١) في بعض أصول الأغاني : « برأسي » مكان « علاني » .

(٢) يفل : يثلم . وجرّاز : قاطع . وعقير : مجروح .

(٣) ثبير : جبل بمكة . (٤) في بعض أصول الأغاني : « والخير » مكان « للخير » .

(٥) في بعض أصول الأغاني : « ووقار » . (٦) طليح : هزبل تعب . وحسير :

كامل . والرواية في بعض أصول الأغاني : « نزعته وهي . . . » .

رجوعه له ورضاه عنه ، إلا أن حاله كانت ناقصةً مُتضعفة . فلما اجتمعنا عنده
كتب إلى إسحاق الموصلي يسأله أن يصير إليه ويعلمه الحال في اجتماعنا عنده .
فكتب إليه : لا تنتظروني بالأكل فقد أكلت ، وأنا أصير إليكم بعد ساعة .
فأكلنا وجلسنا نشرب حتى قُرب الظهر ^(١) . ثم وافى إسحاق وجاء غلامه
بقطرميز ^(٢) نبذ فوضعه ناحية ، وأمر صاحب الشراب بإسقاؤه منه . وكان علويه
يُعنى الفضل صوتاً . فقال له إسحاق : يا أبا الحسن ، أخطأت في أداء هذا الصوت
وأنا أصلحه لك . فجُنَّ علويه واغتاض وقامت قيامته . فأقبل إسحاق على علويه
وقال له : يا حبيبي ، ما أردت الوضع منك بما قلته لك ، وإنما أردت تهذيبك
وتقويمك لأنك منسوب الخطأ والصواب إلى أبي ، فإن كرهت ذلك تركتك
وقلت لك : أجهلت وأحسن ! فقال علويه : والله ما أردت هذا ، ولا أردت إلا
ما لا تتركه أبداً من سوء عشرتك ! أخبرني عنك حين تجيء هذا الوقت لمادعاك
الأمير وعرفك أنه قد نشط للاصطباح ، فما حملك على الترفع عليه في مباكرته
وخِدْمته ؟ أشغل شغلك عنه مع صنائعه عندك ؟ ولا يقطعك عنه قاطع إلا أن يكون
الخليفة ! ثم تجيئه ومعك قطرميز نبذ ترفعاً عن شرابه كما ترفعت عن طعامه
ومجالسته ، إلا كما تشتهي وحين تنشط ، كما يفعل الأكفاء ، بل تزيد على فعل
الأكفاء ! ثم تعد إلى صوت قد اشتهاه واقترحه وسمعه كل من حضر ، فما عابه
منهم أحد ، فتعيبه ليم تنغيصك إياه لذته ! أما والله لو الفضل بن يحيى أو أخوه جعفر ،
لا والله بل بعض أتباعهم ، دعاك إلى مثل ما دعاك إليه الأمير ، لبادرت وما تأخرت
ولا اعتذرت ! فأمسك الفضل عن الجواب إعجاباً بما خاطب به علويه إسحاق :
فقال له إسحاق : أما ما ذكرته من تأخري عنه إلى هذا الوقت الذي ذكرت

(١) هذه رواية الأصل . والذي في الأغاني : « العصر » .

(٢) القطرميز : القلة الكبيرة من الزجاج .

وحضرتُ فيه ، فهو يعلم أنى لا أتأخر فيه إلا بعائق قاطع ، فإن وثق بذلك منى
وإلا ذكرتُ له الحجة سرّاً من حيث لا يكون لك ولا لغيرك فيه مدخل .
وأما ترفعى عنه فكيف أترفع عنه وأنا أنتسب إلى صنائعه وأستمنحه وأعيشُ في
فضله مذ كنت أنا وأبى ، وهذا تضريب^(١) لا أبلى به منك . وأما حملى النبذ
معى ، فإن لى فى النبذ شرطاً من طعمه وريحه إن لم أجده لم أقدر على الشرب
وتنقص على يومئذ ، وإنما حملته معى لىتم نشاطى فينتفع بى . وأما طعنى على
ما أختاره ، فإنى لم أطعن على اختياره ، وإنما أردتُ تقويمك ، ولست والله ترانى
متبّعاً لك بعد هذا اليوم ولا مقوّمًا شيئاً من خطئك ، وأنا أغنى له — أعزّه الله —
هذا الصوت فيعلم وتعلم ويعلم الحاضرون أنك قد أخطأت فيه وقصرت . وأما
البرامكة فأمرهم أشهر من أن أجده ، وإنى لحقيقّ فيه بالعمدة ، وأحرى أن
أشكرهم على صنيعهم وبأن أذيعه وأنشره ، وذلك والله أقل ما يستحقونه منى .
ثم أقبل على الفضل — وقد غاظه مدحه للبرامكة — وقال : أسمع منى شيئاً
أخبرك به مما فعلوه بى ، ليس بكثير فى صنائعهم عندى ولا عند أبى قبلى ، فإن
وجدت لى فى ذلك عُذراً وإلا فلم : كنتُ فى ابتداء أمرى نازلاً مع أبى فى داره ،
فكان لا يزال يجرى بين غلمانى وغلمانه وجوّارى وجوّاريه الخوصومة ، كما يجرى
بين هذه الطبقات ، فيشكونهم إليه ، فأتين الضجر والتكرّر فى وجهه . فاستأجرتُ
داراً بقربه انتقلت إليها أنا وغلمانى وجوّارى ، وكانت داراً واسعة ، فلم أرضَ
ماعمى من الآلة لها ولا لمن يدخل إلى من إخوانى أن يروا مثله عندى ، ففكرتُ
فى ذلك وكيف أصنع فيه ، وزاد فكرى حتى خطر بقلبي قبح الأحداث من نزول
مثلى فى دارٍ بأجرة ، ولا آمن فى وقت أن يستأذن على صاحب دارى وعندى
من أحشمه ولا يعلم حالى ، فيقول لى غلامى : صاحب دارك على الباب . أو يوجه

في وقتٍ فيطلبُ أجرة الدار وعندى من أحتشمه ، فضاقتُ بذلك صدرى ضيقاً شديداً حتى جاوز الحدَّ . فأمرتُ غلامى أن يسرج لى حماراً كان عندى لأمضى إلى الصحراء أتفرّج فيها ممّا دخلنى . فأسرجه . فركبتُ برداء ونعل . فأفضى بى المسيرُ ، وأنا مفكر لا أميز الطريق التى أسلكُ فيها ، حتى هجم بى على باب يحيى ابن خالد ، فوثب غلمانُه وقالوا : أين هذا الطريق ؟ فقلت : إلى الوزير . فدخلوا وأستاذنوا لى ، وخرج الحاجبُ فأمرنى بالدخول ، وبقيتُ خجلاً قد وقعتُ فى أمرين قبيحين : إن دخلتُ عليه فى رداء ونعل وأعلمتهُ أنّى قصدته فى تلك الحال كان سوء أدب ، وإن قلتُ له : كنتُ مجتازاً ولم أقصدك فجعلتُك طريقاً ، كان قبيحاً . ثم عزمتُ على صدقه فدخلتُ . فلما رآنى تبسّم وقال : ما هذا الزى يا أبا محمد ! احتسبنا لك بالبرِّ والقصد والتفقد ، ثم علمنا أنك جعلتنا طريقاً . فقلت : لا والله أيها الوزير ولكننى أصدّقك . قال : هات . فأخبرتهُ القصة من أولها إلى آخرها . فقال : هذا حقٌّ مستوٍ ، أفهذا شغل قلبك ؟ فقلت : إى والله ! وزاد فقال : لا تشغل قلبك بهذا ، يا غلام ، ردّوا حماره وهاتوا له خِلعة . فجاءونى بخِلعة تامّة من ثيابه فلبستها ، ودعا بالطعام فأكلتُ ، ووضّع النبيذ فشربتُ وشرب ، فغنيته . ودعا فى وسط ذلك بدواة فكتب أربع رقاع ظننتُ بعضها جائزة لى ، فإذا هو قد دعا بعضَ وُكلائه فدفع إليه الرقاع وسارّه بشيء ، فزاد طمعى فى الجائزة . ومضى الرجلُ وجلسنا نشرب وأنا أنتظر ، فلا أرى شيئاً إلى العتمة . ثم أتكا يحيى فنام ، وقتُ من عنده منكسراً خائباً ، فخرجتُ وقدمُ إلى حمارى . فلما تجاوزتُ الدار قال لى غلامى : إلى أين تَمْضى ؟ قلت : إلى البيت . قال : قد والله يبيعت دارك وأشهد على صاحبها وأتبع الدرب كُلّه ووُزن ثمنه ، والمُشتري جالسٌ على بابك ينتظرُك ليُعرّفك ، وأظنه أبتيع ذلك كُلّه للسلطان ، لأنّى رأيتُ الأمر فى عجلته واستحثائه أمراً سلطانياً . فوقعتُ من ذلك فيما لم يكن فى حسابى ،

وأنا لا أدري ما أعمل . فلما نزلتُ على باب دارى إذا أنا بالوكيل الذى سارّه
 الوزير يحيى قد قام إلى فقال : أدخل دارك حتى أدخل إليك فى أمر أحتاج فيه
 إلى مخاطبتك . فطابت نفسى بذلك ، فدخلتُ . فأقرأنى الكتاب وتوقع يحيى :
 يُطلق لأبى محمد مائة ألف درهم يُبتاع له بها داره وجميع ما يجاورها ويُلصقها .
 والتوقيع الثانى إلى ابنه الفضل : قد أمرتُ لأبى محمد بمائة ألف درهم يُبتاع له بها
 داره ، فأطلق له مثلها لينفقها على إصلاح الدار كما يريدو بنائها كما يشتهى .
 والتوقيع الثالث إلى جعفر : قد أمرتُ لأبى محمد إسحاق بمائة ألف درهم يُبتاع له
 بها منزل يسكنه ، وأمر له أخوك بمائة ألف درهم يُنفقها على بنائها وممرمتها على
 ما يريد ، فأطلق له أنت مائة ألف درهم يُبتاع له بها فرش لمنزله . والتوقيع الرابع
 إلى محمد : قد أمرتُ أنا وأخوأك لأبى محمد إسحاق بثلاثمائة ألف درهم لمنزل يبتاعه ،
 ونفقة يُنفقها عليه ، وفرش يبتذله فيه ، فأمر له بمائة ألف درهم يصرفها فى سائر
 نفقته . وقال لى الوكيل : قد حملتُ المال فأبتعتُ كل شيء جاورك بتسعين ألف
 درهم ، وهذه كتب الأتبياعات بأسمى والإقرار لك . وهذا المال بُورك لك فيه
 فاقبضه . فقبضته وأصبحتُ أحسن حالاً من أبى فى منزلى وفرشى وآلتى ،
 ولا والله ما هذا بأكبر شيء فعلوه معى ، أفألام على شكرهم ! فبكى الفضلُ
 ابن الربيع وكُل من حضر وقالوا : لا والله لا تلام على شكر هؤلاء .

ثم قال له الفضل : بحياتى غنّ الصوت ولا تبخل على أبى الحسن علّويه بأن
 تُقومه له . فقال : أفعل . فغناه ، وتبين علّويه أنه كما قال . فقام فقبّل رأسه
 وقال : أنت أستاذنا وابن أستاذنا وأولى بتقويمنا واحتمالنا من كل أحد . وردده
 إسحاق مراتٍ حتى أَسْتوى لعلّويه .

وحكى إسحاق الموصلى قال :

قال لى الواثق : لقد صَحَك الشَّيب فى عارضيك . فقلت : نعم ، وبكيتُ . ثم
 قلت أبيتاً فى الوقت وغنيتُ فيها ، وهى :

ذكره الواثق
 بالشَّيب ، فبكى
 وقال شعراً غنى فيه

تولّى شبابك إلا قليلاً وحلّ المشيبُ فصبراً جميلاً
كفى حزنًا بفراق الصِّبَا وإن أصبح الشَّيبُ منه بديلاً
ولما رأى الغانياتُ المَشِيدَ بَ أغضينَ دونك طَرْفاً كليلاً
سأندُب عهداً مضى للصِّبَا وأبكى الشَّبابَ بُكاءَ طويلاً

قال : فبكى الواثق وحزن وقال : والله لو قدرتُ على ردِّ شبابك لفعلتُ
ولو بشرطُ ملكي . فلم يكن لكلامه عندى جواب إلا تقبيل البساط بين يديه .

وحكى إسحاق قال :

قلتُ في ليلة من الليالي :

هل إلى نظرةٍ إليك سبيلُ يُرو^(١) منها الصّدَى ويُشقى الغليلُ
إن ما قلّ منك يكثرُ عندى وكثيرٌ ممن تُحب القليل

فلما أصبحت أنشدتهما الأصمعي ، فقال : هذا الديباجُ الخُسرواني^(٢) ! هذا
الوشى الإسكندراني ! لمن هذا ؟ فقلتُ : إنه ابن ليلته . فتبيّنتُ الحسد في وجهه
وقال : أفسدته ! أفسدته ! أما إن التوليد فيه بين .

وذكر عليّ بن يحيى أن إسحاق الموصلي كان يُعجب بمعنى هذين البيتين
المذكورين ويكرره في شعره ويرى أنه ما سبق إليه . فمن ذلك قوله :

أيها الطّبيّ الغريرُ هل لنا منك مُجِيرُ
إن ما نوَلّنتي منك وإن قلّ كثيرُ

قال : فقلت له : إنك سُبقتَ إلى هذا المعنى . فقال : ما علمتُ أن أحداً
سَبقتي إليه . فأنشدته لأعرابي من بني عُقيل :

(١) جزم الفعل هنا لضرورة الشعر .

(٢) نسبة إلى خسرو شاه ، من الأكاسرة ، وكان ينسب إليه نوع من الثياب .

غير الأصمعي رأيه
في شعر علم أنه له

بينه وبين علي
ابن يحيى في معنى
كان يستجيده

قفي ودّعينا يا مُليحَ بنظرةٍ فقد حان منّا يا مُليحَ رَحيل
أليس قليلاً نظرةٌ إن نظرتُها إليك وكلاً ليس منك قليل
عُقيليّةٌ أمّا مَلاثُ^(١) إزارها فدِعْصُ^(٢) وأما خَصْرُها فنَحيل
أيا جَنّة الدنيا ويا غايّة المُنَى ويا سُؤلَ نفسى هل إليك سَبيل
أراجعةٌ نفسى إلى فأغتدى مع الرّكب لم يُكتب عليك قتيل
فما كُلّ يوم لى بأرضك حاجةٌ ولا كُلّ يوم لى إليك رسول
قال : خلف أنه ما سمع بذلك قطّ . قال على بن يحيى : صدق ، ما سمع بها .

وحكى الأصمعيّ قال :

نال جائزة الرشيد
دون الأصمعيّ

دخلتُ أنا وإسحاق بن إبراهيم الموصليّ يوماً على الرّشيد ، فرأيتُه لَقِسَ
النفس^(٤) فأنشده إسحاق :

وأمرةٍ بالبخل قلتُ لها أقصرى فذلك شئٌ ما إليه سَبيلُ
أرى الناس خلّان الكريم ولا أرى بخيلاً له حتى الممات خَيل
وإني رأيتُ البخل يزرى بأهله فأكرمتُ نفسى أن يُقال بخيل
ومن خير خَلّات الفتى قد^(٥) علمته إذا نال خيراً أن يُقال نبيل
فعالى فعالُ المُكثرين تجمُلاً ومالى كما قد تعلمين قليل
وكيف أخاف الفقر أو أحرُم الغنى ورأى أمير المؤمنين جميل
فقال الرشيد : لا تخف إن شاء الله . ثم قال : لله درُّ أبيات تأتينا بها !
ما أشدُّ أُصولها ! وأحسنُ فُصولها ! وأقلُّ فُصولها ! وأمر له بخمسين ألف درهم .

(١) ملاث الإزار : ما دون الخصر .

(٢) الدعص ، بالكسر : القور من الرمل . والرواية في الأغاني : « فوعث » . والوعث : اللين .

(٣) في الأغاني : « لم يقتل » .

(٤) لقس النفس : غشا .

(٥) الرواية في الأغاني والأمالى (١ : ٧١) : « ومن خير حالات الفتى لوعلمته » .

فقال له إسحاق : وَصَفُكَ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَشِعْرَى أَحْسَنُ مِنْهُ ، فَعَلَامَ آخَذَ
الْجَائِزَةَ ! فَضَحَكَ الرَّشِيدُ وَقَالَ : أَجْعَلُوا هَذَا الْقَوْلَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ .
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : فَعَلِمْتُ يَوْمَئِذٍ أَنَّ إِسْحَاقَ أَحْذَقَ بِصَيْدِ الدَّرَاهِمِ مِنِّي .

حضر عند الفضل
دخول ابن ابنه
عبد الله عليه
فقال شعراً سره به

وحكى إسحاق الموصلي قال :

كُنْتُ عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ يَوْمًا ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ ابْنُ ابْنِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ
ابْنُ الْفَضْلِ ، وَهُوَ طِفْلٌ ، وَكَانَ يَرِيقُ عَلَيْهِ لِأَنَّ وَالِدَهُ مَاتَ فِي حَيَاتِهِ . فَأَجْلَسَهُ
فِي حِجْرِهِ وَصَمَّهُ إِلَيْهِ وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، فَأَنْشَأَتْ أَقُولُ :

مَدَّ لَكَ اللَّهُ الْحَيَاةَ مَدًّا حَتَّى تَرَى ^(١) ابْنَكَ هَذَا جَدًّا
مُؤْتَزِرًا بِمَجْدِهِ ^(٢) مُرْدَى ثُمَّ يُفْدَى مِثْلَ مَا تُفْدَى
أَشْبَهَ مِنْكَ سُنَّةً ^(٣) وَخَدًّا وَشِيمًا مَرْضِيَّةً وَمَجْدًا
كَأَنَّهُ أَنْتَ إِذَا تَبَدَّى ثَمَانًا مَحْمُودَةً وَقَدًّا

قَالَ : فَتَبَسَّمَ الْفَضْلُ وَقَالَ : أَمْتَعْنِي اللَّهُ بِكَ أَبَا مُحَمَّدٍ ، فَقَدْ عُوِضْتُ مِنْ الْحُزَنِ
سُرُورًا ، وَتَيَمَّمْتُ ^(٤) بِقَوْلِكَ ، وَكَذَلِكَ يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

غضب عليه
الفضل بسبب
ابن دحمان
فترضاه بشعر

وحكى إسحاق قال :

أَتَانِي الزُّبَيْرُ بْنُ دَحْمَانَ يَوْمًا مُسَلِّمًا فَاحْتَبَسْتُهُ ، فَقَالَ لِي : قَدْ أَمَرَنِي الْفَضْلُ
ابْنَ الرَّبِيعِ بِالْمَصِيرِ إِلَيْهِ . فَقُلْتُ لَهُ :

أَقُمْ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ وَيْحَكَ نَشْرِبِ وَنَلْهُو مَعَ اللَّاهِنِينَ يَوْمًا وَنَطْرِبِ
إِذَا مَا رَأَيْتَ الْيَوْمَ قَدْ بَانَ خَيْرُهُ فَخُذْهُ بِشُكْرٍ وَأَتْرِكَ الْفَضْلَ يَمْضِبِ

(١) فِي الْأَغَانِي : « يَكُونُ » .

(٢) مُؤْتَزِرٌ : مِنْ الْإِزَارِ . وَمُرْدَى : مِنَ الرَّدَاءِ . وَالرَّوَايَةُ فِي غَيْرِ التَّجْرِيدِ : « مُؤَزَّرًا ... » .

(٣) السَّنَةُ : الْوَجْهُ .

(٤) فِي الْأَغَانِي : « وَتَسْلَيْتِ » .

قال : فأقام عندي وشرُّبنا يوماً . ثم صار إلى الفضل بن الرِّبيع ، فسأله عن سبب تأخيرهِ عنه . فحدثه الحديثَ وأَنشده الشعر . فغَضِبَ عليّ وحوَّلَ وجهه عني وأمرَ حاجبه عوناً ألاَّ يَدْخُلني ، ولا يَسْتَأْذِن لي عليه ، ولا يُوصِل لي رقعة إليه . فقلت :

حرامٌ عليّ الرّاح^(١) ما دمتَ غضباناً وما لم يُعُد عني رضاك كما كانا
فأَحْسِنُ فَإِنِّي قد أسأتُ ولم تَزَلْ تُعوِّدني عند الإساءة إحساناً
قال : فَأَنشَدتُهُ إياها . فرضي عني وعاد إلى ما كان عليه لي .

وذكر أن جعفر بن يحيى عتبَ على إسحاق الموصلي في عَدَمِ غَشِيَانِهِ لَهُ . فاعتذر بأنَّ حاجِبَهُ — وكان اسمه نافذاً — لا يأذن له عليه ، وأنه كلما جاء يحجبه عنه . فقال له جعفر : إِذَا حَجَبَكَ فَنَلَّ مِنْهُ^(٢) . قال إسحاق : فَأَقْتُ أَيَّاماً ثُمَّ كَتَبْتُ إِلَى جَعْفَر :

هو وجعفر
ابن يحيى وغلّامه
نافذ وقد حجبه

جُعِلْتُ فِدَاكَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ إِلَى حُسْنِ رَأْيِكَ أَشْكُو أَنَا
يَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَ السَّلامِ فَلَسْتُ أَسْلَمُ إِلَّا أُخْتَلَسَا
وَأَنفَذْتُ أَمْرَكَ فِي نَافِذٍ فَمَا زَادَكَ إِلَّا شِمَاسَا
فلما وقف عليها جعفر بعث فأحضرني . فلما دخلتُ إليه ، أَحْضَرَ نافذاً وقرأ الأبيات عليه وقال لي : فَعَلْتَهَا يَا عَدُوَّ اللَّهِ ! فغَضِبَ نافذ حتى كاد يَبْكِي ، وجَعَفَرُ يُصَفِّقُ وَيَضْحَك . ثُمَّ لَمْ يَعُدْ نافذاً إِلَى التَّعَرُّضِ لِي .

وذكر أن إسحاق الموصلي كان عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَبٍ ، فلما جَلَسَ لِلشَّرَابِ جَعَلَ الْغُلَامَانُ يَسْتَقُونَ مِنْ حَضَرٍ . فجاء غلام قَبِيحٌ الْوَجْهَ إِلَى إِسْحَاقَ بَقْدَحٍ فِيهِ نَبِيدٌ ، فلم يأخذه منه ، وراه إسحاق المُصْعَبِي فقال له : لِمَ لَا تَشْرَبُ ؟ فَكَتَبَ إِلَيْهِ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِي :

شعره في غلام
قبيح للمصعبي أبي
القدح منه

(١) في الأغاني : « الكأس » .

(٢) مكان هذه الكلمة في الأصول أخرى صريحة .

اصْبَحْ نَدِيمَكَ أَقْداحاً مُسْلَسَلةً من الشَّمول^(١) وَأَتْبِعْهَا بِأَقْداحِ
 مِنْ كَفِّ رِيْمٍ مَلِيحٍ الدَّلَّ رِيْقَتُهُ بعد الهُجوعِ كِمِسْكَ أَوْ كَتْفَاحِ
 لَا أَشْرَبُ الرَّاحِ إِلَّا مِنْ يَدَي رَشَاءِ تَقْبِيلُ رَاحَتِهِ أَشْهَى مِنَ الرَّاحِ
 فضحك ثم قال : صدقت والله ! ثم دعا بوضيفة كأنها صورة ، تامه الحسن ،
 لطيفة الخصر ، في زى غلام ، عليها أقبية^(٢) ومنطقة ، فقال لها : تَوَلَّى سَقَى
 أبى محمد . فما زالت تَسْقِيهِ حتى سكر ، ثم أمر بتوجيهها إليه وجميع مالها .
 فحُمِلَتْ معه .

هو وطلحة بعد وقعة
 الشراة وجوائزهم إليه

وحكى إسحاق الموصلی قال :

بعث إلى طلحة بن طاهر بن الحسين ، وقد أنصرف من وقعة الشراة^(٣) ،
 وقد أصابته ضربة في وجهه ، فقال لى الخادم : أجب الأمير . فقلت : وما يعمل ؟
 قال : يشرب . فمضيت إليه ، فإذا هو جالس قد عَصَبَ ضَرْبَتَهُ وتقلنس بقلنسوة .
 فقلت له : سبحان الله ! ما حملك على لبس هذا أيها الأمير ! قال : التبرُّم بغيره .
 ثم قال : غَنَيْتُ :

إِنِّي لَا كُنِي بِأَجْبَالٍ عَنْ أَجْبُلِهَا وبأَسْمٍ أوديةٍ عَنْ أَسْمٍ وادِيهَا
 عَمْدًا لِيَحْسِبَهَا الْوَاشُونَ غَانِيَةً أُخْرَى وَتَحْسِبُ أَنَّي لَا أَبَالِيهَا
 وَلَا يُغَيِّرُ وُدِّي أَنْ أَهَاجِرَهَا وَلَا فِرَاقُ نَوَى فِي الدَّارِ أَنْوِيهَا
 وَلِلْقُلُوصِ وَلِي مِنْهَا إِذَا بَعُدَتْ بَوَارِحُ الشَّوْقِ تُنْضِيْنِي وَأَنْضِيهَا

قال : فغَنَيْتُهُ إِيَّاهُ . فقال : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ ! أَعَد . فَأَعَدْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَشْرَبُ ،
 حَتَّى صَلَّى الْعَتَمَةَ ، وَأَنَا أَغْنِيهِ إِيَّاهُ . فَأَقْبَلَ عَلَى خَادِمٍ لَهُ بِالْحَضْرَةِ وَقَالَ لَهُ : كَمْ عِنْدَكَ ؟
 قال : مِقْدَارُ سَبْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . قال : تُحْمِلُ مَعَهُ . فَلَمَّا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ تَبَعَنِي

(١) الشمول : الخمر . والرواية في بعض الأصول : « يسلسلها » مكان « مسلسل » .

(٢) الأقبية : ثياب تلبس فوق الثياب . الواحد : قباء .

(٣) الشراة : الخوارج .

جماعة من العلمان يسألونني ، فوزعت المال بينهم . فرُفع الخبر إليه فأغضبه ، ولم يوجه إلى ثلاثاً . فجلست وتناولت الدواء والقرطاس فقلت :

علمني جُودك السماح فما أبقيتُ شيئاً لدى من صلتك
لم أبق شيئاً إلا سمحتُ به كأن لي قدرةً كمقدرتك
تُتلف في اليوم بالهبات وفي السَّ ساعة ما تجتنيه في سنتك
فلست أدري من أين تُنفق لو لا أن ربي يمجزي على هبتك

فلما كان في اليوم الرابع بعث إلي ، فصرْتُ إليه فدخلتُ عليه وسأمت .
فرَفَعَ بصره إلي وقال : أسقوه رطلاً . فسقيته . فأمر لي بآخر . فشربت ثلاثة .
ثم قال : غني :

* إني لأكنى بأجبال عن أجبلها *

فغنيته إياه ، ثم أتبعته الأبيات التي قلتها . وقد كنتُ غيتُ فيها لحناً في طريقة
الصَّوت . فقال لي : أدن . فدنوتُ . فقال : اجلس . فجلستُ . فأستعد الصوت
الذي صنعتُهُ . فأعدتُهُ . فلما فهمه وعرف المعنى في الشعر قال لخدم له : أحضر لي
فلاناً . فأحضره . فقال : كم قبلك من مال الضياع ؟ قال : ثمانمائة ألف درهم .
قال : أحضرنيها الساعة . فجاء بثمانين بدرّة . فقال للخدام : جئني بثمانين غلاماً
مملوكاً . فأحضروا . فقال : أحملوا المال . ثم قال لي : يا أبا محمد ، خذ المال والماليك
حتى لا تحتاج إلى أحد تعطيه شيئاً^(١) .

وحكى إسحاق قال :

استدناني المأمون يوماً وهو مُستلقٍ على فراشٍ حتى صارت رُكبتى على
الفراش ، ثم قال : يا أبا إسحاق ، أشكو إليك أصحابي : فعلتُ بفلان كذا ففعل
كذا ، حتى عدّد جماعة من خواصّه . فقلت له : أنت يا سيدي بتفضلك على
وحسن رأيك في ظننت أني ممن يُشاور في مثل هذا ، فجاوزت بي حدّي ، وهذا

شكا إليه المأمون
أصحابه ، ثم غناه
فأجازه

(١) الرواية في الأغاني : « حتى لا تحتاج أن تعطى لأحد منهم شيئاً » .

رَأَى يُجَلِّ عَنِّي وَلَا يَبْلُغُهُ قَدْرِي . فقال : وَلَمْ وَأَنْتَ عَالِمٌ عَاقِلٌ نَاصِحٌ ؟ فقلت : هذه
الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ سَيِّدِي عَمَّتَنِي أَلَا أَقُولُ إِلَّا مَا أَعْرَفُ وَلَا أَطْلُبُ إِلَّا مَا أُنَالُ . فضحك
وقال : قد بلغني أنك صنعتَ في هذه الأيامَ لَحْناً في شعر الرَّاعِي ولم أَسْمَعْهُ مِنْكَ .
قلت : يا سَيِّدِي ، ما سمعه أَحَدٌ إِلَّا جَوَارِيَّ ، ولا حَضَرْتُ عِنْدَكَ مِنْذُ صَنَعْتُهُ .
فقال : غَنَّهُ . فقلت : الْهَيْبَةُ وَالصَّحْوُ يَمْنَعَانِي أَنْ أُؤْذِيَهُ كَمَا أُرِيدُ ، فَلَوْ آتَى أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عَبْدَهُ بِشَيْءٍ يُطْرَبُهُ وَيَقْوَى طَبِيعَتُهُ كَانَ أَجُودَ . فَأَمَرَنِي بِالْعَدَاءِ ، فَتَغَدَّيْنَا .
وَمُدَّتِ السَّتَارَةُ وَتَغْنَى مَنْ وَرَاءَهَا ، وَشَرَبْنَا أَقْداحاً . فقال : يَا إِسْحَاقُ ، أَمَا جَاءَ
أَوَانُ الصَّوْتِ ؟ فقلت : بَلَى يَا سَيِّدِي . وَغَنَيْتُهُ لَحْنِي هَذَا فِي شِعْرِ الرَّاعِي :
أَلَمْ تَسْأَلْ بَعَارِمَةَ^(١) الدِّيَارِ عَنْ الْحَيِّ الْمُفَارِقِ أَيْنَ سَارَا
بَلَى سَاءَ لَهَا فَأَبَتْ جَوَاباً وَكَيْفَ تُسَائِلُ الدَّمْنَ الْقِفَارَا

فَأَسْتَحْسِنُهُ ، وَمَا زَالَ يَشْرَبُ عَلَيْهِ سَائِرُ يَوْمِهِ ، وَقَالَ لِي : يَا إِسْحَاقُ ، لَا طَلَبَ
بَعْدَ وَجُودِ الْبُغْيَةِ ! مَا أَشْرَبَ بَقِيَّةَ يَوْمِي إِلَّا عَلَى هَذَا الصَّوْتِ . ثُمَّ وَصَلَنِي وَخَلَعَ
عَلَيَّ خَلْعَةً مِنْ ثِيَابِهِ .

وحكى إسحاق قال :

مَا وَصَلَنِي أَحَدٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ قَطُّ بِمِثْلِ مَا وَصَلَنِي الْوَائِقُ ، وَقَدْ أُنْحَدَرْتُ مَعَهُ إِلَى
النَّجَفِ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ قُلْتُ فِي النَّجَفِ قَصِيدَةً . فقال : هَاتِهَا .
فَأَنشَدْتُهُ :

لَمْ يَنْزِلِ النَّاسُ فِي سَهْلٍ وَلَا جَبَلٍ أَصْفَى هَوَاءٍ وَلَا أَعْدَى^(٢) مِنَ النَّجَفِ
حَفَّتْ بَيْرٌ وَبَحْرٌ مِنْ جَوَانِبِهَا فَالْبَرْقُ فِي طَرْفِ الْبَحْرِ فِي طَرْفِ
وَمَا يَزَالُ نَسِيمٌ مِنْ يَمَانِيَةٍ يَأْتِيكَ مِنْهَا بَرِيّاً رَوْضَةً أَنْفِ

(١) عارمة : موضع في ديار بني عامر بنجد .

(٢) أعذى : أطيب هواء .

فقال : صدقت يا إسحاق ، هي كذلك . ثم أنشدته حتى انتهت إلى قولي
في مدحه :

لا يحسب الجودَ يَفْنَى ماله أبداً ولا يرى بذل ما يحوى من السرف
ومضيتُ فيها حتى أتممتها . فطرب وقال : أحسنت والله يا أبا محمد ! وكنّاني
يومئذ ، وأمر لي بمائة ألف درهم . فأنحدرنا إلى الصالحية ، فذكرت الصبيان
وبغداد فقلت :

أتبكي على بغداد وهي قريبةٌ فكيف إذا ما أزددت عنها غداً بعداً
لعمرك ما فارتُ بغداد عن قلبي لو أننا وجدنا عن فراق لها بداً
إذا ذكرت بغدادَ نفسي تقطعت من الشوق أو كادت تهيم بها وجداً
كفي حزناً أن رحتُ لم أستطع لها وداعاً ولم أحدث لساكنها عهداً

قال : فقال لي : يا موصلي ، أشتقت إلى بغداد ؟ فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين ،
ولكن من أجل الصبيان قد حضرني بيتان . فقال : هاتهما . فأنشدته :

حَنَنْتَ إلى أُصْبِيَةِ صِغار فشاقتك منهم قُربُ المزارِ
وأبرحُ ما يكون الشوقُ يوماً إذا دنتِ الدِّيار من الدِّيارِ

فقال لي : يا إسحاق ، صِرْ إلى بغداد فأقم مع عيالك شهراً ثم سِرْ إلينا ، وقد
أمرت لك بمائة ألف درهم .

قيل :

صنع الواثق لحناً
وصنع هو خيراً
منه

وكان الواثق عالماً بصناعة الغناء ، فعمل لحناً في قول بعض الأعراب :
فيا مُجْنِي الموتى أَعْنِي على^(١) التي بها نهات نفسي سقاماً وعلت

(١) الرواية في الأغاني : « أيا منشراً الموتى أقدن من التي » .

وهذا البيت من أبيات غزلة رقيقة ، وهي :

أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْجَمَامَةَ غُدُوَّةً عَلَى الْإِيكَ مَاذَا هَيَّجَتْ حِينَ غَنَّتِ
تَغَنَّتْ بِصَوْتِ أَجْمَمِيٍّ فَهَيَّجَتْ مِنْ الْوَجْدِ مَا كَانَتْ ضُلُوعِي أَجْنَتْ
فَلَوْ قَطَرْتُ عَيْنُ أُمْرِي مِنْ صَبَابَةٍ دَمًّا قَطَرْتُ عَيْنِي دَمًّا أَوْ أَلَمْتُ
فَمَا سَكَتَتْ حَتَّى أَوْيْتُ لَصَوْتَهَا وَقُلْتُ أَرَى ^(١) هَذِي الْجَمَامَةَ جُنَّتْ
وَلِي زَفَرَاتٌ لَوْ يَدْمُنُ قَتَلَنِي بِشَوْقٍ إِلَى نَائِي الَّتِي قَدْ تَوَلَّتْ
إِذَا قُلْتُ هَذِي زَفَرَةُ الْيَوْمِ قَدْ مَضَتْ فَمَنْ لِي بِأُخْرَى فِي غَدٍ قَدْ أَظَلَّتْ
فِيَا حُجِّي الْمَوْتِ أَعِنِّي عَلَى ^(٢) الَّتِي بِهَا نَهَيْتُ نَفْسِي سَقَمًا وَعَلَّتْ
فَقَدْ بَخَلْتُ حَتَّى لَوْ أَنِّي سَأَلْتُهَا قَدَى الْعَيْنِ مِنْ سَافِي التُّرَابِ لَضَمَّتْ
فَقُلْتُ أَرْحَلَا يَا صَاحِبِي فَلَيْتَنِي أَرَى كُلَّ نَفْسٍ أُعْطِيَتْ مَا تَمَنَّتْ
حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ مَا أُمُّ وَاحِدٍ إِذَا ذَكَرْتَهُ آخِرَ اللَّيْلِ ^(٣) أَنْتِ
وَمَا وَجَدُ أَعْرَابِيَّةً قَدَفْتُ بِهَا صُرُوفُ النَّوَى مِنْ حَيْثُ لَمْ تَكُ ظَنَنْتِ
تَمَنَّتْ ^(٤) أَحَالِيْبَ الرَّعَاءِ وَخَيْمَةً بِنَجْدٍ فَلَمْ يَقْدِرْ لَهَا مَا تَمَنَّتِ
إِذَا ذَكَرْتُ مَاءَ الْعِضَاهِ وَطَيْبِهِ وَبَرْدَ الْحُمَى مِنْ بَطْنِ خَبْتِ ^(٥) أَرَنْتِ
بِأَكْثَرِ مَنِي لَوْعَةٍ غَيْرِ أَنْتِي أَجْمَعِمْ أَحْشَاءِي عَلَى مَا أَجَنْتِ

وكان الواثق إذا صنع في شعر غناء قال لإسحاق الموصلي : هذا وقع البارحة فأسمعه . فكان ربما أصلح فيه الشيء بعد الشيء .

(١) في أصول الأغاني : « ترى » .

(٢) في أصول الأغاني : « أقدني من » .

(٣) في أصول الأغاني : « حنت » مكان « أنت » .

(٤) هذا البيت ساقط من أصول الأغاني . والأحاليب : جمع إحلاب ، وهو اللبن المحلوب .

(٥) العضاه : ضرب من الشجر له شوك . والخبث : ما اطمأن من الأرض .

فكاده مُحارق عند إسحاق وقال : إنما يَسْتَجِيدُ صِنْعَتَكَ إِذَا حَضَرَ لِيُقَارِبَكَ
وَيَسْتَخْرِجُ مَا عِنْدَكَ ، فَإِذَا فَارَقَ حَضْرَتَكَ قَالَ فِي صِنْعَتِكَ غَيْرَ مَا تَسْمَعُ : فَقَالَ
الوَائِقُ : فَأَنَا أَحَبُّ أَنْ أَقِفَ عَلَى ذَلِكَ . قَالَ مُحَارِقُ : فَأَنَا أُغْنِيهِ : « أَيَا مُحْيِ
الْمَوْتِ » فَإِنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ لَكَ وَلَا سَمْعُهُ مِنْ أَحَدٍ . فَلَمَّا دَخَلَ إِسْحَاقُ غَنَاءَ مُحَارِقِ
وَتَعَمَّدَ لِأَنَّهُ يُسَدُّ بِجَهْدِهِ ، وَفَعَلَ ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ خَفِيَّةٍ لَا يَعْرِفُهَا الْوَائِقُ مِنْ
قِسْمَتِهِ . فَلَمَّا غَنَّى ، قَالَ الْوَائِقُ لِإِسْحَاقَ : كَيْفَ تَرَى هَذَا الصَّوْتُ ؟ قَالَ : فَاسِدٌ
غَيْرُ مَرْضِيٍّ . فَأَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ مِنَ الْمَجْلِسِ حَتَّى أُخْرِجَ عَنْهُ ، وَأَمَرَ بِنَفْسِهِ إِلَى
بَغْدَادٍ . ثُمَّ جَرَى ذِكْرُهُ يَوْمًا ، فَقَالَتْ لَهُ فَرِيدَةُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا كَادَهُ
مُحَارِقُ فَافْسَدَ الصَّوْتُ مِنْ حَيْثُ أَوْهَمَكَ أَنَّهُ زَادَ فِيهِ بِحِذْقِهِ نَعْمًا وَجَوْدَهُ ، وَإِسْحَاقُ
يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِقَوْلِ الْحَقِّ فِي كُلِّ شَيْءٍ سَاءَ أَوْ سَرَّ . وَيَفْهَمُ مِنْ غَامُضِ عِلَلِ
الصَّنَاعَةِ مَا لَا يَفْهَمُهُ غَيْرُهُ ، فَلْيُحْضِرْهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلْيَحْلِفْهُ بَغْلِيظِ الْإِيمَانِ أَنْ
يَصْدُقَهُ عَمَّا يَسْمَعُ ، وَأُغْنِيَهُ إِيَّاهُ حَتَّى يَقِفَ عَلَى حَقِيقَةِ الصَّوْتِ ، فَإِنْ كَانَ فَاسِدًا
فَصَدَقَ عَنْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ عَتَبٌ ، وَوَاقِفْنَاهُ عَلَيْهِ حَتَّى يَسْتَوِيَ ، فَلَيْسَ يَجُوزُ أَنْ نَتْرَكَهُ
إِنْ كَانَ فِيهِ فَسَادٌ . وَإِنْ كَانَ صَحِيحًا قَالَ فِيهِ مَا عِنْدَهُ . فَأَمَرَ بِالْكِتَابِ بِحَمَلِهِ ،
فَحُمِلَ وَأُحْضِرَ ، وَأُظْهِرَ لَهُ الرِّضَى عَنْهُ ، وَلَزَمَهُ أَيَّامًا ، ثُمَّ أَحْلَفَهُ أَنْ يَصْدُقَهُ عَمَّا
يَمُرُّ فِي مَجْلِسِهِ . فَخَلَفَ لَهُ . ثُمَّ غَنَّى الْوَائِقُ أَصْوَاتًا يَسْأَلُهُ عَنْهَا أَجْمَعُ ، فَيُخْبِرُهُ فِيهَا بِمَا
عِنْدَهُ . ثُمَّ غَنَّتْهُ فَرِيدَةُ هَذَا الصَّوْتُ ، وَسَأَلَهُ الْوَائِقُ عَنْهُ ، فَرَضِيهِ وَأَسْتَجِدَّاهُ وَقَالَ :
لَيْسَ عَلَى هَذَا سَمْعَتُهُ الْمَرَّةَ الْأُولَى ، وَأَبَانَ عَنِ الْمَوَاضِعِ الْفَاسِدَةِ ، وَأَخْبَرَ بِإِفْسَادِ
مُحَارِقِ إِيَّاهَا . فَسَكَنَ غَضَبُهُ الَّذِي كَانَ ، وَوَصَلَ إِسْحَاقُ وَتَنَكَّرَ لِمُحَارِقِ مُدَّةً .

وقيل :

غنى الأمين بشعر
مدحه به فأجازه

إِنْ إِسْحَاقُ غَنَّى مُحَمَّدًا الْأَمِينَ بْنَ الرَّشِيدِ لِحَنًا صَنَعَهُ فِي شِعْرِ لَهُ يَمْدَحُهُ بِهِ :

يَأْتِيهَا الْقَائِمُ الْأَمِينُ فِدَتْ نَفْسَكَ نَفْسِي بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ
بَسَطْتَ لِلنَّاسِ إِذْ وَلِيْتَهُمْ يَدًا مِنَ الْجُودِ فَوْقَ كُلِّ يَدٍ
فَأَمَرَ لَهُ بِأَنْفِ دَرَاهِمٍ . فَأَدْخَلَتْ إِلَى مَنْزِلِهِ يَحْمِلُهَا مِائَةُ فَرَّاشٍ .

وَذُكِرَ أَنَّهُ دَخَلَ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ ، فَجَعَلَ يَتَحَدَّثَانِ ،
إِلَى أَنْ أَشَدَّ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ مَرْوَانَ لِنَفْسِهِ :

(١) إِذَا مُضَرَ الْجَمْرَاءُ كَانَتْ أَرْوَمَتِي وَقَامَ بِنَصْرِي خَازِمٌ وَأَبْنُ خَازِمٍ
عَطَسْتُ بِأَنْفِي شَامِخٍ وَتَنَاوَلْتُ يَدَايَ الثَّرِيَّا قَاعِدًا غَيْرَ قَائِمٍ
وَجَعَلَ إِبْرَاهِيمُ يُحَدِّثُ مَرْوَانَ ، وَهُوَ عَنْهُ مَشْغُولٌ سَاهٍ لَا يَفْهَمُ عَنْهُ شَيْئًا . فَقَالَ
لَهُ : مَالِكَ لَا تُجِيبَنِي ؟ فَقَالَ : لِأَنَّكَ وَاللَّهِ لَا تَدْرِي مَا أَفْرَغَ أَبْنُكَ فِي أُذُنِي .

طرب لشعر
أعرابي وسكر عليه

وَحَكِي يَعْقُوبُ بْنُ بَشِيرٍ قَالَ :

كُنْتُ مَعَ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيِّ فِي نَزْهَةٍ ، فَمَرَّ بِنَا أَعْرَابِيٌّ ، فَوَجَّهَ إِسْحَاقُ خَلْفَهُ
بَغْلَامٌ ، فَوَافَاهُ الْأَعْرَابِيُّ . فَلَمَّا شَرِبَ وَسَمِعَ حَنِينَ الدَّوَالِيبِ قَالَ :

بَكَرْتُ تَحْنُ وَمَا بِهَا وَجْدِي وَأَحْنُ مِنْ وَجْدٍ إِلَى نَجْدٍ
فَدُمُوعُهَا تَحِيَا الرِّيَاضُ بِهَا وَدُمُوعُ عَيْنِي أَقْرَحَتْ خَدِّي
وَبَسَا كَيْفِي نَجْدٍ كَلِفْتُ وَمَا يُغْنِي لَهْمُ كَلْفِي وَلَا وَجْدِي
لَوْ قِيسَ وَجْدُ الْعَاشِقِينَ إِلَى وَجْدِي لَزَادَ عَلَيْهِ مَا عِنْدِي

فَمَا أَنْصَرَفَ إِلَى بَيْتِهِ إِلَّا مَحْمُولًا سُكْرًا ، وَمَا شَرِبَ إِلَّا عَلَى هَذِهِ الْأَبْيَاتِ .

من شعره في الواثق

وَحَكِي إِسْحَاقُ قَالَ :

قَدِمْتُ عَلَى الْوَائِقِ فِي بَعْضِ قَدَمَاتِي ، فَقَالَ لِي : أَمَا اسْتَقْتَمَتْ إِلَيَّ ؟ فَقُلْتُ :
بَلَى وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْشَدْتُهُ فِي ذَلِكَ :

(١) فِي رَوَايَةٍ :

إِذَا كَانَتْ الْأَحْرَارُ أَصْلَ وَمَنْصَبِي وَدَافِعَ ضَيْمِي خَازِمٌ وَأَبْنُ خَازِمٍ

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ بُعْدِي عَنْ خَلِيفَتِهِ وَمَا أَعَالَجَ مِنْ سَقَمٍ وَمِنْ كِبَرٍ
لَا أُسْتَطِيعُ رَحِيلًا إِنْ هَمَمْتُ بِهِ يَوْمًا إِلَيْهِ وَلَا أَقْوَى عَلَى السَّفَرِ
أَنْوِي الرَّحِيلَ إِلَيْهِ ثُمَّ يَمْنَعُنِي مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ فِي بَصَرِي
وَقَالَ ، وَقَدْ أَشْخَصَهُ إِلَيْهِ ، قَصِيدَتَهُ الدَّالِيَّةَ الَّتِي أَوْهَا :

ضَنْتَ سُعَادَ غَدَاةَ الْبَيْنِ بِالزَّادِ وَأَخْلَقْتَكَ فَمَا تُوفِي بِمِيعَادِ
مَا أَنَسَ لَا أَنَسَ فِيهَا إِذْ ^(١) تُودِّعُنِي وَالْحُزْنَ مِنْهَا وَإِنْ لَمْ تُبْدِهِ بِادِي
لَمَّا أَمَرْتَ بِأَشْخَاصِي إِلَيْكَ هَفَاً قَلْبِي حَنِينًا إِلَى أَهْلِي وَأَوْلَادِي
يَقُولُ فِيهَا :

ثُمَّ أَعْتَزَمْتُ وَلَمْ أَحْفَلْ بَيْنَهُمْ وَطَابَتْ النَّفْسُ عَنْ فَضْلِ وَحْمَادِ
كَمْ نِعْمَةٍ لِأَيِّكَ الْخَيْرِ أَفْرَدَنِي بِهَا وَعَمَّ بِأُخْرَى بَعْدَ إِفْرَادِ
فَلَوْ شَكَرْتُ أَيَادِيكُمْ وَأَنْعَمَ كَمْ لَمَّا أَحَاطَ بِهَا وَصَفِي وَتَعْدَادِي
لَأَشْكُرَنَّكَ مَا نَاحَ الْحَمَامُ وَمَا حَدَا عَلَى الصُّبْحِ فِي إِثْرِ الدُّجَى حَادِي
وَحَكَى إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ :

قصة خروجه
إلى تل عراز

كُنْتُ مَعَ الرَّشِيدِ حِينَ خَرَجَ مِنْهَا إِلَى الرَّقَّةِ ، فَدَخَلَ يَوْمًا إِلَى النِّسَاءِ ،
وَخَرَجْتُ فَمَضَيْتُ إِلَى تَلِ عَرَازَ ، فَنَزَلْتُ عِنْدَ حَمَارَةٍ هُنَاكَ ، فَسَقَتْنِي شَرَابًا لَمْ أَرَ
مِثْلَهُ حُسْنًا وَطَيِّبًا وَرَاحَةً ، فِي بَيْتِ مَرْشُوشٍ وَرِيحَانٍ غَضٍّ ، وَبَرَزَتْ بِنْتُ لَهَا كَأَنَّهَا
خُوطُ بَانٍ ^(٢) أَوْ جَدَلٍ ^(٣) عِنَانٌ ، لَمْ أَرَ أَحْسَنَ مِنْهَا قَدًّا ، وَلَا أَمِيلَ مِنْهَا خَدًّا ،
وَلَا أَعْتَقُ وَجْهًا ، وَلَا أُبْرِعُ ظَرْفًا ، وَلَا أَفْتِنُ طَرْفًا ، وَلَا أَحْسَنَ كَلَامًا ، وَلَا أَتَمَّ
تَمَامًا . فَأَقَمْتُ عِنْدَهَا ثَلَاثًا وَالرَّشِيدُ يَطْلُبُنِي وَلَا يَقْدِرُ عَلَى . ثُمَّ أَنْصَرَفْتُ فَذَهَبَتْ

(١) فِي أَصُولِ الْأَغَانِي : « تَوَدَّعْنَا » مَكَانَ « تَوَدَّعُنِي » .

(٢) الْخُوطُ : الْفَصْنُ النَّاعِمُ .

(٣) الْجَدَلُ : الْحَبْلُ الْمَقْتُولُ .

بِ رِسله ، فدخلتُ عليه وهو غَضبان ، فلما رأيتُه خطرْتُ في مِشيتي ورقصتُ ،
وكانت في فَضْلَةٍ من الشُّكر ، وَغَنيتُ :

إِنَّ قَلْبِي بِاللَّ تَلَّ عَزَّازٍ عِنْدَ ظَنِّي مِنَ الظُّبَاءِ ^(١) الْجَوَازِي
يَا لَقَوْمِي لَبِيتُ قَسٍّ أَصَابَتْ مِنْكَ صَفْوُ الْهَوَى وَلَيْسَتْ تُجَازِي
حَلَفْتُ بِالْمَسِيحِ أَنْ تُنْجِزَ الْوَعْدَ وَلَيْسَتْ تَهْمُ ^(٢) بِالْإِنْجَازِ

فَسَكَنَ غَضْبُهُ ، ثُمَّ قَالَ : فَأَيْنَ كُنْتُ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ . فَضَحَكَ ثُمَّ قَالَ : إِنْ مِثْلُ
هَذَا إِذَا أَنْفَقَ لَطِيبٌ . أَعَدَّ غَنَاءَكَ ، فَأَعَدَّتُهُ . فَأَعْجَبَ بِهِ وَأَمَرَنِي أَنْ أُعِيدَهُ لَيْلَةً
مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا . فَأَخَذَهُ الْمُغَنُّونَ مِنِّي جَمِيعًا ، وَشَرَبْنَا إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ . ثُمَّ
أَنْصَرَفْنَا . فَصَلَّيْتُ الصُّبْحَ ثُمَّ نِمْتُ . فَمَا أُسْتَقَرَّرْنَا حَتَّى أَتَانِي رَسُولُ الرَّشِيدِ يَأْمُرُنِي
بِالْحُضُورِ . فَرَكِبْتُ وَمَضَيْتُ ، فَلَمَّا دَخَلْتُ وَجَدْتُ أَبْنَ جَامِعٍ قَدْ طَرَحَ نَفْسَهُ يَتَمَرَّغُ
عَلَى دُكَّانٍ ^(٣) فِي الدَّارِ لَعَلَّابَةَ الشُّكْرِ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : أَتَدْرِي لِمَ دُعِينَا ؟ قُلْتُ : لَا
وَاللَّهِ . قَالَ : لَكِنِّي أَدْرِي ، بِسَبَبِ نَصْرَانِيَّتِكَ ، عَلَيْكَ وَعَلَيْهَا لَعْنَةُ اللَّهِ ! فَضَحَكْتُ .
فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ أَخْبَرْتُهُ بِالْقِصَّةِ . فَضَحَكَ وَقَالَ : صَدَقَ ، عُودُوا فِيهِ ، فَإِنِّي
أُسْتَقْتُ إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ لَمَّا فَارَقْتُمُونِي . فَعُدْنَا فِيهِ يَوْمَنَا كُلَّهُ حَتَّى أَنْصَرَفْنَا .

وَحَكَى إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ :

جَفَاءَ الْمَأْمُونِ
فَدَسَّ عَلَيْهِ عُلُوبُهُ
فَغَفَاءَ فَرَضَى عَنْهُ

لَمَّا قَدِمَ الْمَأْمُونُ ، يَعْنِي الْعِرَاقَ ، مِنْ خُرَّاسَانَ . أَقَامَ بَعْدَ قُدُومِهِ عَشْرِينَ شَهْرًا
لَمْ يَسْمَعْ حَرْفًا مِنَ الْأَغَانِي . ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَنْ تَغَنَّى بِحَضْرَتِهِ أَبُو عَيْسَى بْنُ الرَّشِيدِ .
ثُمَّ وَاطَّبَ عَلَى السَّمَاعِ مُسْتَتِرًا ، مِتَشَبِّهًا فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ بِالرَّشِيدِ . وَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ أَرْبَعَ
حَجَجٍ . ثُمَّ ظَهَرَ لِلنَّدْمَاءِ وَالْمُغَنِّينَ ، وَكَانَ حِينَ أَحَبَّ السَّمَاعَ سَأَلَ عَنِّي . فَجُرِحْتُ
بِحَضْرَتِهِ ، وَقَالَ الطَّاعِنُ عَلِيٌّ : مَا يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي رَجُلٍ يَتِيهِ عَلَى الْخِلَافَةِ !

(١) الجوازي ، بالهمز وسهل : الأطباء استغنت بالرطب عن الماء ؛ الواحدة جازئة .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « تجود » .

(٣) الدكان : المصطبة .

فقال : ما أبقى هذا شيئاً من التَّيِّه إلا استعمله . فأَمْسَكَ عن ذِكْرِي وَجَفَانِي من كان يُقَرِّبُنِي . حتى جاءني عَلاَوِيه فقال : أَتَأْذِن لِي في ذِكْرِكَ ، فَإِنَّا قد دُعِينَا اليوم ؟ فقلت : لا ، ولكن غَنِّه بهذا الشعر :

يَا سَرَحَةَ الْمَاءِ ^(١) قَدْ سُدَّتْ مَوَارِدُهُ أَمَّا إِلَيْكَ طَرِيقٌ غَيْرُ مَسْدُودٍ
لِحَاظِ حَامٍ حَتَّى ^(٢) لَا حِيَامَ لَهُ مُحَلَّأٌ ^(٣) عَنْ طَرِيقِ الْمَاءِ مَطْرُودٍ

قال : فَضَى عَلاَوِيه . فلما أَسْتَقَرَّ به المجلسُ غَنَّاهُ الشَّعْرُ الَّذِي أَمَرَهُ بِهِ . فَمَا عَدَا الْمَأْمُونُ أَنْ سَمِعَ الْغِنَاءَ حَتَّى قَالَ : وَيْلَكَ يَا عَلاَوِيه ! لِمَنْ هَذَا الشَّعْرُ ؟ فقال : يَا سِيدِي ، لِعَبْدِكَ وَأَبْنِ عَمِّكَ الَّذِي جَفَوْتَهُ وَاطَّرَحْتَهُ لَغَيْرِ جُرْمٍ . فقال : إِسْحَاقُ تَعْنِي ؟ فقال : نَعَمْ . فقال : يَحْضُرُ السَّاعَةَ . فجاءني رَسُولُهُ ، فَصَرْتُ إِلَيْهِ . فلما دَخَلْتُ عَلَيْهِ ، قَالَ : أَدْنُ . فَذَنَوْتُ مِنْهُ ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ مَا دَا لَهَا إِلَى ، فَأَكْبَتُ عَلَيْهِ ، فَأَحْتَضَنِي بِيَدَيْهِ ، وَأَظْهَرَ مِنْ بَرِّي وَإِكْرَامِي مَا لَوْ أَظْهَرَهُ صَدِيقٌ مُؤَانِسٌ لَصَدِيقِهِ لَسَرَّهَ .

وقيل :

فساد ما بينه
وبين الأصمعي
وحديث ذلك

كان إِسْحَاقُ الْمُوصِلِيُّ يَأْخُذُ الرَّوَايَةَ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ وَيَذْكُرُ عَنْهُ ^(٤) ، ثُمَّ فَسَدَ مَا بَيْنَهُمَا ، فَهَجَاهُ إِسْحَاقُ وَثَلَبَهُ وَكَشَفَ لِلرَّشِيدِ مَعَايِبَهُ ، وَأَخْبَرَهُ بِقِلَّةِ شُكْرِهِ وَبُخْلِهِ وَضَعَةَ نَفْسِهِ ، وَأَنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَزُكُّو عِنْدَهُ ، وَوَصَفَ لَهُ أَبَا عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى بِالثَّقَّةِ وَالصَّدْقِ وَالسَّاحَةِ وَالْعِلْمِ ، وَأَسْتَعَانَ بِالْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ فِي ذَلِكَ . وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى وَضَعَ مَرْتَبَةَ الْأَصْمَعِيِّ وَأَسْقَطَهُ عِنْدَهُمْ . وَأَنْفَذُوا إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ مَنْ أَقْدَمَهُ . فَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ فِي إِسْحَاقَ :

(١) سرحة الماء ، يكنى بها عن المرأة .

(٢) الرواية في اللسان : « لا حراك به » مكان « لا حيام له » .

(٣) المحلأ : المطرود .

(٤) في أصول الأغاني : « يأخذ عن الأصمعي ويكثر الرواية عنه » .

إِنَّ تَغْنَيْتَ الشَّرْبِ الْكَرَامَ^(١) «أَلَا
وَقِيلَ أَنْتَ حُسَانُ النَّاسِ كُلَّهُمْ
فَمَا بِهِمْ—ذَا تَقُومُ النَّادِبَاتُ وَلَا
وَمَا قَالَ إِسْحَاقُ فِي الْأَصْمَعِيِّ :

أَلَيْسَ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ قَرِدَا
وَيَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ كَانَ يُفْتَى
إِذَا مَا قَالَ قَالَ أَبِي عَجَبْنَا
وَمَا إِنْ كَانَ يَدْرِي مَا دَبِيرُهُ
أَصِمَّ عَ بَاهِلِيًّا يَسْتَطِيلُ
أَبَا عَمْرٍو وَيَسْأَلُهُ^(٢) الْخَلِيلُ
لِمَا يَأْتِي بِهِ وَلِمَا يَقُولُ
أَبُوهُ إِنْ سَأَلْتَ^(٣) وَمَا قَبِيلُ

بينه وبين غلامه
فتح

وَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ لِإِسْحَاقَ غُلَامٌ يُقَالُ لَهُ : فَتَحٌ ، يَسْتَقِي الْمَاءَ [لِأَهْلِ دَارِهِ] عَلَى
بَغْلَيْنِ مِنْ بَغَالِهِ . فَقَالَ إِسْحَاقُ : فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا : أَيُّ شَيْءٍ خَيْرٌ يَا فَتَحُ ؟ قَالَ :
خَيْرِي أَنَّهُ لَيْسَ فِي هَذِهِ الدَّارِ أَشَقُّ مِنِّي وَمِنْكَ ، أَنْتَ تَطْعَمُ أَهْلَ الدَّارِ الْخُبْزَ وَأَنَا
أَسْقِيهِمُ الْمَاءَ . فَاسْتَظَرَفْتُ قَوْلَهُ وَضَحَكْتُ مِنْهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : فَأَيُّ شَيْءٍ تُحِبُّ ؟
قَالَ : تُعْتَقِنِي وَتَهَبَ لِي الْبَغْلَيْنِ أَسْتَقِي عَلَيْهِمَا . فَقُلْتُ لَهُ : قَدْ فَعَلْتُ .

سأله الفضل أن

يغنيه وكان الرشيد

نهاه وقصة ذلك

وحكى أن إسحاق قال :

نَهَانِي الرَّشِيدُ أَنْ أُغْنِيَ أَحَدًا غَيْرَهُ . ثُمَّ أَسْتَوْهَبَنِي جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى وَسَأَلَهُ أَنْ
يَأْذَنَ لِي أَنْ أُغْنِيَهُ ، فَفَعَلَ . وَأَتَقَفْنَا يَوْمًا عِنْدَ جَعْفَرٍ ، وَعِنْدَهُ أَخُوهُ الْفَضْلُ ،
وَالرَّشِيدُ يَوْمَئِذٍ بَعْقَبٌ عَلَّةٌ قَدْ عُوْفِيَ مِنْهَا وَلَيْسَ يَشْرَبُ . فَقَالَ لِي الْفَضْلُ :
انصرف الليلة إلى حتى أهب لك مائة ألف درهم . فَقُلْتُ لَهُ : إِنْ الرَّشِيدُ قَدْ

(١) فِي الْأَغَانِي : « الْأَرْدُ الْخَلِيطُ جَمَالُ الْحَيِّ فَانْفَرَقُوا » .

(٢) أَبُو عَمْرٍو ، هُوَ ابْنُ الْعَلَاءِ ، أَعْلَمُ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ الْعَرَبِيَّةِ . مَاتَ سَنَةَ ١٥٩ هـ .

وَالْخَلِيلُ ، هُوَ ابْنُ أَحْمَدَ اللَّغَوِيِّ النَّحْوِيِّ الْعَرُوضِيِّ . مَاتَ سَنَةَ ١٧٥ هـ .

(٣) يُقَالُ : فَلَانٌ لَا يَعْرِفُ مَا قَبِيلُهُ وَمَا دَبِيرُهُ ، أَيُّ لَا يَعْرِفُ مَا قَدَامُهُ وَمَا خَلْفُهُ .

نَهَانِي أَنْ أُغْنِيَ إِلَّا لَهُ أَوْ لَا خِيكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَنْهُ خَبْرِي، وَأَنَا مُتِّمٌ بِالْمِيلِ إِلَيْكُمْ،
وَلَسْتُ أُتَعَرِّضُ لَهُ وَلَا أُعَرِّضُكَ . فَلَمَّا نَكَبَ الرَّشِيدُ الْبِرَامِكَةَ قَالَ : إِيْهِ
يَا إِسْحَاقُ ! تَرَكْتَنِي بِالرَّقَّةِ وَجَلَسْتَ بِبَغْدَادٍ تُغْنِي الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى ! خَلَفْتُ بِحَيَاتِهِ
أَنْتَى مَا جَالَسْتَهُ قَطُّ إِلَّا عَلَى الْحَدِيثِ وَالْمُذَاكِرَةِ ، وَأَنَّهُ مَا سَمِعَنِي قَطُّ إِلَّا عِنْدَ أَخِيهِ .
وَحَلَفْتُهُ بِتُرْبَةِ الْمَهْدِيِّ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ هَذَا مَنْ فِي دَارِهِ مِنْ نَسَائِهِمْ . فَسَأَلَ عَنْهُ ، فَخَدَّتْ
بِمَا ذَكَرْتَهُ ، وَعَرَفَ خَيْرَ الْمَائَةِ الْأَلْفِ الَّتِي بَذَلَهَا فَرَدَّهَا . فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ ضَحَكَ
إِلَيَّ ثُمَّ قَالَ : قَدْ سَأَلْتُ عَنْ أَمْرِكَ فَعَرَفْتُ مِنْهُ مِثْلَ مَا عَرَفْتَنِي ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمَائَةِ
أَلْفِ دِرْهَمٍ عَوِضًا عَمَّا بَذَلَهُ لَكَ الْفَضْلُ .

وَحَكِي إِسْحَاقُ قَالَ :

بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْرَابِي
أُنْشَدَهُ شَعْرَهُ

أَنْشَدْتُ بَعْضَ الْأَعْرَابِ شَعْرًا لِي أَقُولُ فِيهِ :

لَمَّا جَرَى لَكَ سَانِحٌ بِفِرَاقٍ	أَجَرْتُ سَوَابِقُ دَمْعِكَ الْمُهْرَاقِ
هَاجَتْ عَلَيْكَ صَبَابَةُ الْمُشْتَقِ	إِنَّ الظَّعَّانَ يَوْمَ (١) صَائِغَةِ اللَّوَى
مِنْهُمْ بَيضَ تَرَائِبٍ وَتَرَاقٍ	لَمْ أُنْسَ إِذَ الْمَحْنَنَاءِ فِي رِقْبَةٍ
مُحَرِّ كَهْدَابِ الدِّمْقَسِ (٢) دِقَاقٍ	وَأَشْرَنْ إِذْ وَدَعْنَا بِأَنَامِلٍ
بَأْغَرٍ عَزَبٍ بَارِدٍ بَرَّاقٍ	وَرَمْتِكَ هِنْدٌ يَوْمَ ذَاكَ فَأَقْصَدْتُ
نَفْسًا تَصْعَدُ فِي حَشَى خَفَاقٍ	وَتَنْفَسْتُ لَمَّا رَأَيْتُكَ صَبَابَةً
حَتَّى صُرِعْتُ مَصَارِعَ الْعِشَاقِ	وَلَقَدْ حَذَرْتُ فَمَا نَجَوْتُ مَسَامًا
لَمَّا تَحَمَّلَهَا أَبُو إِسْحَاقٍ	إِنَّ الْخِلَافَةَ أَثْبَتَ أَوْتَادُهَا
نُورُ الْخِلَافَةِ سَاطِعَ الْإِشْرَاقِ	مَلِكٌ أَغْرُ يُلُوحُ فَوْقَ جَبِينِهِ
هَدَى التَّقَى وَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ	كُسَى الْجَلَالِ مَعَ الْجَمَالِ وَزَانَهُ

(١) صَائِغَةُ : مِنْ نَوَاحِي الْمَدِينَةِ . وَقِيلَ : مَوْضِعٌ حِجَازِي قَرِيبٌ مِنْ ذِي طَوًى . وَفِي الْأَغَانِي :
« نَاصِفَةُ اللَّوَى » .

(٢) فِي الْأَغَانِي : « رِفَاق » .

صَحَّتْ عُرُوقُكَ فِي الْجِيَادِ وَإِنَّمَا
ذَخِرَ الْمُلُوكُ فَكَانَ أَفْضَلُ ذُخْرِهِمْ
وَذَخَرْتَ أَبْنَاءَ الْحُرُوبِ كَأَنَّهُمْ
كَمْ مِنْ كَرِيمَةٍ مَعَشِرٍ قَدْ أَنْكَحَتْ
وَعَزِيزَةً فِي أَهْلِهَا ^(٢) وَقَطِينَهَا
يَجْرَى الْجَوَادُ بِصَحَّةِ الْأَعْرَاقِ
لِلْمَلِكِ مَا جَمَعُوا ^(١) مِنَ الْأَوْرَاقِ
أَسَدُ الْعَرِينِ عَلَى مَثُونِ عِتَاقِ
بَسِوْفِهِمْ قَسْرًا بَغِيرَ صَدَاقِ
قَدْ فَارَقْتَ بَعْلًا بَغِيرَ طَلَاقِ
قَالَ : فَقَالَ لِي : أَفَلَيْتَ وَاللَّهِ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ! فَقُلْتَ : وَمَا أَفَلَيْتَ ! قَالَ : رَعَيْتَ
فَلَاةً لَمْ يَرَعْهَا غَيْرُكَ .

وحكى إسحاق قال :

دَخَلْتُ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّيِّعِ فَقَالَ لِي : يَا إِسْحَاقُ ، كَثُرَ وَاللَّهِ شَيْبُكَ ! فَقُلْتَ :
أَنَا وَذَاكَ — أَصْلَحَكَ اللَّهُ — كَمَا قَالَ أَخُو ثَقِيفَ :

الشَّيْبُ إِنْ يَظْهَرُ فَإِنَّ وَرَاءَهُ
لَمْ يَنْتَقِصْ مَنَى الْمَشَيْبِ قُلَامَةً
عُمَرَاءُ يَكُونُ خِلَالَهُ مُتَنَفِّسُ
وَلَنَحْنُ حِينَ بَدَأَ اللَّبُّ وَأَكَيْسُ
فَقَالَ : هَاتِ يَا غَلَامَ دَوَاةً وَقِرْطَاسًا ، أَكْتُبُهُمَا لِي لِأَتَسَلَّى بِهِمَا .

وحكى إسحاق قال :

ذَكَرَ الْمُعْتَصِمُ يَوْمًا بَعْضَ أَصْحَابِهِ وَقَدْ غَابَ عَنْهُ ، فَقَالَ : تَعَالَوْا حَتَّى نَقُولَ مَا
يَصْنَعُ فِي هَذَا الْوَقْتِ . فَقَالَ قَوْمٌ : يَلْعَبُ بِالزَّرْدِ . وَقَالَ قَوْمٌ : يَغْنَى . وَبَلَغَتْنِي النَّوْبَةُ .
فَقَالَ : قُلْ يَا إِسْحَاقُ . قُلْتَ : إِذْنُ أَقُولُ فَأُصِيبُ . فَقَالَ : أَتَعْلَمُ الْغَيْبَ ؟ فَقُلْتَ :
لَا ، وَلَكِنِّي أَفْهَمُ مَا يَصْنَعُ وَأَقْدَرُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ . قَالَ : فَإِذَا لَمْ تُصِبْ : قُلْتَ : فَإِنْ
أُصِيبْتُ ؟ قَالَ : لَكَ حُكْمُكَ . قَالَ : وَإِنْ لَمْ تُصِبْ ؟ قُلْتَ : لَكَ دَمِي . قَالَ : وَجَبَ .

(١) الأوراق : الدراهم .

(٢) قطينها : إماءها وحشها .

ذكره الفضل
ابن الربيع بالشيب
فقال شعرا

حدث عن غائب
في مجلس المعتصم
فأجازه

قلت : وَجِب . قال : فُقِل . قلت : يَتَنَفَّس . قال : فَإِنْ كَانَ مَيِّتًا ؟ قلت : تُحْفَظ
السَّاعَةُ الَّتِي تَكَلَّمْتُ فِيهَا ، فَإِنْ كَانَ مَاتَ فِيهَا أَوْ قَبْلَهَا فَقَدْ قَمَرْتَنِي . قال : قد
أَنْصَفْتَ . قلت : فَأُلْحِم . قال : اُحْتَكَمْ مَا شِئْتَ . قلت : مَا حُكِمِي إِلَّا
رِضَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قال : فَإِنْ رَضَى لَكَ ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ،
أَتَرَى مَزِيدًا ؟ قلت : مَا أَوْلَاكَ بِذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قال : فَإِنَّهَا مِائَتَا أَلْفِ دِرْهَمٍ .
أَتَرَى مَزِيدًا ؟ قلت : مَا أَحْوَجَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى ذَلِكَ . قال : فَإِنَّهَا ثَلَاثَةُ
أَلْفِ دِرْهَمٍ ، أَتَرَى مَزِيدًا ؟ قلت : مَا أَوْلَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ . فقال : يَا صَفِيْق
الْوَجْه ، مَنْ يَزِيدُ عَلَى هَذَا ؟

وَحَكِي إِسْحَاقُ قَالَ :

أَجَاوَزَهُ الْمَخْلُوعُ عَلَى
أَبْيَاتٍ فِي سَفِينَةٍ لَهُ

عَمَلُ مُحَمَّدِ الْمَخْلُوعِ - يَعْنِي الْأَمِينَ بْنِ الرَّشِيدِ - سَفِينَةٌ ، فَأَعْجَبَ بِهَا وَرَكِبَ
فِيهَا يُرِيدُ الْأَنْبَارَ ، فَلَمَّا أَمْعَنَ وَأَنَا مُقْبِلٌ عَلَى بَعْضِ أَبْوَابِ السَّفِينَةِ صَاحُوا : إِسْحَاقُ !
إِسْحَاقُ ! فَوَثَبْتُ فَدَنَوْتُ مِنْهُ . فَقَالَ لِي : كَيْفَ تَرَى سَفِينَتِي ؟ فَقُلْتُ . حَسَنَةً يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، عَمَّرَهَا اللَّهُ بِبَقَائِكَ . فَقَامَ يُرِيدُ الْخَلَاءَ وَقَالَ لِي : قُلْ فِيهَا أَيْبَاتًا . فَقُلْتُ .
وَخَرَجَ ، وَقَمْتُ بِالْأَبْيَاتِ إِلَيْهِ ، فَاشْتَهَاهَا جِدًّا وَقَالَ : أَحْسَنْتَ يَا إِسْحَاقُ ! وَحَيَاتِكَ
لَأَهْبِنَنَّ لَكَ عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ . فَقُلْتُ : مَتَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ إِذْ وَسِعَ اللَّهُ عَلَيْكَ !
فَضَحَكَ وَدَعَا بِهَا عَلَى الْمَكَانِ .

وَحَكِي إِسْحَاقُ قَالَ :

حَدِيثُ دَخُولِ
عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ
عَلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى
وَهُوَ يَتَادَمُهُ

لَمْ أَرْ قَطُّ مِثْلَ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى ، كَانَتْ لَهُ فَتَوَةٌ وَظَرْفٌ وَأَدَبٌ وَحُسْنُ غِنَاءٍ
وَضَرْبُ بِالطَّبْلِ ، وَكَانَ يَأْخُذُ بِأَجْزَلِ حِطٍّ مِنْ كُلِّ فَنٍّ مِنَ الْأَدَبِ وَالْفَتَوَةِ .
فَحَضَرْتُ دَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقِيلَ لِي : إِنَّهُ نَأْمٌ ، فَانْصَرَفْتُ ، فَلَقِينِي جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى
فَقَالَ لِي : مَا الْخَبَرُ ؟ فَقُلْتُ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ نَأْمٌ . فَقَالَ لِي : قِفْ مَكَانَكَ . وَمَضَى
إِلَى دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْحَاجِبُ فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ نَأْمٌ . فَرَجَعَ وَقَالَ : قَدْ نَامَ

أمير المؤمنين فصر بنا إلى المنزل حتى نخلو جميعاً بقيّة يومنا ، وأغنيك وتغنيني
ونأخذ في شأننا من وقتنا هذا . فقلت : نعم . فصرنا إلى منزله ، فطرحنا ثيابنا ، ودعا
بالطعام فطعمنا ، وأمر بإخراج الجوّاري وقال : لتَبْرُزْنَ ، فليس عندنا من نخشمه .
فلما وُضع الشراب دعا بقميص فلبسه ، ودعا بخلوق فتخلّق به ، ودعا لي بمثل ذلك .
وجعل يُغنيني وأغنيّه . ثم دعا بالحاجب ، فتقدّم إليه ، وأمره ألاّ يأذن لأحد من
الناس كلهم ، وإن جاء رسول أمير المؤمنين أعلمه أنه مشغول . واحتاط في ذلك
وتقدّم فيه إلى جميع الحُجّاب والخدم ، ثم قال : إن جاء عبد الملك فأذنوا له
— يعني رجلاً كان يأنس به ويُمارحه ويحضّر خلواته — ثم أخذنا في شأننا .
فوالله إنّنا لعلّى حالٍ سارّة عجيبة إذ رفع السّتر ، فإذا عبدُ الملك بن صالح الهاشمي
قد أقبل . وغلّط الحاحب فلم يفرّق بينه وبين الذي يأنس به جعفر بن يحيى .
وكان عبدُ الملك بن صالح من جلالَةِ القُدْر والتّشوّف والامتناع من منادمة الخلفاء
على أمر جليل ، وكان الرّشيد قد أُجتهد به أن يشرب معه أو عنده أقداحاً ، فلم
يفعل رفْعاً لنفسه . فلما رأيناه مُقبلاً أقبل كلّ واحدٍ منا ينظر إلى صاحبه ،
وكاد جعفر أن ينشقّ غيظاً . وفهم الرجلُ حالنا ، فأقبل نحونا ، حتى إذا صار
إلى الرّواق الذي نحن فيه نزع قلنسويته فرمى بها مع طيلسانه جانباً ، ثم قال :
أطعمونا شيئاً . فدعا له جعفر بالطعام ، وهو منتفخٌ غيظاً وغضباً ، فطعم ، ثم دعا
برطل فشربه ، ثم أقبل إلى المجلس الذي نحن فيه فأخذ بعضادتي الباب ، ثم
قال : أشركونا فيما أتم فيه . فقال جعفر : أدخل . ثم دعا بقميص حرير وخلوق ،
فلبس وتخلّق ، ثم دعا برطل ورطل حتى شرب عدة أرطال ، ثم أندفع يُغنيّنا .
فكان والله أحسننا جميعاً غناء . فلما طابت نفسُ جعفر وسرّي عنه ما كان به
التفت إليه وقال له : أرفع حوائجك . قال : ليس هذا موضعُ حوائج . قال : لتفعلن ،
ولم يزل يلح عليه حتى قال له : أميرُ المؤمنين علىّ واجد وأحبّ أن ترضاه . قال :

فإنَّ أمير المؤمنين قد رَضَى عنك ، فهاتِ حوائجك . قال : هذه كانت حاجتى .
قال : أرفعِ حوائجك كما أقول لك . قال : فإنَّ علىَّ دينًا فادحًا قدرُهُ أربعةُ آلافِ
درهم . قال : هذه أربعةُ آلافِ ألفِ درهم ، فإنَّ أحببتَ أنْ تَقْبِضَها فاقْبِضْها من
منزلى الساعة ، فإنه لم يَمْنَعْنى من إعطائك إياها إلا أنَّ قدرك يَجِلُّ عن أن يصل
مثلُ مثلك ، لكننى ضامنٌ لها حتى تُحمِلَ إليك من مال أمير المؤمنين غداً ، فسل
أيضاً حوائجك . قال : أبنى ، تُكَلِّمُ أمير المؤمنين حتى ينوّه بأسمه . قال : قد
ولّاه أمير المؤمنين مصر وزوجه أبنته العالیه ومهرها ألف ألف درهم . قال إسحاق :
فقلت فى نفسى : سكر الرجل - يعنى جعفر - فلما أصبحتُ لم تكن لى همّة إلا
حُضورَ دار الرشيد ، فإذا جعفر بن يحيى قد بكر ، ووجدتُ فى الدار جَلْبَنَةً ،
فإذا أبو يوسف القاضى ونظراؤه قد دُعِيَ بهم . ثم دُعِيَ بعبد الملك بن صالح وأبنة
فأدخلا على الرشيد . فقال الرشيد لعبد الملك : إن أمير المؤمنين كان واجداً عليك
وقد رضى عنك ، وأمر لك بأربعة آلاف ألف درهم ، فاقْبِضْها من جعفر بن يحيى
الساعة . ثم دعا بأبنة فقال : أشهدوا علىَّ أنى قد زوجتُهُ العالیه بنت أمير المؤمنين
وأمرتها عنه من مالى ألفى ألف درهم ، وولّيته مصر . فلما خرج جعفر بن يحيى
سألته عن الخبر ، فقال : بكرتُ إلى أمير المؤمنين فحكيتُ له جميع ما كان بيننا
وما كُنّا فيه حَرْفاً حرفاً ، وحكيتُ له دُخولَ عبد الملك وما صنع . فعَجِبَ لذلك
وسرّه . ثم قلت له : إني قد ضمنتُ له عنك يا أمير المؤمنين ضمانة . قال : ماهو؟
فأعلمته . فقال : أوفِ بضمانك . وأمر باحضاره ، فكان ما رأيت .

وحكى إسحاق قال :

شعر كتب به وهو
معتل إلى ابن هشام

كُتِبَتْ إلى عليّ بن هشام ، وقد اعتلت أَيْبامًا ، فلم يأتنى رسوله :
أنا عليلٌ منذ فارقتنى وأنت عمن غاب لا تسألُ
ما هكذا كنت ولا هكذا فيما مضى كنت بنا تفعل

فلما وصلت رُفعتي إليه ركب وجاءني عائداً .

وحكى حماد بن إسحاق قال :

لما خرج أبي إلى البصرة خَرَجَتْهُ الأُولى وعاد ، أُنشدني لنفسه في ذلك :
 ما كنتُ أعرف ما في البين من حَزَنٍ حتى تنادوا بأن قد جِئ بالسُفْنِ
 قامتُ تودُّعني والعينُ تَغْلِبُها فجمجتُ^(١) بعضَ ما قالت ولم تُبِنِ
 مالت على تَقْدِئني وتَرْشُفني كما يميل نَسِيمُ الريح بالغُصْنِ
 وأعرضت ثم قالت وهي باكيةٌ ياليت معرفتي إياك لم تكن
 لما افترقنا على كُرهِ لفرقتها أيقنتُ أني رهينُ الهم والحزن

وحكى إسحاق الموصلي قال :

دعاني إسحاق بن إبراهيم المصعبي ، وكان عبد الله بن طاهر عنده يومئذ ،
 فوجه إلى ، فحضرت وحضر علويه ومُخارق وغيرهم من المغنين ، فبينما هم على شراهم
 وهم أسرُّ ما كانوا ، إذ وافى رسولُ المأمون فقال له : أجب أمير المؤمنين . فقال :
 السَّمْع والطاعة . ودعا بثيابه فلبسها ، ثم ألفت إلى محمد بن راشد الخنّاق فقال له :
 قد بلغني أنك أحفظُ الناس لما يدور في المجالس ، فاحفظ كُلَّ صوت يَمُر ، وما
 يشر به كُلُّ أحد ، حتى إذا عُدْتُ أعدت على الأصوات ، وشربت ما فاتني .
 فقال : نعم . أصلح الله الأمير . ومضى إلى المأمون ، فأمره بالشخص إلى بابك^(٢)
 من غدٍ ، وتقدّم إليه بما يحتاج إليه ، ورجع من عنده . فلما دَخَلَ ووضع ثيابه قال :
 يا محمد ، ما صنعتَ فيما تقدمتُ به إليك ؟ قال : قد أحكمتُ ، أصلح الله الأمير . ثم
 أخبره بما شر به القومُ وما استحسنوه من الغناء بعده . فأمر أن يُجمع له أكثر

(١) جمجت : لم تفصح .

(٢) هو بابك الخرمي . وكان قد خرج على الدولة العباسية . وتبعه خلق كثير بأذربيجان .

فلما كانت أيام المعتصم ، أخذ هو وأخوه إسحاق وصلبا .

شعر له في خروجه
 الأولى إلى البصرة

هو وجماعة
 من المغنين عند
 إسحاق المصعبي

ما شَرِبَهُ واحد منهم في قدح ، وأن يُعاد عليه كُل صوت مما حَفَظ ، حتى أُستوفى
النبيذ والأصوات . ثم قال لي : يا أبا محمد ، إني قد عملتُ في مُنصرفي من عند أمير
المؤمنين أبياتاً ، فاسمِعها . فقلت : هاها أعزّك الله . فأنشدني :

أَلَا مَنْ لَقَّبَ مُسْلِمًا لِلنَّوَابِ أَحَاطَتْ بِهِ الْأَحْزَانُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
تَبَيَّنَ يَوْمَ الْبَيِّنِ أَنْ أَعْتَزَّامَهُ عَلَى الصَّبْرِ مِنْ إِحْدَى الظُّنُونِ الْكَوَاذِبِ
حَرَامٌ عَلَى رَايِ فُؤَادِي بِسَهْمِهِ دَمٌ صَبَّهُ بَيْنَ الْحَشَى وَالتَّرَائِبِ
أَرَأَيْتَ دَمًا لَوْلَا الْهُوَى مَا أَرَاكَ فَهَلْ بَدَمِي مِنْ ثَائِرٍ أَوْ مُطَالِبِ

قال : فقلتُ له : ما سمعتُ أحسنَ من هذا الشعر قطُّ . فقال لي : فأصنع فيه
لحنًا ، وأحضرنِي وصيفةً له ، فألقيتهُ عليها حتى أخذته . وقال : إنما أردتُ أن
أَسْأَلَ به في طريقِي وتذكّرني الجاريةُ أمرك إذا غَنَّتْ . فكان كما ذكر أتانِي
برُّهُ ، إلى أن قدم ، عدة دَفَعَات .

وَحَكِي إِسْحَاقُ قَالَ :

خروجه مع الرشيد
إلى الرقة وقصته
بدير القائم وتل عزاز

خرجنا مع أمير المؤمنين هارون الرشيد يريد الرقة ، فلما صِرْنَا بالموضع الذي
يقال له : دِير الْقَائِمِ ^(١) نزلنا وخرج يتصيد وخرجنا معه ، فأبعد في الصيد وطلبه ،
ولاح لي دَيْرٌ فَقَصَدْتُهُ وقد تعبْتُ . فأشرفتُ على صاحبه ، فقال : هَلْ لَكَ فِي النَّزُولِ
بِنَا الْيَوْمَ ؟ فقلت : إِي وَاللَّهِ ، وَإِنِّي إِلَى ذَلِكَ لُمُحْتَاج . فنزل ففتح لي الباب وجلس
يُحَدِّثُنِي ، وكان شيخًا كبيرًا قد أدرك دولة بني أمية ، فجعل يُخبرني عَمَّنْ نَزَلَ بِهِ مِنْ
الْقَوْمِ وَمَوَالِيهِمْ وَحَشَمِهِمْ ^(٢) ، وَعَرَضَ عَلَى الطَّعَامِ . فَأَجَبْتُهُ . فَقَدَّمْ إِلَى طَعَامًا مِنْ
طَعَامِ الدِّيَارَاتِ نَظِيفًا طَيِّبًا ، فَأَكَلْتُ مِنْهُ . وَأَتَانِي بِشَرَابٍ وَرِيحَانٍ طَرِيٍّ ، فَشَرَبْتُ

(١) فِي الْأَغَانِي : « الْقَائِم » مَكَان « دِير الْقَائِم » . وَدِير الْقَائِم : عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ مِنْ جَانِبِهِ الْغَرْبِيِّ .

(٢) فِي الْأَغَانِي : « وَجِيوشِهِمْ » .

منه . ووكل بي وبخدمتي جاريةً راهبةً لم أر أحسن منها وجهاً ولا أشكل .
فشربتُ حتى سكرتُ . ونمتُ فأُتيتُ عشاءً ، فقلتُ في ذلك :

بدَيْرِ القَائِمِ الأَقْصَى غزالٌ شَارِدٌ أَحْوَى
بَرَى حُبِّي لَهُ جِسْمِي ولا يَعْلَمُ مَا أَلْقَى
وَأَخْفَى حُبَّهُ جُهْدِي ولا وَاللَّهِ مَا يَخْفَى

وركبتُ ولحقتُ بالعسكر ، والرَّشيدُ قد جلس للشرب وطلبني فلم أوجد . فأُخبرتُ بذلك . فغَنَيْتُ في الأبيات ودخلتُ إليه . فقال لي : أين كنتِ ؟ ويحك ! فأُخبرتُهُ الخبر وغَنَيْتُهُ الصوت . فطَرَبَ وشَرَبَ عليه حتى سكر وأخَّرَ الرحيلَ في غد ، ومَضِينَا إلى الدَّيْرِ فنزَلَهُ ، ورَأَى الشَّيْخَ فَأَسْتَنْطَقَهُ ، ورَأَى الجارية التي كانت بالأُمس تتخُدُّ مِنِّي . فدعا بالطعام فأصاب منه ، ودعا بالشراب ، وأمر الجارية أن تتولَّى خِدْمَتَهُ وسَقِيَهُ ، ففعلتُ وشربَ . حتى طابتُ نفسه . ثم أمر للدَّيْرِ أني بألف دينار ، وأمر بأحتمال خراج مزارع كانت له سَبْعَ سنين ، ورحلنا .

دخل على الرشيد
مغنياً فأجازه

وحكى إسحاقُ قال :

دخلتُ على الرَّشيد يوماً في عِمَامَةٍ قد كَوَّرْتُهَا على رَأْسِي ، فقال : ما هذه العِمَامَةُ ؟ كأنك من أهل الأنبار . فلما كان من غدٍ دعا بنا إليه ، فأَمَهَلْتُ حتى دخل المغنُّون جميعاً . ثم دخلتُ عليه في آخرهم ، وقد شددتُ وسطِي بِمِشْدَةٍ حَرِيرٍ ، ولبستُ لباساً مشتهراً ، وأخذتُ يَدَي صَفَاقَتَيْنِ ، وأقبلتُ أَخْطِرُ وَأَضْرِبُ بالصَّفَاقَتَيْنِ وَأُغْنِي :

أَسْمَعُ لَصُوتٍ مَلِيحٍ من صَنَعَةِ الأَنْبَارِي
صُوتٍ خَفِيفٍ ظَرِيفٍ يَطِيرُ في الأَوْتَارِ

فبسط يديه إليَّ حتى كاد يقوم ، وجعل يقول : أحسنتَ وحياتي ! أحسنتَ !

أحسنْتُ ! حتى جَلستُ . ثم شَرِب عليه بَقِيَّةَ يومه ، ما أَسْتَعادَ غَيْرَه ، وأمر لي بعشرين ألف درهم .

وحكى إسحاقُ قال :

اغتم لصوت أخذه
عنه أحد العامة

ما اغتممتُ بشيء قطُّ كما اغتممتُ بصوت مَلِيح صَنعتهُ في هذا الشعر :

كان لي قلبٌ أعيش به فأَكْتوى بالنَّار فأَحْتَرَقَا
أنا لم أَرْزُقُ مَحَبَّتَها إنما للعَبْد ما رُزِقَا
مَنْ يَكُن ما ذاق طَعْمَ رَدَى ذاقه لا شَكَّ إن عَشِقَا

فإني صَنعتُ فيه لَحْناً وجعلتُ أُرَدِّده في جَنَاح لي سَحَرًا ، فأظُنُّ أن إنسانًا مرَّ بي فَسَمِعَه فأخذه مِنِّي . وبكَّرتُ من الغد إلى المَعْتَصِم لأُغْنِيَه به ، فإذا بسَوَّاط يَسُوط الناطف^(١) وَيُغْنِي اللحن بعينه ، إلا أنه غناء فاسد . فعجبتُ وقلت : تُرى من أين لهذا السَوَّاط هذا الصوت ! ولعلَّ إذ غنيتَه أن يكون قد مرَّ بي هذا فسمعني أغنيَه ! وبقيت متحيرًا . ثم قلت : يا فتى ، ممن سمعت هذا الصوت ؟ فلم يُجِبني ، وألُفْتُ إلى شريكه ، فقال : هذا يسألني ممن سمعته ! هذا غنائِي ! والله لو سمعه إسحاق الخُرَيْء في سراويله . فبادرتُ والله هاربًا خوفًا من أن يَمُرَّ بي إنسان فيسمع ما جَرى عليَّ فأفتضح ، وما علم الله أني نطقت بذلك الصوت بعدها .

وحكى إسحاق الموصلي قال :

دخوله بيتًا متطفلا

غدوتُ يومًا وأنا صَجرٌ من مُلازمة دارِ الخليفة والخدمة فيها . فخرجتُ وركبتُ بُكَرةً وعزمتُ على أن أطوف الصحراء وأتفرَّج ، وقلتُ لغلامي : إن جاء رسولٌ للخليفة أو لغيره فعرِّفوه أني بكَّرتُ في بعض مُهمَّاتي ، وأنكم لا تعرفون أين

(١) السواط ، من ساط الشيء ، إذا خلطه . والناطف : ضرب من الحلوى ، لأنه ينطف

قبل استضرابه .

توجَّهت . ومَضِيَتْ فطَفُتْ ما بدالى ، ثم عُدْتُ وقد حَمَى النهار ، فوقفتُ فى شارع
المُخْرَمِ^(١) فى فناء شديد الظلِّ وجَناح رَحْبٍ على الطريق لأَسْتريح ، فلم أَلْبَثْ أنْ
جاء خادمٌ يقود هماراً عليه جاريةٌ راكبةٌ، تحتها مَنْدِيلٌ دَبِيقٌ^(٢) ، وعليها من اللباس
الفاخر ما لا غاية بعده ، ورأيتُ لها قَوَّاماً حَسَناً وطَرْفاً فاتراً وشمائل حَسنة .
فَحَرَصْتُ^(٣) عليها أنها مُغْنِيَةٌ . فدخلتِ الدار التى كنتُ واقفاً عليها . ثم لم أَلْبَثْ أنْ
أقبل رجلاً شابان جميلان ، فاستأذنا فأذن لهما . فنزلا ، ونزلتُ معهما ودخلتُ .
فظننا أن صاحب البيت دعانى ، وظنَّ صاحبُ البيتَ أتى معهما . فجلسنا . وأتى بالطعام
فأكلنا ، وبالشراب فَوَضِعَ . وخرجت الجاريةُ وفى يدها عودٌ ، فغَنَّتْ وشَرَبْنَا ،
وقمتُ قومةً . فسأل صاحب الدار الرجلين عَنِّي . فأخبرا أنهما لا يعرفانى . فقال :
هذا طُفَيْلى ولكنه ظَرِيفٌ ، فأَجْمَلُوا عِشْرَتَهُ . وجئتُ فجلستُ ، فغَنَّتْ الجاريةُ
فى الحن لى :

ذَكَرْتُكَ أَنْ مَرَّتْ بِنَا أُمُّ شَادِنِ أَمَامَ الْمَطَايَا تَشْرِبُ وَتَسْنَحُ
فَأَدَّتْهُ أَدَاءَ صَالِحًا ، وَشَرِبْتُ . ثُمَّ غَنَّتْ أَصْوَاتًا شَتَّى ، وَغَنَّتْ فى أضعافها
من صَنَعَتِي :

الطُّلُولُ الدَّوَارِسُ فَارَقَتْهَا الْأَوَانِسُ
أَقْفَرْتُ بَعْدَ أَهْلِهَا فَهِيَ قَفْرٌ بَسَابِسُ
فكان أمرها فيه أصلح من الأول . ثم غَنَّتْ أَصْوَاتًا من القديم والحديث ،
فى أضعافها من صَنَعَتِي :

قُلْ لِمَنْ صَدَّ عَاتِبًا وَنَأَى عَنْكَ جَانِبًا
قَدْ بَلَغْتَ الَّذِى أَرَدْتُ وَإِنْ كُنْتَ لَاعِبًا

(١) المخرم : بالجانب الغربى من بغداد .

(٢) نسبة إلى دبيق ، بليدة بمصر كانت بين الفرما ومنفيس .

(٣) حرصت : ظننت وخننت .

فكان أصلح ما غنته . فاستعدته منها لأصلحه لها . فأقبل على رجل من
الرجلين فقال : ما رأيتُ طفيلياً أصفق وجهاً منك ، لم ترض بالتطفل حتى أقترحت ،
وهذا غاية المثل : طفيلي مُقترح ! فأطرتُ ولم أجبه ، وجعل صاحبه يكفّه عنى . ثم
قاموا للصلاة وتأخرت قليلاً ، وأخذتُ العود وشددتُ طبقتيه وأصلحته إصلاحاً
مُحكماً ، ثم عدتُ إلى موضعى فصليتُ ، وعادوا . فأخذ ذلك الرجلُ في عَرَبْدته
على وأنا صامتٌ . ثم أخذتُ الجارية العودَ فجسّته وأنكرتُ حاله ، وقالت :
من مَسَّ عودى ؟ قالوا : ما مسّه أحدٌ . قالت : بلى ! والله قد مسّه حادقٌ متقدّم
وشدّ طبقتيه وأصلحه إصلاحاً متمكّنٍ من صناعته . فقلتُ لها : أنا أصلحته .
فقلت : بارك الله عليك ! فخذْه واضرب به . فأخذته وضربتُ به مبدأً ظريفاً
عجيباً صعباً ، فيه نقراتٌ مُحكمة . (١) فما بقى منهم أحدٌ إلا وثب وجلس بين
يدى وقال : بالله يا سيّدنا أتغنّى ؟ قلتُ : نعم ، وأعرّفكم نفسى : أنا إسحاقُ
ابن إبراهيم الموصلى ، والله إني لأتّيه على الخليفة إذا طلبنى وأنتم تسمعوننى ما
أكره منذ اليوم لأنى تملّحتُ معكم ، والله لا نطقُ بحرفٍ ولا جلستُ معكم
حتى تُخرجوا هذا المُعربد المقيتَ الغثَّ . فقال له صاحبه : من هذا حذرتُ عليك .
فأخذ يعتذر . فقلتُ : والله لا نطقُ بحرفٍ ولا جلستُ معكم حتى يُخرج . قال :
فأخذوا بيده فأخرجوه وعادوا . فغنّيتُ الأصوات التى غنتها الجارية من صنعتى .
فقال لى الرجل : هل لك فى خصلة ؟ فقلتُ : وما هى ؟ قال : تقيم عندى شهراً
والجارية والخدامُ والحمارُ لك ، مع ما عليها من حُلّى ؟ قلتُ : أفعل . فأقمتُ عنده
ثلاثين يوماً لا يعرف أحد أين أنا ، والمأمونُ يَطلبُنّى فى كل موضع فلا يعرف لى
خبراً . فلما كان بعد ثلاثين يوماً سلّم إلى الجارية والحمارَ والخدام . فجئتُ بذلك
إلى منزلى وركبتُ إلى المأمون من وقتى . فلما رآنى قال : إسحاق ؟ ويحك !

أين تكون ؟ فأخبرته . فقال : على بالرجل الساعة . فدللتهم عليه ، فأحضروه .
وسأله المأمون عن القصة ، فأخبره . فقال له : أنت رجل ذو مروءة وسيلك أن
تعان على مروءتك . فأمر له بمائة ألف درهم . وأمر لي بخمسين ألف درهم . وقال :
أحضرني الجارية فأحضرتها . فغنته . فقال لي : قد جعلت عليها نوبة في كل
يوم ثلثاء تغنيني من وراء الستارة مع الجوارى . وأمرت لها بخمسين ألف درهم .
فربحت والله بتلك الركبة وأربحت .

وحكى إسحاق الموصلي قال :

هو والواثق في دير
مارت مريم

لما خرجت مع الواثق إلى النجف دُرنا بالحيرة ومَررنا بدياراتها . فرأيت دير
مارت مريم بالحيرة ، فأعجبني موقعه وحُسن بناءه ، فقلت :

نِعْمَ الحِلُّ لمن يسعى للذَّته دَيْرٌ لمريم فوق الظَّهر مَعْمُورُ
ظِلٌّ ظليلٌ وماءٌ غيرُ ذى أَسَنِ وقاصراتُ كأَمْثالِ الدُّمَى حُورُ

فقال الواثق : لا نصطحب والله إلا فيه غداً ، وأمر بأن يُعدَّ ما يصلح من
الليل فيه . وباكرناه وأصطحبنا فيه على هذا الصوت . فأمر بمالٍ يُفرَّق على أهل
ذلك الدير ، وأمر لي بجائزة .

وحكى إسحاق قال :

غنى عبد الله
ابن طاهر فوصله

خرج إلى عبد الله بن طاهر بيتي شعر في رُقعة وقال : هذان البيتان وجدتهما
على بساط طبريٍّ أَصْبَهْ بُذِي^(١) أَهْدَى إِلَى من طَبْرِستان ، فأحب أن تُعَنَّى لي
فيهما . فقرأتها فإذا فيهما :

لَجَّ بِالْعَيْنِ واكفُ مِنْ هَوَى لا يُسَاعِفُ
كَلِّمَ كَفَّ^(٢) غَرْبُهَا هَيَّجَتْهُ المَعَارِفُ

(١) نسبة إلى أصبهذان : بلد بالدليم .

(٢) الغرب : الدمع .

قال : فَعَنَيْتَ فِيهِمَا وَغَدَوْتَ بِهِمَا إِلَيْهِ . فَأَعْجَبَ بِالصَّوْتِ وَوَصَلَنِي صَلَةً سَنِيَّةً .
وَكَانَ يَشْتَبِيهِ وَيَقْتَرِحُهُ . وَطَرَحْتُهُ عَلَى جَوَارِيهِ ، وَشَاعَ خَبْرُ إعْجَابِهِ . فَبَيْنَا الْمُعْتَصِمُ
جَالِسٌ يُعْرِضُ عَلَيْهِ فَرَشُ الرَّيِّعِ إِذْ مَرَّ بِهِ بِسَاطُ دِيبَاجٍ فِي نِهَآيَةِ الْحُسْنِ عَلَيْهِ هَذَانِ
الْبَيْتَانِ ، وَمَعَهُمَا :

إِنَّمَا الْمَوْتُ أَنْ تَقَا رَقَّ مِنْ أَنْتِ أَلْفُ
لَكَ حُبَّانٌ فِي الْقَوَا د تَلِيدٌ وَطَارِفُ

فَأَمَرَ بِالْبَسَاطِ مُحْمَلٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ . وَقَالَ لِلرَّسُولِ : قُلْ لَهُ : إِنِّي
عَرَفْتُ شَغَفَكَ بِالْغَنَاءِ فِي هَذَا الشَّعْرِ ، فَلَمَّا وَقَعَ هَذَا الْبَسَاطُ أُحِبِبْتُ أَنْ يَتِمَّ
سُرُورُكَ بِهِ . فَشَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ مَا تَأَدَّى إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ وَأَعْظَمَ مَقْدَارَهُ ،
وَقَالَ لِي : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، لِسُرُورِي بِتِمَامِ الشَّعْرِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ سُرُورِي بِكُلِّ شَيْءٍ !
أَلْحَقْتُهُمَا بِالْغَنَاءِ فِي الْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلِينَ . فَأَلْحَقْتُهُمَا .

هو بعد أن كَفَّ وَحُكِيَ أَنْ إِسْحَاقُ كُفَّ بَصْرُهُ فِي آخِرِ عَمْرِهِ . وَلَمَّا أَفْضَتْ الْخِلَافَةُ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ
فِي حَضْرَةِ الْمُتَوَكِّلِ ابْنُ الْمُعْتَصِمِ سَأَلَ عَنْهُ ، فَعَرَفَ أَنَّهُ كُفَّ بَصْرَهُ وَأَنَّهُ فِي مَنْزِلِهِ بِبَغْدَادَ ، فَكَتَبَ فِي
إِحْضَارِهِ . فَلَمَّا دَخَلَ إِلَيْهِ رَفَعَهُ حَتَّى أَجْلَسَهُ قُدَّامَ سَرِيرِهِ وَأَعْطَاهُ مِخْدَةً وَقَالَ لَهُ :
بَلِّغْنِي أَنَّ الْمُعْتَصِمَ دَفَعَ إِلَيْكَ مِخْدَةً فِي أَوَّلِ يَوْمٍ جَلَسْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ خَلِيفَةٌ وَقَالَ : إِنَّهُ
لَا يُسْتَجْلَبُ مَا عِنْدَ حُرٍّ بِمِثْلِ الْكَرَامَةِ . ثُمَّ سَأَلَهُ : هَلْ أَكَلَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَأَمَرَ أَنْ
يُسْقَى . فَلَمَّا شَرَبَ أَقْدَاحًا قَالَ : هَاتُوا لِأَبْنِي مُحَمَّدٍ عُودًا . فَجِئَ بِهِ . فَأَنْدَفَعَ يُغْنِي
بِشَعْرِهِ وَلَحْنَهُ :

مَا عِلَّةَ الشَّيْخِ عَيْنَاهُ ^(١) بِأَرْبَعَةٍ تَغَرَّوْرَقَانِ بَدَمَعٍ ثُمَّ تَنَسَكَبُ
فَمَا بَقِيَ غَلَامٌ مِنَ الْعِلْمَانِ الْوُقُوفِ عَلَى الْحَيْرِ ^(٢) إِلَّا وَجَدْتُهُ يَرْقُصُ طَرَبًا وَهُوَ لَا يَعْلَمُ

(١) أَي عَيْنَاهُ تَدْمَعَانِ بِأَرْبَعَةِ أَمَاقَ ، وَذَلِكَ أَشَدُّ الْبَكَاءِ .

(٢) الْحَيْرُ : قَصْرٌ لِلْمُتَوَكِّلِ يَسُرُّ مِنْ رَأْيٍ . وَفِي التَّجْرِيدِ : « الْخَيْلُ » .

بما يفعل . فأمر له بمائة ألف درهم . ثم قال المتوكل لأبن حمدون : تحسن أن تُغني هذا الصوت ؟ فقال : نعم . فقال : غنّه . فترنّم به . فقال إسحاق : من هذا الذي يحكيني ؟ فقال حمدون : أنت عرّضتني له يا أمير المؤمنين . ثم انحدر المتوكل إلى رقة بوضرا ،^(١) وكان يستطيعها لكثرة تغريد الطير فيها . فغنّاه إسحاق :

أَنْ هَتَفْتُ وَرَقَاهُ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى عَلَى غُصْنٍ غَضَّ النَّبَاتُ^(٢) مِنَ الرَّندِ
بَكَيْتَ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ وَلَمْ تَكُنْ جَلِيداً وَأَبْدَيْتَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ^(٣) يُبْدَى
فضحك المتوكل ثم قال له : يا إسحاق . هذه أخت فعلتلك بالوائق لما غنيتها^(٤) بالصالحية :

طَرِبْتُ إِلَى الْأَصْنَبِيَّةِ الصَّغَارِ وَذَكَّرَنِي الْهَوَى قُرْبَ الْمَزَارِ

فكم أعطاك لما أذن لك في الأنصراف ؟ قال : مائة ألف درهم . فأمر له بمائة ألف درهم ، وأذن له بالأنصراف إلى بغداد . فكان آخر عهده به .

وذُكر أن إسحاق كان يسأل الله ألا يبتليه بالقولنج ، لما رأى من صعوبته مرضه ولونه على أبيه إبراهيم . فأرى في منامه كأن قائلاً يقول له : قد أجيبت دعوتك ولست تموت بالقولنج ولكنك تموت بضده . فأصابه ذرّب في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين . فكان يتصدّق في كل يوم يمكنه صومه بمائة درهم ، ثم ضعف من الصوم فلم يُطقه . ومات في شهر رمضان من هذه السنة .

ولما نُعي إسحاق إلى المتوكل عمّه وحزن عليه وقال : ذهب صدرٌ عظيم من حزن المتوكل عليه وعلى أحمد بن عيسى

(١) بوضرا : من قرى بغداد .

(٢) في الأغاني : « الشباب » .

(٣) الرواية في الأغاني :

بكيت كما يبكي الحزين صباية وشوقاً وتابعت الحنين إلى نجد

(٤) الصالحية : قرية قرب الرها اختطها عبد الملك بن صالح .

جمال الملك وبهائه وزينته . ثم نُعي إليه بعده أحمدُ بن عيسى بن زيد بن عليّ
ابن الحسين ، فقال ؟ تكافأت الحلالن ، وقام الفتح بوفاة أحمد — وما كنت آمن
وثبته عليّ — مقام الفجيعة بإسحاق ، والحمد لله على ذلك .

وحكى بعضهم قال :

لبعضهم عن وفاته

رأيت فيما يرى النائم قائلاً يقول :

مات الحسان ابن الحسا ن ومات إحسان الزمان

فأصبحتُ من غدٍ فركبتُ في بعض حوائجي ، فتلقاني خبر وفاة إسحاق الموصلي .

ورثاه أحمدُ بن إبراهيم بقوله :

شعر أحمد بن
إبراهيم في رثائه

لله أيّ فتى إلى دار البلى تحمل الرجال ضحى على الأعوادِ
كم من كريمٍ ما تجفّ دموعه من حاضرٍ يبكي عليه وبادي
أمسى يؤبّنه ويعرف^(١) قدره من كان يثلبه من الحسادِ
فسقتك يا ابن الموصليّ روائح تروى صدك بصوبها وغوادي

(١) في بعض الأصول : « فضله » مكان « قدره » .

أخبار الصِّمَّة القشيري

نسبه

هو الصِّمَّة بن عبد الله بن الطفيل بن قُرَّة بن هُبيرة بن عامر بن مَسَلَمَة
الخَيْر بن قُشير بن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صَعَصعة بن مُعاوية بن بَكْر
ابن هَوَازِن بن منصور بن عِكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عِيلان بن مُضر
ابن نِزار .

طَبَقَتُهُ

شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية .

شئ عن جده

وجده قُرَّة بن هُبيرة ، له صُحبة بالنبي صَلَّى الله عليه وسلم ، وهو أحد الوافدين
عليه صَلَّى الله عليه وسلم .

حديث جبه
وزواجه

قيل : كان الصِّمَّة القشيري يَهْوَى أُمْرَأَةً من قومه ، ثم بنى عَمَّهُ ، يقال لها :
العامرية بنت غُطَيْف بن حَبِيب بن قُرَّة ، فخطبها إلى أبيها ، فأبى أن يُزَوِّجَها .
وخطبها عامرُ بن بَشْر بن أبي بَرَاء عامر بن مالك مُلاعب الأَسِنَّة بن
جعفر بن كَلاب ، فزَوَّجَها إياها . وكان عامرٌ قَصِيراً قَبِيحاً ، فلما بنى بها عامرٌ وَجَدَ
عليها الصِّمَّة وجداً شديداً ، فزَوَّجَها أهله أُمْرَأَةً منهم ، فأقام معها ، ثم رحل إلى
الشام ، وقال :

لَعَمْرِي لئن كنتم على النأى والِقَلَى
إِذَا زَفَرَاتُ الْحُبِّ صَعَدْنَ فِي الْحَشَى
بكم مثل ما بي إنكم لَصَدِيقُ
رُدِدْنَ فلم يُنْهَجْ لهنَّ طَرِيقُ
وقال أيضاً :

إِذَا مَا أَتْنَا الرِّيحُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ
أَتْنَا بِرِيحِ الْمِسْكِ خَالِطاً غَبْرًا
أَتْنَا بِرِيَّاكُمْ فَطَابَ هُبُوبُهَا
وَرِيحُ الْخَزَامِي بَاكَرَتْهَا جَنُوبُهَا
م ٤٦ - ج ٢ - ق ١ - تجريد الأغاني

وقال أيضاً :

أَلَا تَسْأَلَانِ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَ الْحِمَى بَلَى فَسَقَى اللَّهُ الْحِمَى ^(١) وَالْمَطَالِيَا
وَأَسْأَلُ مَنْ لَاقَيْتُ هَلْ مُطِرَ الْحِمَى فَهَلْ يَسْأَلُنْ أَهْلُ الْحِمَى ^(٢) كَيْفَ حَالِيَا

موته بطبرستان

وذكر أن الصِّمَّة خرج في عسكر للمسلمين لغزو الديلم ، فمات بطبرستان .
فحكى رجلٌ من أهل طبرستان قال : بينا أنا أمشي في ضيعة لي فيها ألوانٌ من
الفاكهة والزعفران وغير ذلك من الأشجار ، وإذا أنا بإنسان في البستان مطروح ،
عليه أثوابٌ خلُقان ، فدنوتُ منه فإذا هو لا يتحرك ولا يتكلم ، فأصغيتُ إليه ،
وإذا هو يقول بصوت خفي :

تَعَزَّ بِصَبْرِ لَا وَجَدْتُكَ لَا تَرَى بَشَامَ ^(٣) الْحِمَى أُخْرِى اللَّيَالَى الْغَوَابِرِ
كَأَنَّ فُؤَادِي مِنْ تَذَكُّرِهِ الْحِمَى وَأَهْلَ الْحِمَى يَهْفُو بِهِ رَيْشُ طَائِرِ

فما زال يردد هذين البيتين حتى فاضت نفسه . فسألتُ عنه ، فقيل لي : هذا
الصِّمَّة بن عبد الله القشيري .

قيل :

أبيات له
كان يستحسنها
ابن الأعرابي

وكان ابنُ الأعرابيَّ يستحسن قولَ الصِّمَّة :

أَمَّا وَجَلَالِ اللَّهِ لَوْ تَذَكَّرْتَنِي كَذِكْرِيكَ مَا كَفَكْتُ لِلْعَيْنِ مَدَمَعَا
بَلَى وَجَلَالِ اللَّهِ ^(٤) ذِكْرًا لَوَانَهُ يُصَبِّ عَلَى صُمِّ الصَّفَا لَتَصَدَّعَا

(١) المطالي : الروضات ؛ الواحدة : مطلى ، بالقصر . وقيل : هي المواضع التي تغدو فيها
الوحش أطلاءها .

(٢) رواية الأغاني : « فهل يسألن عنى الحمى » .

(٣) البشام : شجر طيب الريح والطعم يستاك به .

(٤) في الأغاني : « فقالت بل والله » .

وهذا الشعر من قصيدة يقول فيها :

حَنَنْتَ إِلَى رِيًّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارَكَ مِنْ رِيًّا وَشَعْبَا كَمَا مَعَا

ومن هذه القصيدة أبياتٌ ذُكرت في أخبار المجنون ، عَزَاهَا أَبُو الْفَرَجِ إِلَيْهِ.

شعره الذي فيه
الغناء

وَالشَّعْرُ الَّذِي فِيهِ الْغِنَاءُ لَهُ ، وَافْتَتَحَ بِهِ أَبُو الْفَرَجِ أَخْبَارَهُ ، هُوَ :

أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْلَوَى مِنْ مَحَلَّةٍ وَقَاتِلَ دُنْيَانَا بِهَا كَيْفَ ^(١) ذَلَّتِ

غَنِينَا زَمَانًا بِاللَّوَى ثُمَّ أَصْبَحَتْ عِرَاصُ الْلَوَى مِنْ أَهْلِهَا قَدْ تَخَلَّتْ

(١) في التجريد : « ولت » مكان « ذلت » .

أَجْبَسُ دَاوُدَ بْنَ سَلَمٍ

هو مولى آل تَيْمٍ بن مُرَّة . فُقِيل : إِنَّهُ مَوْلَى آل أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
 وَقِيلَ : إِنَّ أَبَاهُ رَجُلٌ مِنَ النَّبَطِ ، وَقِيلَ : مَوْلَى آلِ طَلْحَةَ . وَأُمُّهُ بِنْتُ حَوْطٍ ، مَوْلَى
 عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرِ التَّيْمِيِّ . فَأُنْتَسَبَ إِلَى وِلَاءِ أُمِّهِ .
 وَهُوَ شَاعِرٌ مُخَضَّرٌ مِنَ الدَّوْلَتَيْنِ : الْعَبَّاسِيَّةِ وَالْأُمَوِيَّةِ .

ولاؤه ونسبه

طبقته

وكان يقال له : الأَدم ، لشدة سواده .

سبب كنيته بالأدم

وَذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ ، فَطَرَقَهُ قَوْمٌ وَهُوَ بِالْعَقِيقِ فَصَاحُوا بِهِ :
 الْعِشَاءُ وَالْقَرَى يَا بْنَ سَلَمٍ ! فَقَالَ لَهُمْ : لَا عِشَاءَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا قَرَى . قَالُوا : فَأَيْنَ
 قَوْلُكَ فِي قَصِيدَتِكَ :

شئ عن بخله

يَا دَارَ هِنْدٍ أَلَا حَيَّيتِ مِنْ دَارٍ لَمْ أَقْضِ مِنْكَ لُبَانَاتِي وَأَوْطَارِي
 إِذْ تَقُولُ فِيهَا :

عُودْتُ نَفْسِي إِذَا مَا الضَّيْفُ بُنَّهَنِي عَقَرُ الْعِشَارِ^(١) عَلَى يُسْرِي وَإِعْسَارِي
 فَقَالَ : لَسْتُ مِنْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ عَنَيْتُ .

وقيل :

شعره يملح قثم بن العباس

كَانَ دَاوُدُ بْنُ سَلَمٍ مُنْقَطِعًا إِلَى قَثَمِ بْنِ الْعَبَّاسِ الْهَاشِمِيِّ ، وَفِيهِ يَقُولُ :
 أَغْتَقْتُ مِنْ حَلٍّ وَمِنْ^(٢) رِحْلَةٍ يَانَاقُ إِنِ ادْنَيْتَنِي مِنْ قَثَمٍ

(١) العِشَار : من النوق ما مضى لحملها عشرة أشهر ؛ الواحدة عشراء . والرواية في بعض
 أصول الأغاني : « عودت فيها » مكان « عودت نفسي » .

(٢) في الأغاني :

* عتقت من حل ومن رحلتى *

إِنَّكَ إِنْ أَذْنَيْتَ مِنْهُ غَدًا خالفتي اليسر ومات العدم
 فِي وَجْهِهِ بَدْرٌ وَفِي كَفِّهِ بحرٌ وفي العرين منه شمم
 أَصَمُّ عَنْ قِيلِ الْخَنَّا سَمْعُهُ وما عن الخير به من صمم
 لَمْ يَدِرْ مَا «لَا» وَ«بَلَى» قَدْ دَرَى فعافها وأعتاض منها «نعم»

وحكى داود قال :

كُنْتُ يَوْمًا جَالِسًا مَعَ قُثْمِ بْنِ الْعَبَّاسِ قَبْلَ أَنْ يُمْلِكُوا بَغْنَاءَهُ ، فَمَرْتُ بِنَا
 جَارِيَةً فَأَعْجَبَ بِهَا قُثْمٌ وَتَمَنَّاها ، فَلَمْ يُمَكِّنْهُ ثَمْنُهَا . فَلَمَّا وَلِيَ قُثْمُ الْيَمَامَةَ اشْتَرَى
 الْجَارِيَةَ إِنْسَانٌ يُقَالُ لَهُ : صَالِحٌ . فَكُتِبَتْ إِلَى قُثْمِ :

يَا صَاحِبَ الْعَيْسِ ثُمَّ رَاكِبَهَا بَلَغَ إِذَا مَا لَقِيْتَهُ قُثْمًا
 أَنَّ الْعَزَالَ الَّذِي أَجَازَ بِنَا مُعَارِضًا إِذْ تَوَسَّطَ الْحَرَمَا
 حَوَّلَهُ صَالِحٌ فَصَارَ مَعَ الْإِنْسِ وَخَلَّى الْوَحُوشَ وَالسَّمَا
 فَأَرْسَلَ قُثْمٌ فِي طَلَبِ الْجَارِيَةِ لِيَشْتَرِيَهَا ، فَوَجَدَهَا قَدْ مَاتَتْ .

وقيل : أتى داود بن سلم إلى حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .
 فلما نزل به حطّ غلمانُه متناع داود وحلّوا عن راحلته ، فلما دخل عليه قال :

وَلَمَّا دَفَعْتُ لَأَبْوَابِهِمْ وَلَا قِيْتُ حَرْبًا لَقِيْتُ النَّجَاحَا
 رَأَيْنَاهُ ^(١) يَحْمَدُهُ الْمُجْتَدُونَ وَيَأْبَى عَلَى الْعُسْرِ إِلَّا سَمَاحَا
 وَيُغْشَوْنَ حَتَّى يُرَى كَلْبُهُمْ يَهَابُ الْهَرِيرِ وَيَنْسَى النُّبَاحَا

فأجازه بجائزة عظيمة . ثم استأذنه في الخروج ، فأذن له وأعطاه ألف دينار .
 فلم يُعِنْهُ أَحَدٌ مِنْ غِلْمَانِهِ وَلَمْ يَقُومُوا إِلَيْهِ ، فَظَنَّ أَنَّ حَرْبًا سَاخَطَهُ عَلَيْهِ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ

(١) في الأغاني : « وجدناه » .

شعره في جارية
 هويها قثم وفاته
 شراؤها

مدح حرب بن خالد
 فأجازه

فأخبره بما رأى من غلمانِه . فقال له : سَلِّمُ لِمَ فَعَلُوا بِكَ ذَلِكَ ؟ فسأَلَهُمْ . فقالوا :
 إِنَّا نُنْزِلُ مِنْ جَاءِنَا وَلَا نُرْجِلُ مَنْ يَخْرُجُ عِنَّا . فسمع الغاضِرُ حَدِيثَهُ ، فَأَتَاهُ
 فَخَدَّسَهُ ، فقال : أَنَا يَهُودِيٌّ إِن لَمْ يَكُنْ الَّذِي قَالَ لَكَ الْغُلَامَانُ أَحْسَنَ مِنْ شَعْرِكَ !
 ومن جيد شعر داود قوله :

من جيد شعره

وما ذَرَّ قَرْنَ الشَّمْسِ إِلَّا ذَكَرْتُهَا وأذْكَرَهَا فِي وَقْتِ كُلِّ غُرُوبٍ
 وأذْكَرَهَا مَا بَيْنَ ذَاكَ وَهَذِهِ وباللَّيْلِ أَحْلَامِي وَعِنْدَ هُبُوبِي
 وَقَدْ شَفَنِي شَوْقِي وَأَبْلَانِي ^(١) الْهَوَى وَأَعْيَا الَّذِي بِي طَبَّ كُلِّ طَبِيبٍ
 وَأَعْجَبُ مِنِّي ^(٢) لَا أَمُوتُ صَبَابَةً وَمَا كَمَدُّ مَنْ عَاشَقٍ بِعَجِيبٍ
 وَكُلُّ مُحِبٍّ قَدْ سَلَا غَيْرَ أَتَنِي غَرِيبُ الْهَوَى يَأْوِيحُ كُلُّ غَرِيبٍ
 وَكَمْ لَامَنِي ^(٣) فِيهَا أَخٌ ذُو نَصِيحَةٍ فَقُلْتُ لَهُ أَقْصِرْ فغَيْرُ مُصِيبٍ
 أَتَأْمُرُ إِنْسَانًا بِفُرْقَةِ قَلْبِهِ أَتَصْلِحُ أَجْسَامًا بِغَيْرِ قُلُوبٍ

شعره الذي فيه
الغناء

والشعر الذي فيه الغناء ، وأُفْتَتِحَ بِهِ أَبُو الْفَرَجِ أَخْبَارَ دَاوُدَ بْنِ سَلَمَ ، هُوَ :
 قُلْ لِأَسْمَاءَ أَنْبِجْزِي الْمِيعَادَا وَأَنْظُرِي أَنْ تَزُوْدِي مِنْكَ زَادَا
 إِنْ تَكُونِي حَلَّتِ رَبْعًا مِنَ الشَّأْمِ مِمْ وَجَاوَرْتِ حِمِيرًا أَوْ مُرَادَا
 أَوْ تَنَاءَتْ بِكَ النَّوَى فَلَقْدُودُ تِ فُؤَادِي لَحِينُهُ فَأُنْقَادَا
 ذَاكَ أَنِّي عَلَقْتُ مِنْكَ جَوَى الْحُبِّ وَلَيْدًا فَرِذْتُ سِنًا فَرَادَا

(١) فِي الْأَغَانِي : « وَأَبْعَدُنِي » .

(٢) فِي الْأَغَانِي : « أَنِّي » .

(٣) فِي الْأَغَانِي : « وَكَمْ لَامَ فِيهَا » .

أخبار دحمان

وهو عبد الرحمن بن عمرو ، مولى بنى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .
ويكنى : أبا عمرو . ودحمان لقب لقَّب به . وكان يقال له : دحمان الأشقر . وكان
مُعدلاً مقبول الشهادة عند القضاة بالمدينة . وكان من رُواة معبد وعلمانه المتقدمين .

ما أفاده من
المهدي مرة

وقيل :

إنه وفد إلى المهديّ ورجع من عنده وحاصله مائة ألف دينار .

هو والمهدي
وضيعةتان وهما له

وغنى المهديّ ليلةً في شعر الأحوص :

قَطُوفُ الْمَشْيِ إِذْ تَمْشِي تَرَى فِي مَشْيِهَا ^(١) خَرَقًا

فطربوا ستخفه السرو رُحَى قال لدحمان : سَلْنِي . فقال : ضيعةتان بالمدينة يقال
لها : رِيَّانٌ وَغَالِبٌ . فَأَقْطَعَهُ إِيَّاهُمَا . فلما خَرَجَ التَّوْقِيعَ بِذَلِكَ إِلَى أَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ ، ^(٢)
وَعُمَرَ بْنِ بَزْرِيعٍ ، رَاجِعَا الْمَهْدِيَّ فِيهِ وَقَالَا : إِنْ هَاتَيْنِ الضَّيْعَتَيْنِ لَمْ يَمْلِكْهُمَا قَطُّ إِلَّا
خَلِيفَةٌ ، وَقَدْ اسْتَقْطَعَهُمَا وَلَاةُ الْعُهْدِ فِي أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةٍ فَلَمْ يَقْطَعُوهُمَا . فقال : وَاللَّهِ
لَا أَرْجِعُ فِيهِمَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَرْضَى . فَصُورَ عَلَى خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ .

وقيل :

حديثه مع الوليد
في جارية اشتراها
منه ثم ردها إليه

كَانَ دَحْمَانٌ جَمَالًا يَكْرِي إِلَى الْمَوَاضِعِ وَيَتَجَرَّ ، وَكَانَتْ لَهُ مَرْوَةٌ ، فَبَيْنَا هُوَ
ذَاتَ يَوْمٍ قَدْ أَكْرَى وَأَخَذَ مَالَهُ إِذْ سَمِعَ رَنَّةً . فَاتَّبَعَ الصَّوْتَ فَإِذَا جَارِيَةٌ قَدْ خَرَجَتْ
تَبْكِي ، فَقَالَ لَهَا : أُمْلُوكَةُ أَنْتِ ! قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : لِمَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : لَأَمْرَأَةٍ

(١) قَطُوفُ الْمَشْيِ : بطيئة . والخرق : التحير والدesh . يصفها بالخضر والحياء .

(٢) هو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله الأشعري الكاتب الوزير .

من قریش ، نسبته له . فدخل فسامها بها حتى استقر أمر الثمن بينهما . ثم اشتراها منها بمائتي دينار ، ونقدها الثمن ، وأنصرف بالجارية . قال دحمان : فأقامت عندي مدة أطرح عليها وي طرح عليها معبد والأبجر ونظراؤهما من المغنين . ثم خرجت بها بعد ذلك إلى الشام ، وقد حذقت ، فكنت لا أزال إذا نزلنا أنزل الأكرياء ناحية ، وأنزل بها معتزلاً ناحية في محمل ، وأطرح على المحمل من أعبية^(١) الجمالين ، وأجلس أنا وهي معي تحت ظلها ، فأخرج شيئاً فأكله ، وأضع ركوة^(٢) فيها شراب ، فنشرب ونتغنى حتى نرحل . فلم نزل كذلك حتى قربنا من الشام ، فبينما أنا ذات يوم نازل ، وأنا ألقى عليها لحنى :

لو ردّ ذو شفقٍ حمامَ منيةٍ لرددتُ عن عبد العزيزِ حماماً
صلى عليك الله من مستودعٍ جاورتِ رمّاً^(٣) في القبور وهاماً

والشعر لإسماعيل بن يسار .^(٤) قال : فرددته عليها حتى أخذته وأندفعت تغنيه ، فإذا أنا براكب قد طلع يسلم علينا . فرددنا عليه السلام . فقال : أتأذنون لي أن أنزل تحت ظلّكم هذا ساعة ؟ قلنا : نعم . فنزل . وعرضنا عليه طعامنا وشرابنا فأجاب . فقدّمنا إليه السفرة ، فأكل وشرب معنا ، واستعاد الصوت مراراً . ثم قال للجارية : أنغنين لدحمان شيئاً ؟ قالت : نعم . قال : فغنّيني صوتاً من صنعته . فغنّته أصواتاً من صنعتي ، وغمزتها ألا تعرفه أنى دحمان . فطرب وأمتلاً فرحاً وسروراً ، وشرب أقداحاً ، والجارية تغنيه ، حتى قرب وقت الرّحيل . فأقبل على وقال : أتبديعني هذه الجارية ؟ فقلت : نعم . فقال : بكم ؟ فقلت له ، كالعابث : بعشرة آلاف دينار . فقال : قد أخذتها ، فهلمّ قرطاساً ودواة . فجئت بذلك .

(١) الأعبية : الأكسية : جمع : عباء .

(٢) الركوة : إناء صغير من جلد .

(٣) في الأغاني : « بوما » .

(٤) روى هذا الشعر في الأغاني لكثير . وقيل : هو لعبد الصمد بن علي الهشامى .

فكتب : أدفع إلى حامل كتابي هذا ساعة تقرأه عشرة آلاف دينار ، وأستوص به خيرا ، وأعلمني بمكانه . وختم الكتاب ثم قال : أدفع لي الجارية أم تكون معك حتى تقبض مالك ؟ قلت : بل أدفعها إليك . فحملها ثم قال : إذا جئت البخراء ^(١) فاسأل عن فلان وأدفع كتابي هذا إليه وأقبض منه مالك . وأنصرف بالجارية . قال : ومضيت ، فلما وردت البخراء سألت عن اسم الرجل ، فدللت عليه ، فإذا داره دارُ مُلك ، فدخلت عليه ودفعت التوقيع إليه . فقبله ووضع عليه عينيه ودعا بعشرة آلاف دينار وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين ، وقال : أجلس حتى أعلم أمير المؤمنين بك . فقلت له : حيث كنت فأنا عبدك وبين يديك . وكان أمر لي بأنزال ، ^(٢) وكان بخيلاً ، فأغتمت ذلك فارتحلت . وقد كنت أصبتُ بجملين . وكانت عدة أجمالي خمسة عشر فصارت ثلاثة عشر . وسأل عني الوليد فلم يدر القهرمان أين يطلبني . فقال له الوليد : عدة أجماله خمسة عشر جملاً ، فأردده إلى ، ولم يعرف اسمي فیسأل عني . وأقامت الجارية عنده شهراً لا يسأل عنها ، ثم دعاها ، بعد أن استبرئت ^(٣) وأصلح شأنها . وظلّ معها يومه ، حتى إذا كان في آخر النهار قال لها : غني لدحمان . فغنت . فقال لها : زیدی . فزادت . ثم أقبلت عليه وقالت : يا أمير المؤمنين ، أو ما سمعت غناء دحمان منه ؟ قال : لا . قالت : بلى والله لقد سمعته ؟ قال : وما ذاك ؟ ويحك ! قالت : إن الرجل الذي اشتريتني منه هو دحمان . قال : أو ذلك هو ؟ قالت : نعم . هو هو . قال : وكيف لم أعلم ! قالت : غمزني ألا أعلمك . فأمر فكتب إلى عامل المدينة بأن يحمل إليه دحمان . فحمل إليه . فلم يزل أثيراً عنده .

(١) البخراء : على ميلين من القليعة في طرف الحجاز .

(٢) الأنزال : جمع نزل ، بضم ن ، أو ضم فسكون ، وهي ما يهيا للضيف لينزل عليه .

(٣) استبراء الجارية : ألا تمس بعد ملكها حتى تبرأ رخصها ويتبين أحامل هي أم لا .

أخبار أعش همدان

اسمه هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن ظالم^(١) بن جشم بن عمرو بن الحارث بن مالك بن عبد الجن^(٢) بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد بن نزار بن أوسلة بن ربيعة بن الحباب^(٣) ابن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

كنيته ويكنى : أبا المصبح .

طبقته وشيء عنه شاعر فصيح كوفي من شعراء الدولة الأموية . وكان زوج أخت الشعبي الفقيه ، والشعبي زوج أخته . وكان الأعشى الهمداني أحد القراء والفُقهاء ، ثم ترك ذلك وقال الشعر .

رؤيا وأغاله الشعبي وحكى أنه قال للشعبي يوماً :

إني رأيتُ في منامي كأنى أدخل بيتاً فيه حنطة وشعير ، فقيل لي : خذ أيهما شئت . فأخذتُ الشعير . فقال له الشعبي : إن صدقت رؤياك تركت القرآن وقراءته وقلت الشعر . فكان كما قال .

أسره وحديثه مع بنت الملك وذُكر أن الحجاج بن يوسف أغراه الديلم فأسر ، فلم يزل أسيراً في أيدي الديلم مدة . ثم إن بنتاً للعلاج الذي أسره هويته وصارت إليه ليلاً ومكنته من نفسها ، فأصبح وقد واقعها ثمان مرات . فقالت الديلمية : يا معشر المسلمين ، هكذا تفعلون

(١) في الأغاني : « نظام » .

(٢) في الأغاني : « عبد الحر » .

(٣) في الأغاني : « الخيار » .

بنسائكم؟ فقال لها: هكذا نفعل كلنا. فقالت: بهذا العمل نصرتكم، أفرايت
 إن خلصتكم أتعطيني لنفسك؟ فقال: نعم، وعاهدها. فلما كان الليل حلت
 قيوده وأخذت به طريقاً تعرفها حتى خلصته. فقال شاعر من أسرى المسلمين:
 فن كان يقديه من الأسر ماله فهمدان تفديها الغداة أيورها
 وقال الأعشى قصيدته في أسره، التي أولها:

لمن الطعائن سيرهن ترجف عوم السفين إذا تقاعس^(١) تجذف
 مرّت بذي خشب^(٢) كأن حموها تحل بيثرب حماله متضعف
 ومنها:

بان الخليط وفاتني برحيله خوذ إذا ذكرت لقلبك يشغف
 تجلو بمسواك الأراك منظمًا عذبًا إذا ضحكت تهلل ينطف
 وكان ريقها على علل الكرى غسل مصني في القلال^(٣) وقرقف
 وكأنها نظرت بعيني ظبية تحنو على خشف لها وتعطف
 وإذا تنوء إلى القيام تدافعت مثل النريف^(٤) ينوء تمت يصعف
 ثقلت روادفها ومال بخصرها كفل كما مال النقا المتقصف
 ومنها:

تلك التي كانت هواي وحاجتي لو أن دارًا بالأحبة تسعف
 وإذا تصبك من الحوادث نكبة فأصبر فكل مصيبة ستكشف

(١) تجذف: تسرع. وفي بعض أصول الأغاني: «مجدف».

(٢) ذو خشب: واد على مسيرة ليلة من المدينة.

(٣) القلال: جمع قلة، وهي الكوز الصغير، أو الجرة ما كانت. والقرقف: الخمر.

(٤) النريف: السكران.

ولئن بكيتُ من الفراق صَبَابَةً
عجيباً من الأيام كيف تَصَرَّفَتْ
أصبحتُ رهناً للعداة مُكَبَّلًا
وأستكرتُ ساقِ الوثاقِ وساعِدِي
ولقد تُضَرِّسُنِي الحُرُوبُ وإِنِّي
ومنها يفتخر .

إِنِّي لَطَلَّابُ السُّتَرَاتِ مُطَلَّبٌ
باقٍ على الحِدْمَانِ غَيْرُ مَكْذَبٍ
إِنِّي نِلْتُ لَمْ أَفْرَحْ بِشَيْءٍ نِلْتُهُ
إِنِّي لَأَحْيَى فِي الْمَضِيقِ قَوَارِصِي
وأشدُّ إِذْ يَنْبُو^(٤) الْجَبَانَ وَأَصْطَلِي
فلئن أَصَابَتْنِي الحُرُوبُ فَإِنِّي
ولربِّمَا يَرْوِي بِكَفِّي لَهْذَمٌ
وأغِير غَارَاتِ وَأَشْهَدُ مَشْهَدًا
وَأَرَى مَغَانِمَ لَوْ أَشَاءَ حَوِيَّتُهَا

قيل :

مدح النعمان
ابن بشير لوساطته
في عطاء

إن أعشى همدان خرج إلى الشام في خلافة مروان بن الحكم ، فلم ينل فيها

(١) تقذف : تبعده .

(٢) الأشجاع : أصول الأصابع . وأعجف : قليل اللحم .

(٣) المستضاف : من يفزع إليه غيره ويلتجئ إليه . يريد الشجاع الحامي لما وراءه .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « يَكْبُو » .

(٥) اللهزم : السيف . ومطرِد الكعوب : الرمح المتتابعة كعوبه . والمشتقف : المسوى .

(٦) في الأغاني : « فيصدني » .

حظاً ، فجاء إلى النعمان بن بشير الأنصاري ، وهو عامل على حمص ، فكلّم له النعمان اليمانية وقال لهم : هذا شاعر اليمن ولسانها ، واستأجروهم له . فقالوا : نعم ، يُعطيه كل رجل منّا دينارين من عطائه . فقال : لا ، بل أعطوه ديناراً ديناراً واجعلوا ذلك مُعْجَلاً . فقالوا : أعطه إياه من بيت المال وأحتسبها على كل منّا من عطائه . ففعل النعمان . فكانوا عشرين ألف رجل ، فأعطاه عشرين ألف دينار ، وأرتجعها منهم عند العطاء . فقال الأعشى يمدح النعمان بن بشير :

فلم أَرِ للحاجات عند التماسها كنُعمانَ نعمانِ الندى ابنِ بشيرِ
إذا قال أوفى ما يقولُ ولم يكن كمُدلٍ إلى الأقوامِ حبلُ غرورِ
متى أكَفِرُ النعمانَ لم أُلَفْ شاكرًا وما خيرُ من لا يقتدي بشكورِ
فلولا أخوانُ أنصارِ كنتُ كَنَازِلٍ ثوى ما ثوى لم ينقلب^(١) بنقيرِ

طلق زوجه
وتزوج أخرى

وذُكِرَ أَنَّ الأعشى كانت عنده امرأة من قومه ، يقال لها : أم الجلال ، فطالت مُدتها عنده فأبغضها . ثم خطب امرأة يقال لها : جَزَلَة ، فقالت : لا ، حتى تُطلق أم الجلال . فطلقها وقال في ذلك :

تَقَادِمُ وَدَّكِ أُمُّ الْجَلالِ فطاشتِ نبالُكِ عندَ النضالِ
وطال لزومُكِ لي حِقْبَةً فرثتِ قُوَى الحبلِ عند^(٢) الوصالِ
ومنها :

وكانَ القوادِ بها مُعْجَبًا فقد أصبحَ اليومَ عن ذاكِ سالي
فبعضَ العتابِ فلا تَهْلِكِي فلا لكِ في ذاكِ خيرٌ ولا لي
ولما بدا لي منها البذا صَبَحْتُها بثلاثِ عَمَجالِ

(١) النقيير : النكتة في ظهر النواة . يضرب بها المثل للقليل .

(٢) في الأغاني : « بعد » .

ثلاث^(١) خرجن جميعاً بها فخلّيتها ذات بيتٍ ومال
إلى أهلها غير مخلوعة وما مسّها عندنا من نكال
فحنيّ حنينك وأستيقني بأنّا أطرحناك ذات الشمال
وأن لا رجوع فلا تُكذّبي من ما حنت النيبُ إثر الفصال
ولا تحسبي أنّي^(٢) قد ندِمْتُ كلاً وخالفنا ذى الجلال

فقلت له أم الجلال : بئس والله بعل الحرة وقرين الزوجة المسلمة أنت !
أعددت طول الحرمة والصحبة ذنباً تسبني به وتهجونى له ! ثم دعت عليه أن
يُبغضه الله إلى زوجته التي اختارها ، وفارقتة . فلما أُنقلت « جَزَلَة » إليه ودخل
بها لم يحط عندها ، وتركته وتنگرت له ، وأشدت شغفه بها ، وقال فيها قصيدته
التي منها الأبيات التي فيها الغناء ، وأفتتح بها أبو الفرج أخباره ، وأوها :

حيّا جَزَلَة منى بالسّلام درّة البحر ومصباح الظّلام
لا تصدّي بعد ودّ ثابت وأسمعي يا أم عيسى من كلامي
إن تدوّمي لى فوصلى دائماً أو تهّمى لى بهجرٍ وأنصرام
أو تكوني مثل برقيّ خلّب خادع يلمع فى غرض الغمام
أو كتخيّل سرابٍ مغرض بفلاة أو طروقٍ فى المنام
فأعلمى إن كنت لما تعلمى ومتى ما تفعلى ذاك تُلّامى
بعد ما كان الذى كان فلا تُتبعى الإحسان إلا بالتمام
وأذكرى الوعد الذى واعدتني ليلة النّصف من الشّهر الحرام
لا تناسى كلّ ما أعطيتني من عهود ومواثيق عظام

(١) فى الأغاني : « ثلاثاً » .

(٢) فى بعض أصول الأغاني : « ولا تحسبيني بأنى ندمت » .

راجعي الوصل ورُدِّي نظرة
 وإذا أنكرت مني شيمة
 فأذكرها لي أزل عنها ولا
 وأرى حبلك رثًا خلقًا
 ورأت جسمي عليه^(٢) كبرة
 وهي بيضاء على منكبيها
 وإذا تضحك تبدي حياء
 كملت ما بين قرن فيالي
 وأراها اليوم لي قد أحدثت
 لا تلجى في طمّاح وأثام
 فلقد يُنكر ما ليس بذّام
 تُسفح عينيكَ بالدمع السّجام
 وحبالي جُددًا غير^(١) رِمَام
 وصُروف الدّهر قد أبلت عظامي
 قَطَطُ جَعْدٌ ومَيَّال^(٣) سُحَامِي
 كَرُضَابِ المِسْك في الرّاح المُدام
 موضع الخللخال من تحت^(٤) الخِدام
 خُلُقًا ليس على العهد القُدام
 وقيل :

أملق أعشى همدان ، فأتي خالد بن عتّاب بن ورقاء ، وأنشده :

رأيتُ ثناءَ الناس بالغيب^(٥) طيبًا
 بني الحارثِ السّامين للمجد إنكم
 هنيئًا لما أعطاكم الله وأعلموا
 فإن يك عتّاب مَضَى لسبيله
 عليك وقالوا ماجدٌ وابنُ ماجدٍ
 بنيتُم بناءً ذِكرُهُ غيرُ بائدٍ
 بأنّي سأطرى خالدًا في القصائد
 فما مات من أبقى^(٦) له مثل خالد
 فأمر له بخمسة آلاف درهم .

(١) رمام : بالية .

(٢) في الأغاني : « علاه » .

(٣) القطط : القصير . والسحامي : الأسود ، على النسبة ، وخفف للشعر . وفي الأغاني : « سخام » بالخاء المعجمة . وهو اللين الحسن من الشعر . وعلى هذه الرواية في البيت لإقواء .

(٤) الخدام : الخللخال . والرواية في الأغاني : « الخللخال منها والخدام » .

(٥) في الأغاني : « بالقول » مكان « بالغيب » .

(٦) في الأغاني : « يبق » .

وقيل :

أنشد سابق لعمر
ابن عبد العزيز
من شعره فأبكاها

إنَّ عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال يوماً لسابق البربري، وقد دخل عليه :
أنشدني يا سابق شيئاً من شعرك تذكّرني به . قال : أو خيراً من شعري ؟ قال :
هات . فأنشده للأعشى الهمداني :

وبينا المرء يمسي ناعماً جذلاً في أهله مُعجَباً بالعيش ^(١) ذا أنقِ
غِرّاً أتيح له من حينه عَرَضٌ فما تلبّث حتى مات كالصَّعِقِ
ثُمّتَ أضْحى ضُحى من غِبٍّ ثالثةٍ مُقنعاً غيرَ ذى رُوح ولا رَمَقِ
فما تَرَوَدَ ممّا كان يجمعه إلا حنوطاً وماواراه من ^(٢) خرقِ
وغيرَ نَفَحَةٍ أعواد تُشبُّ له وقلّ ذلك من زادٍ لمنطلقِ
فبكي عُمر رحمة الله تعالى حتى أخضلت لحيته .

ذكر مقتل الأعشى

مقتله

قيل : بعث الحجاج بن يوسف النخعي ، وهو يومئذ أميرُ العراق ، لعبد الملك
ابن عمروان . عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي ، في عسكر
كثيف لقتال التُّرك ، وفي ذلك الجيش الأعشى وخلق من القُرّاء والوجُوه
وأهل النبّاهة . وكانت وطأة الحجاج قد ثقلت على الناس . فأجمعوا على خلع الحجاج .
فخاعوه وبايعوا عبد الرحمن بن الأشعث . فأقبل بالناس يُريد العراق للاستيلاء
عليه وطرّد الحجاج منه . وجعل الأعشى يقول الشعر في ابن الأشعث يمدحه
ويحرّض أهل الكوفة بأشعاره على القتال . فكان ممّا قاله في ذلك :

(١) الأنق : الفرح والسرور .

(٢) رواية الأصل : « إلا حنوطاً غداة البين أو خرق » . والحنوط : طيب يعد للموق .

يَأْبَى إِلَهَ وَعِزَّةُ ابْنِ مُحَمَّدٍ وجدودُ مَلِكٍ قَبْلَ آلِ تَمُودِ
 أَنْ تَأْنَسُوا بِمُذَمِّمِ عُرُوقِهِمْ فِي النَّاسِ إِنْ نُسِبُوا عُرُوقُ عَبِيدِ
 كَمْ مِنْ أَبٍ لَكَ كَانَ يَعْقِدُ تَاجَهُ بِحَبِينِ أَبْلَجِ مِقُولِ صِنْدِيدِ
 وَإِذَا سَأَلْتَ الْمَجْدَ أَيْنَ مَحَلُّهُ فَالْمَجْدُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَسَعِيدِ
 بَيْنَ الْأَشْجِ وَبَيْنَ قَيْسٍ بِاذْخِ بَخْ بَخْ لَوْلَا دَهْ وَلِلْمَوْلُودِ
 مَا قَصَّرَتْ بِكَ أَنْ تَنَالَ مَدَى الْعَلَا أَخْلَاقُ مَكْرُمَةٍ وَإِثْرُ جُدُودِ
 قَرْمٌ إِذَا سَامَى الْقُرُومَ تَرَى لَهُ أَعْرَاقَ مَجْدٍ طَارِفٍ وَتَلِيدِ
 وَإِذَا دَعَا لِعَظِيمَةٍ حُشِدَتْ لَهُ هَمْدَانُ تَحْتَ لَوَائِهِ الْمَعْقُودِ
 يَمْشُونَ فِي حَلَقِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ أَسَدُ الْأَبَاءِ ^(١) سَمِعْنَ زَارُ أَسُودِ
 وَإِذَا دَعَوْتَ بَالَ كَنْدَةَ أَجْفَلُوا بِكُھُولِ صِدْقِ سَيِّدٍ وَمَسُودِ
 وَشَبَابٍ مَأْسَدَةٍ كَأَنَّ سِيُوفَهُمْ فِي كُلِّ مَلْحَمَةٍ بُرُوقُ رُعودِ
 مَا إِنْ تَرَى قَيْسًا يُقَارِبُ قَيْسَكُمْ فِي الْمَكْرُمَاتِ وَلَا تَرَى كَسْعِيدِ

وجاءت الحجاج الأمداد من الشام ، وكانت بينه وبين ابن الأشعث الوقعة العظيمة المعروفة بوقعة الجمل ، وغيرها . وكان الأعشى شديد التحريض على الحجاج في تلك الحروب . فذكر أن أصحاب ابن الأشعث جالوا جولة ثم عادوا ، فنزل الأعشى عن سرجه ونزعه عن فرسه ونزع درعه فوضعها فوق السرج ثم جلس على الدرع فأحدث في السرج ، والناس يروونه ، ثم قال لهم : لعلمكم أنكروا ما صنعت ؟ قالوا : أوليس هذا بمنكر ؟ قال : كلكم قد سلح في سرجه ودرعه خوفاً ورفقاً ، ولكنكم سترتموه وأظهرته . فحصى القوم وقتلوا قتلاً شديداً

(١) الأباء : جمع أباء ، وهى الأبهة .

يومهم إلى الليل. وشاع فيهم الجراحُ والقتل. وأنهم أصحاب الحجاج يومئذ. ثم عاودوهم من غدٍ وقد نكأَتْهم الحربُ وجاءهم مدد من الشام، فباكروهم القتال وهم مُستريحون، فأنهم ابن الأشعث أقبحَ هزيمة.

قيل :

هو والحجاج ومقتله

وأثنى الحجاجُ بالأعشى أسيراً، فقال له الحجاج : الحمد لله الذي مكن منك ، أَلستَ القاتل :

لَمَّا سَمَوْنَا^(١) لِلْكَفُورِ الْفَتَّانِ بِالسَّيِّدِ الْغَطْرِيفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
سَارَ بِجَمْعٍ كَالْقَطَا مِنْ قَحْطَانِ وَمِنْ مَعَدٍّ قَدْ أَتَى ابْنَ عَدْنَانَ
أَمَكْنَ رَبِّي مِنْ ثَقِيفٍ هَمْدَانِ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ يُسَلِّي مَا كَانَ
إِنَّ ثَقِيفًا مِنْهُمْ الْكَذَّابَانِ كَذَّابُهَا الْمَاضِي وَكَذَّابُ ثَانِ
أَوَلستَ القاتل :

يَا بْنَ الْأَشَجِّ قَرِيعَ^(٢) كِنْدَةَ لَا أَبُلِي فِيكَ عَتَبَا
أَنْتَ الرَّئِيسُ ابْنُ الرَّئِيدِ سِ وَأَنْتَ أَعْلَى النَّاسِ كَعْبَا
نُبِّئْتُ حَجَّاجَ بْنَ يُو سَفَا خَرَّ مِنْ زَلَقٍ فَتَبَّأَ
فَأَنْهَضَ هُدَيْتَ لَعْلَه يَجْلُو بِكَ الرَّحْمَنُ كَرَبَا
وَأَبْعَثَ عَطِيَّةً فِي^(٣) الْجُنْدِ وَدَ يَكْبَهُنَ عَلَيْهِ كَبَا

كَلَّا يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ هُوَ الَّذِي خَرَّ مِنْ زَلَقٍ فَتَبَّ ، وَخَارَ^(٤)

(١) في بعض أصول الأغاني : « سفونا » . و سفا : خف وأسرع .

(٢) الأشج : الأشعث بن قيس الكندي ، جد عبد الرحمن بن محمد ، مخاطب الأعشى في هذا الشعر . والقرييع : السيد .

(٣) عطية ، هو ابن عمرو العنبري . كان على مقدمة جيوش عبد الرحمن بن الأشعث ، وكان لا يلقى خيلاً إلا ضربها .

(٤) خار : انكسر وضعف . ورواية الأغاني : « حار » .

وأنكب ، وما لقي ما أحب . ورفع بها صوته وأربد بها وجهه وأهتز منكبا . فلم يبق في المجلس أحدٌ إلا هَمَّتْه نفسه وأرتعدت فرائضه . فقال له الأعشى : أنا القائل أيها الأمير :

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمِّمَ نُورَهُ
وَيُنْزِلَ ذُلًّا بِالْعِرَاقِ وَأَهْلِهِ
وَمَا لَبِثَ الْحَجَّاجُ أَنْ سَلَ سَيْفَهُ
وَمَا زَا حَفَ الْحَجَّاجُ إِلَّا رَأَيْتَهُ
فَكَيْفَ رَأَيْتَ اللَّهَ فَرَّقَ جَمْعَهُمْ
بِمَا نَكثُوا مِنْ بَيْعَةٍ بَعْدَ بَيْعَةٍ
وَمَا أَحْدَثُوا مِنْ بِدْعَةٍ وَعَظِيمَةٍ
فَضَارَ بِنَا^(١) الْحَجَّاجُ دُونَ صُفُوفِنَا
يَجْنُدُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَخِيَلَهُ
لِيَهْنَأَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظُهُورُهُ
وَجَدْنَا بَنِي مَرْوَانَ خَيْرَ أُمَّةٍ
وَخَيْرَ قُرَيْشٍ مِنْ قُرَيْشِ أَرْوَمَةٍ
إِذَا مَا تَدَبَّرْنَا عَوَاقِبَ أَمْرِنَا
سَيُغْلِبُ قَوْمٌ غَالِبُوا اللَّهَ^(٢) جَهْلَةً
كَذَاكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ كَانَ قَلْبُهُ
وَقَدْ تَرَكُوا الْأَمْوَالَ وَالْأَهْلَ خَلْفَهُمْ
وَيُطْفِئُ نَارَ الْفَاسِقِينَ فَتَحْمُدًا
كَمَا نَقَضُوا الْعَهْدَ الْوَثِيقَ الْمُؤَكَّدًا
عَلَيْنَا فَوَلَّى جَمْعُنَا مُتَبَدِّدًا
حُسَامًا مُلَقًّى لِلْحُرُوبِ مُعَوَّدًا
وَفَرَقَهُمْ عُرْضَ الْبِلَادِ وَشَرَّدًا
إِذَا ضَمِنُوهَا الْيَوْمَ خَاسُوا بِهَا غَدًا
مَنْ الْقَوْلُ لَمْ تَصْعَدْ إِلَى اللَّهِ مَصْعَدًا
كِفَاحًا وَلَمْ يَضْرِبْ لَذَلِكَ مَوْعِدًا
وَسُلْطَانُهُ أَمْسَى مُعَانًا مُؤَيَّدًا
عَلَى أُمَّةٍ كَانُوا بُغَاةً وَحُسَّادًا
وَأَعْظَمَ هَذَا الْخَلْقَ حِمَامًا وَسُودَدًا
وَأَكْرَمَهُمْ إِلَّا النَّبِيَّ مُحَمَّدًا
وَجَدْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسَدَّدًا
وَإِنْ كَايِدُوهُ كَانَ أَقْوَى وَأَكِيدًا
مَرِيضًا وَمَنْ وَالَى النِّفَاقَ وَالْخُدَا
وَبِيضًا عَلَيْهِنَ الْجَلَالِيْبُ^(٣) خُرَدًا

(١) في الأغاني : « فصادمنا » .

(٢) ويروى : « سيغلب قوماً غالبوا الله جهرة » .

(٣) الخرد : الخفريات من النساء . جمع نادر لخريدة .

يُنَادِينَهُمْ مُسْتَعْبِرَاتٍ إِلَيْهِمْ وَيُذَرِّينَ دَمْعًا فِي الْخُدُودِ وَإِثْمًا
فَالَا تَتَنَاوَلْنَ مِنْكَ ^(١) بَرَحَةً يَكُنَّ سَبَايَا وَالْبُعُولَةُ أَعْبُدَا
تَعْطَفُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ فَقَدْ تَرَكُوا أَمْرَ السَّفَاهَةِ وَالرَّدَى
لَعَلَّهُمْ أَنْ يُحْدِثُوا الْعَامَ تَوْبَةً وَتَعْرِفَ نَصْحًا مِنْهُمْ وَتَوَدُّدًا

فقال من حضر من أهل الشام : قد أحسن أيها الأمير ، فخلّ سبيله . فقال :
أتظنون أنه أراد المدح ؟ لا والله ! ولكنه قال هذا أسفًا لعلبتكم إيّاه ، وأراد
أن يحض أصحابه . ثم أقبل عليه فقال : أظننت يا عدوّ الله أنك تتخذني بهذا
الشعر وتقلت منّي حتى تنجو ! أأست القائل ويحك :

بين الأشجّ وبين قيسٍ باذخٍ بنخٍ بنخٍ لوالده وللولودِ

والله لا تنجح بعدها أبدًا ! أأست القائل :

وأصابني قومٌ وكنْتُ أُصِيبُهُمْ فاليومَ أَصْبِرُ لِلزَّمانِ وَأَعْرِفُ

كذبتَ والله ! ما كنتَ صبوراً ولا عروفاً ! ثم قلت بعده :

وإذا تُصِيبُكَ مِنَ الْحَوَادِثِ نَكْبَةٌ فأصبر فكل غيابة ستكشفُ

أما والله لتكونن نكبة لا تنكشف غيابتها أبدًا . يا حرسى ، أضرب عنقه .
فَضْرَبْتُ عَنْقَهُ .

قلت :

مصير ابن الأشعث

وكان آخر أمر ابن الأشعث أن هرب إلى ملك الترك فاستجار به . فكتب
الحجاجُ ملكَ الترك في تسليمه إليه وبذل له بدلاً ، والتزم أنه لا يغزوه مدّة .
فسلمه ملكُ الترك إلى مَنْ وَرَدَ إليه من عند الحجاج . فمضوا به إليه . فبات ليلةً

(١) في الأصل : « فإلاتنالوهن منكم » .

على سَطَح عالٍ في بعض المنازل ، وأغتنم غفلةً ممن يحُرُّسُه ، ثم رمى بنفسه من السَّطَح ، فمات أنفةً وحميةً لثلاثين يومًا . وفي ذلك يقول أبو بكر ابن دُرَيْد :

وَأَبْنُ الْأَشْجِ الْقَيْلِ ^(١) قَادَ نَفْسَهُ إِلَى الرَّدَى حِذَارَ إِشْمَاتِ الْعِدَا

(١) القيل : الملك .

أخبار حماد الراوية

هو حماد بن ميسرة . وقيل : ابن سابور ، مولى بني شيان .

نسبه وولاه

وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها . وكانت ملوك بني أمية تقدّمه وتؤثّره وتستزيره . ويقدم عليهم ويُنَادِمهم ، ويسألونه عن أيام العرب وعُلموها ويجزّلون صلته .

علمه وصلة بني أمية
له عليه

وذُكر أن الوليد بن يزيد قال له : بما استحققتَ هذا اللقب ، فقيل لك : حماد الراوية ؟ قال : بأنّي أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ، ثم أروى لأكثر منهم ممن تعرف بأنك لم تعرفهم ولم تسمع بهم ، ولا أنشد شعراً قديماً ولا أحدث إلا ميزت القديم منه من المحدث . فقال : إن هذا العلم وأبيك لكثير ! فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثير ، ولكنني أنشدك على أيّ حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المُقطّعات من شعر الجاهلية ، دون شعر الإسلام . قال : سأمتحنك في هذا الأمر . وأمره بالإشاد . فأنشد حتى ضجر الوليد ، ثم وكلّ به من استخلفه أن يصدّقه عنه ويستوفى عليه . فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين . وأخبر الوليد بذلك . فأمر له بمائة ألف .

بينه وبين الوليد
أين يزيد وقد سأله
عن لقبه

وقيل :

الحمادون الثلاثة

كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم : الحمادون — حماد عجر ، وحماد الراوية ، وحماد بن الزبرقان — يتنادمون على الشراب ، ويتناشدون الأشعار ، ويتعاشرون معاشرة جميلة ، وكانوا كأنهم نفس واحدة ، وكانوا يُرْمَوْنَ بالرّندقة جميعاً .

(١) وقيل أخبار حماد ساق أبو الفرج « أخبار أحمد النصبى » المغنى في صفحات قليلة ، ولكن ابن واصل أضرب عن ذكرها .

وفوده إلى هشام بن
عبد الملك

وحكى حماد قال :

كان أنقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك ، وكان هشام يحفوني لذلك دون سائر أهله من بني أمية في أيام يزيد ، فلما مات يزيد وأفضت الخلافة إلى هشام جفاني ، ومكثت في بيتي سنة لا أخرج إلا لمن أثق به من إخواني سرًّا ، فلما لم أسمع أحداً يذكرني سنة أمنتُ وخرجتُ فصليتُ الجمعة ، ثم جلستُ عند باب الفيل ، فإذا شرطيَّان قد وقفا عليَّ وقالوا : يا حماد ، أحب الأمير يوسف بن عمر^(١) . فقلتُ في نفسي : من هذا كنتُ أحذر . ثم قلتُ للشرطيَّين : هل لكما أن تدعاني آتي أهلي فأودعهم وداع من لا يرجع إليهم أبداً ، ثم أصير إليه ؟ فقالا : ما إلى ذلك من سبيل . فاستسلمتُ في أيديهما وصرتُ إلى يوسف بن عمر ، وهو في الإيوان الأحمر ، فردَّ عليَّ السلام ورعى إلى كتابا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر . أما بعد . فإذا قرأتَ كتابي هذا فأبعثُ إلى حماد الراوية من يأتيك به غير مُروَّع ولا مُتَّعَّع ، وادفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مهرياً^(٢) يسير عليه اثنتي عشرة ليلةً إلى دمشق .

قال : فأخذتُ الخمسمائة الدينار ، ونظرتُ فإذا جمل مرَّ حول ، فوضعتُ رجلي في الغرز^(٣) وسرتُ اثنتي عشرة ليلةً ، حتى وافيتُ بابَ هشام ، فأستأذنتُ فأذن لي ، فدخلتُ عليه في دار قوراء^(٤) مفروشة بالرخام ، وبين كل رُخامتَيْن قضيبُ ذهبٍ ، وحيطانهُ كذلك ، وهشام جالسٌ على طنفسةٍ حمراء ، قد تَضَمَّنَحَ

(١) لعله خالد بن عبد الله القسري ، لأنه عندما تولى هشام الخلافة سنة ١٠٥ هـ عزل عمر بن هبيرة عن ولاية العراق وولى مكانه خالد بن عبد الله القسري ، فبقى على العراق حتى سنة ١٢٠ هـ . فعزله هشام وولى العراق يوسف بن عمر .

(٢) نسبة إلى : مهرة بن حيدان ، حي من قضاة من عرب اليمن . تنسب إليهم نجائب الإبل .

(٣) الغرز : ركاب الرجل .

(٤) قوراء : واسعة .

بالمِسْك والعَنْبَر ، و بين يديه مِسْكٌ مَفْتُوتٌ في أوَانِي الذهب ، يَقْلِبُهُ بِيَدَيْهِ فتنفوح
روائحُه ، فسَلَّمْتُ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ ، وأَسْتَدْنَانِي ، فدنوتُ حتى قَبَلْتُ رِجلَه ، وإذا
جارِيتان لم أَرِ مِثْلَهُمَا ، في أَذْنِي كُلِّ واحدةٍ مِنْهُمَا حَلَقَتانِ من ذهبٍ فيهما لُؤْلُؤَتانِ
تَتَوَقَّدَانِ . فقال : كيف أنت يا حَمَّاد ؟ وكيف حالُك ؟ فقلت : بخير يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
قال : أَتَدْرِي فيمِ بَعَثْتُ إِلَيْكَ ؟ قلت : لا . قال : بَعَثْتُ إِلَيْكَ لِبَيْتٍ خَطَرَ بِبَالِي
لم أَدرِ مَنْ قاله ؟ قلت : وما هو ؟ فقال :

فَدَعَوْا بِالصَّبُوحِ يَوْمًا فَجَاءَتْ قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا إِبرِيقٌ
فقلت : هذا يَقولُه عَدِيُّ بنِ زَيْدٍ في قَصِيدَةٍ لَهُ . قال : فَأَنشَدْنِيهَا . فَأَنشَدْتُهُ :

بَكَرَ الْعَاذِلُونَ فِي وَضَحِ الصُّبِّ ح يَقُولُونَ لِي أَمَا تَسْتَفِيقُ
لَسْتُ أَدرِي إِذْ أَكْثَرُوا الْعَذْلَ عِنْدِي أَعْدُوٌّ يُلُومُنِي أَوْ صَدِيقٌ

وَيُلُومُونَ فِيكَ يَا بَنِيَّةَ عَبْدِ اللَّهِ وَالْقَلْبُ عِنْدَكُمْ ^(١) مَوْهُوقٌ

زَانِمُهَا حُسْنُهَا وَفَرَعُ عَمِيمٍ وَأَثِيثٌ صَلْتُ الْجَبِينَ ^(٢) أَنِيقٌ

وَنَسَايَا مُفَلَّجَاتِ عَذَابٍ لَا قِصَارُ تُرَى وَلَا هُنَّ ^(٣) رُوقٌ

فَدَعَوْا بِالصَّبُوحِ يَوْمًا فَجَاءَتْ قَيْنَةٌ فِي يَمِينِهَا إِبرِيقٌ

قَدَّمْتُهُ عَلَى عُقَارِ كَعِينِ الدِّيكِ صَنَى سُلَافَهَا ^(٤) الرَّأْوُوقُ

ثُمَّ كَانَ الْمِزَاجُ مَاءً سَمَاءً غَيْرَ مَا آجِنٍ وَلَا مَطْرُوقٍ

فطرب وقال : أَحَسَنْتُ وَاللَّهِ يَا حَمَّادُ ! يَا جَارِيَةَ أُسْقِيهِ . فسَقَتْنِي شَرِبَةً ذَهَبَتْ

بَثْلَتُ عَقْلِي ، وقال : أَعِدْ . فَأَعَدْتُ . فَأَسْتَحَفَّهُ الطَّرْبَ حَتَّى نَزَلَ عَنْ فَرْشِهِ . ثُمَّ قَالَ :

لِلجَارِيَةِ الْآخَرَى : أُسْقِيهِ شَرِبَةً . فسَقَتْنِي ، فَذَهَبَتْ بَثْلَتُ عَقْلِي . فقلت : إِن سَقَيْتِ الثَّالِثَةَ

(١) مَوْهُوقٌ : مَشْدُودٌ بِالْوَهْقِ ، وَهُوَ الْجَبَلُ الْمَغَارِ .

(٢) الْفَرَعُ : الشَّعْرُ . وَالْأَثِيثُ : الْكَثِيرُ . وَالصَّلْتُ : الْوَضَحُ . (٣) رُوقٌ : طَوَالٌ .

(٤) الرَّأْوُوقُ : الْمَصْفَاةُ .

أَفْتَضَحْتُ . فَقَالَ : سَلْ حَوَائِجَكَ . فَقُلْتُ : كَأَنَّهُ مَا كَانَتْ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قُلْتُ :
إِحْدَى الْجَارِيَتَيْنِ . قَالَ : هَا جَمِيعًا لَكَ بِمَا عَلَيْهِمَا وَمَا لَهَا . ثُمَّ قَالَ لِلأُولَى : أُسْقِيهِ .
فَسَقَيْتُنِي شَرْبَةً سَقَطَتْ مَعَهَا ، فَلَمْ أَعْقِل . فَلَمَّا أَصْبَحْتُ إِذَا بِالْجَارِيَتَيْنِ عِنْدَ رَأْسِي ،
وَإِذَا عَشْرَةٌ مِنَ الْخَدَمِ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُنَّ بَدْرَةٌ . فَقَالَ لِي أَحَدُهُمْ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ : خُذْ هَذِهِ فَأَنْتَفِعْ بِهَا فِي سَفَرِكَ . فَأَخَذْتُهَا
وَالْجَارِيَتَيْنِ وَأَنْصَرَفْتُ .

ثُمَّ ذَكَرَ أَبُو الْفَرَجِ رَوَايَةً أُخْرَى لَمْ يَذْكُرْ فِيهَا أَنَّهُ سَقَاهُ . وَرَجَّحَهَا أَبُو الْفَرَجِ ،
لأن هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ لَمْ يَثْبُتْ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَشْرَبُ مُسْكِرًا وَلَا يَسْقِيهِ بِحَضْرَتِهِ ،
وَكَانَ يَعْيبُ الشُّكْرَ وَيُعَاقِبُ عَلَيْهِ .

وَذَكَرَ أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ ، الْمَعْرُوفَ بِأَبْنِ الْكُرْدِيَّةِ ، كَانَ تَوَسُّطَ مُطِيعٍ لَهُ
عِنْدَ جَعْفَرٍ وَسُوءَ حَظِّهِ
يَسْتَخْفُّ مُطِيعَ بْنَ إِيسَى وَيُحِبُّهُ ، وَكَانَ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ ، وَلَهُ مَعَهُ مَنَزَلَةٌ حَسَنَةٌ . فَذَكَرَ
مُطِيعُ حَمَادًا الرَّوَايَةَ لَجَعْفَرٍ ، وَكَانَ صَدِيقَهُ ، وَكَانَ حَمَادٌ مُطَرِّحًا فِي أَيَّامِ
بَنِي الْعَبَّاسِ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ سَعَادَتُهُ فِي أَيَّامِ بَنِي أُمِيَّةٍ . فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ : أَتُنْتَابِئُهُ لِنَرَاهُ .
فَأَتَى مُطِيعٌ حَمَادًا فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ ، وَأَمَرَهُ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِ مَعَهُ . فَقَالَ لَهُ حَمَادٌ : دَعْنِي ،
فَإِنْ دَوْلَتِي كَانَتْ مَعَ بَنِي أُمِيَّةٍ ، وَمَالِي عِنْدَ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ . فَأَبَى مُطِيعٌ إِلَّا الدَّهَابَ
إِلَيْهِ . فَاسْتَعَارَ حَمَادٌ سَوَادًا وَسَيْفًا ثُمَّ أَتَاهُ . فَهَمَزَنِي بِهِ مُطِيعٌ إِلَى جَعْفَرٍ ، فَلَمَّا دَخَلَ
عَلَيْهِ سَلَّمَ سَلَامًا حَسَنًا وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَرَ فَضْلَهُ . فَرَدَّ عَلَيْهِ وَأَمَرَهُ بِالْجُلُوسِ ، فَجَلَسَ .
فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ : أُنَشِدْنِي . فَقَالَ : لِمَنِ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؟ لِشَاعِرٍ بَعِيْنُهُ أَوْ لِمَنْ حَضَرَ ؟ قَالَ :
لِجَرِيرٍ . قَالَ : فَسَلِّحْ اللَّهَ شَعْرَ جَرِيرٍ مِنْ قَلْبِي إِلَّا قَوْلَهُ :

بَابُ الْخَلِيطِ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا أَوْ كَلَّمَاعُتَزَمُوا الْبَيْنَ تَجَزَعُ

فاندفعتُ أنشدته إياها حتى أتهيتُ إلى قوله :

وتقول بوزعُ قد دببتَ على العصا هَلَّا هَزِئْتُ بغيرنا يا بوزعُ
قال حماد : فقال لي جعفر : أعد . فأعدته . فقال لي : بوزع ، أى شيء هو ؟
فقلت : امرأةُ أسماها بوزع . فقال : هو برىء من الله ورسوله ، ونفى من العباس
ابن عبد المطلب إن كان بوزع إلا غولاً ! تركتني والله يا هذا لا أنام الليلة من
فرع بوزع ! يا غلمان ، قفاه ! فصِفْتُ والله حتى لم أدر أين أنا . ثم قال جُرُّوا
برجله . فجرُّوا برجلي حتى خرجتُ من بين يديه مسحوباً ؛ فتخرق السَّواد ،
وانكسر جفنُ السَّيف ، ولقيتُ شراً عظيماً مما جرى عليّ . وكان أغلظَ من ذلك
كلُّه وأشدُّه بلاءً إغرامى ثمن السَّواد وجفنِ السَّيف . فلما أنصرفتُ أنا نى مُطيع
يتوجَّع لي . فقلتُ له : ألم أخبرك أنى لا أُصيب منهم خيراً ، وأن حظى مَضَى
مع بنى أمية .

وقيل :

طلب من بعض
الرؤساء حاجة
فقضاها له

كتب حماد إلى بعض أشراف الرؤساء :

إن لي حاجةً فرأيتُ فيها لك نفسى فدى من الأوصابِ
وهى ليست مما يُبلغها غيد رى ولا يستطيعها فى كتاب
غير أنى أقولها حين ألقا ك رويداً أسرها فى حجاب
فكتب إليه الرَّجلُ : أكتبُ بحاجتك ولا تشمهرنى بشعرك . فكتب
إليه حماد :

إننى عاشقٌ لجبتك الدَّكـ ناء عِشْقاً قد حال دون الشَّرابِ
فاكسنيها فدنك نفسى وأهلى أتباهى بها على الأصحاب
ولك الله والأمانة أن أجـ علها عمرها أميرَ ثيابى

فبعث إليه بها .

وذكر أن حماداً كان في أول أمره يتشطرَّ ويصحب الصَّعاليك واللصوص ،
فَنَقَبَ لَيْلَةً على رجل وأخذ ماله ، فكان فيه جزء من شعر الأنصار ، فقرأه حماد
وأستحلاه وتحفظه ، ثم طلب الأدب والشعر وأيام الناس ولغات العرب بعد
ذلك ، وترك ما كان عليه ، فبلغ في العلم ما بلغ .

وذكر أن المفضل الضبي كان يقول :

رأى المفضل فيه

قد سُلِّطَ على الشعر من حماد ما أفسده فلا يصلح أبداً ! ف قيل له : وكيف
ذلك ؟ أيُخطئ في روايته أو يلحن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فإن أهل العلم يردُّون
من أخطأ إلى الصواب ، لا ، ولكنَّه رجلٌ عالم بلغات العرب وأشعارها ، ومذاهب
الشعراء ومَعَانِيهم ، فلا يزال يقول الشعر يُشبهه به مذهب رجلٍ ، ويدخله
في شعره ، ويحمِّل عنه ذلك في الآفاق ، فيختلط بأشعار القدماء ، ولا يَتَمَيَّزُ
الصَّحِيح منها إلا عند عالم ناقد ، وأين ذاك !

وحكى بعضهم قال :

رأى المهدي فيه
وفي المفضل

كُنَّا في دار أمير المؤمنين المهديِّ بعيساباذ^(١) ، وقد اجتمع فيها عدَّةٌ من
الرِّوَاة والعلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولُغَاتِهَا ، إذ خرج بعض أصحاب
المهديِّ ، فدعا بالمفضل الضبيِّ الرَّاوية ، فدخل . فكث ملياً . ثم خرج ذلك
الرجلُ بعينه فدعا بحماد الرَّاوية . فدخل . فكث ملياً . ثم خرج إلينا ومعه حماد
والمفضل جميعاً ، وقد بان في وجه حماد الانكسار ، وفي وجه المفضل النشاط .
ثم خرج حسين الخادم بعدهما ، فقال : يا معشرَ من حضر من أهل العلم ، إن
أمير المؤمنين يُعلمكم أنه قد وصل حماداً الشاعرَ بعشرين ألف درهم ، لجودة

(١) كانت شرقى بغداد .

شعره ، وأبطل روايته لزيادته في أشعار العرب ما ليس فيها ، ووصل المُفضَّل
بخمسين ألفاً لصِدِّقه وصحَّة روايته ، فمن أراد أن يسمع شعراً جيداً محدثاً فليسمع
من حمَّاد ، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها من المُفضَّل .

فسألنا عن السَّبب في ذلك ، فأخبرنا أن المهديَّ قال للمُفضَّل ، لما دعا به
وحده : إني رأيت زهير بن أبي سلمى قد أفتتح قصيدته بأن قال :

دَع ذا وَعَدَ القَوْلَ في هَرَمٍ خَيْرِ الكُهُولِ وَسَيِّدِ الحَضَرِ

ولم يتقدَّم قولٌ قبل ذلك ، فما الذي أمر نفسه بتركه ؟ فقال له المُفضَّل :
ما سمعتُ في هذا يا أمير المؤمنين شيئاً ، إلا أني توهَّمْتُه يُفكر في قول ليقوله ،
أو يُروى في أن يقول شعراً ، فعدل عنه إلى مدح هَرَمٍ ، فقال : دَع ذا . أو كان
مفكراً في شيء من شأنه فتركه ، وقال : دَع ذا ، أي دَع ما أنت فيه من الفكر
وعَدَّ القَوْلَ في هَرَمٍ . فأمسك المهديُّ عنه . ثم دعا بحمَّاد فسأله عن مثل ما سأل
عنه المُفضَّل . فقال : ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين . قال : فكيف قال ؟
فأنشده :

لَمِنَ الدِّيارِ بُقَّةُ الحَجَرِ أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ دَهْرٍ^(١)
قَفَرٌ بِمَنْدَفَعِ النَّحَّائِ مِنْ ضَفْوَى بذاتِ الضَّالِّ^(٢) والسَّدْرِ
دَع ذا وَعَدَ القَوْلَ في هَرَمٍ خَيْرِ الكُهُولِ وَسَيِّدِ الحَضَرِ

فأطرق المهديُّ ساعةً ، ثم أقبل على حماد فقال له : قد بلغ أمير المؤمنين عنك
خبرٌ لا بدُّ من استخلافك عليه . ثم استحلفه بإيمان البيعة وكلِّ إيمان مُحَرِّجة

(١) القنة : أعلى الجبل ، وما أشرف من الأرض . والحجر : موضع . ورواية الأغاني :
« مذ حجج ومذهر » .

(٢) النحات : آبار بعينها . وضفوى : دون المدينة . والضال : السدر البري ، فإن نبت
على شطوط الأنهار ، فهو عبري . وهو يريد به الأول ، فعطف عليه للمغايرة . والرواية في الأغاني :
« ضفوى أولات » .

لَيَصْدُقَنَّهٗ عَنْ كُلِّ مَا يَسْأَلُهُ عَنْهُ ، خَلْفَ لَهُ . فَلَمَّا تَوَثَّقَ مِنْهُ قَالَ : أَصْدُقْنِي عَنْ
حَالِ هَذِهِ الْأَيَّاتِ وَمَنْ أَضَافَهَا إِلَى زُهِيرٍ ؟ فَأَقْرَءْ لَهُ حِينَئِذٍ أَنَّهُ قَائِلُهَا . فَأَمَرَ فِيهِ
وَفِي الْمُفْضَلِ بِمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ شُهْرَةِ أَمْرِهِمَا وَكَشَفَهُ .

الشعر الذي فيه الغناء

والشعر الذي فيه الغناء ، وأفتتح به أبو الفرج أخبار حماد ، هو :
تَنَكَّرَ مِنْ سَعْدَى وَأَقْفَرَ مِنْ هِنْدٍ مَقَامُهُمَا بَيْنَ الرَّغَامَيْنِ ^(١) فَالْفَرْدِ
مَحَلٌّ لِسُعْدَى طَالَمَا سَكَنْتَ بِهِ فَأَوْحَشَ مَنْ كَانَ يَسْكُنُهُ بَعْدَى

الصوت الذي فيه
غناء عبادل

قلت :

ثُمَّ أَتْبَعَ أَبُو الْفَرَجِ أَخْبَارَ حَمَّادِ الرَّائِيَةِ بِأَخْبَارِ عَبَادِلِ الْمَغْنَى ، وَلَمْ أَجِدْ فِيهَا
مَا اخْتَارَهُ . ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ بِذِكْرِ صَوْتِ فِيهِ الْغَنَاءَ ، وَهُوَ :
لَيْسَتْ نَعْمَ مِنْكَ لِلْعَافِينَ ^(٢) مُسَجَّلَةً مِنَ التَّخَلُّقِ لَكِنْ شَيْمَةٌ خُلِقُ
يَكَادُ بِأَبْكَ مِنْ عِلْمٍ بِصَاحِبِهِ مِنْ دُونِ بَوَّابِهِ لِلنَّاسِ ^(٣) يَنْدَلِقُ
وَذَكَرَ أَنَّ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ مِنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لَطْرِيحِ الثَّقَفِيِّ مِنْ قَصِيدَةِ يَمْدَحُ
بِهَا الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ ، وَالثَّانِي لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ هَرَمَةَ .

قصيدة طريح

فَأَمَّا الْقَصِيدَةُ الَّتِي لَطْرِيحٍ فَإِنَّهُ يَقُولُ فِي تَشْبِيهِهَا :

تَقُولُ وَالْعِيسُ قَدْ شَدَّتْ ^(٤) بَارْحُلْنَا أَحْلَقَ أَنْكَ مِّنَّا الْيَوْمَ مُنْطَلِقُ
قُلْتُ نَعَمْ فَأَكْظِمِي قَالَتْ وَمَا جَلَدِي وَلَا أَظُنُّ أَجْتِمَاعًا حِينَ تَفْتَرِقُ
فَقُلْتُ إِنَّ أَحْيَا لَا أَطُولُ بَعَادَ كَمْ وَكَيْفَ وَالْقَلْبُ رَهْنٌ عِنْدَكُمْ ^(٥) غَلَقُ
فَارْقُبْهَا لَا فَوَادِي مِنْ تَذَكُّرِهَا سَالِي الْأُمُومِ وَلَا حَبْلِي لَهَا خَلَقُ

(١) الرغام : رملة من نواحي اليمامة . وثناه الشاعر للضرورة . والفرد : موضع .

(٢) مسجلة : مبدولة أو مرسلة .

(٣) يندلق : ينفث في خفة وشدة .

(٤) في رواية : « بَارْحُلَهَا » .

(٥) غلق : أي لا فكاك له .

فاضتْ على إثرهم عيناك^(١) أدْمَعُهَا
فَأَسْتَبِقْ عَيْنَكَ لَا يُودَى الْبُكَاءُ بِهَا
ليس الشُّوْنُ وإنْ جادت بباقيَةٍ
يقول في المديح :

وما نَعَمْ مِنْكَ لِلْعَافِينَ مُسَجَّلَةٌ
ساهمتَ فيها وفي «لا» فَأَخْتَصَصْتَ بِهَا
قَوْمَهُمْ شَرَفَ الدُّنْيَا وَسُودَّهَا
إِنْ حَارَبُوا وَضَعُوا أَوْ سَالَمُوا رَفَعُوا
من التخلُّق لكنْ شِيمَةٌ خُلِقُ
وطار قومٌ بلا والذِّمَّ فَأَنْطَلَقُوا
صَفَوْهُ عَلَى النَّاسِ لَمْ يَخْلَطْ بِهِمْ رَنَقُ
أَوْ عَاقَدُوا أَحْكَمُوا^(٣) أَوْ حَدَّثُوا صَدَقُوا

* * *

[رجع إلى أخبار ابن هرمة .]

وأما البيت الثاني المنسوب إلى ابن هرمة ، فذكر أبو الفرج أن العباس
ابن الوليد بن عبد الملك بن مروان كان بخيلاً لا يحبُّ أن يُعطى أحداً شيئاً ، فقال :
ما للشُّعراء تمدح أهل بيتي أجمع ولا تمدحني ! فبلغ ذلك ابن هرمة ، وكان قد
مدحه فلم يثبته ، فقال يُعَرِّضُ به ويمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك
ابن مروان :

وَمُعْجَبٌ بِمَدِيحِ الشُّعْرَى يَمْنَعُهُ
يَا أَبَايَ الْمَدْحِ مِنْ قَوْلٍ يُحِبُّهُ
إِنَّكَ وَالْمَدْحَ كَالْعَذْرَاءِ يُعْجِبُهَا
من المديح ثوابُ الشُّعْرَى^(٤) وَالشَّفَقُ
ذَوِ نَيْقَةٍ فِي حَوَاشِي شَعْرِهِ^(٥) أَنْقَى
حُسْنُ الرِّجَالِ وَيَثْنِي قَلْبَهَا الْفَرَقُ

(١) في الأغاني : « دمعهما » .

(٢) في الأغاني : « بوادر دمع منك » .

(٣) في الأغاني : « ضمنا » .

(٤) في الأغاني : « المدح » .

(٥) يحبره : يحمده ويحسنه . والنيقة : التجود في الأمر والمبالغة فيه . والأنقى : الروعة والحسن .

لكن بَمَدِينٍ من مُفَضَّى ^(١) سُوَيْمَرَةٍ من لا يُذَمُّ ولا يُشَنَّا له خُلُقٌ
أهل المدامح تأتيه فتمدحه والمادحون إذا قالوا له صدقوا

يقول فيها :

يكاد بأبك من جُودٍ ومن كرم من دُون بوابه للناس يندلق

حكى ابن هرمة قال :

كان أول من رفعني في الشعر عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، فأخذ
على ألا أمدح غيره ، وكان والياً على المدينة ، فكان لا يدع برى وصلى والقيام
بمؤنتي . فلم ينسب أن عزل ووُلى غيره مكانه . وكان والي من بني الحارث
ابن كعب . فدعنتى نفسى إلى مدحه طمعاً أن يهب لى ، كما كان عبد الواحد
يهب لى ، فمدحته ، فلم يصنع بى ما ظننت . ثم قدم عبد الواحد المدينة فأخبر أنى
مدحت الذى عزل به . فأمر بى فحُجبت عنه ، ورُمت الدُخول عليه ، فمُنعت .
فلم أدع بالمدينة وجهاً ولا رجلاً له نباهة وقدر من قریش إلا سألت أن يشفع لى
فى أن يعيدنى إلى منزلتى ، فيأبى ذلك ولا يفعله . فلما أعوزتنى الحيل أتيت
عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، فقلت :
يا بن رسول الله ، إن هذا الرجل قد أكرمنى وأخذ على ألا أمدح أحداً غيره ،
فأعطيتُه بذلك عهداً ، ثم دعانى الشره والنكد إلى أن مدحتُ والى بعده .
وقصصتُ عليه قصتى وسألتُه أن يشفع لى . فركب معى . فأخبرنى الواقف على
رأس عبد الواحد أن عبد الله لما دخل ، قام عبد الواحد فعانقه وأجلسه إلى جنبه
ثم قال : أحاجة غدت بك أصلحك الله ؟ قال : نعم . قال : كل حاجة مقضية
إلا ابن هرمة . قال : إن رأيت ألا تستثنى فى حاجتى فأفعل . قال : قد فعلت .

ابن هرمة
وعبد الواحد
ابن سليمان

(١) مدين : تجاه تبوك بين المدينة والشام . وسويمرة : فى نواحي المدينة .

قال : فحاجتي أبنُ هرمة . قال : قد رَضِيتُ عنه وأعدته إلى منزلته . قال : فتأذن له أن يُنشدك ؟ قال : فتُعَفِّينِي من هذه ؟ قال : أسألك أن تفعل . قال أثنوا به . فدخلتُ عليه وأنشدته قولي فيه :

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمةً الجناح
فغضب عبدُ الله بن الحسن حتى انقطع رِزُّه ^(١) ، ثم وثب مُغضباً . وأوجزت في الإنشاد ، ثم لحقته فقلت : جزاك الله خيراً يا بن رسول الله ! قال : لكن لا جزاك خيراً ياماصَّ بَطْرُ أمه ! تقول لأبن مَرَّوان :

* وكان أبوك قادمةً الجناح *

بَحَضَرْتِي ، وأنا أبنُ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ، وأبن علي بن أبي طالب ؟ فقلت : جَعَلَنِي الله فِدَاكَ ! إني قلتُ قولاً أخدعه به طلباً للدُّنيا ، ووالله ما قِسْتُ بكم أحداً قطُّ ، ألم تسمعنِي قد قلتُ :

* وبعض القول يذهب بالرياح *

فضحك عبدُ الله وقال : قاتلك الله ! ما أظرفك !

قال أبو الفرج :

وهذه القصيدة الحائية ، التي مدح بها أبنُ هرمة عبدَ الواحد بن سُلَيْمان ، من فاخر الشعر ونادر الكلام ومن جيّد شعر أبن هرمة خاصّةً ، وأولها :

صَرَمْتَ حَبائلاً من حُبِّ سَلَمَى	لَهْنَدٍ ما عَمَدَتْ لِمُسْتَرَا حِ
فإنك إن تُقِمَّ لم تَلَقْ هِنْدًا	وإن تَرَحَّلْ فقلْبُكَ غيرُ صَاحِي
يَظَلُّ نَهَارَهُ يَهْدِي بِهِنْدٍ	ويَأْرِقُ لَيْلَهُ حَتَّى الصَّبَا حِ
أَعْبَدَ الواحدَ المَحْمُودَ إِنِّي	أَعَضُّ حِذَارَ سُخْطِكَ بالقَرَا حِ

فَشُتَّتْ رَاحَتَايَ وَمَالَ مُهْرِي وَأَلْقَانِي بِمُشْتَجَرِ الرِّمَاحِ
وَأَقْعَدْنِي الزَّمَانُ فَبِتُّ صِفْرًا مِنْ الْمَالِ الْمَعْرَبِ ^(١) وَالْمُرَاحِ
إِذَا فِخَّمْتُ غَيْرَكَ فِي ثَنَائِي وَنُصْحِي فِي الْمَغِيَةِ وَأُمْتِدَاحِي
كَأَنَّ قِصَائِدِي لَكَ فَأُصْطَنِعِي كِرَامٌ قَدْ عُضِّلْنَ ^(٢) عَنِ النِّكَاحِ
فَإِنِ أَكُ قَدْ هَفَوْتُ إِلَى أَمِيرٍ فَعَنْ غَيْرِ التَّطَوُّعِ وَالسَّمَّاحِ
وَلَكِنْ سَقَطَةٌ كُتِبَتْ ^(٣) عَلَيْنَا وَبَعْضُ الْقَوْلِ يَذْهَبُ فِي الرِّيَّاحِ
لِعَمْرِكَ إِنِّي وَبَنَى عَدِيَّ وَمَنْ يَهْوَى رَشَادِي أَوْ صِلَاحِي
إِذَا لَمْ تَرْضَ عَنِّي أَوْ تَصِلْنِي لَفِي حَيْنٍ أَعَالَجَهُ مُتَّحِاحِ
وَإِنَّكَ إِنِ حَطَطْتُ إِلَيْكَ رَحْلِي بَغْرَبِي الشَّرَاةِ ^(٤) لَذُو أُرْتِيَّاحِ
هَشَشْتَ لِحَاجَةٍ وَوَعَدْتَ أُخْرَى وَلَمْ تَبْخُلْ بِنَاجِزَةِ السَّرَّاحِ
وَجَدْنَا غَالِبًا كَانَتْ جَنَاحًا وَكَانَ أَبُوكَ قَادِمَةً الْجَنَاحِ
إِذَا جَعَلَ الْبَخِيلُ الْبُخْلُ ثُرْسًا وَكَانَ سِلَاحَهُ دُونَ السِّلَاحِ
فَإِنَّ سِلَاحَكَ الْمَعْرُوفُ حَتَّى تَفُوزَ بَعْرِضَ ذِي شَيْمٍ صِحَّاحِ

وَذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْجُمَحِيُّ قَالَ :

قُلْتُ لِأَبْنِ هَرْمَةَ : أَتَمْدَحُ عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنِ سُلَيْمَانَ بِشِعْرِ مَا مَدَحْتَ بِهِ أَحَدًا

غَيْرَهُ ، فَتَقُولُ فِيهِ :

وَجَدْنَا غَالِبًا كَانَتْ جَنَاحًا وَكَانَ أَبُوكَ قَادِمَةً الْجَنَاحِ
أَعْبَدَ الْوَاحِدَ الْمَحْمُودَ إِنِّي أَغْصُ حِذَارَ سُخْطِكَ بِالْقَرَّاحِ

(١) المال : الإبل . والمعرب : الذي يبيت في المرعى ولم يرح . والمراح : الذي رد إلى مأواه .

(٢) عضلن : منعن . (٣) في رواية : « عبيت » . (٤) الشراة : صقع بالشام .

فبأى شيء أستوجب هذا منك؟ فقال: أخبرك بالقصة لتعذرني: أصابتنى أزيمة وقحمة^(١) بالمدينة، فأستهضتني أبنة عمي للخروج، فقلت لها: إنه ليس عندي ما يقل جناحي. فقالت: أنا أنهضك بما أمكني. وكانت عندي ناب لي، فنهضت عليها حتى دفعتني إلى دمشق، فأويت إلى مسجد عبد الواحد في جوف الليل، فجلست فيه أنتظره، إلى أن نظرت إلى بزوغ الفجر، فإذا الباب ينفلق عن رجل كأنه البدر، فدنا فأذن وصلى ركعتين، فتأملتُه فإذا هو عبد الواحد، فقممت فدنوت منه وسألت عليه. فقال: يا أبا إسحاق، أهلاً ومرحباً. فقلت: لبيك، بأبي أنت وأمي، حيّاك الله بالسّلام وقرّبك من رضوانه. فقال: أما آن لك أن تزورنا! فقد طال العهد واشتدّ الشوق، ما وراءك؟ فقلت: لا تسألني بأبي أنت وأمي، فإنّ الدهر قد أخنى عليّ، فما وجدتُ مستغناً غيرك. فقال: لا ترع، فقد قدمت على ما تحبّ إن شاء الله. فوالله إني لأخاطبه إذا بثلاثة فتية كأنهم الأشطان^(٢)، فسلموا عليه. فأستدني الأكبر منهم فهمس إليه بشيء دُوني ودون أخويه. فمضى إلى البيت ثم رجع فجلس إليه فكلّمه بشيء ثم ولى. فلم يلبث أن خرج ومعه عبد ضابط^(٣) يحمل عبئاً من الشّباب حتى ضرب به بين يديّ. ثم همس إليه ثانية، فعاد. وإذا به قد رجع ومعه مثل ذلك، فضرب به بين يديّ. فقال لي عبد الواحد: أدن أبا إسحاق، فإني أعلم أنك لم تصر إلى حتى تفارق صدّك، فخذ هذا وأرجع إلى عيالك، فوالله ما سلّنا لك هذا إلّا من أصدقاء عيالنا، ودفع إلى ألف دينار، وقال لي: قم فأرحل فأغث من وراءك. فقممت إلى

(١) القحمة: القحط والسنة الشديدة.

(٢) الأشطان: جمع شطن، وهو الخبل.

(٣) ضابط: قوى شديد.

الباب ، فلما نظرتُ إلى ناقتي ضِقتُ . فقال لي : ما أظن هذه مُباغتكَ ! يا غلام ،
قدَّم إليهِ جَملي فلاناً . فوالله لكنتُ بالجل أشدَّ سروراً مني بـكُلِّ ما نلتُهُ .
فلا تَلمني أن أغصَّ حِذار سُخط هذا بالقراح .

وذُكر أن ابن هرمة دخل على المنصور فقال : يا أمير المؤمنين ، إني قد بين المهدي وأبيه
المنصور وقد قصر في جائزته
مدحتك مدحةً لم يمدح أحداً بمثلها . فقال : وما عسى أن تقول في بعد قول
كعب^(١) في آل المهلب :

بِرَاكُ اللَّهِ حِينَ بَرَاكَ بِحَرًّا وَفَجَّرَ مِنْكَ أَنْهَاراً غِزَارَا

فقال له : قد قلتُ أحسن من هذا . قال : هاتِ . فأنشده :

لَهُ لَحَظَاتٌ عَنْ حِفَافٍ سَرِيرِهِ إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلُ
فَأُمُّ الذِي أَمَّنْتَ أَمْنَهُ الرَّدَى وَأُمُّ الذِي خَوَّفْتَ بِالشَّكْلِ ثَاكِلُ

فأمر له بأربعة آلاف درهم . فقال له ابنه المهدي : يا أمير المؤمنين ، قد
تكلف إليك في سفره نحوها . فقال له المنصور : يا بُني ، قد وهبتُ له ما هو أعظم
من ذاك ، وهبت له نفسه ، أليس هو القاتل لعبد الواحد بن سليمان :

إِذَا قِيلَ مَنْ خَيْرُ مَنْ يُرْتَجَى لَمُعْتَرٍ^(٢) فَهَرٍ وَمُحْتَاجِهَا
وَمَنْ يُعْجَلُ الْخَيْلَ يَوْمَ الْوَعَى بِإِلْجَامِهَا قَبْلَ إِسْرَاجِهَا
أَشَارَتْ نِسَاءُ بَنِي مَالِكٍ إِلَيْكَ بِهَا قَبِيلُ أَزْوَاجِهَا
وهذا الشعر من فاخر شعر ابن هرمة ، وأولها :

أَجَارَتَنَا رَوْحِي نَعْمَةً عَلَى هَائِمِ النَّفْسِ مُهْتَاجِهَا
فَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ مُسْتَكْرِهٍ وَلَا حَاجَةَ قَبْلَ إِنْصَاجِهَا

(١) هو كعب بن معدان ، من الأزد ، وأمه من عبد القيس . وستأتي ترجمته .

(٢) المعتر : المتعرض للمعروف دون أن يسأل .

يقول فى المديح :

إِلَى مَلِكٍ لَا إِلَى سُوقَةٍ كَسَتْهُ الْمُلُوكُ ذُرًّا تَاجَهَا
تَحْمِلُ الْوُفُودُ بِأَبْوَابِهِ فَتَلْقَى الْغَنَى قَبْلَ إِرْتَاجَهَا
رَكُودَ الْجِفَانِ غَدَاةَ الصَّبَا وَيَوْمَ الشَّمَالِ^(١) وَإِرْهَاجَهَا

وَحَكَى مُحَمَّدَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمَنْصُورِ قَالَ :

هو ورسول
المنصور وقد دسه
عليه

وَجَّهَ الْمَنْصُورُ رَسُولًا قَاصِدًا إِلَى ابْنِ هَرَمَةَ وَدَفَعَ إِلَيْهِ أَلْفَ دِينَارٍ وَخِلْعَةً ،
وَوَصَفَهُ لَهُ وَقَالَ : أَمْضُ إِلَيْهِ ، فَإِنَّكَ تَرَاهُ فِي مَجْلَسٍ كَذَا مِنَ الْمَسْجِدِ ، فَأَنْتَسِبْ لَهُ
إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ وَمَوَالِيهِمْ ، وَأَسْأَلْهُ أَنْ يُنْشِدَكَ قَصِيدَتَهُ الْحَائِيَّةَ الَّتِي يَمْدَحُ بِهَا عَبْدَ الْوَاحِدِ
أَبْنَ سُلَيْمَانَ :

وَجَدْنَا غَالِبًا كَانَتْ جَنَاحًا وَكَانَ أَبُوكَ قَادِمَةً الْجَنَاحِ

فَإِنْ أَنْشَدَكُمَا فَأَخْرَجَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَأَضْرَبَ عُنُقَهُ وَجَتْنَى بِرَأْسِهِ ، وَإِنْ أَنْشَدَكَ
قَصِيدَتِي اللَّامِيَّةَ الَّتِي يَمْدَحُنِي فِيهَا ، فَأَدْفَعْ إِلَيْهِ أَلْفَ الدِّينَارِ وَالْخِلْعَةَ ، وَمَا أَرَاهُ
يُنْشِدُكَ غَيْرَهَا ، وَلَا يَعْتَرِفُ بِالْحَائِيَّةِ . وَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَوَجَدَهُ كَمَا قَالَ الْمَنْصُورُ ، فَجَلَسَ
فَأَسْتَنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ فِي عَبْدِ الْوَاحِدِ . فَقَالَ : مَا قُلْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ وَلَا أَعْرِفُهَا ،
وَأِنَّمَا نَحْلُهَا إِيَّايَ مِنْ يُعَادِينِي . وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ أَنْشِدْتُكَ أَحْسَنَ مِنْهَا . فَقَالَ :
قَدْ شِئْتُ فُهَاتِ . فَأَنْشَدَهُ :

* سَرَى ثَوْبَهُ عَنْكَ الصَّبَا الْمُتَخَايِلُ *

حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا . ثُمَّ قَالَ : هَاتِ مَا أَمَرْتُ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَدْفَعَهُ
إِلَيَّ . فَقَالَ : أَى شَيْءٍ هُوَ يَا هَذَا ؟ فَقَالَ : دَعِ ذَا عَنْكَ ، فَوَاللَّهِ مَا بَعَثَ بِكَ إِلَّا

(١) الركوند من الجفان : الثقل المملوء . والإرهاج : الامطار .

ومعك مالٌ وكسوة ، وأمرُك أن تسألني عن هذه القصيدة ، فإن أنشدتُك إيّاها
ضربتُ عُنُقِي وحمّلتُ رأسي إليه ، وإن أنشدتُك هذه دفعتُ إلى ما حمّلك إيّاه .
فضحك الرّسولُ وقال : صدقتَ لعمري ! ودفع إليه الألف دينار والخِلعة .
قال : فما سمعنا شيئاً أعجبَ من حديثهما ^(١) .

(١) وجاء هنا آخر مخطوطة المتحف البريطاني : « والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

تم كتاب الأغاني بحمد الله تعالى على يد العبد الفقير محمد بن عبد الله
خطيب جامع الشيخ علوان بحماه المحمية ، من كل بلية ، غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين
في العشر للآخر من شهر رمضان المعظم من شهر سنة ألف ومائة وعشر . والحمد لله على التمام
وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام

أخبار المرقشين الأكبر والأصغر

الأكبر وشيء عنه أما الأكبر منهما فاسمه عمرو - وقيل : عوف - ابن سعد بن مالك ابن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . وإنما لقب المرقش لقوله :

الدار وحش والرُسوم كما رُقش في ظهر الأديم قلم
وهو أحد من قال شعراً فلقب به . وهو أحد المتيمين ، كان يهوى ابنة عمه أسماء بنت عوف بن ضبيعة .

الأصغر وشيء عنه وأما الأصغر فهو ابن أخي المرقش الأكبر . وهو ربيعة بن سُفيان بن سعد ابن مالك - وقيل : عمرو بن حرمة بن سعد بن مالك - وهو أحد المتيمين أيضاً ، كان يهوى فاطمة بنت الملك المنذر ويُسبب بها .

من شجاعتهما وكان للمرقشين معاً موقع ، في بكر بن وائل وحروبها مع بني تغلب ، وبأس وشجاعة ، ونجدة وتقدم في المشاهد ، ونكاية في العدو وحسن أثر .

عم الأكبر وشيء من شجاعته وكان عوف بن مالك بن ضبيعة ، عم المرقش الأكبر ، من فرسان بكر ابن وائل ، وهو القاتل يوم قِصّة ، وهو أحد الأيام التي كانت فيها الحرب بين بكر وتغلب : أفي كل يوم فرار ! أما ومُحلو في لا يمر بي رجل من بكر بن وائل منهزماً إلا ضربته بسيفي . فيسمى « البرك » يومئذ .

أخو الأكبر وشيء من شجاعته وكان أخوه عمرو بن مالك من فرسان بكر . وهو الذي أسر مُهلل بن ربيعة ، أخا كليب : التقيا في خيلين من غير مُزاحفة ، في بعض الغارات بين بكر

وتغلب، في موضع يقال له : نقار الرمل . فَأَنْهَزَتْ خَيْلُ مُهْلَهْلٍ ، وَأَدْرَكَهُ عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ فَأَسْرَهُ ، فَأَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى قَوْمِهِ ، وَهُمْ فِي نَوَاحِي هَجَرَ ، فَأَحْسَنَ إِسَارَهُ . وَمر عليه تاجر يبيع الخمر قَدِمَ بِهَا مِنْ هَجَرَ ، وَكَانَ صَدِيقًا لِمُهْلَهْلٍ يَشْتَرِي مِنْهُ الْخَمْرَ . فَأَهْدَى إِلَيْهِ وَهُوَ أَسِيرٌ زِقَّ خَمْرٌ ، فَأُجْتَمِعَ إِلَيْهِ بَنُو مَالِكٍ فَنَحَرُوا عَنْده بَكْرًا وَشَرَبُوا عِنْدَ مُهْلَهْلٍ فِي بَيْتِهِ . وَقَدْ أَفْرَدَ لَهُ عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ بَيْتًا يَكُونُ فِيهِ . فَلَمَّا أَخَذَ فِيهِمُ الشَّرَابُ تَغَنَّى مُهْلَهْلٌ فِيمَا كَانَ يَقُولُهُ مِنَ الشُّعْرِ وَيُنُوحُ بِهِ عَلَى كَلِيبٍ . فَسَمِعَ ذَلِكَ عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ ، فَقَالَ : إِنَّهُ لَرِيَّانٌ ، وَاللَّهِ لَا يَشْرَبُ عِنْدِي مَاءٌ حَتَّى يَرِدَ رَيْبٌ — يَعْنِي جَمَلًا كَانَ لِعَمْرُو بْنِ مَالِكٍ ، كَانَ يَتَنَاوَلُ الدَّهَاسَ ^(١) مِنْ أَجْوَافِ هَجَرَ فَيَرعى فِيهَا غَبًّا بَعْدَ عَشْرِ فِي حِمَارَةِ الْقَيْظِ — فَطَلَبَتْ رُكْبَانُ بَنِي مَالِكٍ رَيْبًا ، وَهُمْ حِرَاصٌ عَلَى الْأَلَا يَقْتُلُ مُهْلَهْلٌ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الْبَعِيرِ حَتَّى مَاتَ مُهْلَهْلٌ عَطْشًا . وَكَانَ هَبْنَقَةُ الْقَيْسِيِّ ، أَحَدُ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وَاسْمُهُ يَزِيدُ بْنُ ثَرْوَانَ ، مُحْتَقًا ، وَهُوَ الَّذِي تَضْرَبُ بِهِ الْعَرَبُ الْمَثَلُ فِي الْحَقِّ ، يَقُولُ : لَا يَكُونُ لِي جَمَلٌ أَبَدًا إِلَّا سَمِيَّتُهُ رَيْبًا . يَعْنِي أَنَّ رَيْبًا مُبَارَكًا لَقَتَهُ مُهْلَهْلًا .

وَذَكَرَ أَنَّ الْمُرْقَشَ الْأَكْبَرَ عَشِقَ ابْنَةَ عَمِّهِ أَسْمَاءَ بِنْتَ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ ، تَعْشَقُهُ ابْنَتُهُ عَمَهُ وَحَدِيثُ زَوَاجِهَا وَمَوْتُهُ وَهُوَ الْبُرْكُ ، فَخَطَبَهَا إِلَى أَبِيهَا ، فَقَالَ : لَا أَزُوجُكَ حَتَّى تُعْرِفَ بِالْبَاسِ — وَهَذَا قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ رَبِيعَةً مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ — وَكَانَ يَعْدُهُ فِيهَا الْمَوَاعِيدَ . ثُمَّ انْطَلَقَ مُرْقَشٌ إِلَى مَلِكِ مِنَ الْمُلُوكِ ، فَكَانَ عِنْدَهُ زَمَانًا ، وَمَدَحَهُ فَأَجَازَهُ . وَأَصَابَ عَوْفًا زَمَانًا شَدِيدًا ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ مُرَادٍ ، أَحَدُ بَنِي غُطَيْفٍ ، فَأَرَاغَبَهُ فِي الْمَالِ ، فَزَوَّجَهُ أَسْمَاءَ عَلَى مِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ ، ثُمَّ تَنَحَّى عَنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ . وَرَجَعَ مُرْقَشٌ . فَقَالَ إِخْوَتُهُ : لَا تُخْبِرُوهُ إِلَّا أَنَّهَا مَاتَتْ . فَذَبَحُوا كَبْشًا وَأَكَلُوا لَحْمَهُ وَدَفَنُوا عِظَامَهُ وَلَقَّوْهَا فِي مِلْحَفَةٍ ثُمَّ قَبَرُوهَا . فَلَمَّا قَدِمَ مُرْقَشٌ عَلَيْهِمْ أَخْبَرُوهُ أَنَّهَا مَاتَتْ ، وَأَتَوْا بِهِ

(١) الدهاس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب .

موضع القبر، فنظر إليه . وكان بعد ذلك يعتاده ويؤزوره . فبينما هو ذات يوم مضطجع وقد تغطى بثوبه ، وابنا أخيه يلعبان بكعبين لهما ، إذ اختصما فى كعب ، فقال أحدهما : هذا كعبي أعطانيه أبى من الكبش الذى دفنوه ، وقالوا : إذا جاء مرقش أخبرناه أنه قبر أسماء . فسكش مرقش عن رأسه ودعا الغلام ، وكان قد ضنى شديداً ، فسأله عن الحديث . فأخبره بتزويج المردى أسماء . فدعا مرقش وليدة له ولها زوج من غفيلة ، وكان عسيفاً ^(١) لمرقش ، فأمرها أن تدعو له زوجها ، فدعته ، وكانت له رواحل ، فأمره بإحضارها ليطلب المردى . فأحضره إياها . فركبها ومضى فى طلبه ، فمرض فى الطريق حتى ما يحمل إلا معروضا . وإنهما نزلا كهفاً بأسفل نجران ، وهى أرض مُراد ، ومع العقيل امرأته وليدة مرقش ، فسمع مرقش زوج الوليدة يقول لها : اتركيه فقد هلك سقماً وهلكنا معه ضراً وجوعاً . فجعلت الوليدة تبكى من ذلك . فقال لها زوجها : اظنى ^(٢) فإنى تاركك وذاهب . وكان مرقش يكتب — كان أبوه دفعه وأخاه حرمة ، وكانا أحب ولده إليه ، إلى نصرانى من أهل الحيرة فعلمهما الخط — فلما سمع مرقش قول العقيلي كتب مرقش على مؤخرة الرّحل هذه الأبيات :

يا صاحبيّ تلَبَّسْ لا تَعَجَّلْ	إنّ الرّواح رهينُ ألا تَفْعَلْ
يا راكباً إمّا عرضتَ فبَلِّغْ	أنس بن سعدٍ إن لقيتَ ^(٣) وحرّمْ
لله دَرُّكُما ودَرُّ أَيْكُما	أن يُقِلَّ الغفليّ ^(٤) حتى يُقْتَلْ
من مُبلِّغِ الأَقْوامِ أن مَرْقَشاً	أضْحى على الأصحابِ عبناً مُثْقِلاً
وكأنما تَرَدُّ السَّباعُ بِشِلْوه	إذ غاب جمعُ بنى ضُبَيْعةٍ مِنْهَلْ

(١) العسيف : الأجير .

(٢) فى الأغاني : « أطيعني » .

(٣) أنس وسعد : أخوا المرقش .

(٤) فى المفضليات : « إن أفلت » . والرواية فى الأغاني : « إن أفلت العبدان » .

وانطلق الغفلى وامراته حتى رجعا إلى أهلهما، فقالا: مات المرقش. ونظر حرمله إلى الرّحل فجعل يقلّبه، فقرأ الأبيات، فدعاها وخوّفهما وأمرها أن يصدّقاها، ففعلتا، فقمتاهما. وقد كانا وصفا له الموضع. فركب في طلب المرقش حتى أتى المكان، فسأل عن خبره، فعرف أن مرقشاً كان في الكهف ولم يزل فيه، حتى إذا هو بغنم تنزو على الغار الذى هو فيه، فأقبل راعيها إليها، فلما بصّر به قال له: من أنت؟ وما شأنك؟ فقال له المرقش: أنا رجل من مُراد، فراعى من أنت؟ قال: راعى فلان. فإذا هو راعى زوج أسماء. فقال له المرقش: أنتستطيع أن تكلم أسماء امرأة صاحبك؟ قال: لا، ولا أدنو منها، ولكن تأتيني جارتها كل ليلة فأحلب لها عنزاً فتأتيها بلبنها. فقال له: خذ خاتمي هذا فإذا حلبت فألقه في اللبن، فإنها تعرفه، وإنك ستصيب به خيراً لم يصبه راعٍ قطّ إن أنت فعلت ذلك. فأخذ الرّاعى الخاتم. ولما راحت الجارية بالقدح وحلب لها العنز طرّح لها الخاتم فيه. فأطلقت به الجارية وتركته بين يديها. فلما سكنت الرغوة أخذته فشربته. وكذلك كانت تفعل، فقرع الخاتم ثنيّتها. فأخذته وأستضاءت بالنار، فعرفته. فقالت للجارية: ما هذا؟ فقالت: ما لى به علم. فأرسلتها إلى مولاها فأقبل فرحاً، فقال: لم دعوتى؟ فقالت: أدع عبدك راعى غنمك. فدعاه. فقالت: سلّه أين وجد هذا الخاتم؟ فقال: وجدته مع رجل في موضع كذا، فقال: أطرحه في اللبن الذى تشربه أسماء، فإنك تصيب به خيراً، وما أدري من هو، ولقد تركته بأخر رمق. فقال لها زوجها: وما هذا الخاتم؟ فقالت: خاتم مرقش، فأعجل الساعة في طلبه. فركب فرسه وحملها على فرس آخر حتى طرّقه من ليلتهما، فأحتملاه إلى أهلهما، فمات عند أسماء. وقال قبل موته:

سَرَى نَحْوَى ^(١) خِيَالُ مِنْ سَلِيمَى
فَبِتْ أُدِيرُ أَمْرِى كُلَّ حَالٍ
عَلَى أَنْ قَدْ سَمَا طَرْفَى لِنَارِ
حَوَالَيْهَا مَهَاً بِيضُ التَّرَاقِى
نَوَاعِمُ لَا تُعَالِجُ بُؤْسَ عَيْشٍ
يَرُخْنَ مَعَاً بِطَاءِ الْمَشَى ^(٢) رُوداً
سَكَنَ بِلَادَةً وَسَكَنَتْ أُخْرَى
فَمَا بَالَى أَفَى وَيُحْنَانُ عَهْدَى
وَرُبَّ أَسِيلَةٍ اخْدَيْنَ بِكُرٍ
وَذُو أُشْرٍ ^(٣) شَتَيْتُ النَّبْتَ عَذْبُ
لَهَوْتُ بِهَا زَمَاناً فِى شَبَابَى
أُنَاسُ كُلِّهَا أَخْلَفْتُ وَصَلَاً
وَالشَّعْرُ الَّذِى فِيهِ الْغِنَاءُ ، وَأُفْتَتِحُ بِهِ أَبْوَابَ الْفَرْجِ أَخْبَارَ الْمُرْقَشِ الْأَكْبَرِ ، هُوَ :
النَّشْرُ مَسْكُ وَالْوُجُوهُ دَنَا
وَالدَّارُ وَحْشٌ وَالرُّسُومُ كَمَا
رَقَشَ فِى ظَهْرِ الْأَدِيمِ قَلَمُ
فَهَذِهِ أَخْبَارُ الْمُرْقَشِ الْأَكْبَرِ .

الشعر الذى فيه
الغناء

فَأَمَّا خَبَرُ الْأَصْغَرِ ، وَهُوَ الَّذِى تَقْدُمُ ذِكْرَ نَسَبِهِ ، وَهُوَ ابْنُ أَخِي الْأَكْبَرِ ،
وَعَمِّ طَرْفَةِ بْنِ الْعَبْدِ . وَهُوَ أَشْعَرُ الْمُرْقَشِينَ وَأَطْوَلُهَا عُمَرَاً . وَهُوَ الَّذِى عَشِقَ فَاطِمَةَ
بِنْتَ الْمَلِكِ الْمُنْذَرِ .

الأصغر وخبره مع
فاطمة

(١) فى الأغانى : « لَيْلَا » مَكَان « نَحْوَى » .
(٢) الْأَرَطَى : شَجَرٌ يَنْبِتُ بِالرَّمْلِ ، عَصِيًّا مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ ، وَيَطُولُ قَدْرُ قَامَةٍ .
(٣) تَرُوحُ . مِنَ الرُّوَّاحِ . وَهُوَ مَعَ الْعَشَى . وَتَرُودُ : تَسْعَى طَالِبَةً بَاحِثَةً . وَكَأَنَّهُ جَعَلَهُ فِى مُقَابِلِ الرُّوَّاحِ
نَهَاراً . أَيْ لَا يَعْنِيْنِ أَنْفُسُهُنَّ مَعَ الْإِمْسَاءِ وَالْإِصْبَاحِ .
(٤) رُودَا : عَلَى مَهَلٍ . وَفِى الْأَغَانِى : « وَهَذَا » أَيْ كَثِيرَاتِ لَحْمِ الْفَخْزِذِينَ .
(٥) الْأَشْرُ : تَحْزُزُ فِى الْأَسْنَانِ .

وخبره معها: أنه كانت فاطمة هذه لها وليدة يقال لها: بنت عجلان . وكان لها قصر بكاظمة وعليه حرس . وكان الحرس كُلَّ ليلة ينثرون التراب حول القصر الذى فيه فاطمة ويَجْرُونَ عليه ثوباً حتى يستوى، فلا يدخل عليها إلا ابنة عجلان . فإذا كان الغد بعث الملك بالقافة فينظرون أثر من دخل عليها ويعودون فيقولون : لم نر إلى ابنة عجلان .

وكان لبنت عجلان كلَّ عُشية رجل ممن يُعجبها يبيت معها . وكان مرقش ترعية^(١) لا يفارق إبله . فأقام يوماً، وترك إبله ظمأى . وكان من أجمل الناس وجهاً وأحسنهم شعراً . وكانت فاطمة بنت المنذر تقعد فوق القصر تنظر إلى الناس . فجاء مرقش فبات عند ابنة العجلان ، حتى إذا كان الغد تجردت عند مولاتها ، فقالت : ما هذا بفخذيك ؟ فإذا نُكَّتْ كأنها آثار السَّياط من شدة حفزه إياها عند الجماع . فقالت : آثار رجل بات معى الليلة . وكانت فاطمة قالت لها : قد رأيت رجلاً جميلاً راح نحونا العشية لم أره قبل ذلك . قالت : فإنه فتى قعد عن إبله وكان يرهاها ، وهو الفتى الجميل الذى رأيته ، وهو الذى بات معى الليلة فأثر فى هذه الآثار . فقالت لها فاطمة : إذا كان غدٌ وأتاك قعدى له جِجراً ومُريه أن يجلس عليه وأعطيه سواكاً ، فإن استاك به أو ردّه فلا خير عنده ، وإن قعد على المِجمر أو ردّه فلا خير عنده . فأتته بالمِجمر فقالت : أجلس عليه . فأبى وقال : أدنيه منى ، فدخلن حितيه وجُمته وأبى أن يقعد عليه ، وأخذ السواك فقطع رأسه وأستاك به . فأتت ابنة عجلان فاطمة بنت الملك فأخبرتها بما صنع . فزادت به عجباً وقالت : أئتنى به . فتعلقت به كما كانت تتعلق . فمضى معها وحملته على ظهرها، وحزمت على بطنها بثوب وأدخلته^(٢) إليها . فبات معها . فلما أصبح الملك بعث

(١) الترعية ، مثلثة التاء : الذى يحسن رعية الإبل .

(٢) الرواية فى الأغاني : « حملت بنت عجلان مرقشاً على ظهرها وحزمته إلى بطنها بثوب » .

بالقافة فنظروا ، ثم عادوا إليه فقالوا : رأينا آثار أبنة العجلان وهى مُثقلة . فمكث
 كذلك حيناً يدخل إليها . وكان عمرو بن جناب بن عوف بن مالك يرى ما يفعل
 ولا يعرف مذهبَه . فقال له : ألم تكن عاهدتني عهداً ألا تكتمنى شيئاً
 ولا أكتُمك ولا تتكاذب ؟ فأخبره مرقش الخبر . فقال له : لا أرضى عنك
 ولا أكلك أبداً أو تُدخلى عليها ، وحلف على ذلك . فأنطلق مرقش إلى المسكان
 الذى كان يواعد فيه أبنة عجلان ، فأجلسه فيه وأنصرف ، وأخبره كيف يصنع .
 وكانا مُتشابهين ، غير أن عمرأ كان أشعر . فأتته أبنة عجلان فأحتملته وأدخلته
 إليها . وصنع ما أمره به مرقش . فلما أراد مُباشرتها وجدت مسّ شعر فخذه
 واستنكرته ، فإذا هو يُرعد . فدفعت صدره وقالت : قبَحَ الله سرّاً عند المعيدى !
 ودعت بنت عجلان ، فذهبت به . فلما رأى صاحبه أنه قد أسرع الكثرة
 ولم يلبث إلا قليلاً ، علم أنه قد أفتضح . فعضّ على إصبعه فقطعها . ثم أنطلق
 إلى أهله وترك إبله التى كان مُقيماً فيها ، حياءً مما صنع ، وقال فى ذلك قصيدة أولها :
 ألا ياسلمى لا صُرْم لي اليومَ فاطماً ولا أبداً ما دام وصلاكِ دائماً
 ومنها :

صحا قلبه عنها على أن ذكره إذا خَطرَ دارت به الأرض قائماً
 ومنها :

وإني لأستحي فُطيمةَ جائعاً خَفيصاً وأستحي فُطيمةَ طامعاً
 وإني وإن كَلَّتْ قَلْوُصى لراجمٌ بها وبنفسى يا فُطيم المَراجِمَ
 ومنها :

أفَاطمَ لو أنَّ النِّساءَ يبلدةٍ وأنتِ بأخرى لا بتغيتك هائمِ
 متى يشأ ذو الودِّ يَصْرِمَ خليله ويغضبُ عليه لا محالة ظالمِ

فمن يلق خيراً يحمد الناسُ أمره ومن يَغول لا يَعْدَم على الغيِّ لَأَمَّا
 وآلى جَنَابُ حِلْفَةٍ فَأَطَعْتُهُ فَنَفْسَكَ وَلَى اللّٰوَمَ إِنْ كُنْتَ ^(١) نَادِمَا
 أَلَمْ تَرَأْ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْذَمُ كَنَّهُ وَيَجْشَمُ مِنْ لَوَمِ الصَّدِيقِ ^(٢) الْمَجَاشِمَا
 أَمِنْ حُلْمٍ أَصْبَحَتْ تَنَكَّتْ ^(٣) وَاجِمَا وَقَدْ تَعَتَرَى الْأَحْلَامُ مَنْ كَانَ نَائِمَا
 ثم ذكر أبو الفرج وقعة «دُولَاب» لتعلقها بشعر فيه الغناء، فذكرها مُختصرة .

(١) في بعض أصول الأغاني: « لَأَمَّا » .

(٢) يجذم : يقطع . ويجشم : يركب المكروه .

(٣) الواجم : الحزين المغتم ، وهو كثيراً ما ينكت الأرض ويخطط فيها بعود .

وقعة دواب

الخوارج

لما حَكَّم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه ، ومعاوية بن أبي سفيان الحكمين : أبا موسى الأشعريّ وعمرو بن العاص ، فارق عليّاً رضى الله عنه جماعة من أصحابه وأكفروه بسبب التّحكيم ، وقالوا : إنه حكم الرجال في دين الله ، ولا حكم إلا الله عزّ وجلّ . فدعاهم ووعدهم ووعدهم وأقام عليهم الحجة . فأصروا على ضلّالهم وعنادهم . إلا فرقة عرفت الحق ورجعت إليه . ثم قاتل عليّ رضى الله عنه من أصرّ على الخروج عليه بالنّهر وان فآبادهم . وهذه الفرقة هى المارقة الذين أخبر عنهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنهم يَمُرّقون من الدّين كما يَمُرّق السهم من الرّمية . ومذّهبهم تولّى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما خاصّة ، والتّبرى من عثمان وعليّ ، وطلحة ، والزّبير ، وعائشة ، ومعاوية ، وأهل الشام والعراق ، وكل من لم يَقلّ بقولهم . ويكفّرون أهل دار الإسلام ، ويستبيحون الدماء والأموال . وكانوا مع ذلك يُظهرون التّعبد والتّقشّف . وممّوا أنفسهم الشّراة ظناً منهم أنهم قد شرّوا أنفسهم لله وبذلوها فى اتّباع مرّضاته . ومن هؤلاء القوم : عبدُ الرحمن بن ملجم ، قاتل عليّ رضى الله عنه .

نافع بن الأزرق
والحرب بينه وبين
أهل البصرة

ولما أفضت الخلافة إلى معاوية صار يخرج عليه منهم الطائفة بعد الطائفة . وظهر فيهم بعد موت معاوية وأبنة يزيد ، رجل يُقال له : نافع بن الأزرق ، فأحدث فيهم مقالة لم تكن قبل ذلك ، وأباح قتل أطفال المخالفين ، واحتجّ بقوله تعالى : (وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِراً كَفَّاراً) . وأتبعته طائفة منهم يقال لهم الأزارقة ، نسبةً إليه . وخالفه فى ذلك سائر الخوارج وتفرّقوا فرقاً كثيرة ، تُذكر فى كُتب المقالات .

وكان أهل العراق لما مات يزيد بن معاوية قد أمروا على أنفسهم عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب المعروف ببَيَّنة^(١). فقصد نافع بن الأزرق ومن معه من الخوارج العراق وبذلوا السيف وقتلوا الرجال والنساء والولدان . وكانوا كلما وطئوا بلداً فعلوا به هذا، فإن أجابهم أهل ذلك البلد إلى الدخول في ملتهم رفعوا السيف عنهم ووضعوا عليهم الجباية . فأشدت شوكتهم ، وعظم أمرهم . فخرّض الأحنف بن قيس الناس بالبصرة على حربهم ، وطلب منه عبد الله بن الحارث أن يؤمّر أميراً ينهر الناس على فعلهم . فأمر مسلم بن عيسى بن كرز بن ربيعة ، وأجتمع إليه عشرة آلاف ، وكان فارساً شجاعاً ديناً . فلما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس وقال: إني ما خرجت لامتياز ذهب ولا فضة، وإني لأحارب قوماً إن ظفرت بهم فما وراءهم إلا سيوفهم أو رماحهم ، فمن كانت نيته الجهاد فلينهب ، ومن أحب الحياة فليرجع . فرجع نفر يسير ومضى الباقون معه . وذلك في سنة خمس وستين . فلما صاروا بدولاب ، وهي قرية من قرى الأهواز بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ ، خرج إليهم نافع ، فأقتتلوا قتالاً شديداً حتى تكسرت الرماح ، وعُقرت الخيل ، وكثرت الجراح والقتلى ، وتضاربوا بالسيوف والعمد . فقتل في المعركة ابن عيسى أمير جيش البصرة ، ونافع بن الأزرق أمير الخوارج . وكانت الخوارج يومئذ نحو ستمائة رجل . فقام بأهل البصرة الربيع بن عمرو الغداني ، وقام بأمر الخوارج عبد الله بن بشر بن الماحوز — وكان الربيع يقال له: الأجدم ، لأن يده كانت أصيبت بكابل مع عبد الرحمن بن سمرّة — فبقيت الحرب بينهم نيفاً وعشرين يوماً ، فأصبح الربيع بن عمرو ذات يوم فقال لأصحابه: إني مقتول لا محالة . قالوا : وكيف ؟ قال: إني رأيت البارحة كأن يدي التي أصيبت بكابل انحطت من السماء ، فاستشلتني^(٢) . فلما كان من الغد قاتل إلى الليل ، ثم غاداهم

(١) لقب به لكثرة لحمه في صفه .

(٢) استشلتني : استبقلتني .

الْقِتَالِ . فَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ . قَامَ بِأَمْرِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ الْحِجَّاجُ بْنُ بَابِ الْحَمِيرِيِّ . وَقَدْ أَقْتَتَلَ
النَّاسُ يَوْمَئِذٍ وَقَبْلَهُ بَيُومِينَ قِتَالًا شَدِيدًا ، لَمْ يَقْتَتِلُوا مِثْلَهُ ، تَطَاعَنُوا بِالرِّمَاحِ حَتَّى
تَقْصَفَتْ ، ثُمَّ تَضَارَبُوا بِالسُّيُوفِ وَالْعَمَدِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ قُوَّةٌ ، وَحَتَّى كَانَ
الرَّجُلُ يَضْرِبُ الرَّجُلَ فَلَا يُغْنِي شَيْئًا مِنَ الْإِعْيَاءِ ، وَحَتَّى كَانُوا يَتَرَامُونَ بِالْحِجَارَةِ
وَيَتَكَادَمُونَ ^(١) بِالْأَفْوَاهِ . وَقَاتَلَ الْحِجَّاجُ بْنُ بَابِ قِتَالًا شَدِيدًا . ثُمَّ اخْتَلَفَ هُوَ
وَعِمْرَانُ بْنُ الْحَارِثِ الرَّاسِبِيُّ بَضْرَ بَتَيْنِ ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَتَلَ صَاحِبَهُ . ثُمَّ تَحَاجَزُوا ،
وَأَصْبَحَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ وَقَدْ هَرَبَ عَامَّتُهُمْ . وَقَامَ بِأَمْرِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ حَارِثَةُ بْنُ بَدْرِ الْغَدَانِيِّ .
وَجَاءَ لِلخَوَارِجِ مَدَدٌ مِنَ الْيَمَامَةِ فَقَوُّوا بِهِ ، وَأَنْهَزَمَ حَارِثَةُ بِمَنْ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ .
وَتَبِعَتْهُمْ الْخَوَارِجُ ، فَأَلْقَى أَهْلُ الْبَصْرَةِ أَنْفُسَهُمْ فِي دُجَيْلٍ ، فَغَرَّقَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ ،
وَسَامَتْ بَقِيَّتُهُمْ . فَنَفَى ذَلِكَ يَقُولُ قَطْرِيُّ بْنُ الْفُجَاءَةِ الْمَازِنِيُّ مِنَ الْخَوَارِجِ - وَقِيلَ :
قَائِلُهُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَبْسِيُّ . وَقِيلَ : عَمْرُو الْقَنَا . وَقِيلَ : حَبِيبُ بْنُ سَهْمٍ - وَهُوَ
الشَّعْرُ الَّذِي فِيهِ الْغَنَاءُ وَأُفْتِنِحَ بِهِ أَبُو الْفَرَجِ خَبَرُ وَقْعَةِ دَوْلَابٍ ، وَهُوَ :

لَعَمْرُكَ إِنِّي فِي الْحَيَاةِ لَزَاهِدٌ	وَفِي الْعَيْشِ مَا لَمْ أَلْقُ أُمَّ حَكِيمٍ
مِنَ الْخَفَرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ أَرِ مِثْلَهَا	شِفَاءً لِدَى بَثٍّ وَلَا لِسَقِيمٍ
لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أَضْرِبَ وَجْهَهَا	عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ غَيْرُ حَلِيمٍ
فَلَوْ شِئْتُ يَوْمَ دَوْلَابٍ أَبْصَرْتُ	طِعَانَ قَتَى فِي الْحَرْبِ غَيْرَ ^(٢) ذَمِيمٍ
غَدَاةً طَفَتْ عُلَمَاءُ ^(٣) بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ	وَأُلَافَهَا مِنْ خَيْرٍ ^(٤) وَسَلِيمٍ
وَمَالَ الْحِجَازِيِّْنَ نَحْوَ بِلَادِهِمْ	وَمُجَنَّا صُدُورَ الْخَيْلِ نَحْوَ تَمِيمٍ
وَكَانَ لَعَبْدِ الْقَيْسِ أَوَّلُ جَدِّهَا	وَوَلَّتْ شَيْوُخُ الْأَرْدَنِ هَيَّ ^(٥) تَعِيمٍ

(١) يتكادمون : يتعاضون .

(٢) فِي الْأَغَانِي : « لَيْمٍ » .

(٣) يَرِيدُ : عَلَى الْمَاءِ .

(٤) هُوَ سَلِيمُ بْنُ مَنْصُورٍ بَنُ عَكْرَمَةَ ، بِالتَّصْغِيرِ ، وَكَبَرُ الْوِزْنِ .

(٥) فِي الْبَيْتِ إِقْوَاءُ .

ولم أريوماً كان أكثر مُقَصَّصاً يَمِجُّ دَمًا من فائِظٍ ^(١) وكَلِيمٍ
وضارِبَةً خَدًّا كريماً على قَيِّ أغرَّ نَجِيبِ الأُمّهات كَرِيمٍ
فلو شَهِدْتُنَا يومَ ذاكِ وخيلُنَا تُبَيِّحُ من الكُفَّارِ كُلَّ ^(٢) هَزِيمٍ
رأتِ فِتْيَةً باعُوا الإلهَ نفوسَهُم بجناتِ عَدْنٍ عنده ونَعِيمٍ

وذكر أن أم حكيم التي عنها الشاعر كانت امرأة من الخوارج مع قطري بن شيء عن أم حكيم
الغُجاءة، وكانت من أشجع الناس وأجملهم وجهاً. فخطبها جماعة منهم فردتهم ولم
تُجِبْهم إلى ذلك. فأخبر من شهدها أنها كانت تحمل على الناس وترتجز:
أحمل رأساً قد سُمْتُ حَمَلَهُ وقد ملأت دهنه وغسله
ألا فَيَّ يَحْمِلُ عني ثِقَلَهُ

قال :

وهم يُقَدُّونها بالآباء والأُمّهات . فما رأيت قبلها ولا بعدها مثلاً .

* * *

ثم ذكر أبو الفرج عبد الله بن هارون العروضي . ولم يذكر له أخباراً . وشعره كلمة عن العروضي
الذي فيه الغناء .

يأيها الرجلُ الذي قد زان منطقَه البيانُ
لا تَعْتَبَنَّ على الزَّمانِ ن فليس يُعْتَبِكَ الزَّمانُ

ثم ذكر أبو الفرج جماعة من المغنين وهم : سِياط ، ونُبييه ، وسُليم ، وأبن عبَّاد
ويحيى المَكِّي . ولم أجد لهم شيئاً يُنْتَفَعُ بِذِكْرِهِ ، إذ كان كل ما ذُكِرَ فيما يتعلَّق
بأصوات الغناء والنغم والصناعة . وهذا الكتاب فقد شُرِطَ فيه التَّجْريدُ من
ذلك كُلِّهِ .

(١) المقصص : الذي طعن بالرمح فثات مكانه . والفائظ : الميت . والكليم : الجريح .

(٢) في الأغاني : « حريم » مكان « هزيم » .

أخبار النميري

هو محمد بن عبد الله بن نمير بن خرشة بن ربيعة بن حبيب بن الحارث بن مالك بن حطيظ بن جشم بن قسي، وهو ثقيف . شاعرٌ غزل . مولده ومنشؤه بالطائف . من شعراء الدولة الأموية . وكان يهوى زينب بنت يوسف ، أخت الحجاج بن يوسف ، أمير العراقيين ، لأبيه وأمه . وله فيها أشعارٌ كثيرة ينسب فيهاها . وأم زينب والحجاج الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي . وكانت عند المغيرة بن شعبه ، فرآها المغيرة يوماً بكراً وهي تتخلل ، فقال : والله لئن كان من غداء لقد أجشعت ! ^(١) وإن كان من عشاء لقد أنتنت ! ولفظها وطلقها . فقالت : أبعدك الله ! فبئس بعل الحرة أنت ! والله ما هو إلا من شظية مسواك استمسكت بين أسناني .

تسببه ومنشؤه وهواه
بزينب

شيء عن الفارعة
أم زينب

وحكى مسلم بن جندب قال : إني لمع محمد بن عبد الله بن نمير بنعمان ، ^(٢) وغلّام يشتدّ خلفه يشتمه أقبح الشتمية . فقلت : من هذا ؟ فقال : هذا الحجاج بن يوسف ، دعه فإني ذكرت أخته في شعري فأحفظه ذلك .

هوقع الحجاج
فيه وهو غلام
لذكره أخته

وحكى أنه ولدت الفارعة أم الحجاج من المغيرة بن شعبه بنتاً ، فماتت . فنزع الحجاج عروة بن المغيرة في ميراثها ، فأغلظ الحجاج لعروة ، فأمر به عبید الله ابن زياد فضرب أسواطاً على رأسه وقال : الأبي عبد الله تقول هذه المقالة ! وكان الحجاج حاقداً على آل زياد وينفيهم عن آل أبي سفيان .

الحجاج في ميراث
الأخته مع عروة
عند ابن زياد

(١) المسموع فيه : جشع ، من باب فرح .

(٢) هو نعمان الأراك : واد بينه وبين مكة نصف ليلة .

وذكر أن الفارعة أم الحجاج كانت نذرت لئن عُوفى يوسف أبو الحجاج ،
وكان أعتلّ فطالت علته ، أن تمشى إلى الكعبة معه . فعُوفى ، فخرجت في نسوة
فقطعن بطن وجّ^(١) — وهو ثلثمائة ذراع — في يوم جعلته مرحلة ، لثقل بدنها ، ولم
تقطع ما بين مكة والطائف إلا في شهر . فبينما هي تسير إذ لقيها إبراهيم بن عبد الله
النُميرى ، أخو محمد بن عبد الله ، مُصرفاً من العمرة ، فلما قدم الطائف أتى محمداً
يُسلم عليه ، فقال : ألك علم بزَيْنَب ؟ قال : نعم ، لقيتها بالهماء^(٢) في بطن نَعْمَان .
فقال : ما أحسبك إلا وقد قلت شيئاً ؟ قال : نعم ، قلت بيتاً واحداً وتناسيته
كراهة أن ينشَب بيننا وبين إخوتنا شرّاً . فقال محمد هذه القصيدة ، وهي أول
ما قاله :

تَصَوَّعَ مِسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ	به زَيْنَبُ فِي نِسْوةٍ عَطِرَاتِ
فَأَصْبَحَ مَا بَيْنَ الْهَمَاءِ ^(٣) وَجَذوةٍ	إِلَى الْمَاءِ مَاءِ الْجَزْعِ ^(٤) ذِي الْعُشْرَاتِ
لَهُ أَرْجٌ مِنْ مِجْمَرِ الْهِنْدِ سَاطِعُ	تَطْلُعُ رِيَّاهُ مِنَ الْكَفِرَاتِ ^(٥)
تَهَادَيْنِ مَا بَيْنَ الْمُحْصَبِ ^(٦) مِنْ مَنَى	وَأَقْبَلْنَ لَا شُعْثًا وَلَا غَابِرَاتِ
أَعَانَ الذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ ^(٧) بَيْتَهُ	مَوَاشِيَ بِالْبَطْحَاءِ ^(٨) مُؤْتَجِرَاتِ
مَرَرْنَ بِفَخٍّ ثُمَّ رُحْنَ عَشِيَةً	يُلبِئْنَ لِلرَّحْمَنِ مُعْتَمِرَاتِ
يُحْمَرْنَ ^(٩) أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى	وَيَخْرُجْنَ جُنْحَ اللَّيْلِ ^(١٠) مُعْتَجِرَاتِ

(١) واد بالطائف . وقد ساق أبو الفرج الحديث وجعل التي نذرت زَيْنَب . وعلى رواية ابن واصل
فكان زَيْنَب في ركب أمها .

(٢) الهاء : موضع بنعمان .

(٣) وفي رواية : « فحزوة » . وليس في معجم البلدان مكان هذا الاسم أو ذاك . وفي رواية أخرى :
« فصاعداً » .

(٤) العشرات : من كبار الشجر ، جمع عشر . (٥) السكفرات : الجبال العظيمة .

(٦) المحصب : موضع قريب من منى ، بينه وبين مكة .

(٧) في الأغاني : « عرشه » مكان « بيته » .

(٨) مؤتجرات : طالبات للأجر . وفي رواية : « معتجرات ، أي لابسات المعاجر ، وهي

أثواب تلفها النساء على رؤوسهن .

(٩) في الأغاني : « يخجن » .

(١٠) الرواية في الأغاني : ويقتلن بالألحاظ مقتدرات .

تَقَسَّمَنَّ لُبِّي يَوْمَ نَعْمَانَ إِنَّنِّي رَأَيْتُ فَوَادِي عَارِمَ (١) النَّظَرَاتِ
 جَلَوْنَ وَجُوهًا لَمْ تَلُحْهَا سَمَاءٌ حَرُورٌ وَلَمْ يُسَفِّعَنَّ (٢) بِالسَّيَرَاتِ
 فَقُلْتُ يَعَافِيرُ الطُّبَّاءِ تَنَاوَلْتُ نِيَاعَ (٣) غُصُونِ الْمَرْدِ مُهْتَصِرَاتِ
 وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النُّمَيْرِيِّ رَاعَهَا وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ
 فَأَدْنَيْنِ حَتَّى جَاوَزَ الرِّكْبُ دُونَهَا حِجَابًا مِنَ الْقَسَى (٤) وَالْحَبَرَاتِ
 فَكِدْتُ أُسْتِيَاقًا نَحْوَهَا وَصَبَابَةً أَقْطَعُ (٥) نَفْسِي إِثْرَهَا حَسَرَاتِ
 فَرَاغْتُ نَفْسِي وَالْحَفِظَةَ بَعْدَهَا بَلَلْتُ رِداءَ الْعَصَبِ (٦) بِالْعَبَرَاتِ

وذكر أن هذه القصيدة بلغت عبد الملك بن مروان ، فكتب إلى الحجاج
 ابن يوسف :

هو وعبد الملك
 والحجاج في هذه
 القصيدة

قد بلغني قول الخبيث في زينب ، فآله عنه وأعرض عن ذكره ، فإنك إن
 أدنيتَه أو عاتبته أطمعته ، وإن عاقبته صدقته .

وذكر أن النُمَيْرِي هَرَبَ مِنَ الْحِجَّاجِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَأَسْتَجَارَ بِهِ .
 فقال له عبد الملك : أنشدني ما قلت في زينب . فأنشده . فلما أنهى
 إلى قوله :

ولمَّا رَأَتْ رَكْبَ النُّمَيْرِيِّ أَعْرَضَتْ وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ
 فقال له عبد الملك : ما كان ركبك يا نُمَيْرِي ! قال : أربعة أحمره لى كنتُ
 أجلبُ عليها القَطْرَانَ ، وثلاثة أحمره صُحْبَتِي تَحْمِلُ الْبَعْرَ . فضحك عبدُ الملكِ حتَّى
 أَسْتَغْرَبَ ضَحْكَهُ ، ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ عَظُمَ أَمْرُكَ وَأَمْرُ رَكْبِكَ ! وكتب إلى الحجاج :

(١) عارم : شارد .

(٢) السبرات : جمع سبرة ، وهى شدة البرد .

(٣) النباع : المتأيلة . والمرد : ناضج الأراك .

(٤) القسى : ثياب منسوبة إلى « قس » بلدة كانت بين العريش والفرما .

(٥) فى رواية : « تقطع » .

(٦) العصب : ضرب من البرود .

لا سبيلَ لك عليه . فلمّا أتاه الكتابُ وضعه ولم يقرأه . ثم أقبل على يزيد بن أبي
مُسلم فقال له : أنا برىء من يبيعة أمير المؤمنين ، لئن لم يُنشدني ما قال في زينب
لأتين على نفسه ، ولئن أنشدني لأغفون عنه ، وهو إذا أنشدني آمن . فقال له يزيد :
ويلك ! أنشده . فأنشده قوله :

تَضَوَّعَ مَسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانٍ أَنْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةِ عَطِرَاتٍ
فَقَالَ لَهُ : كَذَبْتَ وَاللَّهِ ! مَا كَانَتْ تَعَطَّرُ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ مَنْزِلِهَا . ثم أنشده
حتى بلغ إلى قوله :

وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ التَّمِيرِ أَعْرَضَتْ وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتٍ
فَقَالَ : يَحِقُّ لَهَا أَنْ تَرْتَاعَ لِإِنِّهَا مِنْ نِسْوَةِ خَفِرَاتٍ صَالِحَاتٍ . ثم أنشده حتى
بلغ إلى قوله :

مَرَرْنَ بِفَخٍّ رَائِحَاتٍ عَشِيَّةً يُلْبِئِينَ لِلرَّحْمَنِ مُعْتَمِرَاتٍ
فَقَالَ : صَدَقْتَ ! لَقَدْ كَانَتْ حِجَابَةَ صَوَامَةٍ مَا عَلِمْتُهَا . ثم أنشده حتى بلغ
إلى قوله :

يَخْمَرْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى وَيَخْرُجْنَ جُنْحَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتٍ
فَقَالَ لَهُ : صَدَقْتَ ! هَكَذَا تَفْعَلُ الْمَرْأَةُ الْحُرَّةُ الْمُسْلِمَةُ . ثم قال له : ويحك ! إني
أرى أرتياعك أرتياع مريب ، وقولك قول برىء ، وقد أمّنتك . ولم يعرض له .

وبما قاله النميري في زينب أخت الحجاج :

طَرِبْتُ وَشَاقَتْكَ الْمَنَازِلُ مِنْ^(١) جَفْنٍ أَلَا رُبَّمَا يَعْتَادُكَ الشَّوْقُ بِالْحَزَنِ
نَظَرْتُ إِلَى أَطْعَامِ زَيْنَبَ بِاللَّوَى فَأَعُولُهَا^(٢) لَوْ كَانَ إِعْوَالُهَا يُغْنِي
فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَاكَ زَيْنَبُ مَا دَعَتْ مُطَوَّقَةً وَرَقَاءَ شَجَوًّا عَلَى غُصْنٍ

من شعره في زينب

(١) جفن : واد بانطائف لثقيف

(٢) الإعوال : رفع الصوت بالبكاء .

وَإِنْ أَحْتَمَلِ الْحَيَّ يَوْمَ تَحَمَّلُوا عَنْكَ وَهَلْ يَعْنِيكَ إِلَّا الَّذِي يَعْنَى
وَمُرْسِلَةً فِي السَّرِّ أَنْ قَدْ فَضَحْتَنِي وَصَرَّحْتَ بِأَسْمَى فِي النَّسِيبِ فَمَا تَكْنَى
وَأَشْمَتَ بَنِي أَهْلِي وَجُلَّ عَشِيرَتِي لِيَهْنُوكَ مَا تَهَوَّاهُ إِنْ كَانَ ذَا يَهْنَى
وَقَدْ لَامَنِي فِيهَا ابْنُ عُمَى نَاصِحًا فَقُلْتُ لَهُ خُذْ لِي فَوَادَى أَوْ دَعْنَى
وَيَقَالُ : إِنَّهُ بَلَغَ زَيْنَبَ قَوْلُهُ هَذَا ، فَبَكَتْ . فَقَالَتْ لَهَا خَادِمَتَاهَا : مَا يُبْكِيكَ ؟
فَقَالَتْ : أَخْشَى أَنْ يَسْمَعَ بِقَوْلِهِ هَذَا جَاهِلٌ لَا يَعْرِفُنِي وَلَا يَعْلَمُ مَذْهَبِي
فِيظُنُّهُ حَقًّا .

وَمَا قَالَ فِيهَا أَيْضًا ، وَهُوَ الشَّعْرُ الَّذِي فِيهِ الْغَنَاءُ وَأُفْتَتِحَ بِهِ أَبُو الْفَرَجِ
أَخْبَارَ النَّمِيرَى :

أَهَاجَتِكَ الظَّعَائِنُ يَوْمَ بَانُوا بَذَى الزَّيِّ الْجَمِيلِ مِنَ الْأَثَاثِ
ظُعَائِنُ أُسْلَكْتَ نَقَبٌ ^(١) الْمُنَقَّى تُحْتُ إِذَا وَنْتُ أَىَّ أُحْتَثَاثِ
تُؤَمِّلُ أَنْ تُلَاقِيَ أَهْلَ بُصْرَى فَيَا لَكَ مِنْ لِقَاءِ ^(٢) مُسْتَرَاثِ
كَأَنَّ عَلَى الْخَدَائِجِ يَوْمَ بَانُوا نِعَاجًا تَرْتَعَى بَقْلَ ^(٣) الْبِرَاثِ
يُهَيِّجُنِي الْجَمَامُ إِذَا تَدَاعَى كَمَا سَجَعَ النَّوَاحِ فِي ^(٤) الْمَرَاثِ
كَأَنَّ عُيُونَهُنَّ مِنَ التَّبَكُّى فَصُوصُ الْجَزَعِ أَوْيُنَعُ ^(٥) الْكَبَاثِ
أَلَا قِ أَنْتِ فِي الْحِجَجِ الْبَسَاقِ كَمَا لَا قِيَتَ فِي الْحِجَجِ الثَّلَاثِ

وَذُكِرَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ لَمَّا بَعَثَ الْحِجَاجَ بْنَ يَوْسُفَ إِلَى حَرْبِ عَبْدِ اللَّهِ

مَا أَخَذَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ
عَلَى الْحِجَاجِ بِشَأْنِهِ
حِينَ يَعْثُو لِحَرْبِ
ابْنِ الزَّيْبِرِ

(١) نقب المنق : بين مكة والطائف .

(٢) مستراث : بطيء .

(٣) الخدائج : من مراكب النساء ، مثل الهودج . والنعاج : البقر الوحشى . والبراث : الأماكن السهلة .

(٤) في الأغاني : « بالمرأى » .

(٥) الجزع : الخرز فيه سواد وبياض . وينع : جمع يانع . والكبات : النضيج من ثمر الأراك .

أَبْنُ الزُّبَيْرِ قَامَ إِلَيْهِ يُوسُفُ بْنُ الْحَكَمِ أَبُو الْحِجَّاجِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ غُلَامًا مَنَّا قَالَ فِي أَبْنَتِي زَيْنَبَ مَا لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَقُولُ مِثْلَهُ فِي ابْنَةِ عَمِّهِ ، وَإِنْ هَذَا — يَعْنِي الْحِجَّاجَ — لَمْ يَزَلْ يَتَتَوَقَّعُ إِلَيْهِ وَيَهْمُ بِهِ ، وَأَنْتَ الْآنَ تَبْعُهُ إِلَى مَا هُنَاكَ ، وَمَا أَمْنُهُ عَلَيْهِ . فَدَعَا عَبْدُ الْمَلِكِ الْحِجَّاجَ فَقَالَ لَهُ : إِنْ مُحَمَّدًا النَّمِيرَى جَارِي وَلَا سُلْطَانَ لَكَ عَلَيْهِ ، فَلَا تَعْرِضْ لَهُ .

وَدُّ كَرَأْنَ الْحِجَّاجَ كَانَ يَتَهَدَّدُ النَّمِيرَى وَيَقُولُ : لَوْلَا أَنْ يَقُولَ قَاتِلُ : صَدَقَ ،
تَهْدِيدُ الْحِجَّاجِ لَهُ وَهَرَبُهُ وَشَعْرُهُ فِي ذَلِكَ لَقَطَعْتَ لِسَانَهُ . فَهَرَبَ إِلَى الْيَمَنِ ثُمَّ رَكِبَ بَحْرَ عَدَنَ ، وَقَالَ فِي هَرَبِهِ :

أَنْتَنِي عَنْ الْحِجَّاجِ وَالْبَحْرُ بَيْنَنَا عَقَابُ تَسْرِي وَالْعُيُونُ هَوَاجُ
فَضِيقْتُ بِهَا ذَرْعًا وَأَجْهَشْتُ خَيْفَةً وَلَمْ أَمِنْ الْحِجَّاجَ وَالْأَمْرُ فَاطِعُ
فَبِتُّ أُدِيرُ الْأَمْرَ وَالرَّأْيَ لَيْلِي وَقَدْ أَخْضَلْتُ خَدِّي الدَّمُوعُ التَّوَابِعُ
فَلَمْ أَرْخِيراً لِي مِنَ الصَّبْرِ إِنَّهُ أَعْفُ وَخَيْرُ إِذْ عَرَفْتِي الْفَوَاجِعُ
وَمَا أَمِنْتُ نَفْسِي الَّذِي خَفْتُ شَرَّهُ وَلَا طَابَ لِي مِمَّا خَشِيتُ الْمَضَاجِعُ
إِلَى أَنْ بَدَأَ لِي رَأْسُ إِسْبِيلَ ^(١) طَالَعًا وَإِسْبِيلُ حَصْنٌ لَمْ تَنْلَهُ إِلَّا صَابِعُ
فَفِي الْأَرْضِ ذَاتِ الْعَرَضِ عَنْكَ أَبْنُ يُوسُفَ إِذَا شِئْتُ مَنَائِي لَا أَبَا لَكَ وَاسِعُ
فَإِنْ نَلْتَنِي حِجَّاجُ فَأَشْتَفِ جَاهِدًا فَإِنَّ الَّذِي لَا يَحْفَظُ اللَّهَ ضَائِعُ
فَطَلَبَهُ الْحِجَّاجُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، وَطَالَ عَلَى النَّمِيرَى مَقَامَهُ هَارِبًا ، وَأَشْتَقَ إِلَى وَطَنِهِ ، فَجَاءَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَأْسِ الْحِجَّاجِ . فَقَالَ لَهُ : يَا نُمِيرَى ! أَلَسْتُ الْقَاتِلَ :

* فَإِنْ نَلْتَنِي حِجَّاجُ فَأَشْتَفِ جَاهِدًا *

فَقَالَ : بَلِ أَنَا الَّذِي أَقُولُ :

أَخَافُ مِنَ الْحِجَّاجِ مَا لَسْتُ خَائِفًا مِنَ الْأَسَدِ الْعَرِيبِ بَاضِ ^(٢) لَمْ يَتْنَهُ دُعُ

(١) إِسْبِيلُ : جَبَلٌ فِي مَخْلَافِ ذِمَارِ .

(٢) الْعَرِيبُ بَاضٌ : الْعَظِيمُ .

أَخَافُ يَدَيْهِ أَنْ تَمْلَأَ مَقَاتِلِي بِأَبْيَضَ عَضْبٍ لَيْسَ مِنْ دُونِهِ سِتْرُ
وَأَنَا الَّذِي أَقُولُ :

فَهَذَا طَوَّفْتُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَأَبْتُ وَقَدْ دَوَّخْتُ ^(١) كُلَّ مَكَانٍ
فَلَوْ كَانَتِ الْعَنْقَاءُ يَوْمًا تَطِيرُ لَخِلْتُكَ إِلَّا أَنْ تَصُدَّ تَرَانِي
فَتَبَسَّمَ الْحَجَّاجُ وَأَمَّنَّهُ وَقَالَ لَهُ : لَا تُعَاوِدْ مَا تَعْلَمُ . وَخَلَّى سَبِيلَهُ .

وَذَكَرَ أَنَّ الْحَجَّاجَ عَرَضَ عَلَى زَيْنَبَ أُخْتِهِ أَنْ يُزَوِّجَهَا مُحَمَّدَ بْنَ الْقَاسِمِ بْنِ
مُحَمَّدَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ ، وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَهُوَ يَوْمئِذٍ أَشْرَفُ
ثَقَفِي فِي زَمَانِهِ ؛ أَوْ الْحَكَمِ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ ، وَهُوَ شَيْخٌ .
فَأَخْتَارَتِ الْحَكَمَ . فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ . فَلَمَّا وَلَّى الْحَجَّاجَ الْعِرَاقَ أَسْتَعْمَلَ الْحَكَمَ زَوْجَ
أُخْتِهِ زَيْنَبَ عَلَى الْبَصْرَةِ . فَلَمَّا خَرَجَ عَلَى الْحَجَّاجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ الْأَشْعَثِ
وَجَّهَ الْحَجَّاجُ بِزَيْنَبَ مَعَ حُرْمِهِ إِلَى الشَّامِ ، خَوْفًا عَلَيْهِنَّ . فَلَمَّا قُتِلَ ابْنُ الْأَشْعَثِ
كُتِبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِالْفَتْحِ ، وَكُتِبَ مَعَهُ كِتَابًا إِلَى زَيْنَبَ يُخْبِرُهَا
الْخَبَرَ . فَأَعْطَاهَا الرِّسُولُ الْكِتَابَ وَهِيَ رَاكِبَةٌ عَلَى بَغْلَةٍ فِي هَوْدَجٍ ، فَنَشَرَتْهُ تَقْرِؤُهُ ،
فَسَمِعَتِ الْبَغْلَةُ فَعَقَعَتِ الْكِتَابَ ، فَفَرَّتْ وَسَقَطَتْ زَيْنَبُ عَنْهَا ، فَأَنْدَقَ عَضْدُهَا
وَتَهَرَّأَ جَوْفُهَا ، فَمَاتَتْ . وَعَادَ إِلَيْهِ الرِّسُولُ ، الَّذِي نَفَذَ بِالْفَتْحِ ، بِوَفَاةِ زَيْنَبَ .
فَقَالَ النَّمِيرِيُّ يَرِثُهَا :

لِزَيْنَبَ طَيْفٌ تَعْتَرِينِي طَوَارِقُهُ هُدُوءًا إِذَا النَّجْمُ أُرْجِحَنْتَ ^(٢) لَوَاحِقُهُ
سَيِّبُكَ مِرْنَانُ الْعَشِيِّ يُجِيبُهُ لَطِيفُ بَنَانِ الْكَفِّ دُرْمٌ ^(٣) مَرَّاقُهُ
إِذَا مَا بَسَاطُ اللَّهِ مُدٌّ وَأَلْقَيْتُ لِلذَّاتِ أَمَّا طُهُ وَنَمَارِقُهُ

(١) دَوَّخْتُ كُلَّ مَكَانٍ : سَرْتُ فِيهِ حَتَّى عَرَفْتَهُ فَلَمْ تَخَفْ عَلَى طَرَفِهِ .

(٢) أُرْجِحَنْتِ النَّجْمَ : مَالِ إِلَى الْغُرُوبِ .

(٣) مِرْنَانُ الْعَشِيِّ : يَرِيدُ الصَّنَجَ ذَا الْأَوْتَارِ . وَالْدُرْمُ : الَّتِي لَا حِجْمَ لِعِظَامِهَا ، الْوَاحِدُ : أَدْرَمُ .

وذكر أن سعيد بن المسيّب رحمه الله مرّ في بعض أزقة مكة ، فسمع الأخضر أعجب ابن المسيّب بشعره و زاد عليه
الحربى يتغنى في دار العاص بن وائل :

تضوّع مسكاً بطن نَعْمَان أن مَشَتْ به زينب في نسوة عطرات

فضرب سعيد برجله وقال : هذا والله مما يلذّ أستماعه ! ثم قال :

ولست كأخرى أوسعت جيب درعها وأبدت بنان الكفّ للجمرات
وعلت بنان المسك وحفاً ^(١) مُرجلاً على مثل بدرٍ لاح في الظلمات
وقامت تراءى يوم جمع ^(٢) فأفتنت برؤيتها من راح من عرفات

فكانوا يروون ^(٣) هذا الشعر لسعيد بن المسيّب .

وذكر أنه لما تأيّم عائشة بنت طلحة كانت تقيم بمكة سنة و بالمدينة سنة ، استشهدته عائشة
وتخرج إلى مال لها عظيم بالطائف وقصر كان لها هناك تنزّه فيه ، وتجلس
بالعشيات ، فيتناضل بين يديها الرّثمة . فرّ بها النّميري الشاعر . فسألت عنه
فنسب لها . فقالت : أتتوني به . فأتوها به . فقالت له : أنشدني ما قلت في زينب .
فأمتنع عليها ، وقال : بنت عمّي قد صارت عظاماً بالية . فقالت : أقسمت عليك
إلا فعلت . فأنشدها قوله : « تضوّع مسكاً » الأبيات . فقالت : والله ما قلت
إلا جميلاً ، ولا ذكرت إلا كرماً وطيباً ، ولا وصفت إلا ديناً وتقى ! أعطوه ألف
درهم . فلما كانت الجمعة الأخرى تعرّض لها . فقالت : علىّ به . فأحضر . فقالت :
أنشدني من شعرك في زينب . فقال لها : أو أنشدك من شعر الحارث بن خالد ^(٤)

(١) الوحف : الشعر الغزير . وبنان المسك : أصابعها المغمورة به ، فكأنها هو . وعلت :

أى سقت بأصابعها شعرها الطيب مرة ومرة . يشير إلى تكرار مرور الأصابع بالشعر .

(٢) جمع : المزدلفة .

(٣) في الأغاني : « يرون أن » .

(٤) سبقت ترجمته (ج ١ ص ١٢٩) .

فيك؟ فوثب موالها إليه . فقالت : دُعوه فإنه أراد أن يستفيد لابنة عمه .
هات مما قال الحارث في . فأنشدها :

ظَنُّنَ الْأَمِيرُ بِأَحْسَنِ الْخَلْقِ وَعَدُوا بِلَبِّكَ مَطْلَعَ الشَّرْقِ

فقالت : والله ما ذكر إلا جميلاً ، ذكر أنى إذا صبحتُ زوجاً بوجهى غدا
بكوكب الطُّلُقِ^(١) وأنى غدوتُ مع أميرٍ تزوَّجنى إلى الشَّرْقِ ، وأنى أحسنُ
الخلقِ فى البيت ذى الحسب الرفيع . أعطوه ألف درهم ، واكسوه حلتين ، ولا تعدُّ
لأتياننا بعد هذا يا بُميرى .

من شعره فى زينب ومن شعر الثُميرى فى زينب :

أَلَا مَنْ لَقَلْبٍ مُعْنَى غَزَلٍ أَحَبَّ الْمُحَلَّةَ أُخْتِ الْمُحِلِّ
تراءتُ لنا يومَ فَرَعِ الْارَا لِكُ بَيْنَ الْعَشَى^(٢) وَبَيْنَ الْأَصْلِ
كَأَنَّ الْقَرْنَفُلَ وَالزَّجَجِيلَ وَرِيحَ الْخُرَامَى وَذَوْبَ الْعَسَلِ
يُعَلِّ بِهَ بَرْدُ أَنْيَابِهِ إِذَا النَّجْمُ وَسَطَ السَّمَاءِ^(٣) أَعْتَدَلِ

وعنى الثُميرى « بالمحل » أخاها الحجاج ، وكان يُسمى^(٤) بذلك لإحلاله
الكعبة بمحاصرته ابن الزبير ورَمِيها بالجانيق . وكان أهلُ الشام يُسمون ابن
الزبير بذلك ، لأنه أحلَّ الكعبة بمقامه فيها .

(١) تشير إلى بيت الحارث فيها :

ما صبحت أحداً برؤيتها إلا غدا بكوكب الطلوق

(٢) فى رواية : « العشاء » .

(٣) ويروى العجز :

* إذا ما صفا الكوكب المعتدل *

(٤) فى الأغاني : « وكان أهل الحجاز يسمونه بذلك » .

أخبار الوضاح

اسمه ونسبه ولقبه

وهو عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال بن داذ بن أبي جمد .
وأختلفوا في تحقيق نسبه ، ف قيل : إنه من أولاد الفُرس الذين قدِموا مع وَهْرَز
لنصرة سيف بن ذى يزن على الحبشة .

وقيل : إنه من آل خولان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد
شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميمس بن حخير
أبن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

والوضاح لقب غلب عليه لجماله وبهائه .

قيل : مات أبوه وهو طفل ، فأنتقلت أمه إلى أهلها ، وأُنقضت عِدَّتُها ،
وتزوَّجت رجلاً من أهلها من أولاد الفُرس . وشبَّ وضاح في حجر زوج أمه .
فجاء عمُّه وجدُّه أم أبيه ، ومعهم جماعة من أهل بيته من حخير ، ثم من آل ذى
جدن ، يطلبونه . فأدعى زوج أمه أنه ولدُه . فخاكموه فيه ، وأقاموا البيعة أنه
وُلد على فراش إسماعيل بن عبد كلال أبيه . فحكم به الحاكمُ للحميريين . ومسح
على رأسه وأعجبه جماله وقال له : أذهب فأنت وضاح اليمَن ، لا من أتباع ذى
يزن — يعنى الفُرس الذين قدم بهم أبنُ ذى يزن لنصرته — فعلقته به هذه
الكلمة يومئذ ، فلُقِّبَ وضاح اليمَن .

هو والمقنع والطائي

وقيل :

كان وضاح اليمَن والمقنع الكِنْدِيُّ وأبو زُبَيْد الطائِي يَرِدون مواسمَ العرب
مُقنَّعين يسترُونَ وجُوههم خوفاً من العين وحذراً على أنفسهم من النساء لجمالهم .

هو روضة وشعره
فيها

وذكر أن وضاح الين كان يهوى امرأة يقال لها : روضة من أهل الين ،
ثم أصابها الجذام من بعد ذلك ، فأقطع ما بينهما . وفيها يقول :

يَا رَوْضَةَ الْوَضَّاحِ قَدْ	عَنَيْتِ وَضَّاحَ الْيَمَنِ
فَأَسْقِ خَلِيلَكَ مِنْ شَرَا	بٍ لَمْ يُكَدِّرْهُ الدَّرَنِ
الرَّيْحُ رِيحُ سَفَرٍ جَلِي	وَالطَّعْمُ طَعْمُ سُلَافٍ دَنِ
إِنِّي تُهَيِّجُنِي إِلَيْهِ	كَ حَمَامَتَانِ عَلَى فَنَنِ

ومن هذه القصيدة :

دَسَتْ حُبِّيَّةَ مَوْهِنًا	إِنِّي وَعَيْشِكَ يَا سَكَنَ
أُبَلِّغُ عَنْكَ تَبْدُلًا	وَأَنَّى بِذَلِكَ مُؤْتَمَنَ
وظننتُ أنك قد فعلا	ت فكدتُ من حزن أجَنَ
ذَرَفْتُ دُمُوعِي ثُمَّ قُلَا	ت بَمَنْ يُبَادِلُنَا ^(١) بَمَنْ

ومنها :

أَبْغَضْتُ فِيهِ أَحَبَّتِي	وَقَلَيْتُ أَهْلِي وَالْوَطَنَ
أَتْرَكْتَنِي حَتَّى إِذَا	عُلِقْتُ أَيْضَ كَالشَّطَنِ
أَنْشَأَتْ تَطْلُبُ وَصَلْنَا	فِي الصَّيْفِ ضَيَّعْتُ ^(٢) اللَّبْنَ
لَوْ قِيلَ يَا وَضَّاحُ قُمْ	فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ أَوْ تَمَنَّ
لَمْ أَعُدْ رَوْضَةَ وَالَّذِي	سَاقَ الْحَجِيجُ لَهُ الْبُدْنَ

وله فيها أشعار كثيرة . وما قاله فيها قصيدته التي أولها :

يَا لَقَوْمِي لَكثَرَةُ الْعُدَّالِ وَلَطِيفِ سَرَى مَلِيحِ الدَّلَالِ

(١) في رواية : « يبادلني » .

(٢) هذا مثل . وأصله أن امرأة كانت تحت شيخ كبير موسر فكرهته ، فطلقها . فتزوجها
ففي جميل ملىق . فبعثت إلى الأول تستمحيه . فقال ذلك المثل .

زائر في قصور صنعاء يطوى^(١) كل أرض مخوفة وجبال
ومنها:

يَقْطَعُ الْحَزْنَ وَالْمَهَامَةَ وَالْبَيْهَ سِدٌّ وَمِنْ دُونِهِ ثَمَانُ لَيَالٍ
عَاتِبٌ فِي الْمَنَامِ أَحْبَبُ بَعْتَبَا هَ إِلَيْنَا وَقَوْلُهُ مِنْ مَقَالٍ
قَلْتُ أَهْلًا وَمَرْجَبًا عَدَدَ الْقَطَا ر وَسَهْلًا بَطِيفَ هَذَا الْخِيَالِ
حَبْدًا مَنْ إِذَا خَلُونَا نَجِيًّا قَالَ: أَهْلِي لَكَ الْفِدَاءُ وَمَالِي
فَهِيَ الْهَمُّ وَالْمَنَى وَهَوَى النَّفْ س إِذَا أُعْتِلَ ذُو هَوَى بِأَعْتَالِ
لَمْ أَجِدْ حُبًّا يُشَاكِلُهُ الْخُ بَ وَلَا وَجَدْنَا كَوْجِدَ الرِّجَالِ
كُلَّ حَبٍّ إِذَا أُسْتَطَالَ سَيْلِي وَهَوَى رَوْضَةِ الْمُنَى غَيْرُ بَالِي
ومنها:

كَيْفَ عَذَلِي عَلَى الَّتِي هِيَ مِنِّي بِمَكَانِ الْيَمِينِ أُخْتُ الشَّمَالِ
وَالَّذِي أَحْرَمُوا لَهُ وَأَحْلَوْا بِمَنَى صُبْحِ عَاشِرَاتِ^(٢) اللَّيَالِي
مَا مَلَكَتُ الْهَوَى وَلَا النَّفْسَ مِنِّي مُنْذُ عَلَّقْتُهَا وَكَيْفَ^(٣) أَحْتِمَالِي
إِنْ نَأَتْ كَانَ نَائِيهَا الْمَوْتَ صِرْفًا أَوْ بَدَتْ^(٤) لِي فَتَمَّ يَبْدُو خَيَالِي

حبه لأم البنين

ثم هوى وضاح اليمين أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان، زوجة الوليد بن عبد الملك بن مروان، وأكثر من التشبيب بها. وكان سبب حبه لها أنها أستاذت زوجها الوليد بن عبد الملك في الحج، فأذن لها، وهو يومئذ خليفة. فقدمت مكة ومعها من الجوارى ما لم ير مثله حسنا وكتب الوليد يتوعد الشعراء جميعاً إن ذكرها أحد منهم أو ذكر أحداً من تبعها. فقدمت، فترأت للناس. وتصدى لها أهل الغزل والشعراء، ووقعت عينها على وضاح اليمين فهو يتيه.

(١) في رواية: «يسرى».

(٢) أي جمع الليلة العاشرة من ذي الحجة.

(٣) في رواية: «احتيمالي».

(٤) في رواية: «أودنت».

أم البنين وكثير
وضاح

وقيل: إنها بعثت إلى كثير وإلى وضاح: أن أنسبا بي. فأما وضاح فإنه ذكرها
وصرح في النسب. وأما كثير فعُدل عن ذكرها ونسب بحاريتها غاضرة.

أعانت أم البنين
عند الوليد بن
عبد الملك

وقيل: مدح وضاح الين الوليد بن عبد الملك، ووعدته أم البنين أن ترفده (١)
عنده وتقوى أمره - فقدم عليه وضاح الين، فأنشده قوله فيه:

صَبَا قَلْبِي وَمَالَ إِلَيْكَ مَيْلًا وَأَرْقَى خَيَالِكَ يَا أَثِيلًا
يَمَانِيَّةٌ تُلِمُّ بِنَا فَتُبْدِي دَقِيقَ مَحَاسِنٍ وَتُجِنُّ (٢) غَيْلًا
دَعَيْنَا مَا أُمَمْنَا (٣) بَنَاتِ نَعَشٍ مِنَ الطَّيِّفِ الَّذِي يَنْتَابُ لَيْلًا
وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ فَهَيِّجِينَا إِذَا رَمَقْتَ بِأَعْيُنِهَا (٤) سُهَيْلًا
فَإِنَّكَ لَوَرَأَيْتِ الْخَلِيلَ تَعْدُو عَوَاسٍ (٥) يَتَخَذَنُ النَّمْعَ ذَيْلًا
إِذَا لَرَأَيْتِ فَوْقَ الْخَلِيلِ أُسْدًا تُفِيدُ مَغَانِمًا وَتُقِيتُ نَيْلًا
إِذَا سَارَ الْوَلِيدُ بِنَا وَسِرْنَا إِلَى خَيْلٍ نَلْفَ بَهْرٍ خَيْلًا
وَنَدْخُلُ بِالْشُرُورِ دِيَارَ قَوْمٍ وَنُعْقِبُ آخِرِينَ أَدَى وَوَيْلًا

فأحسن الوليد رَفْدَهُ وأَعْظَمَ جَائِزَتَهُ.

تكاية الوليد به

ومدحه بعد ذلك بعدة قصائد. ثم نُمي إليه أنه يُشَبُّ بِزَوْجَتِهِ أم البنين.
فجفاه وأمر بأن يُحْجَبَ عَنْهُ وَدَبَّرَ فِي قَتْلِهِ. فمدحه بقوله:

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا طَلَبَ الطَّيِّبُ بِهَا قَدَى فَأَصْلَهُ
أُمَّ مَا لِقَلْبِكَ لَا يَزَالُ كَأَنَّهُ نَشْوَانُ أَنَّهُلَهُ النَّدِيمُ وَعَلَهُ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ أُبَيْتَ بَيْلِدَةً وَأَخِي بِأُخْرَى لَا أَحُلَّ مَحَلَّهُ

(١) ترفده: تعينه.

(٢) الغيل: الساعد الريان.

(٣) بنات نعش: من الكواكب الشامية، وكان غزوه نحو الروم، وفي رواية «ما أمت»

(٤) ويروى:

ولكن إن أردت فصبحينا إذا أمت ركائبنا سهيلا

(٥) في رواية: «سراعاً» مكان «عوايس».

كُنَّا لَعَمْرُكَ نَاعِمِينَ بِغِبْطَةٍ
مَعَ مَنْ نُحِبُ مَمِيتَهُ وَمَظَلَّهُ
يقول فيها :

وَأَلْقَى ابْنُ مَرْوَانَ الَّذِي قَدْ هَزَّهَ
وَأَشْكُ الَّذِي لَا قِيَتَهُ مِنْ (١) جَفْوَةٍ
فَعَلَى ابْنِ مَرْوَانَ السَّلَامُ مِنْ أَمْرِي
فَالْيَا لَيْكَ أَعْمَلْتُ الْمَطَايَا ضَمْرًا
عَرِقُ الْمَكَارِمِ وَالنَّدَى فَأَقْلَهُ
وَأُنْشُرُ إِلَيْهِ دَاءَ قَلْبِكَ كَلَّهُ
أَمْسَى يَذُوقُ مِنَ الرَّقَادِ أَقْلَهُ
وَقَطَعْتُ أَرْوَاحَ الشَّتَاءِ (٢) وَظَلَّهُ

وقيل :

حكاية مقتله

لَمَّا عَزَمَ الْوَلِيدُ عَلَى قَتْلِ الْوَضَّاحِ ، قَالَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ الْوَلِيدِ
— وَأُمُّهُ أُمُ الْبَنِينَ — : لَا تَفْعَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَتُحَقِّقَ قَوْلَهُ ، وَلَكِنْ أَفْعَلْ بِهِ كَمَا
فَعَلَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ بِأَبِي دَهْبَلٍ ، فَإِنَّهُ لَمَّا شَبَّبَ بِأَبْنَتِهِ شَكَاهُ يَزِيدُ ابْنَهُ
وَسَأَلَهُ أَنْ يَقْتُلَهُ ، فَقَالَ : إِذَا تُحَقِّقَ قَوْلَهُ ، وَلَكِنْ تَبَرَّهْ وَتُحْسِنْ إِلَيْهِ فَيَسْتَحْيَ وَيَكْفُفَ
وَيُكْذِّبُ نَفْسَهُ . فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ ، وَجَعَلَهُ فِي صُنْدُوقٍ وَدَفَنَهُ حَيًّا .

وحكى ابن الكلبي قال :

عَشَقْتُ أُمَّ الْبَنِينَ وَضَّاحَ الْيَمِينِ ، فَكَانَتْ تُرْسِلُ إِلَيْهِ فَيَدْخُلُ إِلَيْهَا وَيُقِيمُ
مَعَهَا ، فَإِذَا خَافَتْ وَارْتَهَ فِي صُنْدُوقٍ عِنْدَهَا وَأَقْفَلَتْ عَلَيْهِ . فَأَهْدَى لِلْوَلِيدِ جَوْهَرًا لَهُ
قِيَمَةٌ ، فَأَعْجَبَهُ وَأَسْتَحْسَنَهُ ، فَدَعَا خَادِمًا لَهُ فَبَعَثَ بِهِ إِلَى أُمِّ الْبَنِينَ وَقَالَ : قُلْ لَهَا :
إِنَّ هَذَا الْجَوْهَرَ أَعْجَبَنِي فَأَثَرْتُكَ بِهِ . فَدَخَلَ الْخَادِمُ عَلَيْهَا مُفَاجَأَةً وَوَضَّاحَ الْيَمِينِ
عِنْدَهَا ، فَأَدْخَلَتْهُ الصُّنْدُوقَ وَهُوَ يَرَى ، فَأَدَّى إِلَيْهَا رِسَالَةَ الْوَلِيدِ وَدَفَعَ إِلَيْهَا الْجَوْهَرَ
وَقَالَ لَهَا : يَا مَوْلَاتِي ، هَبِي لِي مِنْهُ حَجَرًا . فَقَالَتْ : لَا يَا بَنَ الْأَخْنَاءِ وَلَا كَرَامَةً !
فَرَجَعَ إِلَى الْوَلِيدِ فَأَخْبَرَهُ . فَقَالَ : كَذَبْتَ يَا بَنَ الْأَخْنَاءِ . وَأَمَرَ بِهِ فُوجِئَتْ عُنُقُهُ .

(١) في رواية : « من دونه » .

(٢) في رواية : « وظله » .

ثم لبس كعليه فدخل على أم البنين وهى جالسة فى ذلك البيت تمتشط ، وقد وصف له الخادم الصندوق الذى أدخلته فيه . فجلس عليه ثم قال لها : يا أم البنين . ما أحب إليك هذا البيت من بين البيوت ! فلم تختارينه ؟ فقالت : أجلس فيه وأختاره لأنه يجمع حوائجى كلها فأتناولها منه كما أريد من قرب . فقال لها : هبى لى صندوقاً من هذه الصناديق . فقالت : كلها لك يا أمير المؤمنين . فقال : ما أريد كلها إنما أريد منها واحداً . قالت : خذ أيها شئت . قال : هذا الذى جلست عليه . قالت : خذ غيره ، فإن لى فيه أشياء أحتاج إليها . قال : ما أريد غيره . قالت : خذه يا أمير المؤمنين . فدعا بالخدم وأمرهم بحمله ، فحملوه حتى أنتهى به إلى مجلسه ، فوضعه فيه . ثم دعا بعبيد له عجم فأمرهم بحفر بئر فى المجلس عميقة ، فنحى البساط وحفرت إلى الماء ، ثم دعا بالصندوق فوضع على شفير البئر ، ودنا منه وقال : يا صاحب الصندوق ، إنه بلغنا شيء إن كان حقاً فقد كفيناك ودفعناك ودفعنا أثرك إلى آخر الدهر ، وإن كان باطلاً فإنما دفننا الخشب ، وما أهون ذلك . ثم قذف به إلى البئر وهيل عليه التراب وسويت الأرض ، ورد البساط إلى حاله وجلس عليه . ثم مارئى لوضّاح بعد ذلك أثر فى الدنيا إلى هذا اليوم ، وما رأت أم البنين لذلك أثراً فى وجه الوليد حتى فرق الموت بينهما .

فكأية الوليد به
للتشبيهه بفاطمة
أخته

قلت : وقد ذكر أبو الفرج عن خالد بن كلثوم أن هذه الحكاية وضعها بعض الشعوية لما تلاهى هو وبعض ولد الوليد . وأن الحق هو الرواية الأولى . والله أعلم أى ذلك كان .

وقد ذكر أن الوليد كان قد أمسك عن قتل وضّاح اليمين على غيظ وحق ، لما نهاه أبنة عبد العزيز عن قتله خوف الفضيحة ، حتى بلغه أنه تعدى أم البنين إلى أخته فاطمة بنت عبد الملك ، وكانت زوجة ابن عمه عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه ، وقال فيها :

بنتُ الخليفة والخليفة جدُّها أخت الخليفة والخليفة بعلُّها
فرحتُ قوايلها بها وتباشرتُ وكذلك كانوا في السرِّ أهلها
فأختلط وأشدت غيظهُ ودَفَنه حيًّا .

وذُكر أن أم البنين مرَّضتْ، ووضَّاح مُقيم بدمشق، وكان نازلاً بها، وله في أم البنين
وقد اعتلت فقال في علَّتْها :

حَتَّامَ نَكْتُمُ حُزْنَنا ^(١) حَتَّامَا وإِلَامَ نَسْتَبْقِي الدَّمُوعَ ^(٢) إِلَامَا
إِنَّ الذِي بِي قَدْ تَفَاقَمَ وَأَعْتَلَى ونَمَا وزَادَ وَأَوْرَثَ الْأَسْقَامَا
قَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ الْبَنِينَ مَرِيضَةً نَخْشَى وَنُشْفِقُ أَنْ يَكُونَ حِمَامَا
يَا رَبِّ أَمْتَعِنَا بِطُولِ بَقَائِهَا وَأَجْبِرْ بِهِ الْأُرْمَالَ وَالْأَيْتَامَا
وَأَجْبِرْ بِهَا الرَّجُلَ الْغَرِيبَ بِأَرْضِهَا قَدْ فَارَقَ الْأُخُوَالَ وَالْأَعْمَامَا
كَمْ رَاغِبِينَ وَرَاهِبِينَ وَبُؤْسَ عَصَمُوا بِقُرْبِ جَنَابِهَا إِعْصَامَا
بِجَنَابِ ظَاهِرَةِ الثَّنَا مَحْمُودَةٍ لَا يُسْتَطَاعُ كَلَامُهَا إِعْظَامَا

والشعر الذي فيه الغناء، وأُفتتح به أبو الفرج أخبار وضَّاح المين، هو :

يَا قَلْبُ وَيْحَكَ لَا يَذْهَبُ بِكَ الْخُرْقُ إِنَّ الْأَلَى كُنْتَ تَهَوَّاهُمْ قَدْ أَنْطَلَقُوا
مَا بِالْهَمِّ لَمْ يَبَالُوا إِذْ هَجَرْتَهُمْ وَأَنْتَ مِنْ هَجَرِهِمْ قَدْ كِدْتَ تَحْتَرِقُ

(١) في التجريد : « حينا » .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « وعلام تستبقى الدموع علاماً » .

خبر شار مع عبده

لبشار في عبدة قد تقدّمت أخبار بشار ، وذكر أبو الفرج هنا شعراً لبشار يُغنى فيه ممّا قاله في

عبدة ، فأقتضى ذلك أن نذكر خبر بشار مع عبدة خاصّة . والشعر هو :

ألا طرد الهوى عني رُقادي فحسبي ما تقيتُ من الشهادِ
لعبدة إنَّ عبدة تيمّنتني وحلّت من فُؤادي في السّوادِ

روايته بينه وبينها

وذكر هشام بن الأحنف رواية بشار قال :

إني عند بشار ذات يوم إذ أتته امرأة فقالت : يا أبا معاذ ، عبدة تُقرئك
السلام وتقول لك : قد اشتد شوقنا إليك ولم نرك منذ أيام . فقال : عن غير
مقلية كان . ثم قال : اكتب عني ما أقول . وأملّي عليه :

عبدَ إني إليك بالأشواق لتلاق وكيف لي بالتلاق
أنا والله أشتهى سحر عيني لك وأخشى مصارع العشاق
وأخاف الحرسي^(١) مُحْتَسِبُ الْجَنَّةِ سد يلف البريء بالفساق

من شعره فيها

ومن قوله فيها :

يا عبد إني قد ظلّمت وإنتي مُبِدٍ مقالة راغبٍ أوراهبِ
وأَتُوبُ مما تَكْرهين لتقبلي والله يُقبلُ حُسنِ فعلِ التائبِ

ومن قوله :

يا عبد زوريني تَكُنْ مِنَّةً لله عندي يومَ ألقاكِ
والله ثم الله فاستيقني إني لأرجوك وأخشاكِ

(١) الحرسي ، بالتحريك : حرس السلطان ، وسكن للضرورة .

يا عَبْدُ إِنِّي هَالِكٌ مُدْنَفٌ إِن لَّمْ أَذُقْ بَرْدَ ثَنَائِكَ
فَلَا تَرُدِّيْ عَاشِقًا مُدْنَفًا يَرْضَى بِهَذَا الْقَدْرِ ^(١) عَنْ ذَاكَ

وكان أول أمره معها أن النساء كن يحضرن مجلسه ، إذ سمع كلام عبدة هذه
فَعَشَقَهَا ، فدعا غلامه فقال : إِنِّي قَدْ عُلِّقْتُ أُمْرًا ، فإذا تكلمتُ عَرَفْتُكَ ،
وَأَنْظُرُ مَنْ هِيَ فَأَعْرِفُهَا ، فإذا أُنْقِضَ الْمَجْلِسُ وَأُنْصَرَفَ أَهْلُهُ فَاتَّبِعْهَا وَكَلِمَهَا
وَأَعْلَمَهَا أَنَّني مُحِبٌّ لَهَا ، وأنشدها هذه الأبيات ، وعَرَفَهَا أَنَّني قَلْتُهَا فِيهَا :

قَالُوا بَيْنَ لَا تَرَى تَهْذِي فَقُلْتُ لَهُمْ الْأُذُنُ كَالْعَيْنِ تُوفِي الْقَلْبَ مَا كَانَا
مَا كُنْتُ أَوَّلَ مَشْغُوفٍ بِجَارِيَةٍ يَلْقَى بُلُقْيَانَهُمَا رَوْحًا وَرَيْنَحَانَا
يَا قَوْمُ أَذْنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ وَالْأُذُنُ تَعْشَقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا

فأبلغها الغلام الأبيات . فهشَّت لها ، وزارتْ بَشَارًا فِي نِسْوَةٍ ، فَأَكَلَنَ عِنْدَهُ
وَشَرِبَنَ ، وَلَمْ تَطْمَئِنِّ فِي نَفْسِهَا . وَأَكْثَرَ مِنْ قَوْلِ الْغَزَلِ فِيهَا .

(١) في التجرید : « القول » .

أخبار الأحوص مع أم جعفر

قد تقدّم أيضاً نسب الأحوص الأنصارى وأخباره . وذكر أبو الفرج هنا خبره مع أم جعفر خاصة ، لقوله فيها مما يُغنى به :

شعره فيها الذي
يعنى به

أرسلت أم جعفر : ^(١) لا تزُرنا ليت شعري بالغيّب من ذا دهاها
أتأها محرّش بنميم كاذب ما أراد إلاّ رداها
وأم جعفر هذه امرأة من الأنصار من بني خَطْمة .

وذكر أن الأحوص لما أكثر التشيب بأم جعفر وشاع شعره فيها أوعده
أخوها أيمن وتهدّده ، فلم يَنْتَه . فأستعدى عليه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه .
فربطهما في حبل ودفع إليهما سوطين ، وقال لهما : تجالدا . فغلب أخوها .

هو وأخوها وعمر بن
عبد العزيز

وقيل : إن الأحوص سلك في ثيابه وهرب ، وتبعه أخوها حتى فاته الأحوص
هرباً ، وقد كان الأحوص قال فيها :

لقد منعت معروفها أم جعفر وإني إلى معروفها لفقيّر
وقد انكرت بعد اعتراف زيارتي وقد وُغرت فيها على صدور
أدور ولولا أن أرى أم جعفر بأبياتكم ما درت حيث أدور
أزور البيوت اللاصقات ببيتها وقلبي بالبيت ^(٢) الذي لأزور
وما كنت زوّاراً ولكن ذا الهوى إذا لم يزُر لا بد أن سيزور

وقال السائب بن عمرو بن عوف يُعيره بفراره ويُعارضه في هذه الأبيات :
لقد منع المعروف من أم جعفر أخو ثقة عند الجلال صبور

للسائب يعيره
بفراره وردده عليه

(١) في رواية : « لاتزور »

(٢) في الأغاني : « وقلبي إلى البيت » .

عَلَاكَ بَمَثْنِ السَّوْطِ حَتَّى اتَّقَيْتَهُ بِأَصْفَرٍ مِنْ مَاءِ الصَّفَاقِ ^(١) يَفُورُ

رد الأحوص

وقال الأحوص :

إِذَا أَنَا لَمْ أَغْفِرْ لِأَيْمَنِ ذَنْبَهُ مَنْ ذَا الَّذِي يَغْفُو لَهُ ذَنْبَهُ بَعْدِي
أُرِيدُ أَنْتَقَامَ الذَّنْبِ ثُمَّ تَرُدُّنِي يَدُ لِأَدَانِيهِ مُبَارَكَةٌ عِنْدِي

اقتداء عمر بعثمان
فبما فعل

وإنما أعطاهما عمر رحمه الله السَّوْطَيْنِ وأمرهما أَنْ يَتَضَارَبَا بِهِمَا إِقْتِدَاءً بِعُثْمَانَ بْنِ
عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَإِنَّهُ لَمَّا تَهَاجَى سَالِمُ بْنُ دَارَةَ وَمُرَّةُ الْغَطَفَانِيُّ لَزَّاهُمَا عُثْمَانُ بِحَبَلٍ
وَأَعْطَاهُمَا سَوْطَيْنِ ، فَتَجَالَدَا بِهِمَا .

من شعره في
أم جعفر

ومما قاله الأحوص في أم جعفر هذه :

وَإِنِّي لَكَيْدٌ عَوْنِي هَوَى أُمِّ جَعْفَرٍ وَجَارَاتُهَا مِنْ سَاعَةٍ فَأُجِيبُ
وَإِنِّي لَأَتَى الْبَيْتَ مَا إِنْ أَحْبَبْتُهُ وَأَكْثَرُ هَجَرَ الْبَيْتِ وَهُوَ حَبِيبُ
وَأَغْضَى عَلَيَّ أَشْيَاءَ مِنْكُمْ تَسُوْنِي وَأَدْعَى إِلَى مَا سَرَّكُمْ فَأُجِيبُ
هَبْنِي أَمْرًا إِمَّا بِرِيئًا ظَلَمْتُهُ وَإِمَّا مُسِيئًا مُذْنِبًا فَيَتُوبُ
أَبْشُوكَ مَا أَلْقَى فِي الْقَلْبِ حَاجَةٌ لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ دَيْبُ
لَكَ اللَّهُ إِنِّي وَاصِلٌ مَا وَصَلْتَنِي وَمُثْنٍ بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَمُثِيبُ
وَأَخْذُ مَا أُعْطِيتَ صَفْوًا ^(٢) وَإِنِّي لَأَزُورُ عَمَّا تَكْرَهُينَ هَيُوبُ
وَلَا تَتَرَكْنِي نَفْسِي شَعَاعًا فَإِنَّهَا مِنْ الْحَزْنِ قَدْ كَادَتْ عَلَيْكَ تَذُوبُ

هو وأم جعفر وقد
جاءته متنقبة

وذكر أن الأحوص لما أكثر من ذكر أم جعفر جاءت مُتَنَقِّبَةً فَوَقَفَتْ
عَلَيْهِ فِي مَجْلَسِ قَوْمِهِ ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُهَا ، وَكَانَتْ أَمْرًا عَفِيفَةً ، فَقَالَتْ : أَقْضَى ثَمَنِ
الْفَنَمِ الَّتِي أُبْتِغَهَا مِنِّي . فَقَالَ لَهَا : مَا أُبْتِغْتُ مِنْكَ شَيْئًا . فَأُظْهِرْتُ كِتَابًا قَدْ وَضَعْتُهُ
عَلَيْهِ وَبَكَتْ وَشَكَتْ حَاجَةً وَضُرًّا وَفَاقَةً وَقَالَتْ : يَا قَوْمَ ، كَلِّمُوهُ . فَلَامَهُ قَوْمُهُ

(١) الصفاق : جمع صفق . وهو الجلد الحديد يصب عليه الماء فيخرج أصفر .

(٢) في رواية : « عفو » .

وقالوا له : أقض المرأةَ حقَّها . فجعل يحلف أنه ما يعرفها ولا رآها قط . فكشفت وجهها وقالت : ويلك ! ما تعرفني ؟ فجعل يحلف مُجتهداً أنه ما رآها قط ولا يعرفها ، حتى أستفاض قولها وقوله ، وأجتمع الناسُ وكثروا وسمعوا ما دار بينهم وكثروا لغطهم . ثم قامت وقالت : يا عدو الله ! صدقت ، والله مالى حق ولا تعرفني ، وقد حلفت على ذلك ، وأنا أم جعفر ، وأنت تقول : قلت لأُم جعفر ، وقالت لى أم جعفر ، فى شعرك . فجعل الأحوصُ وأنكسر عن ذلك ، وبرئت أم جعفر عندهم ^(١) .

(١) ثم ساق أبو الفرج أيضاً شيئاً من أخبار عائكة بنت شهدة . وهى مغنية لها ألحان . فربها ابن واصل ولم يجرد لها ، للسبب الذى ذكره قبل فى هذا الجزء .

أخبار أبي ذؤيب الهذلي

نسبه

هو خويلد بن خالد بن مُحَرَّث بن زُبَيْد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن اليأس بن مضر بن نزار . وهو أحد المخضرمين ممن أدرك الجاهلية والإسلام ، وأسلم وحسن إسلامه . وكان من فحول الشعراء ، فصيحاً كثير الغريب ، متمكناً في الشعر .

طبقتة وإسلامه

ويقال : إن أبا ذؤيب تقدم على جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية التي يرثي بها بنيه ، وأولها :

أَمِنَ الْمَنُونُ وَرَبِّه تَتَوَجَّعُ وَالْدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبٍ مِّنْ يَّخْرَعُ
يقول فيها :

قَالَتْ أُمَيْمَةٌ مَا لِحِسْمِكَ شَاحِبًا مِنْذُ ابْتَدَأْتَ وَمِثْلُ مَا لَكَ يَنْفَعُ
أُمٌّ مَا لِحِسْمِكَ لَا يَلْأَمُ مُضْجَعًا إِلَّا أَقْضَى عَلَيْكَ ذَاكَ الْمَضْجَعُ
فَأَجَبْتُهَا أَنْ مَا بِحِسْمِي أَنَّهُ أَوْدَى بَنِيَّ مِنَ الْبِلَادِ فَوَدَّعُوا
وهذه يقولها في بنين له خمسة أصيبوا في عام واحد بالطاعون .

خروجه مع عبد
الله بن سعد لغزو
إفريقية ثم عودته
وموته بمصر

وذكر أنه خرج أبو ذؤيب مع ابنه وأبن أخ له حتى قدموا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال له : أى العمل أفضل ؟ قال : الإيمان بالله ورسوله . قال : قد فعلت ، فأيه أفضل بعده ؟ قال : الجهاد في سبيل الله . فقال : ذلك كان على وإنى لا أرجو جنة ولا أخاف ناراً . ثم خرج فغزا أرض الروم مع المسلمين في جند عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، أحد بني عامر بن لؤى ، وذلك في سنة ست وعشرين ، في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ففتح الله عليهم إفريقية .

فحكى عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، وكان في ذلك الجيش وعمره ست ^{٦٠} سنة حديث ابن الزبير في هذه الحرب

وعشرون سنة — وقيل : أربع وعشرون سنة — قال : أحاط صاحب إفريقية ، وهو ملك إفرنجة ، بنا في مائة ألف وعشرين ألفاً ، ونحن في عشرين ألفاً ، فضايق المسلمون من ذلك واختلفوا في الرأي . فدخل عبد الله بن سعد فسطاطه يخلو فيه ويفكر . قال عبد الله بن الزبير : فرأيت عورة من صاحب إفريقية ، والناس على مصافهم ، رأيته على برذون أشبه خلف أصحابه مُنقطعاً عنهم ، ومعه جاريتان تَظْلان عليه من الشمس بريش الطواويس . فجئت فسطاط عبد الله بن سعد فطلبت الإذن عليه من حاجبه . فقال : إنه في شأنكم وقد أمرني أن أمسك الناس عنه . قال : فدرت فأتيت مؤخر فسطاطه فرفعته ، فإذا هو مُستلق على فراشه . ففزع وقال : ما أدخلك على يابن الزبير ؟ قلت : إني رأيت عورة من عدونا فرجوت الفرصة فيها وخشيت فواتها ، فاندب الناس إلى . فقال : وما هي ؟ فأخبرته . فخرج فقال : أيها الناس ، اتدبوا مع ابن الزبير إلى عدوكم . فأخترت ثلاثين فارساً ، قلت : إني حامل فأضربوا عن ظهري ، فإني سأكفيكم من ألقى إن شاء الله تعالى . فحملت في الوجه الذي هو فيه ، فحملوا فذبوا عني حتى خرقت صفوفهم إلى أرض خالية . وتبينته فصمدت صمده . فوالله ما حسب إلا أني رسول ، ولا ظن أكثر أصحابه إلا ذاك ، حتى رأى ما بي من أثر السلاح ، فثنى برذونه هارباً ، فأدركته فطعنته فسقط ، ورميت بنفسي عليه ، وأتقت جاريته عنه السيف فقطعت يداً أحدهما . وأجهزت عليه . ثم رفعت رأسه في رُحى ، وجال أصحابه وحمل المسلمون في ناحيتي وكبّروا ، فقتلوه كيف شاءوا وكانت الهزيمة . فقال لي عبد الله بن سعد : ما أجد أحداً أحقّ بالبشارة منك . فبعثني إلى عثمان . وقدم مروان^(١) بعدى على عثمان حين أطمأنوا وابعأوا المغنم وقسموه . ووضع عثمان عن مروان خمسمائة ألف ، كان اشترى بها خمس المغنم . وكان ذلك مما تكلم الناس في عثمان بسببه .

(١) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص .

فقال عبد الرحمن بن حنبل بن مليل ، أخو صفوان بن أمية بن خلف الجمحي لأمه ، يذكر ما نقم به على عثمان ، رضى الله عنه :

أحلف بالله جهد اليمية ن ما ترك الله شيئاً سدى
ولكن خلقت لنا فتنةً لكى تُبتلى فيك أو تُبتلى
دعوت الطريد ^(١) فأذنبته خلافاً لسنة من قد مضى
وأعطيت مروان خمس العبا د ظلماً لهم وحميت الحمى
ومالاً أتاك به الأشعرى من الفى أعطيته من دنا
وإن الأميين قد بينا منار الطريق عليه الهدى
فأأخذاً درهماً غيلةً ولا قسماً درهماً فى هوى

والمال ، الذى ذكر أن الأشعرى جاء به ، مال كان أبو موسى قدم به من العراق على عثمان ، فأعطى عبد الله بن أسيد بن أبي العيص منه مائة ألف درهم — وقيل : ثلثمائة ألف درهم — فأنكر الناس ذلك .

وذكر أن عبد الله بن الزبير لما قدم بالبشارة فى هذه السنة — أعنى سنة ست وعشرين — بُشّر عند مقدمه بأبنة خبيب بن عبد الله ، وبأخيه عروة بن الزبير . وخبيب أكبرهما .

وذكر أن عبد الله بن سعد لما بعث ابن الزبير بخبر البشارة بعث معه أبا خبر آخر فى موته ذؤيب الهذلى فى جماعة ، فلما قدموا مصر مات أبو ذؤيب بها — وقيل : بل مات أبو ذؤيب بإفريقية ، وأنه أخذه الموت لما قفل المسلمون من الغزاة — فأراد أبنة وابن أخيه أن يتخلفا عليه جميعاً ، فمنعهم صاحب الساقة وقال : ليتخلف عليه أحدكم وليعلم أنه مقتول . فكلأهما أراد أن يتخلف عليه . فقال لهما أبو ذؤيب :

(١) الطريد : هو الحكم بن العاص بن أمية ، وكان يغشى سر النبي صلى الله عليه وسلم فنفاه عن

المدينة ، فنزل الطائف فلم يزل به حتى رده عثمان .

أَقْتَرَعَا . فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ ، فَتَخَلَّفَ عَلَيْهِ ، وَمَضَى ابْنُهُ مَعَ النَّاسِ .

فَكَانَ أَبُو عُبَيْدٍ ، ابْنُ أَخِيهِ يُحَدِّثُ ، قَالَ : قَالَ لِي أَبُو ذُوؤَيْبٍ : أَحْفَرِ ذَلِكَ الْجُرْفَ
بِرُمْحِكَ ، ثُمَّ أَعْضِدْ ^(١) مِنَ الشَّجَرِ بِسَيْفِكَ ، ثُمَّ أَجْرُرْنِي إِلَى هَذَا النَّهْرِ فَإِنَّكَ لَا تَفْرُغُ
حَتَّى أَفْرُغَ ، فَأَغْسِلْنِي وَكَفِّنِي بِكَفْنِي ، ثُمَّ أَجْعَلْنِي فِي حُفْرَتِي وَأَنْثِلَ ^(٢) عَلَى
الْجُرْفِ بِرُمْحِكَ ، وَأَلْقِ عَلَى الْغُصُونِ وَالْحِجَارَةِ ، ثُمَّ أَتْبِعِ النَّاسَ فَإِنْ لَمْ رَهْجَةً ^(٣)
تَرَاهَا فِي الْأَفْقِ إِذَا أَمْسَيْتَ كَأَنَّهَا جِهَامَةٌ . ^(٤) قَالَ : فَمَا أَخْطَأَ مِمَّا قَالَ شَيْئًا . وَلَوْلَا
نَعْتُهُ لَمْ أَهْتَدِ لِأَثَرِ الْجَيْشِ .

وقال وهو يحود بنفسه :

شعره في موته

أَبَا عُيَيْدٍ رَفَعَ الْكِتَابُ وَاقْتَرَبَ الْمَوْعِدُ وَالْحِسَابُ

وَعِنْدَ رَحْلِي جَمَلٌ نُجَابُ أَحْمَرُ فِي حَارِكِهِ ^(٥) أَنْصَابُ

ثُمَّ مَضَيْتُ حَتَّى لَحِقْتُ النَّاسَ . فَكَانَ يُقَالُ : إِنْ أَهْلَ الْإِسْلَامِ أَعْدُوا الْأَثَرُ فِي
بَلَدِ الرُّومِ ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ قَبْرِ أَبِي ذُوؤَيْبٍ قَبْرٌ يُعْلَمُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

* * *

ثُمَّ ذَكَرَ أَبُو الْفَرَجِ حَكَمَ الْوَادِي ، وَهُوَ الْحَكَمُ بْنُ مَيْمُونٍ ، مَوْلَى الْوَلِيدِ بْنِ
يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَعَاشَ إِلَى أَيَّامِ الرَّشِيدِ . وَلَمْ أَحْتَزْ مِنْ أَخْبَارِهِ شَيْئًا .

شئ عن حكم
الوادي

(١) عضد : قطع .

(٢) انثل على الجرف ، أى أخرج ترابه فأهله على .

(٣) الرهجة : ما أثير من الغبار .

(٤) الجهامة : السحابة لا ماء فيها . والعبارة في أصول الأغاني : « إِذَا مَشَيْتَ كَأَنَّهَا جِهَامَةٌ »

(٥) الحارك : أعلى السكاهل .

أخبار ابن جامع

هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد الله بن المطلب بن أبي وداعة بن
ضُبيرة بن سَعِيد بن سَعْد بن سَهْم بن عمرو بن هُصَيْص بن كَعْب بن لُؤي
ابن غالب بن فهر .

وكان أبو وداعة بن أبي ضُبيرة أسيراً كافرًا يوم بدر ، وفداه أُنْبُه المطلب .
وكان المطلب بن أبي وداعة رجلَ صدق . وروى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم الحديث .

ويكنى ابن جامع أبا القاسم . وأمه امرأة من سَهْم ، وتزوجت بعد أبيه رجلًا
من أهل اليمن ، فذكر أنها أتت مَعَن بن زائدة الشَّيباني ، وابن جامع معها وهو
صغير يتبعها ويَطأ ذيلها ، ومَعَن يومئذ على اليمن ، فقالت : أصلىح الله الأمير ، إنَّ
عَمِّي زوجني زوجًا ليس بكفء ، ففرَّق بيني وبينه . فقال : ومَن هو ؟ قالت : ابنُ
ذِي مُنَاجِب . قال : علىَّ به . فدَخَلَ أَقْبَحَ من خَلَقَ الله تعالى وأشَوْهه خَلْقًا .
فقال : مَن هذه منك ؟ قال : أُمْرَأَتِي . قال : خَلِّ سَبِيلَهَا . ففعل . فأطرق مَعَنُ
ساعةً ثم رفع رأسه ، فقال :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَصْبَحْتَ غَيْرَ مُحِبِّ	وَلَا حَسَنٍ فِي عَيْنِهَا ذَا مُنَاجِبِ
فَمَا لُمْتُهَا لَمَّا تَبَيَّنَتْ وَجْهَهُ	وَعَيْنَا لَهُ حَوْصَاءٌ مِنْ تَحْتِ حَاجِبِ
وَأَنْفًا كَأَنفِ الْبَكْرِ يَقْطُرُ دَائِبًا	عَلَى لَحْيَةِ عَصْلَاءٍ ^(١) شَابَتْ وَشَارِبِ

(١) عصلاء : معوجة .

أتيت بها مثل المهاة ^(١) تسومها فيا حسن مجلوب ويا قبح جالب

وأمر لها بمائتي دينار وقال : تجهّزي بها إلى بلادك .

من ورعه

وكان ابن جامع من المغنين المجيدين ، وكان من أحفظ خلق الله لكتاب الله تعالى ، وأعلمه بما يحتاج إليه ، وكان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلي الصبح ثم يصفّ قدميه حتى تطلع الشمس ، ولا يصلي الناس الجمعة حتى يحتم القرآن ، ثم ينصرف إلى منزله .

مع أبي يوسف
القاضي بباب الرشيد

قيل : وكان ابن جامع حسن السمّت كثير الصلاة ، قد أخذ السجود جبهته . وكان يعمّ بعمامة سوداء على قلنسوة ويلبس لباس الفقهاء ^(٢) وعليه زى أهل الحجاز . فقدم قدمة من مكة على الرشيد . فبينما هو واقف على باب يحيى بن خالد يلتبس الإذن عليه ، فوقف على ما كان يقف الناس عليه في القديم حتى يأذن لهم أو يصرفهم . فأقبل أبو يوسف القاضي صاحب أبو حنيفة رحمه الله بأصحابه أهل القلانس . فلما هجم على الباب نظر إلى رجل يقف إلى جانبه ويحدثه ، ف وقعت عينه على ابن جامع ، فرأى سمته وحلاوة هيئته . فجاء أبو يوسف فوقف إلى جانبه ثم قال : أمتع الله بك ، توّمت فيك الحجازية والقرشية . قال : أصبت . قال : فمن أي قریش أنت ؟ قال : من بني سهم . قال : فأى الحرمين منزلك ؟ قال : مكة . قال : فمن لقيت من فقهاءهم ؟ قال : سل عمن شئت . ففأتحه الفقه والحديث فوجد عنده ما أحب ، فأعجب به . ونظر الناس إليهما فقالوا : هذا القاضي قد أقبل على المغنى ! وأبو يوسف لا يعلم أنه ابن جامع . فقال أصحابه : لو أخبرناه عنه ! ثم قالوا : لا ، لعله لا يعود إلى موافقته بعد اليوم ، فلم نغمّه . فلما كان الإذن الثاني ليحيى ، غدا عليه الناس

(١) في الأغاني : « تسوقها » .

(٢) العبارة في الأغاني : « ويركب حمارا مريسيا في زى أهل الحجاز » .

وغدا عليه أبو يوسف ، فنظر يطلب ابن جامع فرآه ، فذهب فوقف إلى جانبه ، فحادثه كما فعل . فلما أنصرف قال له بعض أصحابه : أيها القاضي ، أتعرف هذا الذي تواقف وتحادث ؟ قال : نعم ، رجل من قریش من أهل مكة من الفقهاء . فقالوا : هذا ابن جامع المغنى . قال : إنا لله ! قالوا : إن الناس قد شهروك بمواقفته ، فأنكروا ذلك من فعلك . فلما كان الإذن الثالث جاء أبو يوسف ونظر إليه فتنكبته ، وعرف ابن جامع أنه قد أنذره به ، فجاء حتى وقف ، فسلم عليه . فرد عليه السلام بغير ذلك الوجه الذي كان يلقاه به ، ثم انحرف عنه . فدنا منه ابن جامع ، وعرف الناس القصة . وكان ابن جامع جليلاً ، فرفع صوته ثم قال : يا أبا يوسف ، ما لك تتمحرف عني ! أي شيء أنكرت ؟ قالوا ، لك : ابن جامع المغنى فكرهت موافقتي ! أسألك عن مسألة ثم أصنع ما شئت . ومال الناس فأقبلوا نحوها يسمعون . فقال : يا أبا يوسف ، لو أن أعرابياً جليلاً وقف بين يديك فأشذك بجفاء وغلظة من لسانه فقال :

يا دارمية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد

أكنت ترى بذلك بأساً ؟ فقال : لا ، قد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع الشعر - وروى في الحديث - قال ابن جامع : فإن قلت أنا هكذا ، ثم أندفع يتغنى فيه حتى أتى عليه ، ثم قال : يا أبا يوسف ، هل رأيتني زدت فيه أو نقصت منه ؟ قال : عافاك الله ! أعفنا من هذا . فقال : يا أبا يوسف ، أنت صاحب فتيا ، ما زدته على أن حسنته بألفاظي فحسن في السماع ووصل إلى القلب . ثم تنحى عنه ابن جامع .

وذكر أن ابن جامع والحراني ^(١) كانا منقطعين إلى موسى الهادي في أيام أبيه

جاء به ابن
الربيع لما ولي
الهادي

(١) هو إبراهيم الحراني ، كان من ندماء الهادي وقيمه على خزائن الأموال .

المهدى ، وكره المهدى انقطاعهما إلى ابنه فضر بهما وطردهما . فلما أفضت الخلافة إلى الهادى أعطى الفضل بن الربيع لبريد له دنانير ، وقال : الحق بمكة فأتني بأبن جامع وأحمله في قبة ولا تعلمن به أحداً . ففعل ذلك وحمله إليه . فأنزله الفضل بن الربيع وأشتري له جارية . وكان ابن جامع صاحب نساء . فذكره موسى الهادى ذات ليلة فقال لجلسائه : أما فيكم أحد يرسل إلى ابن جامع ، وقد عرفتم موقعه منى ! فقال له الفضل بن الربيع : هو والله عندى يا أمير المؤمنين ، وقد فعلت الذى أردت . فبعث إليه فأتى به فى الليل . فوصل الفضل فى تلك الليلة بعشرة آلاف دينار ، وولاه حجابته .

وحكى إسماعيل بن جامع قال :

أطرب الرشيد
بصوت أخذه عن
سوداء فأجازه

بينما أنا بعرفة لى باليمن وأنا مُشرف على مَشْرَعَة^(١) إذ أقبلت أمة سوداء على ظهرها قرّبة ، فلأتها ووضعتها عند المشرعة لتستريح ، وجلست فغنت :

فرُدّى مُصاب القلب أنتِ قَتَلْتِه	ولا تُبْعِدِى فيما تجشمتِ كُلُّشما
إلى الله أشكوا بُحْلَهَا وَسَمَاحَتِى	لها عَسَلٌ مِنِّى وَتَبَذْلٌ عَلَقمَا
أبى الله أن أُمسى ولا تذكُرِىنِى	وعَيْنَاى مِن ذِكْرِكَ قد ذَرَفَتْ دَمَا
أَبَيْتُ فَمَا تَنْفَكِ لى مِنْكِ حَاجَةٌ	رَحِمَى الله بِالْحُبِّ الذى كان أَظْلَمَا

قال : ثم أخذت قِربتها لتمضى ، فاستفزّنى من شهوة الصوت مالا قوام لى به ، فنزلت إليها وقلت لها : أعيديه . فقالت : أنا عنك فى شغل بحراجى . قلت : وم كم هو ؟ قالت : درهم فى كل يوم . فقلت : هذان درهمان ، وردّيه علىّ حتى أخذه منك . فأعطيتها درهمين . فقالت : أما الآن فنعم ، فلم تبرح حتى أخذه منها . وأنصرفت فلهوت به يومى . وأصبحت من غدا لا أذكر منه حرفاً ، فإذا

أنا بالسوداء قد طلعت ففعلتُ كَـفِـعَـلَـها بالأُـمـس ، فلما وضعت القربةَ تَغَنَّتْ غِـيـرَـه .
فَعْدَوْتُ في إثرها ، فقلت : يا جارية ، بِحَقِّي عَلَيْكَ رُدِّيْ عَلَى الصَّوْتِ فَقَدْ ذَهَبَتْ
عَنِّي مِنْهُ نَعْمَةٌ . قالت : لا والله ، ما مثلكُ تَذْهَبُ عَنْهُ نَعْمَةٌ ، أَنْتَ تَقِيسُ أَوَّلَهُ عَلَى
آخِرِهِ ، وَلَكِنَّكَ أَنْسِيتَهُ ، وَلَسْتُ أَفْعَلُ إِلَّا بِدَرْهَمَيْنِ آخَرَيْنِ . فدفعتهما إليها ،
فأعادته علىَّ حتى أَخَذْتُهُ ثَانِيَةً . فقالت : إِنَّكَ تَسْتَكْثِرُ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ ، وَكَأَنِّي بَكَ قَدْ
أَصَبْتُ بِهِ أَرْبَعَةَ آلَافِ دِينَار .

فَكُنْتُ عِنْدَ هَارُونَ الرَّشِيدِ يَوْمًا ، وَهُوَ عَلَى سَرِيرِهِ ، فَقَالَ : مَنْ غَنَّاى
فَاطِرَ بَنِي فَلِهْ أَلْفَ دِينَار . وَقَدْ أَمَهْ أ كِيَّاسُ فِي كُلِّ كِيَّاسٍ أَلْفَ دِينَار . فَعَنَّى الْقَوْمُ
وَوَغْنِيْتُ ، فَلَمْ يَطْرُب . حتى دار الغناءُ إِلَى ثَانِيَةٍ ، فَوَغْنِيْتُ صَوْتَ السَّوْدَاءِ ، فَرَمَى إِلَى
يَكِيَّاسٍ وَقَالَ : أَعِدْهُ . ففعلتُ . فَرَمَى إِلَى بَثَّانٍ ، ثُمَّ قَالَ : أَعِدْهُ . فأعدته . فَرَمَى
إِلَى بَثَّالٍ ، وَأَمْسَكَ . فضحكتُ . فقال : مَا يُضْحِكُكَ ؟ فقلت : لِهَذَا الصَّوْتِ
حَدِيثُ عَجِيبٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . لَخَدَّيْتُهُ بِهِ وَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ . فَرَمَى إِلَى رَابِعٍ ،
وَقَالَ : لَا تُكَذِّبْ قَوْلَهَا .

شعر السمَّوئل فيه
لابن جامع غناء

قلت : وَذَكَرَ أَبُو الْفَرَجِ مِنَ الشَّعْرِ الَّذِي لَأَبْنِ جَامِعٍ فِيهِ صَنْعَةٌ ، شَعْرُ
السَّمَّوَيْلِ بْنِ عَادِيَاءَ الْغَسَّانِيِّ الْيَهُودِيِّ ، صَاحِبِ تَيْمَاءَ ، ^(١) بِالْخِصْنِ الْمَعْرُوفِ بِالْأَبْلَقِ
— وَقِيلَ : إِنْ الشَّعْرُ لَأَبْنَهُ شَرِيحٌ — وَهُوَ :

تَعَيَّرْنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا	فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ
وَمَا ضَرَّنا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا	عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ
وَإِنَّا لَقَوْمٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً	إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولٌ

(١) تيماء : بليدة في أطراف الشام .

يُقَرَّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا وَتَكَرَّهَهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ
فَأَقْتَضَى ذَلِكَ ذِكْرَ خَيْرِ السَّمْوُولِ وَأَبْنِهِ شَرِيحٍ ، فَنَذْكُرُهُ :

خبر السموول
وابنه شريح

كَانَ السَّمْوُولُ مِنْ يَهُودَ يَثْرِبَ ، وَهُوَ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْوَفَاءِ . وَخَبْرُهُ :
أَنْ أَمْرًا الْقَيْسَ بْنَ حُجْرٍ الْكِنْدِيَّ أَوْدَعَ السَّمْوُولُ أَدْرَاعًا ، فَأَتَاهُ الْحَارِثُ بْنُ
ظَالِمٍ — وَقِيلَ : الْحَارِثُ بْنُ أَبِي شَمْرِ النَّسَائِي — لِيَأْخُذَهَا مِنْهُ ، فَتَحَصَّنَ مِنْهُ
السَّمْوُولُ ، فَأَخَذَ أَبْنَاهُ غُلَامًا وَنَادَاهُ : إِمَّا أَنْ تُسَلَّمَ الْأَدْرَاعَ وَإِمَّا أَنْ أَقْتُلَ
أَبْنَكَ . فَأَبَى السَّمْوُولُ أَنْ يُسَلَّمَ الْأَدْرَاعَ إِلَيْهِ . فَضَرَبَ الْحَارِثُ وَسَطَ الْغُلَامِ
بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهُ بِنَصْفَيْنِ . فَقَالَ السَّمْوُولُ فِي ذَلِكَ :

وَفِيَتْ بِأَدْرُعِ الْكِنْدِيِّ إِنِّي إِذَا مَا ذُمُّ^(١) أَقْوَامٌ وَفِيَتْ
وَأَوْصَى عَادِيًا يَوْمًا بِأَلَا تُهْدَمُ يَا سَمْوُولُ مَا بَنَيْتَ
بَنَى لِي عَادِيًا حِصْنًا حَصِينًا وَمَاءُ^(٢) كَمَا شِئْتُ أُسْتَقِيمَتْ

ومنها :

أَعَاذَتْنِي إِلَّا لَا تَعْذِلْنِي فَكَمْ مِنْ أَمْرٍ عَاذَلَهُ عَصِيَتْ
دَعَانِي وَأَرْشَدِي إِنْ كُنْتُ أُغْوَى وَلَا تَغْوَى زَعَمْتَ كَمَا غَوَيْتَ
أَعَاذَلْتُ قَدْ طَلَبْتُ اللَّوْمَ^(٣) حَتَّى لَوْ أَنِّي مُنْتَهَ لَقَدْ أُنْتَهَيْتَ
وَصَفَرَاءِ الْمَعَاصِمِ قَدْ دَعَانِي إِلَى وَحْلِ فَقُلْتُ لَهَا أَيْدِي
وَزِقِّ قَدْ جَرَرْتُ إِلَى النَّدَامَى وَزِقِّ قَدْ شَرَبْتُ وَقَدْ سَقَيْتَ
وَحَتَّى لَوْ يَكُونُ فَتَى أَنْسَى بَكِي مِنْ عَذَلٍ عَاذَلَهُ بِكَيْتَ

وَذَكَرَ أَنَّ الْأَعَشَى هَجَا رَجُلًا مِنْ كَلْبٍ ، فَقَالَ :

أمر الأعشى
وشفاعه شريح فيه

(١) فِي الْأَغَانِي : « مَا خَانَ » .

(٢) وَيُرْوَى : « عَيْنًا » وَ « بَهْرًا » .

(٣) طَلَبْتُ اللَّوْمَ ، أَيْ جَعَلْتَهُ شَغْلَكَ وَأَكْثَرْتَ فِيهِ .

بنو الشَّهْر الحَرَام فَلَسْتَ مِنْهُمْ وَلَسْتَ مِنَ الْكَرَامِ بَنِي عُبَيْدٍ
وَلَا مِنْ رَهْطِ جَبَّارِ بْنِ قُرْطٍ وَلَا مِنْ رَهْطِ حَارِثَةَ بْنِ زَيْدٍ

وهؤلاء كلهم من كَلْب . فقال الكلبي : أنا ، لا أبالك ! أشرف من هؤلاء . فسبّه الناس بعدُ بهجاء الأعشى . وكان مُتَعَيِّظًا عليه . فأغار الكلبيُّ على قوم قد بات بهم الأعشى ، فأسر منهم نفرًا ، وأسر الأعشى وهو لا يعرفه . فجاء حتى نزل بشرح بن السمّوع بن عدياء الغساني ، صاحب تيماء ، بحصنه الذي يقال له : الأبلق ، فمر شريح بالأعشى . فنادى به الأعشى بقوله :

شُرَيْحُ لَا تَتْرَكْنِي بَعْدَ مَا عَلِمْتَ حَبَالُكَ الْيَوْمَ بَعْدَ الْقَدِّ^(١) أَظْفَارِي
قَدْ جُلْتُ مَا بَيْنَ بَانِقِيَا^(٢) إِلَى عَدَنٍ وَطَالَ فِي الْعُجْمِ تَكَرَّرِي^(٣) وَتَسْيَارِي
وَكَانَ أَكْرَمَهُمْ عَهْدًا وَأَوْثَقَهُمْ نَعْدًا أَبُوكَ بُعْرِفَ غَيْرِ إِنْكَارِ
كَالغَيْثِ مَا اسْتَمْطَرُوهُ جَادًا وَابِلُهُ وَفِي الشَّدَائِدِ كَالْمُسْتَأْسَدِ الضَّارِي
كُنْ كَالسَّمُوعِ إِذْ طَافَ الْهَمَامُ بِهِ فِي جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارِ
إِذْ سَامَهُ خَطَّتِي خَسَفٍ فَقَالَ لَهُ قُلْ مَا تَشَاءُ فَإِنِّي سَامِعٌ حَارِ
فَقَالَ غَدْرٌ وَتُكَلُّ أَنْتَ بَيْنَهُمَا فَاخْتَرْتُ وَمَا فِيهِمَا حَظٌّ لِمُخْتَارِ
فَشَكَّ غَيْرَ طَوِيلٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَقْتُلْ أَسِيرَكَ إِنِّي مَانِعٌ جَارِي
وَسَوْفَ يُعْقِبُنِيهِ إِنْ ظَفَرْتَ بِهِ رَبُّ كَرِيمٍ وَبَيْضٌ ذَاتُ أَطْهَارِ
لَا سِرَّ هُنَّ لَدَيْنَا ذَاهِبٌ هَدَرًا وَحَافِظَاتٌ إِذَا اسْتَوْدَعْنَ أَسْرَارِي
فَاخْتَارَ أَدْرَاعَهُ كَيْ لَا يُسَبَّ بِهَا وَلَمْ يَكُنْ وَعْدُهُ فِيهَا^(٤) بِمُخْتَارِ

(١) القد : القيد .

(٢) بانقيا : ناحية بالكوفة .

(٣) في الديوان : « تردادي » .

(٤) المختار : الغادر .

قال : فجاء شريح إلى السكبي فقال له : هب لى هذا الأسير المغرور .^(١)
 فقال : هو لك . فأطلقه وقال له : أقم عندى حتى أكرمك وأحبوك . فقال له
 الأعشى : إن من تمام صنيعتك أن تُعطينى ناقةً ناجيةً^(٢) وتُخلىنى الساعة .
 فأعطاه ناقةً فركبها ومضى من ساعته . وبلغ السكبي أن الذى وهب لشريح هو
 الأعشى ، فأرسل إلى شريح : أبعث لى بالأسير الذى وهبت لك حتى أحبوه
 وأعطيه . فقال : قد مضى . فأرسل السكبي فى طلبه ، فلم يلحقه .

(١) فى الأغاني : « المصروب » . وصححها الشنقيطى بقلمه : « المضرور » .

(٢) ناجية : سريعة .

أخبار أبي سفيان بن حرب

هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن
كلاب بن مرة .

وأم حرب بنت أبي ههممة بن عبد العزى بن عامر بن عميرة بن وداعة بن
الحارث بن فهر .

وأم أبي سفيان صفية بنت حزن بن بجير بن الهزم بن ربيعة بن عبد الله بن
هلال بن عامر بن صعصعة . وهي عمة أم المؤمنين ميمونة . وأختها أم الفضل أم
بني العباس بن عبد المطلب .

وكان حرب بن أمية قائد بني أمية في الجاهلية .

شيء عن حرب
ووفاته

وذُكر أن سبب وفاة حرب بن أمية أنه لما أنصرف هو وإخوته من حرب
عكاظ مرّ بالقرية ^(١) - وهي إذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرّام - فقال له مرداس
ابن أبي عامر : أما ترى هذا الموضع ؟ قال : بلى . فما له ؟ قال : نعم المزدرع هو !
فهل لك أن نكون شريكين فيه ونحرق هذه الغيضة ثم نذرعه بعد ذلك ؟
قال : نعم . فأضرم النار في الغيضة . فلما استطارت وعلا لها سماع من الغيضة أنين
وضجيج كثير . ثم ظهرت حيات بيض تطير حتى قطعنها وخرجت منها .
فقال مرداس بن أبي عامر في ذلك :

إني أنتخبت لها حرباً وإخوته إني بحبل وثيق العهد ^(٢) دسّاس
إني أقوم قبل الأمر حجتّه کیا يقال وليّ الأمر مرداس

(٢) في الأغاني : « العقد » .

(١) القرية : موضع في ديار بني سليم .

قيل : وسَمِعُوا هَاتِفًا يَقُولُ لَمَّا أُحْتَرِقَتِ الْغَيْضَةُ :

وَيْلٌ لِحَرْبٍ فَارِسًا مُطَاعِنًا مُخَالِسًا
وَيْلٌ لِعَمْرٍو فَارِسًا إِذْ لَبَسُوا ^(١) الْقَلَانِسَا
لِنَقْتُلُنَّ بَقْتُلَهُ جَحَاجِحًا عَنَابِسَا

فلم يلبث حربٌ ومرداسٌ أن ماتا .

وكان أبو سفيان بن حرب سيِّداً من سادات قُرَيْشٍ في الجاهليَّةِ ، ورأساً من رءوس الأحزاب على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قبل إسلامه . وهو صاحب العير يوم بدر ، وقائد المشركين يوم أحد والخندق ، وأسلم يوم فتح مكة ، وشهد مع النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم يوم حُنين والمشاهد كلها بعده . وقُتِّمَتْ عينُه يوم الطائف ، فلم يزل أعور إلى يوم اليرموك ، فقُتِّمَتْ عينُه الأخرى يومئذٍ فعمى .

مكانته في قريش
وفقه عينيه

وكانت أُنْتَه أم حبيبة إحدى أزواج النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم ، وأبو سفيان يومئذٍ مُشْرِكٌ يُحَارِبُ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فقيل له : إنَّ محمداً قد نكح أُنْتَك . فقال : ذاك الفحل الذي لا يُقْدَعُ أَنْفُهُ .

قوله في زواج ابنته
أم حبيبة من النبي
صلَّى الله عليه وسلَّم

واسم أم حبيبة رَمْلَةٌ . وقيل : هند . والأول أصح .

وذُكِرَ أنه بعد إسلامه سُمِعَ يُمَازِحُ النبيَّ صَلَّى الله عليه وسلَّم في بيت أُنْتَه أم حبيبة ويقول : إن هو إلا أن تركتكَ فتركك العربُ ، فما أنتطحت جماء ^(٢) ولا ذاتُ قرن . ورسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يضحك ويقول له : أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة !

وقيل : أذن رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يوماً للناس ، وكان آخر من دخل

هو النبي صلى الله
عليه وسلم وقد
أبطأ إذنه

(١) في رواية : « القوانسا » : جمع قونس ، وهو أعلى البيضة .

(٢) الجماء : الشاة لا قرن لها .

عليه أبو سفيان بن حرب ، فقال : يا رسول الله ، لقد أذنت للناس قبلي حتى ظننتُ أن حِجَارَةَ الخَنْدَمَةِ ^(١) لِيُؤْذَنَ لها قبلي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والله إنك والناس لكما قال الأول : كُلُّ الصَّيِّدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا ^(٢) . أى كل شيء لهؤلاء من المنزلة فإن لك وحدك مثله .

وحدث ابن عباس قال : حدثني أبو سفيان قال :

هو وهرقل عن
النبي صلى الله عليه
وسلم

كُنَّا قَوْمًا تَجَارًا ، وكانت الحربُ بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حَصَرْتَنَا حتى نَهَكَتْ أموالنا . فلما كانت الهدنة ، هُدِنَةُ الحُدَيْبِيَّةِ ، بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجتُ في نفرٍ من قُرَيْشٍ إلى الشام ، وكان وجهُ مَتَجَرْنَا غَزَّةَ ، فَقَدِمْنَاها حين ظَهَرَ هِرْقُلُ على من كان في بلاده من الفُرس ، فأخرجهم منها ورَدَّ عليه صليبيهِ الأعظم ، وقد كانوا أُسْتُلبوه إياه . فلما بلغه ذلك ، وكان منزله بِحِمَصٍ من أرض الشام ، خرج منها يَمْشِي إلى بيت المقدس ليصلي فيه شكرًا لله ، تَبَسُّطَ له البُسْطُ ويُطْرَحَ له عليها الرِّياحِين ، حتى أَتَتْهُ إلى إيلياءَ فصَلَّى بها . فأصبح ذاتَ غَدَاةٍ وهو مَهْمُومٌ يُقَلِّبُ طرفه إلى السماء . فقالت بطارقته : أيها الملك ، لقد أصبحتَ مَهْمُومًا . فقال : أجل . فقالوا : وما ذاك ؟ قال : أُرِيتُ في هذه الليلة أن مُلْكَ الخِثَّانِ ظاهر . فقالوا : فوالله ما نعلم أمةً من الأمم تَحْتَنِقُ إلا اليهود ، وهم تحت يديك وسلطانك ، فإن كان قد وَقَعَ هذا في نفسك منهم فأبعث في مَمْلَكَتِكَ كُلِّهَا ولا يَبْقِ يهودى إلا ضُرِبَتْ عنقه ، فتستريح من هذا الهم . فإنهم في ذلك من رأيهم يُدَبِّرُونَهُ إِذْ أَتَاهُمْ رَسُولُ صَاحِبِ بُصْرَى بِرَجُلٍ من العرب قد وَقَعَ إليهم . فقال : أيها الملك ، إن هذا رجل من أهل العرب من أهل

(١) الخندمة : جبل بمكة .

(٢) الفراء : الحمار الوحشي .

الشاء والإبل يحدثك عن حدث كان في بلاده ، فأسأله عنه . فلما أنهى قال لترجمانه : سل ما هذا الخبر الذي كان في بلاده ؟ فسأله . فقال : رجل من العرب من قریش خرج يزعم أنه نبي ، وقد أتبعه أقوام وخالفه آخرون ، وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن كثيرة ، فخرجت من بلادى وهم على ذلك . فلما أخبره الخبر قال : جرّدوه ، فإذا هو محتون . فقال : هذا والله الذي أريت لا ما يقولون . أعطوه ثوبه . أنطلق لشأنك . ثم دعا صاحب شرطته فقال له : اقلب لى الشام ظهراً لبطن حتى تأتيني برجل من قوم هذا أسأله عن شأنه .

قال أبو سفيان : فوالله إني وأصحابي لبغرة إذ هجم علينا صاحب شرطته فسالنا : من أتم ؟ فأخبرناه . فسالنا إليه جميعاً . قال أبو سفيان : فوالله ما رأيت رجلاً قط أزعم أنه كان أدهى من ذلك الأقف - يريد هرقل - فلما أتتهنا إليه قال : أيكم أمس به رحماً ؟ فقلت : أنا . فقال : أدنوه مني . فأجلسني بين يديه ، ثم أمر أصحابي فأجلسهم خلفي ، وقال : إن كذب فردوا عليه . قال أبو سفيان : فلقد عرفت أن لو كذبت ما ردوا على ، ولكن كنتُ أمراً سيّداً أتكرم^(١) وأستحي من الكذب ، وعرفت أن أدنى ما يكون في ذلك أن يردوا على ثم يتحدثوا عني بمكة ، فلم أكذبه . فقال : أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج فيكم . فزهّدت له شأنه وصغرت له أمره ، فوالله ما التفت إلى ذلك مني وقال : أخبرني عما أسألك عنه من أمره . فقلت : سلني عما بدالك . فقال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت محض ، من أوسطنا نسباً . قال : فأخبرني هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فيتشبه به ؟ فقلت : لا . قال : فأخبرني هل كان له فيكم ملك فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه ملكه ؟ فقلت : لا . قال : أخبرني عن أتباعه منكم من هم ؟ قلت : الضعفاء والمساكين والأحداث من الغلمان والنساء ، فأما ذوو الأسنان

(١) في الأغاني : « أتبرم عن الكذب » .

من الأشراف من قومه فلم يتبعه منهم أحد . قال : فأخبرني مَنْ يَصْحَبُهُ : أيُحِبُّهُ
ويُزِمُّهُ أم يَقْلِيهِ ويفارقه ؟ قلت : قلما يَصْحَبُهُ رجلٌ يفارقه . قال : فأخبرني عن الحرب
بينكم وبينه . فقلت : سجال ، يُدَال علينا ونُدَال عليه . قال : فأخبرني : هل
يَعْدُر ؟ فلم أجد شيئاً اُغْتَمَزُ فيه إلا هي ، فقلت : لا ، ونحن منه في هُدْنَةٍ ^(١) لا نأمن
غَدْرَهُ . قال : فوالله ما أَلْتَفْتُ إليهم ، فأعاد عليّ الحديث ، فقال : زعمت أنه من أمْحَضِكُمْ
نسباً ، وكذلك يأخذ الله النَّبِيَّ ، لا يأخذه إلا من أوسط قومه . وسألتك : هل كان
من أهل بيته أحد يقول مثل قوله يتشبه به ؟ فقلت : لا . وسألتك : هل كان له
مُلْكٌ فأَسْتَلْبِتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردوا عليه ملكه ؟ فقلت : لا . وسألتك
عن أتباعه ، فرزعت أنهم الأحداث والمساكين والضعفاء ، وكذلك أتباع الأنبياء
في كل زمان . وسألتك عن من يتبعه : أيُحِبُّهُ أم يَقْلِيهِ ويفارقه ؟ فرزعت أنه
قَلَّ مَنْ يَصْحَبُهُ فيُفَارِقُهُ ، وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه .
وسألتك كيف الحرب بينكم ؟ فرزعت أنها سجال يُدَال عليكم وتُدَالون عليه .
وكذلك تكون حروب الأنبياء ولهم العاقبة . وسألتك : هل يَعْدُر ؟ فرزعت أنه
لا يَعْدُر . ولئن صدقتني ليغلبني على ما تحت قدمي ، ولوددت أني عنده فأغسل قدميه .
الحقُّ بشأنك . فقممت وأنا أضرب بإحدى يدي على الأخرى وأقول : عباد الله ،
لقد أمر أمرُ ابن أبي كبشة ! ^(٢) أصبح ملوك بني الأصفر يخافونه في سُلْطَانِهِمْ .

(١) يريد هُدْنَةُ الحديبية ، وفي الأغاني : « في مدة »

(٢) أمر : عظم . وابن أبي كبشة : رجل خالف قريشاً في عبادة الأوثان فسموا النبي صلى
الله عليه وسلم باسمه لخروجه عليهم .

روى ابن عباس قال :

لما عَزَمَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم على فَتَحِ مَكَّةَ خَرَجَ لِعَشْرِ مَضِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ — قلت : يعنى سنة ثمانٍ من الهجرة — فصام وصام الناسُ معه ، حتى إذا كان بالكُذَيْدِ أَفْطَرَ . ثم مَضَى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم حتى نَزَلَ مَرَّةَ الظَّهْرَانِ ^(١) في عشرة آلاف من المسلمين ، وقد عَمِيتِ الْأَخْبَارُ عَنْ قُرَيْشٍ ، وَلَا يَأْتِيهِمْ خَبَرٌ عَنْ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم ، وَلَا يَدْرُونَ مَا هُوَ فَاعِلٌ . فَخَرَجَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ ، يَتَجَسَّسُونَ وَيَنْظُرُونَ هَلْ يَجِدُونَ خَبْرًا ، أَوْ يَسْمَعُونَهُ .

قال العباس : فقلت : واصباح قُرَيْشٍ ! لئن دخل رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم مَكَّةَ عَنَوةً قَبْلَ أَنْ يَأْتَوْهُ فَيَسْتَأْمِنُوا إِلَيْهِ ، إِنَّهُ لَهْلَاكُ قُرَيْشٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ . قال العباس : فركبتُ بَغْلَةً رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم الْبَيْضَاءُ فَخَرَجْتُ عَلَيْهِمْ حَتَّى جِئْتُ الْأَرَاكَ ، ^(٢) أَقُولُ : لَعَلِّي أَرَى بَعْضَ الْخَطَّابَةِ ، أَوْ صَاحِبَ لَبَنٍ أَوْ ذَا حَاجَةٍ يَأْتِيهِمْ فَيُخْبِرُهُمْ بِمَكَانِ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم . قال : فوالله إني لأسير عليها وألتمس ما خَرَجْتُ لَهُ إِذْ سَمِعْتُ كَلَامَ أَبِي سَفْيَانَ ، وَحَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ وَبُدَيْلِ بْنِ رِقَاءَ ، يَتَجَسَّسُونَ الْخَبَرَ عَنْ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم ، وَسَمِعْنَا أَبُو سَفْيَانَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ نِيرَانًا قَطُّ وَلَا عَسْكَرًا ! قال : فَعَرَفْتُ صَوْتَ أَبِي سَفْيَانَ . فقلت : أبا حنظلة ! فَعَرَفَ صَوْتِي فَقَالَ : أبا الفضل ! قلت : نعم . قال : مالك ؟ فذاك أبي وأُمِّي ! قلت : ويحك ! هذا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم في الناس ، واصباح قُرَيْشٍ ! فقال : ما ترى ؟ فقلت : تَرَكِبَ عَجْزُ هَذِهِ الْبَغْلَةِ فَأَسْتَأْمِنُ لَكَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم ، فوالله لئن ظفر بك ليضربنَّ

(١) من الظهران : واد قرب مكة .

(٢) الأراك : قرب مكة .

عُنُقِكَ . فَرَدَفَنِي . فَخَرَجْتُ بِهِ أَرْكُضُ بَغْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَكَلِمًا مَرَرْتُ بِنَارٍ مِنْ نِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ فَنَظَرُوا إِلَيَّ
قَالُوا : عَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
حَتَّى مَرَرْتُ بِنَارِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ . فَقَالَ : أَبُو سُفْيَانُ ! الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَكَّنَ مِنْكَ
بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ . ثُمَّ أَشْتَدُّ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَرَكُضْتُ الْبَغْلَةَ
حَتَّى أَقْتَحَمْتُ عَلَى بَابِ الْقُبَّةِ ، وَسَبَقْتُ عُمَرَ بِمَا تَسْبِقُ بِهِ الدَّابَّةُ الْبُطَيْئَةُ الرَّجُلَ الْبَطِيءَ .
فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا أَبُو سُفْيَانٍ
أَمَكَّنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ ، فَدَعْنِي أَضْرِبَ عُنُقَهُ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ
اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ أَجْرْتُهُ . ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخَذْتُ بِرَأْسِهِ
وَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا يُنَاجِيهِ الْيَوْمَ أَحَدٌ دُونِي . فَلَمَّا أَكْثَرَفِيهِ عُمَرُ قُلْتُ : مَهْلًا يَا عُمَرُ ،
فَوَاللَّهِ مَا تَصْنَعُ هَذَا إِلَّا لِأَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ
كَعْبٍ مَا قُلْتُ هَذَا ! فَقَالَ : مَهْلًا يَا عَبَّاسُ ، فَوَاللَّهِ لِإِسْلَامِكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ كَانَ أَحَبَّ
إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ ، لِأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ إِسْلَامَكَ أَحَبُّ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَذْهَبُ
فَقَدْ أَمَّنَاهُ حَتَّى تَغْدُو بِهِ عَلَى الْعِدَّةِ . فَرَجَعْتُ بِهِ إِلَى مَنْزِلِي . فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا بِهِ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانِ ! أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ
تَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ قَالَ : بَأبَى أَنْتَ وَأُمِّي ، مَا أَوْصَلَكَ وَأَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ !
وَاللَّهِ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ غَيْرُهُ لَقَدْ أَغْنَى عَنِّي شَيْئًا . فَقَالَ :
وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانِ ! أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؟ قَالَ : بَأبَى أَنْتَ وَأُمِّي ،
مَا أَوْصَلَكَ وَأَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ ! أَمَّا هَذِهِ فَإِنَّ فِي النَّفْسِ مِنْهَا شَيْئًا . قَالَ الْعَبَّاسُ :
فَقُلْتُ لَهُ : وَيْحَكَ ! تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ قَبْلَ أَنْ تُضْرِبَ عُنُقَكَ . قَالَ : فَتَشْهَدُ . فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ حِينَ تَشْهَدُ أَبُو سُفْيَانِ : أَنْصَرِفْ يَا عَبَّاسُ

فأحبسه عند خَطَمِ الجبل بِمَضِيقِ الوادى ، حتى تَمُرَّ عليه جُنودُ الله عزَّ وجل .
 فقلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان يُحِبُّ الفَخْرَ فَأَجْعَلْ لَهُ شَيْئًا . فقال : نعم ،
 مَنْ دَخَلَ دارَ أَبِي سَفْيَانَ فهو آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ المَسْجِدَ فهو آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ عليه
 بابه فهو آمِنٌ . فخرَجْتُ حتى أَجْلَسْتُهُ عند خَطَمِ الجبل بِمَضِيقِ الوادى . فمَرَّتْ عليه
 القَبَائِلُ ، فجعل يقول : مَنْ هَؤُلَاءِ يا عَبَّاسُ ؟ فَأقول : سُلَيْمٌ . فيقول : مَالِي وَلَسُلَيْمٌ !
 فتمر به قَبِيلَةٌ ، فيقول : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ فَأقول : أَسْلَمٌ . فيقول : مَالِي وَلَأَسْلَمٌ ! وتمر
 جُهَيْنَةٌ . فيقول : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ فَأقول : جُهَيْنَةٌ . فيقول : مَالِي وَجُهَيْنَةٌ ! حتى مَرَّ رسولُ
 الله صَلَّى الله عليه وسلم في الأَنْصَارِ ، كَتَبَتْهُ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم مِنَ المُهَاجِرِينَ
 والأَنْصَارِ ، في الحديد لا يُرَى مِنْهُمْ إِلَّا الحَدَقُ . فقال : مَنْ هَؤُلَاءِ يا أبا الفضل ؟
 فقلت : هذا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم في المُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ . فقال : يا أبا الفضل ،
 لقد أصبح مُلْكُ ابْنِ أَخِيكَ عَظِيمًا . فقلت : ويحك ! إنها النبوة . فقال : نعم .
 فقلت : الحق الآن بقومك فحذِّرْهم . فخرَجَ سَريعًا حتى أتى مَكَّةَ ، فصَرَخَ في
 المَسْجِدِ : هذا مُحَمَّدٌ قد جاءكم بِمَالٍ قَبْلَ لَكُمْ بِهِ . قالوا : كَفَمَ ! قال : فمَنْ دَخَلَ دارِي
 فهو آمِنٌ . فقالوا : ويحك ! ما تُغْنِي دَارُكَ عَنَّا ! قال : وَمَنْ دَخَلَ المَسْجِدَ فهو آمِنٌ ،
 وَمَنْ أَغْلَقَ عليه بابه فهو آمِنٌ .

وتحدَّثَ عبدُ الله بن الزُّبَيْرِ قال :

أبوسفيان يوم
اليرموك

لما كان يوم اليرموك خلفني أبي ، فأخذتُ فرسًا له وخرَجْتُ ، فرأيتُ جماعةً
 مِنَ الطُّلُقَاءِ ، مِنْهُمْ أَبُو سَفْيَانَ بن حَرَبٍ ، فكانتِ الرُّؤُومُ إذا هَزَمَتِ المُسْلِمِينَ
 قال أبوسفيان بن حَرَبٍ : إيها بنى الأصفر ! فإذا كَشَفَهمُ المُسْلِمُونَ قال أبوسفيان :
 وبنو الأصفر الكرامُ ملوكُ الرُّومِ ولم يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكَورٌ
 فلما فَتَحَ الله على المُسْلِمِينَ حَدَّثْتُ أَبِي فقال : قاتله الله ! أَبِي إِلَّا نِفَاقًا ،
 أو لَسْنَا خَيْرًا لَهُ مِنَ بَنِي الأصفر ! ثم كان يأخذ بيدي فيطوف بي على أَصْحَابِ
 رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم فيقول : حَدِّثْهُمْ . فَأُحَدِّثُهم . فيعجبون من نِفَاقِهِ .

وقيل : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وولى الخلافة أبو بكر الصديق هو وعلى لما ولى أبو بكر
رضى الله عنه ، جاء أبو سفيان بن حرب إلى علي بن طالب رضى الله عنه فقال :
يا أبا الحسن ، ما بال هذا الأمر في أضعف قریش وأقلها ! فوالله لئن شئت لأملأنها
عليهم خيلاً ورجالاً . فقال على رضى الله عنه : طالما عادت الله ورسوله والمسلمين ،
فما ضرهم ذلك شيئاً ، إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً .

شعر له لما ولى
أبو بكر

وقال أبو سفيان ، لما ولى أبو بكر رضى الله عنه :

وأخت قریش بعد عزٍّ ومنعة حُضوعاً لتيَم^(١) لا بضرب القواضب
فيا لهف نفسي للذي طفرت به وما زال منها فائزاً بالرغائب

والشعر الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار أبو سفيان ، هو أبيات قالها
فى سلام بن مشكم اليهودى ، لما نزل عليه أبو سفيان فى غزاة السويق ، وهى :

سَقَانِي فَرَوَانِي كُمَيْتًا مُدَامَةً عَلَى ظَمَأٍ مَنِّي سَلَامٌ بِنِ مِشْكِمِ
تَحَيَّرْتُهُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَاحِدًا سَوَاهِمِ فَلَمْ أُغْبِنْ وَلَمْ أَتَنَدَّمِ
فَلَمَّا تَقَضَّى اللَّيْلُ قُلْتُ وَلَمْ أَكُنْ لِأَفْرِحْهُ أَبْشَرَ بِعُرْفٍ وَمَغْنَمِ
وَإِنَّ أَبَا غُنْمٍ يَجُودُ وَدَارُهُ يَيْثَرُ مَأْوَى كُلِّ أَيْبُسٍ^(٢) خِضْرِمِ

وذكر أنه لما أنقضت غزوة بدر نذر أبو سفيان ألا يمس رأسه ماء من
جنانة حتى يغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم . فخرج فى مائتى فارس من قریش
ليبري يمينه ، فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له تيب ،^(٣) من
المدينة على برید أو نحوه . ثم خرج من الليل حتى أتى بنى النضير من اليهود ، تحت

(١) هو تيم بن مرة بن كعب . وإليه قبيلة أبي بكر .

(٢) الخضرم : الجواد الكثير العطية .

(٣) تيب ، بالتحريك والباء آخرأ ، ويقال فيه : تيت ، بسكون الياء ، وتشديدها مع

الفتح والكسر .

الليل، فَأَتَى حَيْثُ بَنَ أَخْطَبَ فَضْرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ، فَأَبَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ وَخَافَهُ . فَمَضَى إِلَى سَلَامَ بْنِ مِشْكَمَ، وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي النَّضِيرِ فِي زَمَانِهِ ذَلِكَ وَصَاحِبَ كَنْزِهِمْ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ . فَأَذِنَ لَهُ . فَقَرَأَ وَسَقَاهُ الْخَمْرَ وَنَظَرَ لَهُ خَبَرَ النَّاسِ، ثُمَّ خَرَجَ فِي عَقْبِ لَيْلَتِهِ حَتَّى جَاءَ أَصْحَابَهُ، فَبَعَثَ رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى الْمَدِينَةِ . فَأَتَوْا نَاحِيَةً مِنْهَا يُقَالُ لَهَا : الْعُرَيْضُ، فَحَرَّقُوا فِي نَخْلِهَا، وَوَجَدُوا رِجَالًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَحَافِيًا لَهُ فِي حَرْتِ لَهَا، فَقَتَلُوهَا، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا رَاجِعِينَ . وَنَذَرُوا بِهِمُ النَّاسَ . فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَلَبِهِمْ حَتَّى بَلَغَ قَرْقَرَةَ السَّكْدَرِ^(١)، ثُمَّ أَنْصَرَفَ رَاجِعًا لَمْ يَلْقَ كَيْدًا، وَقَدْ فَاتَهُ أَبُو سَفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ، وَقَدْ رَأَوْا مِنْ مَزَاوِدِ الْقَوْمِ مَا قَدْ طَرَحُوهُ فِي الْحَرْتِ، يَتَخَفَفُونَ بِهِ لِلنَّجَاةِ، وَفِيهَا سَوِيْقٌ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَتِ الْغَزْوَةُ : غَزْوَةُ السَّوِيْقِ .

وَذَكَرَ أَبُو الْفَرَجِ أَنَّهَا إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ قُرَيْشًا عَايَرَتْ أَبَا سَفْيَانَ بِكَوْنِهِ خَرَجَ فَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا، وَقَالُوا : إِنَّمَا خَرَجْتُمْ تَشْرِبُونَ السَّوِيْقَ .
وَقَالَ الْمُسْلِمُونَ، حِينَ رَجَعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْظِمِعْ أَنْ تَكُونَ غَزْوَةً ؟ قَالَ : نَعَمْ .

(١) عَلَى سِتَّةِ أَمْيَالٍ مِنْ خَيْبَرَ .

أخبار الوليد بن يزيد

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية . نسبه وكنيته ابن عبد شمس بن عبد مناف . ويكنى : أبا العباس .

وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي . أمه وهي بنت أخي الحجاج بن يوسف . وفيه يقول أبو نخيلة :^(١)

بين أبي العاصي وبين الحجاج
يا لكما نوراً سراجٍ وهاجٍ
عليه بعد عمه عقد التاج

وأم يزيد بن عبد الملك بن مروان عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية . وأُمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس . وأم عبد الله بن عامر بن كريز أم حكيم البضاء بنت عبد المطلب بن هاشم ، عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك يقول الوليد بن يزيد :

نبيّ الهدى خالي ومن يك خاله
نبيّ الهدى يقهر به من يفاخر

وكان الوليد بن يزيد من فتيان بني أمية وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأشدائهم ، وكان مع ذلك خليعاً منهمكاً في الشرب واللهو وسماع الغناء ، وولى الخلافة بعد عمه هشام بن عبد الملك بن مروان بعهد من أبيه يزيد بن عبد الملك .

ذكر أنه لما خرج بالعراق يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدى على يزيد ولايته العهد بعد هشام وطمع هشام في خلعه

(١) ستائق ترجمته .

ابن عبد الملك بن مروان ، ووجه يزيد بن عبد الملك الجيوش لقتاله ، وعقد لأخيه مسلمة بن عبد الملك على الجيش ، وبعث ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك وعقد له على أهل دمشق ، قال له العباس : يا أمير المؤمنين ، إن أهل العراق أهل غدر وإرجاف ، وقد وجهتنا محاريبين والأحداث تحدث ، ولا آمن أن يُرجف أهل العراق ويقولوا : مات أمير المؤمنين ولم يعهد ، فيفت ذلك في أعضاد أهل الشام . فلو عهدت عهداً إلى عبد العزيز بن الوليد ؟ فقال : غدا . وبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك ، فأتى يزيد فقال : يا أمير المؤمنين ، أيما أحب إليك : ولد عبد الملك أو ولد الوليد ؟ فقال : بل ولد عبد الملك . فقال له : فأخوك أحق بالخلافة أم ابن أخيك ؟ قال : إذا لم تكن في ولدي فأخى أحق من ابن أخى . قال : فأبنتك لم يبلغ ، فبايع هشام ثم لأبنتك بعد هشام . والوليد بن يزيد يومئذ ابن إحدى عشرة سنة . قال : غدا أبايع . فلما أصبح فعل ذلك وبايع لأخيه هشام بن عبد الملك بولاية العهد وبعده لأبنة الوليد . وأخذ على هشام ألا يخلع الوليد بعده ، ولا يغير عهده ، ولا يحتال عليه . فلما بلغ الوليد بن يزيد ندم أبوه على تقديم هشام عليه ، فكان يقول : الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك . ثم توفي يزيد بن عبد الملك سنة خمس ومائة ، وعمر الوليد أبنة خمس عشرة سنة . وولى الخلافة هشام بن عبد الملك بن مروان ، والوليد ولي عهده ، فلم يزل الوليد مكرماً عند عمه هشام رفيع المنزلة مدة ، ثم طمع هشام في خلع الوليد وعقد العهد بعده لأبنة مسلمة بن هشام ، فجعل يذكر الوليد بن يزيد وتهتكه وإدمانه على الشراب ، ويظهر ذلك في مجلسه ، ويقوم به ويقعد . وولاه الحج ليظهر ذلك منه بالحرمين فيسقط . فحج فظهر منه فعل كثير مذموم ، وتشاغل بالمغنين والشراب ، وأمر مولى له فحج بالناس . فلما رجع طالبه هشام بأن يخلع نفسه ، فأبى ذلك ، فخرمه العطاء وحرم سائر مواليه وأسبابه وجفاه جفاء شديداً . فخرج متبدياً . (١)

وخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدبه ، وكان يُرمَى بالزندقة . ودعا هشام الناس إلى خلع الوليد والبيعة لأبنه مسامة .

— وأمه أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاصي . وكان يُكنى : أباشا كر .
كنى بذلك لمولى كان لمروان يكنى : أباشا كر . وكان ذارأى وفضل ، وكانوا يُعظمونه ويتبركون به —

فأجابه إلى خلع الوليد والبيعة لمسامة بن هشام : محمد ، وإبراهيم — أبنا هشام بن إسماعيل الحارومي — وعبد العزيز ، وخالد ، والوليد ، بنو القعقاع بن خويلد العبسي ، وغيرهم من خاصة هشام . وكتب هشام إلى الوليد : ما تدع شيئاً من المنكر إلا أرتكبته ، فليت شعري ما دينك ؟ فما أدرى أعلى الإسلام أنت أم لا ؟ فكتب إليه الوليد بن يزيد :

يأيتها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكر
نشرها صرفاً ومزوجة بالشحن أحياناً وبالفاقر

فغضب هشام على ابنه مسامة وقال : يُعيرني بك الوليد وأنا أُرشحك للخلافة ! فالزم الأدب وأحضر الصلوات . وولاه الموسم سنة سبع عشرة ومائة . فأظهر التسك وقسم بمكة والمدينة أموالاً . فقال رجل من أهل المدينة :

يأيتها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكر
الواهب البزل^(١) بأرسانها ليس بزنديق ولا كافر

يُعرّض بالوليد .

وبلغ خالد بن عبد الله القسري ما عزم عليه هشام ، فأباه وقال : أنا بريء من خليفة يكنى : أباشا كر . فبلغت هشاماً عنه . فكان ذلك سبب إيقاعه به .
وذكر أن الوليد بن يزيد دخل يوماً على مجلس هشام ، وقد كان في ذكره قبل أن يدخل . فحمقه من حضر من بني أمية . فلما جلس قال له العباس بن

(١) البزل من الإبل : التي استكملت الثالثة وطعنت في التاسعة ؛ الواحد : بازل . والأرسان :

الخيال تقاد بها الإبل ؛ الواحد : رسن .

إياه خالد القسري
بيعة مسلمة

الوليد والعباس
في مجلس هشام

الوليد بن عبد الملك ، وعمر بن الوليد : كيف حُبِّكَ يا وليد للروميات ، فإن
أباك كان يُحِبُّهن وكان بهنَّ مشغولاً ؟ قال : إني لأُحِبُّهنَّ ، وكيف لا أُحِبُّهنَّ
ولن تزال الواحدة منهنَّ قد جاءت بالهجين مثلك . وكانت أم العباس رومية .
فقال : أُسَكِتْ ! فليست ^(١) الفحل يأتي عَسِيهِ ^(٢) بمثلي . فقال له الوليد : أُسَكِتْ
يَا بْنَ الْبَطْرَاءِ ! فقال : أَتَفْخَرُ عَلَيَّ بِمَا قُطِعَ مِنْ بَطْرُ أُمِّكَ . وأقبل هشام على الوليد
فقال له : ما شرابك ؟ قال : شرابك يا أمير المؤمنين ، وقام مُغَضَّباً فخرج .
فقال هشام : أهذا الذي تَزْعُمُونَ أنه أحمق ! ما هو أحمق ، ولكني
ما أَظُنُّهُ على الملّة .

هو سعيد بن هشام
وإبراهيم الخزومي
في مجلس هشام

وذكر أنه دَخَلَ الوليدُ بن يزيد يوماً مجلسَ هشام بن عبد الملك ، وفيه سعيدُ
ابن هشام بن عبد الملك ، وإبراهيم بن هشام بن إسماعيل الخزومي ، وأبو الزُّبَيْر ،
مولى مروان ، وليس هشام حاضراً . فجلس الوليدُ مجلسَ هشام . ثم أقبل على سعيد
ابن هشام ، فقال له : من أنت ؟ وهو به عارف . قال : سعيد ، ابن أمير المؤمنين .
قال : مرحباً بك . ثم أقبل على أبي الزُّبَيْر فقال : من أنت ؟ فقال : أبو الزُّبَيْر
مولاك أيها الأمير . فقال : مرحباً بك . ثم أقبل على إبراهيم بن هشام فقال : من
أنت ؟ قال : إبراهيم بن هشام بن إسماعيل . فقال : من إسماعيل ؟ فقال : إسماعيل
ابن هشام بن الوليد بن المغيرة . فقال : من الوليدُ بن المغيرة ؟ قال : الذي لم يكن
جَدُّكَ يُرَى أنه في شيء حتى زَوَّجه أبي ، وهو بعضُ ولدِ أبنته . فقال : يا ابن
اللخناء ! أتقول هذا ! واثتخذا ^(٣) . وأقبل هشامُ ، فقبل لهما : قد جاء أمير
المؤمنين . فجلسا وكفا . فما كاد الوليدُ يتنحَّى عن صدر مجلسه ، إلا أنه زَحَلَ له
قليلاً . فجلس هشامُ فقال : كيف أنت يا وليد ؟ فقال : صالحٌ . قال : ما فعلتُ

(١) في الأغاني : « فليس » .

(٢) العصب : ماء الفحل .

(٣) اثتخذا : تصارعا .

برابطك^(١). قال مُعَمَّلَةٌ. قال : فما فعل نُدْمَاؤُك ؟ قال : صالحون ، ولعنهم الله إن كانوا شرّاً ممن يحضرك . فقال هشام : يا بن الأخناء ! جَوُّوا عُنْقَه . فلم يفعلوا ودفعوه رويداً . فقال الوليد :

أنا ابن أبي العاصي وثمان والدي ومروان جدّي ذو الفَعَال وعامرُ
أنا ابن عَظِيمِ القَرِيَتَيْنِ وعِزُّها ثَقِيفٌ وفِهْرٌ والعُصَاةُ الأَكابرُ
نبيُّ الهُدَى خالي ومن يكُ خاله نبيُّ الهُدَى يَفْخَرُ به ^(٢) ويُكاثِرُ

شعره لهشام لما
أراد خلعه

وقيل : لما أراد هشام بن عبد الملك أن يخلع الوليد بن يزيد من ولاية عَمَدَه ، قال الوليد يُؤنبه ويذكر إحسان والده إليه ويحذّره سوء عاقبة فعله :

كفرت يداً من مُنعمٍ لو شكرتها جزاك بها الرحمنُ ذو الفضلِ والمَنِّ
رَأَيْتُكَ تَبْنِي جَاهِداً في قَاطِعِي ولو كنتَ ذاحِزِمْ ^(٣) لَهَدَمْتَ مَا تَبْنِي
أراك على الباقيَن تَجْنِي ضَعِيفَةً فيا وَيَحْهُمْ إن مُتَّ من شرٍّ مَا تَجْنِي
كأنّ بهم يوماً وأكثرُ ^(٤) قِيلَهُمْ أيا ليت أنا حين ياليت لا تُعْنِي

ذم هشاماً بشعر
لعبه بخاصته

وذُكِرَ أن هشام بن عبد الملك عَثَ ^(٥) بالوليد بن يزيد وخاصّته ، فخرج الوليدُ في نَفَرٍ من أصحابه فَنَزَلَ بالأَبْرَقِ ، وخَلَفَ في الرِّصَافَةِ كاتبه عِيَاضُ بن مُسْلَمٍ ، مولى عبد الملك ، لِيَكاتِبَه بما يحدث . فقال الوليدُ لمُؤدِّبِه عبد الصمد بن عبد الأعلى ، وقد شَرَبوا يوماً : قُلْ أَيْبَاتاً نُعْنَى فِيهَا . فقال أَيْبَاتاً وأمرُ عُمَرُ الوادِي فغَنَى فيها ، وهي :

ألم ترَ للنَّجْمِ إِذْ ^(٦) سَبَّعَا يُبادِرُ في ^(٧) بُرْجِه المَرَجِعا

(١) البرابط : جمع بربط ، وهو العود .

(٢) في الأغاني : « يقهر به ويفخر » .

(٣) في الأصل : « أرب » مكان « حزم » .

(٤) في الأغاني : « قولهم » مكان « قيلهم » . (٥) في الأغاني : « عتب على الوليد »

(٦) سبع : أقام سبعا .

(٧) في الأصل : « عن » . مكان « في »

تَحَيَّرَ عَنْ قَصْدِ تَجَرَاتِهِ إِلَى الْغَوَرِ وَالْتَمَسَ الْمَطْلَعَا
فَقَلْتُ وَأَعْجَبْنِي شَأْنُهُ وَقَدْ لَاحَ إِذْ لَاحَ لِي مُطْمَعَا
لَعَلَّ الْوَلِيدَ دَنَا مُلْكُهُ فَأَمْسَى إِلَيْهِ قَدْ أُسْتَجْمَعَا
عَقَدْنَا لَهُ مُحْكَمَاتِ الْأُمُورِ رِطَوْنًا وَكَانَ لَهَا مَوْضِعَا

فرؤى هذا الشعر، وبلغ هشاماً، فقطع عن الوليد ما كان يجري عليه وعلى أصحابه وحرّمهم. وكتب إليه: بلغني أنك قد اتخذت عبد الصمد خدناً ومحدثاً ونديماً، وقد حقّق ذلك ما بلغني عنك، ولن أبرّك من سوء، فأخرج عبد الصمد مذموماً مذخوراً. فأخرجه الوليد وقال:

لَقَدْ قَذَفُوا أَبَا وَهْبٍ بِأَمْرِ كَبِيرٍ بَلْ يَزِيدُ عَلَى الْكَبِيرِ
فَأَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَذَبُوا عَلَيْهِ شَهَادَةَ عَالَمٍ بِهِمْ خَبِيرِ

وكتب الوليد إلى هشام بأنه قد أخرج عبد الصمد، واعتذر إليه من منادمته، وسأله أن يأذن لابن سُهَيْل في الخروج إليه. وكان من خاصّة الوليد. فصرّ به هشام ونفاه وسيّره. وكان ابن سُهَيْل من أهل الشرف والنبل، ولى دمشق مراراً، وولى غيرها. وأخذ عياض بن مسلم، كاتب الوليد فصرّ به ضرباً مُبرّحاً، وألبسه المسوح وقيّده وحبسه. فغمّ ذلك الوليد وقال: من يثق بالناس! ومن يصطنع المعروف! وهذا الأحوال المشؤوم قدّمه أبي على ولده وأهل بيته وأولاده، وهو يصنع ما ترون، ولا يعلم أن لي في أحدٍ هوًى إلا ضربه وأضرّ به. كتب إلى بأن أخرج عبد الصمد، فأخرجته. وكتبت إليه في أن يأذن لابن سُهَيْل في الخروج إلى، فصرّ به وطرده، وقد علم رأيي فيه. وعرف مكان عياض مني وأنقطعه إلى فصرّ به وحبسه، يضارّني بذلك. اللهم أجِرْني منه. ثم قال الوليد:

أنا النذيرُ مُسَدِّي نِعْمَةٍ أَبَدًا
أَتَشْمَخُونَ مِنِّي رَأْسُ نِعْمَتِكُمْ
إِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَهُمْ أَلْفَيْتَهُمْ بَطَرُوا
أَنْظُرْ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى مَثَلِ
بَيْنَا يُسَمِّنُهُ لِلصَّيْدِ صَاحِبُهُ
عَدَا عَلَيْهِ فَلَمْ تَضُرَّهُ عَدُوَّتُهُ
وقال الوليدُ أيضاً يفتخر على هشام :

أنا الوليدُ أبو العباسِ قد علمت
إِنِّي لَفِي الذَّرْوَةِ الْعُلْيَا إِذَا أَنْتَسَبُوا
بَنِي لِي الْمَجْدُ بَانَ لَمْ يَكُنْ وَكَلًّا
حَلَلْتُ مِنْ جَوْهَرِ الْأَعْيَاصِ قَدْ عَلِمُوا
صَعْبِ الْمَرَامِ يُسَامِي النَّجْمَ مَطْلَعُهُ
عُلِيًّا مَعَدِّي مَدَى كَرِّي وَإِقْدَامِي
مُقَابِلٌ^(٢) بَيْنَ أَخْوَالِي وَأَعْمَامِي
عَلَى مَنَارِ مُضِيئَاتٍ وَأَعْلَامِ
فِي بَاذِخٍ مُشْمَخٍ الْعِزِّ قَمَقَامِ^(٣)
يَسْمُو إِلَى فَرْعِ طَوْدٍ شَامِخٍ سَامِي

وقيل : إن الوليد بعث براويته إلى هشام فأنشده هذه الأبيات . فقال : هشام :
والله ما علمت له معددٌ كَرًّا ولا إقداماً ، إلا أنه شرب مرةً مع عمِّه بكَّار بن
عبد الملك فعرَّبد عليه وعلى جواريه ، فإن كان يَعْنِي ذاك بكَرِّه وإقدامه فعسى .
وحكى أبو الزناد قال :

دخلتُ على هشام بن عبد الملك ، وعنده الزُّهريُّ ، وهما يعيبان الوليدَ ، فأعرضتُ
عنهما ، ولم أدخل في شيء من ذِكْرِهِ . فلم ألبث أن استؤذن للوليد ، فأذن له .
فدخل وهو مُغَضَبٌ ، فجلس قليلاً ثم نهض . فلما مات هشامُ وولى الوليدُ كتب
إلى المدينة فحُمِلَتْ ، فدخلت إليه ، فقال لي : أتذكر قولَ الأحول والزُّهري ؟

(١) المقاريف : الأندال . (٢) المقابل : الكريم النسب من قبل أبيه .

(٣) الأعياص : العاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص ، أولاد أولاد أمية بن
عبد شمس الأكبر . والقمام : العدد الكثير .

شعره في الفخر
على هشام

هو وأبو الزناد في
حديث هشام بعد
موته

فقلت : نعم . وما عَرَضْتُ في شيء من أمرك . فقال : صدقت ، أتدري مَنْ أبلغني ذاك ؟ قلت : لا . قال الخادمُ الواقفُ على رأسه ، وأيم الله ، لو بَقِيَ الفاسقُ الزُّهري لقتلته — قيل : وكان الزُّهري أجمع على أن يدخل إلى بلاد الرُّوم إن ولى الوليد بن يزيد . فمات الزُّهري قبل ذلك — ثم قال الوليد : ذهب هشام بعمرى . فقلت : بل يُبقيك الله يا أمير المؤمنين . وقام فصلى العصر ثم جلس يتحدث إلى المغرب ، ثم صلى ودعا بالعشاء ، فتعشيتُ معه ثم جلس يتحدث حتى صلى العَتَمه ، ثم قال : أسقيني . فأتينيه بإناء مُعطًى ، وجاء جوارٍ فقمْنِ بيني وبينه ، فشرب وأنصرفن ، ومكث قليلاً ثم قال : أسقيني . ففعلن مثل ذلك . وما زال والله ذلك دأبه حتى طلع الفجر ، فأحصيتُ له سبعين قدحاً .

وقيل : بلغ الوليد أن ابن عمه العباس بن الوليد بن عبد الملك ، وغيره من بني مروان ، يعيبونه بالشرب ، فلعنهم وقال : إنهم ليعيبون على أمراً لو كانت لهم اللذة فيه لما تركوه ، وقال هذه الأبيات ، وهى من جيد شعره :

شعره في الرد على
من عابه بشرب
الخمير

ولقد قَضَيْتُ وإن تَجَلَّلَ لِمَتِّي شَيْبٌ على رَغَمِ العِدَى لَذَاتِي
مِنْ كَاعِبَاتٍ كَالدُّمَى وَمَنَاصِفٍ وَمَرَكَبٍ لِلصَّيْدِ وَالنَّشَوَاتِ
فِي فِتْيَةٍ يَأْبَى الهَوَانِ وَجُوهُهُمْ شَمُّ الْأَنْوَفِ جَحَاجِحِ سَادَاتِ
إِنْ يَطْلُبُوا بِتَرَاتِهِمْ يُعْطَوْا بِهَا أَوْ يُطْلَبُوا لَا يُدْرَكُوا بِتَرَاتِ

وذكر أن الوليد بن يزيد كتب إلى عمه هشام : بلغني الذي أحدث أمير المؤمنين من قطع ما قطع عني ، ونحو من حكا من صحابتي ، وأنه حرمني وأهلي ، ولم أكن أخاف أن يبتلى الله عز وجل أمير المؤمنين بذلك في ، ولا ينالني مثله منه ، ولم يبلغ أستاذي لآبن سهيل ومسألتي في أمره أن يجري عليه (١) ماجرى ، فإن كان ابن سهيل على ما ذكر أمير المؤمنين فبحسب العير أن يقرب من الذئب ،

كتابه إلى هشام
وكتاب هشام إليه

وعلى ذلك فقد عقد الله جلّ وعزّ لي من العهد ، وكتب لي من العمر ، وسبّب لي من الرزق ، ما لا يقدر أحدٌ دونه — تبارك وتعالى — على قطّعه عني دون مدّته ، ولا صرّفه عن مواضعه المحتومة له . فقدّر الله يجرى على ما قدّره فيما أحبّ الناسُ وكرهوا ، لا تعجيلَ لآجله ولا تأخيرَ لعاجله ، والناسُ بعد ذلك يكتسبون ^(١) الأوزار ويقترون الآثام على أنفسهم بما يستوجبون من الله عزّ وجلّ العقوبة عليه . وأمير المؤمنين أحقُّ بالنظر في ذلك والحفظ له . والله يوفّق أمير المؤمنين لطاعته ، ويحسن القضاء له في الأمور بقدرته . وكتب في آخر كتابه :

أليس عظيماً أن أرى كلَّ واردٍ حياضك يوماً صادراً بالنوافل
وأرجعَ محدود الرجاء مُصرّداً بتحلّةٍ عن ورد تلك المناهل
فأصبحتُ مما كنت أملُ منكم وليس بلاقٍ مارجا كلُّ أمل
كمقتبض يوماً على عرض ^(٢) هبوةٍ يشدّ عليها كفّه بالأنامل

فكتب إليه هشام بن عبد الملك : قد فهم أمير المؤمنين ما كتبت به من قطع ما قطع عنك وغير ذلك . وأمير المؤمنين يستغفر الله من إجرائه ما كان يجرى عليك ، ولا يتخوّف على نفسه اقتراف المآثم في الذي أحدث من قطع ما قطع ، ونحو من نحو من صحابتك ، لأمرين : أمّا أحدهما فإن أمير المؤمنين يعلم مواضعك التي كنت تصرف إليها ما يجريه عليك . أمّا الآخر فإثبات صحابتك وأرزاقهم دائرة عليهم لا ينالهم ما ينال المسلمين عند قطع البعوث عليهم ، وهم معك تجول بهم في سفهك . وأمير المؤمنين يرجو أن يكفر الله عزّ وجلّ عنه ما سلف من إعطائه إياك باستئنافه قطّعه عنك . وأمّا ابنُ سهيل ، فلمعمرى لئن كان نزل منك بحيث يسوءك ما جرى عليه لما جعله الله تعالى لذلك أهلاً . وهل زاد ابن سهيل -

(١) في الأغاني : « يكتسبون » .

(٢) الهبوة : الغبرة .

لله أبوك — على أن كان ^(١) زفاناً مُغنياً قد بلغ من السَّقه غايته ، وليس مع ذلك ابن سُهَيْل بشرٍّ من كنتَ تصحبه مع الأمور التي يُنزّه أمير المؤمنين نفسه عنها ، مما كنتَ لعمري أهلاً للتَّويخ فيه . وأما ما ذكرتَ مما سبَّبه الله عزَّ وجلَّ لك ، فإن الله تبارك وتعالى قد أبتدأ أمير المؤمنين بذلك وأصطفاه له ، والله بالغ أمره . ولقد أصبح أمير المؤمنين ، وهو على اليقين من رأيه ، إلا أنه لا يملك لنفسه ، مع ما أعطاه الله من كرامته ، ضرراً ولا نفعاً . وإن الله جلَّ وعزَّ وليَّ ذلك منه ، وإنه لا بدُّ له من مفارقتِهِ . وإن الله أرأف بالعباد وأرحم من أن يؤلَّى أمرهم من لا يرتضيه لهم منهم . وإن أمير المؤمنين مع حُسن ظنِّه برَّبه لعلَّ أفضل الرِّجاء لأنَّ يوليَّه بسبب ذلك لمن هو أهله في الرِّضى به لهم . فإن بلاء الله عند أمير المؤمنين لأعظمُ من أن يبلَّغه ذِكْرُهُ ، أو يوازِيه شُكْرُهُ ، إلا بعون منه . ولئن كان قدَّر الله لأمر المؤمنين تعجيلَ وفاةٍ ، فإن في الذي هو مُفضَّلٌ وصائرٌ إليه من كرامة الله جلَّ وعزَّ تخلفاً من الدُّنيا . ولعمري إنَّ كتابك إلى أمير المؤمنين بما كتبتَ به لغيرِ مُستنكر من سَفَهك وحُفْك ، فأبقِ على نفسك ، وقصِّر من غلوائِها ، وأربعِ على ظَلْعك ، فإن لله جلَّ وعزَّ سطواتٍ وغيراً يُصيب بها من يشاء من عبادِهِ . وأمير المؤمنين يسأل الله العِصمة والتَّوفيق لأحبِّ الأمور إليه وأرضاها له . وكتب في أسفل الكتاب .

إذا أنتَ ساحتَ الهوى قادك الهوى إلى كلِّ ما فيه عليك مقالٌ والسلام .

وحكى أبو الزُّبير المنذرُ بن عمرو ، وكان كاتباً للوليد بن يزيد ، قال : أرسل إلى الوليدُ صبيحةَ اليوم الذي أُنْتُه فيه الخلافةُ ، فأُتيتُهُ . فقال : يا أبا الزُّبير ، ما أُنْتُتَ على لَيْلَةٍ أطولُ من هذه الليلة ، عرضتُ لِي أمورٌ وحدثتُ فيها

تبشيره بالخلافة
بعد هشام

نفسى بأمور ، وهذا الرجل — يعنى هشام بن عبد الملك — قد أولع بى ، فأركب بنا تنفّس . فركب وسيرتُ معه ميلين ، ووقف على تلٍّ وجعل يشكو هشاماً ، إذ نظر إلى رهج قد أقبل ، وسمع قعقة البريد ، فتعوّذ بالله من شرِّ هشام وقال : إن هذا البريد قد أقبل بموتٍ وحى^(١) أو بملك عاجل . فقلت : لا يسوءك الله أيها الأمير بل يسرُّك ويُبقيك أبداً . إذ بدا رجلان على البريد يُقبلان ، أحدهما مولى لآل أبى سُفيان بن حرب . فلما قرُّبا رأيا الوليدَ فنزلا يعدوان حتى دنوا ، فسلمّا عليه بالخلافة . فوجهم . وجعلا يكرران التسليم عليه بالخلافة . فقال . ويحكما ! ألمات هشام ؟ قال : نعم . قال : فرحباً بكما ، ما معكما ؟ قال : كتاب مولاك سالم ابن عبد الرحمن . فقرأ الكتاب . وأنصرفنا . وسأل عن عياض بن مُسلم كاتبه ، الذى كان هشام ضربه وحَبسه . فقال : يا أمير المؤمنين ، لم يزل محبوساً حتى نزل بهشام أمرُ الله . فلما صار إلى حال لا تُرجى الحياة لثله معها أرسل عياضُ إلى الخزان : أحتفظوا بما فى أيديكم ولا يصلنَّ أحد إلى شىء . وأفاق هشام إفاقةً ، فطلب شيئاً فمِنعه . فقال : أُرانا كُنّا خزاناً للوليد! وقضى من ساعته . فخرج عياضُ من السجن ساعةً قضا هشام ، فحتم الأبواب والخزائن ، وأمر بهشام فأُنزل عن فراشه ، ومنعهم أن يُكفّنوه من الخزان . فكفّنه غالب مولى هشام . ولم يجدوا فُقُمًا^(٢) حتى استعاروه .

قلتُ : ذُكر أن هشام بن عبد الملك كانت تُحمل ثيابه على أربعائة ظهر ، لا تعقب لابن وصل وأفضى الحال عند موته إلى أن لم يوجد له كفن حتى كفّنه غالب ، هذا . فسبحان من لا يزول مُلكه .

وكانت وفاته سنة خمس وعشرين ومائة . وكانت مدة خلافته نحواً من عشرين سنة .

(١) الوحى : السريع .

(٢) القمقم : إناء من نحاس يسخن فيه الماء .

قال أبو الفرج :

الوليد وابنا هشام
الحزوي

وأمر الوليد بأخذ أبنى هشام بن إسماعيل الحزومي ، فأخذا بعد أن عاذ إبراهيم
ابن هشام بقبر يزيد بن عبد الملك . فقال الوليد : ما أراه إلا قد نجا . فقال له يحيى
ابن عروة بن الزبير ، وأخوه عبد الله بن عروة : إن الله لم يجعل قبر أبيك معاذاً
للظالمين ، فخذْهُ برداً مافي يده من مال الله تعالى . فقال : صدقت . فأخذا ،
فبعث بهما إلى يوسف بن عمر والى العراقيين وكتب إليه بأن يبسط عليهما العذاب
حتى يتلقا . ففعل ذلك بهما ، وماتا جميعاً في العذاب ، بعد أن أقيم إبراهيم بن
هشام للناس حتى أفتضوا منه المظالم .

وذكر أنه لما نعى هشام إلى الوليد ، قال : والله لأتلقين هذه النعمة بسكرة
قبل الظهر ، ثم قال :

شعر الوليد حين
نعى إليه هشام

طاب يومى ولد شرب السلافه إذ أتانا نعى من بالرفافه
وأتانا البريد نعى هشاماً وأتانا بخاتم للخلافه
فأصطبحن من خمر عانة^(١) صرفاً ولهونا بقينة عزافه
ثم حلف ألا يبرح موضعه حتى يُغنى في هذا الشعر . فغنى له فيه وشرب حتى
سكر ، ثم دخل فبُوع له .

قيل : وسمع صياحاً فسأل عنه ، فقيل : هذا من دار هشام تبكيه بناته . فقال :

إني سمعتُ بليلاً ورأى المصلى برنه
إذا بنات هشام يندبن والدته
يندبن قرماً جليلاً قد كان يعصدهنه
أنا الخنث حقاً إن لم^(٢)

(١) عانة : بلد على الفرات مشهورة بالخمر .

(٢) مكان هذا النقط كلمة صريحة .

وقال الوليد أيضاً :

ليت هشاماً عاش حتى يرى مكياً له الأوفر قد أترعاً
كلناله الصاع التي كألها وما ظلمناه بها أصوعاً
لم نأت ما جئناه ^(١) من بدعة أحله القرآن لي أجمعاً

من شعره المطرب

ومن شعر الوليد بن يزيد ، وكان أبو غسان يكاد يرقص إذا أنشده :
أصدع نجي الموم بالطرب وأنعم على الدهر بأنة العنب
وأستقبل العيش في غضارته لا تقف منه آثار معتقب
من قهوة زانها تقادُ مها فهي عجوز تعلو على الحقب
أشهى إلى الشرب يوم جلوتها من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلّت وراق جوهرها حتى تبدت في جوهر ^(٢) عجب
فهي بغير المزاج من شرر وهي لدى المزج سائل الذهب
كأنها في زجاجها قبس تذكو ضياء لعين مرّ تقب
في فتية من بنى أمية أه لـ المجد والمآثرات والحسب

وقال الوليد أيضاً لما أتاه نعي هشام :

طال ليلى وبنت أسقى المداما إذ أتاني البريد ينعي هشاماً
وأتاني بحلة وقصيب وأتاني بخاتم ثم قاما
فجعلت الولي من بعد فقدى أفضل ^(٣) الناس ناشئاً وغلاما
ذلك أبني وذاك قرم قريش خير قرم وخيرهم أعماما

وحكى عمر الوادي قال :

وله أيضاً عندما
نعي هشام إليه

غناه عمر الوادي
بشعره في موت هشام

(١) في الأغاني : « مائتيه » .

(٢) في الأغاني : « في منظر » .

(٣) في الأغاني : « يفضل » .

كنت يوماً عند الوليد إذ ذكر هشاماً ، فقال لي : غنّني بهذه الأبيات . فقلت :
ما هي يا أمير المؤمنين ؟ فقال :

هَلَاكَ الْأَحُولُ الْمَشُورُ مُمْ فَقَدْ أَرْسَلَ الْمَطَرُ
ثُمَّتُ أَسْتَخْلَفُ الْوَلِيدَ دُ فَقَدْ أَوْرَقَ الشَّجَرُ

ما أخذه أبو نواس
من معانيه

قال أبو الفرج :
وللوليد في ذكر الخمر وصفها أشعار كثيرة ، قد أخذها الشعراء فأدخلوها في
أشعارهم ، وسلخوا معانيها ، وخاصة أبو نواس فإنه سلخ معانيه كلها فجعلها في شعره ،
وكررّها في عدة مواضع . ومن جيّد شعره قوله :

إِذَا لَمْ يَكُنْ خَيْرٌ مَعَ الشَّرِّ لَمْ تَجِدْ نَصِيحاً وَلَا ذَا حَاجَةٍ حِينَ تَفْرَعُ
وَكَانُوا إِذَا هُمُ يَأْخُذُونَ هَنَاتِهِمْ حَسَرْتُ لَهُمْ رَأْسِي وَلَا أَتَقَنَعُ
ومن نادر شعره قوله يخاطب هشاماً :

من شعره في هشام

فَإِنْ تَكُ قَدْ مَلَيْتَ الْقُرْبَ مِنِّي فَسَوْفَ تَرَى مُجَانِبَتِي وَبُعْدِي
وَسَوْفَ تَلُومُ نَفْسَكَ إِنْ بَقِينَا وَتَبْلُو النَّاسَ وَالْإِخْوَانَ ^(١) بَعْدِي
فَتَنُودُ فِي الَّذِي فَرَّطْتَ فِيهِ إِذَا قَايَسْتَ فِي ذِمِّي وَحَمْدِي
وحكى المهدي بن عمران قال : لما بويع الوليد بن يزيد سمعته يقول على المنبر :
ضَمِنْتُ لَكُمْ إِنْ لَمْ تَعْقُنِي ^(٢) مَنِيَّتِي بَأَنْ سَمَاءَ الضَّرِّ عَنْكُمْ سَتُقْلَعُ
وقيل : إنه كتب بذلك إلى أهل المدينة ، وهذا من أبيات أولها :

شعره لما بويع

أَلَا أَيُّهَا الرِّكَبُ الْمُخْبُونَ أَبْلَغُوا سَلَامِي سُكَّانَ الْبِلَادِ فَاسْمِعُوا
ومنها :

وَقُولُوا أَتَاكُمْ أَشْبَهُ النَّاسِ سَنَةً بِوَالِدِهِ فَاسْتَبَشِرُوا وَتَوَقَّعُوا
سَيُوشِكُ الْخَلْقُ بِكُمْ وَزِيَادَةٌ وَأَعْطِيَةٌ تَأْتِي تَبَاعاً فَتُشْفَعُ
وقيل : لما ولي الوليد الخلافة بعث إلى جماعة من أهله ، فلما حضروا قال : أتدرون

(١) في الأغاني : « الأحوال »

(٢) في الأغاني : « لم ترعني » .

لم دعوتكم؟ قالوا: لا. قال: ليقبل قائلكم. فقال رجل منهم: أردت يا أمير المؤمنين أن ترينا ما جدد الله عز وجل لك من نعمه وإحسانه. فقال: نعم، ولكني: أشهد الله والملائكة الأب: رار والعابدين أهل الصلاح أننى أشتهى السماع وشرب الكأس والعض للخدود الملاح والنديم الكريم والخادم الفا ره يسعى إلى بالأقداح قوموا إذا شتم.

من شعره

قلت: ومن شعره:

أشربُ الرّاح وأهوى كلّ مضافور الثّوابه
أنا للناس إمام غير أنى ذو صبابه

غنت جارية
فاشترها

وذُكر أنه عرضت على الوليد بن يزيد جارية صفراء كوفيّة مولدة، يقال لها: سعاد. فقال لها: أى شيء تحسّنين؟ قالت: أنا مُغنية. فقال لها: غنى. فغنت:

لولا الذى حُمِلْتُ من حُبِّكم لكان فى إظهاره مخرَجُ
أو مذهبٌ فى الأرض ذو فُسجة أَجَلٌ ومن حَجَّتْ له مذحج
لكن سباني منكم شادن مُرَبَّبٌ ذو غنّة أدعج
أغرّ مكور هضم الحشى قد ضاق عنه الحجل والدملج

فطرب طرباً شديداً، وقال: يا غلام، أسقنى. فسقاه عشرين قدحاً، وهو يستعيدها. ثم قال لها: لمن هذا الشعر؟ فقالت: للحارث بن خالد. فقال: ومن أخذته؟ قالت: من حنين. فقال: وأين لقيته؟ قالت: ربّيت بالعراق وكان أهلى يجيئون به فيطارحنى. فدعا صاحبه وقال: أذهب فابتنعها بما بلغت ولا تراجعنى فى ثمنها. ففعل. ولم تزل حظيّة عنده.

شرب هو ومحمد بن
سليمان بجرن

وذُكر أنه فى أيام الدولة العباسيّة خرج عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام بن محمد ابن على بن عبد الله بن العباس يوماً إلى بعض الديارات، فنزل فيه، وهو وال

على الرَّملة . فسأل صاحب الدَّير : هل نَزَلَ بك أحد من بنى أُمّية ؟ قال : نعم ،
نزل بي الوليدُ بن يزيد ، ومحمد بن سُلَيْمان بن عبد الملك . قال : فأى شيء صَنَعَا ؟
قال : شَرَبَا . قال : أين شَرَبَا ؟ قال : في ذلك المَوْضِع ، ولقد رأيتُهما شَرَبَا في
أَنتِهِمَا ، ثم قال أحدهما لصاحبه : هلمْ نشرب بهذا الجُرْن (١) — وأوماً إلى
جُرْن عَظِيم من رخام — قال : أَفْعَلُ . فلم يَزَالَا يتعاطيانهُ بينهما وَيَشْرَبَان به حتى
ثَمَلَا . فقال عبدُ الوهاب لمولاه أسود : هاتهُ . قال الراوى : فلقد رأيتُهُ ، وكان
يُوصَف بالشدة ، فذهب يجرّكه فلم يقدر . فقال له الراهب : والله لقد رأيتُهما يتعاطيانهُ
وكل واحد منهما يملؤهُ لصاحبه ، فيرفعه وَيَشْرَبه غير مكترث .

طلاقه سعدة وهيامه
بأختها سلمى

ذُكِرَ أَنَّهُ كَانَتْ تَحْتَ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ أُمُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَأُسْمَاهَا سَعْدَةُ بِنْتُ سَعِيدِ
ابْنِ خَالِدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ ، فَهَرَضَ سَعِيدٌ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي حَيَاةِ يَزِيدَ
ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَأَتَاهُ الْوَلِيدُ عَائِداً فَدَخَلَ فَلَمَحَ سَلْمَى بِنْتَ سَعِيدٍ ، أُخْتُ زَوْجَتِهِ
سَعْدَةَ ، فَسْتَرَهَا حَاضِئاً وَأَخْتَهَا ، وَقَامَتْ فَفَرَعَتْهُنَّ طَوَّلاً ، فَوَقَعَتْ بِقَلْبِ الْوَلِيدِ .
فَلَمَّا مَاتَ يَزِيدُ طَلَّقَ أُمُ عَبْدِ الْمَلِكِ زَوْجَتَهُ ، وَخَطَبَ سَلْمَى إِلَى أَبِيهَا ، وَكَانَتْ لَهَا
أُخْتُ يَقَالُ لَهَا : أُمُ عَثْمَانَ ، تَحْتَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَبَعَثَتْ إِلَى أَبِيهَا : أَتُرِيدُ أَنْ
تَسْتَفْجِلَ الْوَلِيدَ لِبَنَاتِكَ ، يُطَلَّقَ هَذِهِ وَيَنْكِحَ هَذِهِ — وَقِيلَ : الَّذِي بَعَثَ بِذَلِكَ إِلَى
أَبِيهَا هِشَامٌ — فَلَمْ يَزُوجْهُ سَعِيدٌ وَرَدَّهُ أَقْبَحَ رَدٍّ . وَهَوَّيَهَا الْوَلِيدُ وَرَامَ الشُّلُوعَهَا ،
وَكَانَ يَقُولُ : الْعَجَبُ لِسَعِيدٍ ! خَطَبْتُ إِلَيْهِ فَرَدَّنِي ، وَلَوْ مَاتَ هِشَامٌ وَوَلَّيْتُ لَزَوْجَتِي ،
وَهِيَ طَالِقٌ ثَلَاثًا إِنْ تَزَوَّجْتُهَا حِينَئِذٍ ، وَإِنْ كُنْتُ أَهْوَاهَا .

أشعب بينه وبين
سعدة

وقيل : إنه لما طَلَّقَ سَعْدَةَ نَدِمَ عَلَى ذَلِكَ وَنَحَمَهُ ، وَكَانَ لَهَا مِنْ قَلْبِهِ مَحَلٌّ ، وَلَمْ
تَحْصُلْ لَهُ سَلْمَى ، فَاعْتَمَّ لَذَلِكَ وَجَزَعَ وَرَاسِلَ سَعْدَةَ ، وَقَدْ كَانَتْ تَزَوَّجَتْ غَيْرَهُ ،
فَلَمْ يَنْتَفِعْ بِذَلِكَ . فَذُكِرَ أَنَّهُ بَعَثَ إِلَى أَشْعَبٍ بَعْدَمَا طَلَّقَ أُمْرَأَتَهُ ، فَقَالَ : يَا أَشْعَبُ ،

(١) الجرن : حجر منقور يصب فيه الماء فيتوضأ به .

لك عندى عشرة آلاف درهم على أن تبليغ رسالتى سعدة . فقال : أحضر العشرة الآلاف درهم ، حتى أنظر إليها . فأحضرها الوليد . فوضعها أشعب على عنقه وقال : هات رسالتك يا أمير المؤمنين . فقال : قل لها : يقول لك أمير المؤمنين :

أَسْعِدْهُ هَلْ إِلَيْكَ لَنَا سَبِيلٌ وهل حتى القيامة من تلاقٍ
فَأَصْبَحَ شَامِتًا وَتَقَرَّ عَيْنِي ويُجمع شملنا بعد أفتراق

فأتى أشعب الباب ، فأخبرت بمكانه ، فأمرت بفرش لها ففرشت ، وجلست ، فأذنت له . فلما دخل أنشدها ما أمره به . فقالت لخدمها : خذوا الفاسق . فقال : يا سيدي ، إنها بعشرة آلاف درهم . قالت : والله لا تقتلنك أو تبليغه كما بلغتني . قال : وما تهين لي ؟ قالت : بساطي الذي تحتي . قال : فومي عنه . فقامت عنه ، فطواه ، ثم قال : هاتي رسالتك ، جعلت فداك . قالت : قل له :

أَتَبْكِي عَلَى لُبْنَى وَأَنْتَ تَرْكُتَهَا فقد ذهبت لبني فما أنت صانع

فأقبل أشعب فدخل على الوليد ، فقال : إيه . فأنشده البيت . فقال : أوه ، قتلتنى يا بن الزانية ! اختر : إما أن أدليكَ على رأسك منكسًا في بر ، أو أرمي بك منكسًا من فوق القصر ، أو أضرب رأسك بعمودي هذا ضربةً ، هذا الذى أنا صانع ، فاختر أنت الآن ما أنت صانع . قال : ما كنت لتفعل شيئًا من ذلك . قال : ولم يا بن الزانية ؟ قال : ما كنت لتعذب عينيّن نظرتا إلى سعدة . قال : صدقت والله ، أفلت والله بهذا منى يا بن الزانية ، أخرج عني .

حيلته لرؤية سلمى
وشعره في ذلك

وذُكر أن الوليد بن يزيد خرج يومًا يتوقع أن يرى سلمى أخت سعدة . فلقيه زيات معه حمار عليه زيت . فقال : هل لك أن تأخذ فرسى هذا وتعطيني حمارك وما عليه ، وتأخذ ثيابي وتعطيني ثيابك ؟ ففعل الزيات ذلك . وجاء الوليد وعليه الثياب ، وبين يديه الحمار يسوقه متكرراً ، حتى دخل قصر سعيد ، فنادى :

مَنْ يَشْتَرِي الزَّيْتَ؟ فَاطَّلَعَ بَعْضُ الْجَوَارِي فَرَأَيْنَهُ، فَدَخَلْنَ إِلَى سَلَمَى فَقُلْنَ لَهَا :
 إِنْ بِالْبَابِ زَيْتَانًا أَشْبَهَ النَّاسَ بِالْوَلِيدِ ، فَأُخْرِجِي فَاَنْظُرِي إِلَيْهِ . فَخَرَجَتْ فَرَأَتْهُ وَرَأَاهَا ،
 فَرَجَعَتْ الْقَهْقَرَى وَقَالَتْ : هُوَ وَاللَّهِ الْفَاسِقُ الْوَلِيدُ ! وَقَدْ رَأَيْتِي . فَقُلْنَ لَهُ : لَا حَاجَةَ
 بِنَا إِلَى زَيْتِكَ . فَانْصَرَفَ الْوَلِيدُ وَقَالَ :

إِنِّي أَبْصَرْتُ^(١) شَخْصًا حَسَنَ الْوَجْهِ مَلِيحٍ
 وَلِبَاسِي ثَوْبٌ^(٢) شَيْخٍ مِنْ عَبَاءٍ وَمُسُوحٍ
 وَأَبْيَعُ الزَّيْتَ بَيْعًا خَاسِرًا غَيْرَ رَيْحٍ
 وَقَالَ أَيْضًا :

فَمَا مِسْكٌ يُعَلِّ بَزَنْجِيلٍ وَلَا عَسَلٌ بِالْبَانِ اللَّقَاحِ
 بِأَشْهَى مِنْ مُجَاجَةٍ رَيْقٍ سَلَمَى وَلَا مَا فِي الزَّقَاقِ مِنَ الْقَرَّاحِ
 وَلَا وَاللَّهِ مَا أَنْسَى حَيَاتِي وَثَاقَ الْبَابِ دُونِي وَاطَّرَاحِي
 فَلَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ أَحْضَرَ الْمُغْنِينَ ، فَخَضَرُوهُ ، وَفِيهِمْ مَعْبُدُ ابْنِ عَائِشَةَ وَذَوُوهَا ،
 فَقَالَ لَأَبْنِ عَائِشَةَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنْ غَنَيْتَنِي صَوْتَيْنِ فِي نَفْسِي فَلَكَ عِنْدِي مِائَةُ أَلْفِ
 دِرْهَمٍ . فغَنَّاهُ :

* إِنِّي أَبْصَرْتُ شَخْصًا *

وَعَنَاهُ :

* فَمَا مِسْكٌ يُعَلِّ بَزَنْجِيلٍ * الأبيات

فَقَالَ الْوَلِيدُ : وَاللَّهِ مَا عَدَوْتُ مَا فِي نَفْسِي ، وَأَمْرٌ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَالْطَّافِ
 وَخَلَعٍ ، وَأَمْرٌ لِسَائِرِ الْمُغْنِينَ بِدُونِ ذَلِكَ .

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « شَيْخًا » مَكَانَ « شَخْصًا »

(٢) فِي الْأَصْلِ : « سَوْءٌ » مَكَانَ « شَيْخٌ » .

زواجه بسلمى
وموتها وشعره في
رثائها

وذُكر أنه لما طال بالوليد ما به ، كتب إلى أبيها سعيد :

أبا عثمان هل لك في صنيع تُصيب الرُّشدَ في صِلتي هُدَيْتَا
فاشكر منك ما تُسدِّي^(١) وتُحيي أبا عثمان مَيِّتَةً ومَيِّتَا

فلم يُجبه إلى ذلك حتى ولى الخلافة ، فلما وليها زوجه إياها . فلم تلبث معه إلا
مدة يسيرة حتى ماتت . وقال في ليلة زفافها إليه :

خَفَّ مِنْ دَارِ جِيرَتِي يَا بَنَ دَاوُدَ أَنْسُهَا
وهي طويلة ، يقول فيها :

أَوَّلًا تَخْرُجُ الْعَر وَس فَقَدْ طَالَ حَبْسُهَا
قَدَبَدَا الصَّبْحُ أَوْ دَنَا وَهِيَ لَمْ يُقْضَ لُبْسُهَا
بَرَزَتْ كَالْهَلَالِ فِي لَيْلَةٍ غَابَ نَحْسُهَا
بَيْنَ خَمْسِ نَوَاعِمِ أَكْرَمُ الْجِنْسِ^(٢) جِنْسُهَا

وقيل :

كانت مدة مقامها عنده أربعين يوماً ، ثم ماتت . فقال يرثيها :

أَلُمَّا تَعَلَّمَا سَلَمَى أَقَامَتْ مُضْمِنَةً مِنَ الصَّحَرَاءِ لِحَدَا
لِعَمْرِكَ يَا وَلِيدُ لَقَدْ أَجَنَّا بِهَا حَسَبًا وَمَكْرُمَةً وَمَجْدَا
وَوَجْهًا كَانَ يَقْصُرُ عَنْ مَدَاهِ شُعَاعِ الشَّمْسِ أَهْلًا أَنْ يُفَدَى
فَلَمْ أَرْ مَيِّتًا أَبْكِي^(٣) لِعَيْنِ وَأَكْثَرَ جَارِعًا وَأَجَلَ فَقَدَا
وَأَجْدَرًا أَنْ تَرَى مَلَكًا^(٤) لَدِيهِ يُرِيكَ جَلَادَةً وَيُسِرُّ وَجْدَا

(١) في الأصل : « ما تهدي » مكان « ما تسدي » .

(٢) في الأغاني : « « كواعب * أكرم الخمس » » .

(٣) في الأصل : « لعيني » .

(٤) في الأغاني : « وأجد أن تكون بلدي ملكا » .

شعره في سلمى

وللوليد بن يزيد في سلمى هذه أشعار كثيرة ، منها قوله :

أَسْقِنِي يَا بْنَ سَلَمٍ قَدْ أَنَارَا كَوَكْبُ الصُّبْحِ وَأُنْجَلِي وَأُسْتَنَارَا
أَسْقِنِي مِنْ سُلَافِ رَيْقِ سُلَيْمِي وَأُسْقِ هَذَا النَّدِيمَ كَأَسَا عُقَارَا
وقوله :

قَدْ تَمَنَّى مَعْشَرٌ إِذَا طَرَبُوا مِنْ عُقَارٍ وَسَوَامٍ وَذَهَبٍ
ثُمَّ قَالُوا لِي تَمَنَّهُ ^(١) نَسْتَمَعُ كَيْفَ تَفْخُو فِي الْأَمَانِي وَالطَّلَبِ
فَتَمَنَيْتُ سُلَيْمِي إِنْهَا بِنْتُ عَمِّي مِنْ لَهَامِيمِ الْعَرَبِ

وحكى أبو الفرج عن الوليد أنواعاً من السخف والتهتك ، فكرهت ذكره
لفرط قبّحه ، والغالب على الظن عدم صحة أكثره .

من تهتكه

وحكى أنه واقع جارية من جواريه وهو سكران ، فلما فرغ منها آذنه المؤذن
بالصلاة ، خلف ألا يصلى بالناس غيرها . فخرجت وهي متلثمة فصلت بالناس .

مع ابن الزندبود

وذكر أنه بعث الوليد بن يزيد إلى شراعة بن الزندبود . ^(٢) فلما قدم عليه
قال : يا شراعة ، إني لم أحضرك لأسألك عن العلم ولا لأستفتيك في الفقه ، ولا
لتحدثني ولا لتقرئني القرآن . فقال له شراعة : لو سألتني عن هذا لوجدتني فيه
حماراً . قال : كيف علمك بالفتوة ؟ قال : أبني بجدها ، وعلى الخبير بها سقطت ،
فسك عما شئت . قال : كيف علمك بالأشربة ؟ قال : يسألني أمير المؤمنين عما أحب .
قال : ما قولك في الماء ؟ قال : هو الحياة ويشركني فيه الحمار . قال : فاللبن ؟ قال :
ما رأيته قط إلا ذكرت أمي فاستحييت . قال : فالخمر ؟ قال : تلك السارة البارة ،
وشراب أهل الجنة . قال : لله درك ! قال : فأى شيء أحسن ما يشرب عليه !

(١) في الأغاني : « تمن واستمع » .

(٢) كان من المحبان الندماء .

قال : عجبت لمن قدّر أن يشرب على وجه السماء في كُنٍّ من القرّ والحرّ كيف يختار عليها شيئاً !

وحكى أبو الفرج عنه ما لو صحّ كان محكوماً بكفره . وغالب ظنّي عدم صحته ، هو والمصحف لكنه مشهور عند أهل الأخبار ، وهو :

أن الوليد دعا ذات ليلة بمُصحف ، فلما فتحه صادف ورقة فيها :
(وأُستفتحوا وخاب كلُّ جبارٍ عنيد . من وراءه جهنم ويُسقى من ماء صديد .)

فقال : أسجعا ! سَجعا ! علقوه . ثم أخذ القوس والنبل فرماه حتى مرّقه ، ثم قال :

أتوعد كلَّ جبارٍ عنيد فهذا أنا ذاك جبارٍ عنيدُ
إذا ما جئتُ^(١) ربَّك يومَ حشرٍ قُتل يا ربَّ^(٢) مَرْقَى الوليدِ
وما لبث بعد ذلك إلا قليلا حتى قُتل .

وذكر أن الوليد بن يزيد كان يُنادم رجلاً يقال له : القاسم بن الطويل هو والقاسم ابن الطويل العبادي ، وكان أديباً ظريفاً شاعراً ، فكان لا يصبر عنه . فغناه معيد ذات يوم بشعر عدى بن زيد العبادي :

بكر العاذلون في وضّح الصُّبْح يقولون لي ألا تستنقِ
فأستحسنه الوليد وأعجب به وطرب عليه ، وجعل يشرب إلى أن غلب عليه السكر ، فنام في موضعه ، وأنصرف ابنُ الطويل . فلما أفاق الوليدُ سأل عنه ، فعرف خبر أنصرافه . فغضب وقال وهو سكران لغلام كان واقفاً على رأسه :

(١) في رواية : « لا قيت » .

(٢) في رواية : « لله » .

يقال له : سَبْرَة : ائْتَنِي بِرَأْسِهِ . فَمَضَى الْغُلَامُ حَتَّى ضَرَبَ عُنُقَهُ وَأَتَاهُ بِرَأْسِهِ .
فَجَعَلَهُ فِي طَسْتٍ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمَّا رَأَاهُ أَنْكَرَهُ ، وَسَأَلَ عَنْ الْخَبَرِ فَعَرَّفَهُ ، فَأَسْتَرْجَعَ
وَنَدَّمَ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ ، وَجَعَلَ يُقَلِّبُ الرَّأْسَ بِيَدَيْهِ وَيَبْكِي ، ثُمَّ قَالَ يَرِثِيهِ :

عَيْنِي لِلْحَدَثِ الْجَلِيلِ جُودًا بِأَرْبَعَةٍ ^(١) هُمُولِ
جُودًا بِدَمْعٍ إِنَّهُ يَشْفِي الْفُؤَادَ مِنَ الْغَلِيلِ
لِلَّهِ قَبْرٌ ضُمَّتْ فِيهِ عِظَامُ ابْنِ الطَّوِيلِ
مَاذَا تَضْمَنَ إِذْ ثَوَى فِيهِ مِنَ اللَّبِّ الْأَصِيلِ
قَدْ كُنْتُ آوَى مِنْ هَوَا لَكَ إِلَى ذُرَى كَهْفٍ ظَلِيلِ
أَصْبَحْتُ بَعْدَكَ وَاحِدًا فَرْدًا بِمَدْرَجَةِ السَّيُولِ

ثم دخل على جواريه فقال : ما أبالي متى جاءني الموت بعد ابن الطويل .
فيقال : إنه لم يعيش بعده إلا مُدِيْدَةً ، ثم قُتِلَ .

ذكر مقتل الوليد بن يزيد

لما أعلن الوليد بالفِسْقِ والفُجُورِ ، وَبَالِغٍ فِي التَّهْتِكِ وَزَادَ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ فِي ذَلِكَ ،
وَبَايَعَ لَوْلَدِيهِ عُثْمَانَ وَالْحَكَمَ بَوْلَايَةِ الْعَهْدِ بَعْدَهُ ، وَلَمْ يَبْلُغَا الْحُلُمَ ، وَبَسَطَ الْمَكْرُوهَ
عَلَى أَوْلَادِ عَمِّيهِ : الْوَلِيدِ ، وَهَشَامِ ، ابْنَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَأَفْرَطَ فِي ضَلَالِهِ وَغِيَّهِ ، مَلَّهَ
النَّاسُ عَامَةً ، وَبَنُو أُمِيَّةٍ خَاصَةً ، وَكَرِهُوا دَوْلَتَهُ وَسَمُّوا أَيَّامَهُ ، فَمَشَى بَعْضُهُمْ إِلَى
بَعْضٍ فِي خَلْعِهِ . وَكَانَ أَقْوَاهُمْ فِي ذَلِكَ يَزِيدُ النَّاكِصُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ
مَرْوَانَ ، فَمَشَى إِلَى أَخِيهِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَكَانَ أَمْرًا صَدُوقًا ، وَلَمْ يَكُنْ فِي
بَنِي أُمِيَّةٍ مِثْلَهُ ، فَشَكَا إِلَيْهِ مَا يَجْرِي عَلَى النَّاسِ مِنَ الْوَلِيدِ . فَقَالَ لَهُ : يَا أَخِي ، إِنْ
النَّاسُ قَدْ مَلَّوْا بَنِي مَرْوَانَ ، فَإِنْ مَشَى بَعْضُكُمْ فِي أَمْرِ بَعْضٍ أَكَلْتُمْ ، وَلِلرَّجُلِ أَجَلٌ

يزيد الناقص
والعباس بن الوليد
في شأنه

(١) يعني : اللحاظين والموقنين .

لا بُدَّ أن يبلغه ، فأنتظره . فخرج من عنده ومشي إلى غيره ، فبايعه جماعة من
اليمانية الوجوه . فعاد إلى أخيه العباس وأعاد عليه القول ، وعرض له بأنه قد دُعي
له بالخلافة . فقال : والله لولا أنني لا آمنه عليك ، لما أعلمه من تخليطه ^(١) ،
لوجهتك الساعة إليه مشدوداً ، فنشدتك الله ألا تسعى في شيء من هذا .
فأنصرف من عنده وجعل يدعو الناس إلى نفسه .

وذُكر أن يزيد بن الوليد الناقص دخل هو وأخوه بشر على أخيهما العباس
ابن الوليد ، وأخذا يقعان في الوليد ويحرّضان أخاهما العباس في خلعه ، فأبى ذلك
عليهما وقال : يا بني مروان ، أظن أن الله جلّ وعزّ قد أذن في هلاككم ،
ثم قال :

إِنِّي أَعِيزُكُمْ بِاللَّهِ مِنْ قِتْنٍ مثل الجبالِ تَسَامِي ثُمَّ تَنْدَفِعُ
إِنَّ الْبَرِيَّةَ قَدْ مَلَّتْ سِيَاسَتَكُمْ فَاسْتَمْسَكُوا بِعُمُودِ الدِّينِ وَأَرْتَدَعُوا
لَا تُلَحْمُنْ ^(٢) ذُنُوبُ النَّاسِ أَنْفُسَكُمْ إِنْ الذُّنُوبُ إِذَا مَا أُحْمِتْ رَتَعُوا
لَا تَبْقُرْنَ بِأَيْدِيكُمْ بَطُونََكُمْ فَتَمَّ لَا حِيلَةَ ^(٣) تُغْنِي وَلَا جَزَعَ

اجتماع الأمر
ليزيد الناقص

فلما استجمع ليزيد الناقص أمره ، وهو مُتَبَدِّ ، أقبل إلى دمشق ، وبين مكانه
الذي كان فيه وبين دمشق أربع ليالٍ ، فأقبل متكرراً في سبعة أنفس على حُرٍّ ،
وقد بايع له أكثر أهل دمشق وبايع له أهل المزة .

فذكر مولى لعباد بن زياد ، قال : إني لبعجروود ، وبين جرود ودمشق
مرحلة ، إذ طلع علينا سبعة معتمئون على حُرٍّ ، فنزلوا ، وفيهم رجلٌ طويل
جسيم ، فرمى بنفسه فنام ، فألقوا عليه ثوباً ، وقالوا لي : هل عندك شيء نشتريه

(١) في الأغاني : « لا آمنه عليك من تحامله » .

(٢) أي لا تطعن لحكم ذناب الناس .

(٣) في الأغاني : « لا فدية » .

من الطعام ؟ قلت : أما بيعُ فلا ، وعندى من قِراكم ما يُشبعكم . قالوا : عَجَله .
فدَجَحْتُ لهم دَجَاجاً وفِرَاحاً ، وأَتَيْتَهُمْ بما حَضَرَ من عَسَلٍ وَسَمْنٍ ، وقلتُ لهم :
أَيَقْظُوا صاحبَكُم للغداء . فقالوا : هو محمومٌ لا يأكل . فسَفَرُوا للغداء ، فعَرَفْتُ
بعضَهُمْ ، وسَفَرَ النَّاسُ ، فإذا هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، فعَرَفْتُهُ ، فلم يُكَلِّمْنِي .
ومَضَوْا في نَفَرٍ من أصحابِهِمْ مُشاةً إلى معاوية بن مَصاد ، وهو بِالْمِزَّةِ ، وبيْنِهَا
وبَيْنَ دِمَشْقٍ مِيلٌ ، فأَصَابَهُمْ مطرٌ شَدِيدٌ ، فَأَتَوْا منزلَ معاوية بن مَصاد ، فحَضَرُوا
يَابَهُ وقالوا : يزيد بن الوليد . فدخلوا . فقال معاوية : الفِرَاشُ ، ادخلْ أَصْلَحَكَ اللهُ .
فقال : في رَجُلِي طِينٌ وَأَخَافُ أَنْ أَفْسِدَ عَلَيْكَ بِسَاطَكَ . فقال : ما تُرِيدُنِي عَلَيْهِ
أَفْسَدُ . فمَشَى عَلَى البِساطِ وجلسَ عَلَى الفِرَاشِ . ثم كَلَّمَ معاويةَ بنَ مَصاد ،
فبَايَعَهُ . ثم خَرَجَ يزيد إلى دِمَشْقٍ فدخلَهَا ، ونَزَلَ دارَ ثَابِتِ بْنِ سُلَيْمَانَ الحَسَنِيِّ ،
وعَلَى دِمَشْقٍ ، من قَبْلِ الوليد بن يزيد عبدُ الملك ، مُحَمَّدُ بْنُ الحِجَاجِ بْنِ يُونُسَ ،
وكانَ خَرَجَ مِنْهَا خَوْفاً مِنَ الوَبَاءِ فَنَزَلَ قَطَنًا ، وَأَسْتَخْلَفَ ابْنَهُ عَلَى دِمَشْقٍ . وَعَلَى
شُرْطَتِهِ أَبُو العَاجِ كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ السَّامِيُّ . وَأَجْمَعَ يَزِيدُ عَلَى الظُّهُورِ وَقَدْ تَمَّ امْرَأَهُ .
وَقِيلَ لِعَامِلِ دِمَشْقٍ : إِنْ يَزِيدٌ خَارِجٌ فَلَمْ يُصَدَّقْ . وَأَرْسَلَ يَزِيدُ إِلَى أَصْحَابِهِ بَيْنَ
الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ ، مِنْ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَبْعَ وَعِشْرِينَ وَمِائَةً ،
فَكَمَنُوا فِي مِيضَاةٍ عِنْدَ بَابِ الْفَرَادِيسِ ، ^(١) حَتَّى إِذَا أَذْنُوا الْعَتَمَةَ دَخَلُوا الْمَسْجِدَ
عَلَى النَّاسِ فَصَلُّوا ، وَلِلْمَسْجِدِ حَرَسٌ قَدْ وَكَّلُوا بِإِخْرَاجِ النَّاسِ مِنَ الْمَسْجِدِ بِاللَّيْلِ ،
فَإِذَا خَرَجَ النَّاسُ خَرَجَ الْحَرَسُ وَأَغْلَقَ صَاحِبُ الْمَسْجِدِ الْأَبْوَابَ ، وَدَخَلَ الدَّارَ مِنْ
بَابِ الْمَقْصُورَةِ ، فَدَفَعَ الْمِفْتَاحَ إِلَى مَنْ يَحْفَظُهَا وَيَخْرُجُ . فَلَمَّا صَلَّى النَّاسُ الْعَتَمَةَ صَاحَ
الْحَرَسُ بِالنَّاسِ فَخَرَجُوا ، وَتَبَاطَأَ أَصْحَابُ يَزِيدِ النَّاكِصُ ، فَجَعَلُوا يُخْرِجُونَهُمْ مِنْ بَابٍ
وَيَدْخُلُونَ مِنْ بَابٍ ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا الْحَرَسُ وَأَصْحَابُ يَزِيدٍ ، فَأَخَذُوا

(١) مِنْ أَبْوَابِ دِمَشْقٍ .

الحرس. ومضى يزيد بن عنبسة إلى يزيد الناقص فأخبره وأخذ بيده وقال: قم يا أمير المؤمنين وأبشر بعون الله تعالى ونصره. فأقبل في اثني عشر رجلاً. فلما كانوا عند سوق القمح لحقهم فيها مائتا رجل من أصحابهم، فمضوا حتى دخلوا المسجد، وأتوا باب المقصورة فقالوا: نحن رسل الوليد. ففتح لهم الخادم الباب، فدخلوا وأخذوا الخادم، فإذا أبو العاج خليفة عامل البلد سكران، فأخذوه وأخذوا خزان بيت المال وصاحب البريد، وأرسل إلى كل من كان يحذره فأخذه، وأرسل من ليلته إلى محمد بن عبيدة، مولى سعيد بن العاص، وهو والي بعلبك، وإلى عبد الملك بن محمد، عامل دمشق، فأخذها، وبعث أصحابه إلى الحشبية^(١) فأتوه. وقال للبوابين: لا تفتحوا الباب غدوة إلا لمن أخبركم بشعار كذا وكذا — للشعار الذي بينهم — فتركوا الأبواب في السلاسل. وكان في المسجد سلاح كثير قدم به سليمان بن هشام من الجزيرة، ولم يكن الخزان قبضوه، فأخذوه وأصبحوا، وقد جاء أهل المزة مع حريث بن أبي الجهم، فما أنتصف النهار حتى بايع الناس يزيد، وهو يتمثل بقول النابغة:

إذا استنزّلوا غنم^١ للطعن أرقلوا إلى الموت إرقال الجمال المصائب

فجعل أصحابه يتعجبون ويقولون: انظروا إلى هذا، كان قبيل الصبح يسبح، وهو الآن ينشد الشعر. ثم أمر يزيد الناقص ابن عمه عبد العزيز بن الحجاج ابن عبد الملك بن مروان، فوقف بباب الجابية فنأدى: ألا من كان له عطاء فليأت إلى عطائه، ومن لم يكن له عطاء فله ألف درهم معونة. فبايع له الناس، وأمر بالعطاء. ونذب الناس إلى قتال الوليد بن يزيد مع عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، ونأدى مناديه: من سارع مع عبد العزيز فله ألفان. فأتى ألفا رجلاً. فأعطاهم

(١) أصحاب الخيثار بن أبي عبيد.

وقال : موعدهم ذنبه^(١) . فوافها ألف ومائتا رجل . فقال : ميعادكم مصنعة بالبرية ، وهى لبني عبد العزيز بن الوليد . فوافاه ثمانمائة رجل . فسار فوافاهم ثقل^(٢) الوليد فأخذوه . وتقدم عبد العزيز بن الحجاج فيمن معه حتى نزلوا قريباً من الوليد وهو بقصره ، بموضع يقال له : البخراء ، بالبرية . فقال الوليد : أخرجوا إلى سريراً . فأخرجوه ، فصعد عليه ، وأتاه خبر^(٣) العباس بن الوليد : إني أجيئك . وأتى الوليد بفرسين يقال لهما : الذائد والسندی . وقال : أعلیّ يتوائب الرجال وأنا أثب على الأسد وأعض^(٤) الأفاعى . وهم ينتظرون العباس أن يأتيهم . فلم يكن بينهم كبير قتال . فقتل عثمان الخشي^(٥) . وكان من أولاد الخشبة الذين كانوا مع المختار . وبلغ عبد العزيز بن الحجاج أن العباس بن الوليد يأتي الوليد ، فأرسل منصور بن جهمور في جريدة خيل ، فقال : إنكم تلقون العباس بن الوليد ، ومعه بنوه بالشعب ، فخذوه . فخرج منصور في تلك الخيل وتقدموا إلى الشعب ، فإذا العباس ومعه ثلاثون قد تقدموا أصحابه . فقالوا له : أعدل إلى عبد العزيز . فستهمهم . فقال له منصور : والله لنن تقدمت لأنفذن حصينك^(٦) بالرمح . فقال : إنا لله ! فأقبلوا به يسوقونه إلى عبد العزيز . فقال له عبد العزيز : بايع ليزيد . فبايع ووقف ، ونصبت راية ، وقالوا : هذا العباس قد بايع . ونادى منادى عبد العزيز : من لحق بالعباس بن الوليد فهو آمن . فقال العباس : خدعة من خدع الشيطان . إنا لله ! هلك والله بنو مروان : فتفرق الناس عن الوليد وأتوا العباس . وظاهر الوليد في

(١) من أعمال دمشق .

(٢) الثقل : المتاع .

(٣) في الأصل : « رسول » .

(٤) في الطبري : « أتخصر » . والتخصر : الإمساك بالخنصرة . وهى العصا . يريد أنه يقبض عليها بيديه كما يقبض على الخنصرة .

(٥) في الأصل : « يزيد بن عثمان » . « والتصويب من الطبرى » .

(٦) يريد : درعه .

درعين وقتلهم ، ونادى الوليد : من جاء برأسٍ فله خمسمائة درهم . فجاء جماعةٌ بعدة رءوس ، فقال : اكتبوا أسماءهم . فقال له رجلٌ من مواليه : ليس هذا يا أمير المؤمنين يوماً يُعمل ^(١) فيه بنسيئة . وناداهم رجالٌ : اقتلوا اللوطيَّ ، قتلة قوم لوط . فرمَوْه بالحجارة . فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق بابه ، وقال :

دَعُوا لِي سُلَيْمَى وَالطَّلَاءَ وَقَيْنَةً وَكَأْسًا إِلَّا حَسْبِي بِذَلِكَ مَالًا
إِذَا مَا صَفَا عَيْشُ بَرْمَلَةَ عَالِجٍ وَعَانَقْتُ سَلْمَى لَا أُرِيدُ بَدَالًا
خُذُوا مَالَكُمْ لَا تَنْبَتَ اللَّهُ مُدْلَكُمْ ثَبَاتًا يُسَاوِي مَا حَيِّتُ عِقْلًا

ثم قال لعمر الوادي : يا جامع لذتي ، غنّني بهذا الشعر . فغنّاه به . وأحاط الجند بالقصر ، فقال لهم الوليد من وراء الباب : أما منكم رجلٌ شريفٌ له حسبٌ وحياءٌ أكلّمه ! فقال له يزيد بن عنبسة السكسكي : كلمني . فقال الوليد : يا أخا السكاسك ، ما تنقمون مني ؟ ألم أزد في أعطياتكم وأعطيتكم فُقرائكم ، وأخدمتُ زَمَنًاكم ، ورَفَعْتُ ^(٢) عنكم المئون ؟ قال : ما ننقم عليك في أنفسنا شيئاً ، ولكن ننقم عليك أنتهاك ما حرّم الله ، وشرب الخمر ، ونكاح أمهات أولاد أبيك ، واستخفافك بأمر الله عز وجل . فقال : حسبك يا أخا السكاسك ، فلعمري لقد أغرقتَ وأكثرتَ ، وإن فيما أحل الله سبحانه لسعةً عما ذكرت . ورجع إلى الدار مجلس وأخذ المصحف وقال : يوم كيوم عُثْمَانَ . ونشر المصحف يقرأ . فحلوا الحائط ، وكان أول من علاه يزيد بن عنبسة . فنزل وسيفُ الوليد إلى جنبه . فقال له يزيد : نَحْ سيفك . فقال له الوليد : لو أردتُ السيفَ لكانت لي ولكِ حالٌ غير هذه . فأخذ بيده وهو يريد أن يدخله بيتاً ويؤامر فيه . فنزل من الحائط عشرةً ، منهم : منصور بن جهمور ، وعبد الرحمن بن رواحة ^(٣) مولى يزيد بن عبد

(١) في الأغاني : « يعامل » .

(٢) في الأغاني : « دفعتم » .

(٣) في الطبري : « عبد الرحمن بن عجلان » . وفي الأغاني : « عبد الرحمن وقيس مولى ... الخ » .

الملك ، والسريّ بن زياد بن أبي كبشة . فضربه عبد الرحمن بن رواحة على رأسه ضربةً ، وضربه السريّ بن زياد على وجهه ضربة ، وجروّهُ بين خمسة ليُخرجوه . فصاحت امرأة كانت في الدار ، فكفّوا عنه فلم يخرجوه . واحتز رأسه أبو علاقة القُضاعي ، وخاط الضربة التي في وجهه بالعقب ^(١) . وقدم بالرأس على يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وهو بدمشق ، رُوّح بن مُقبل ، فقال : أبشريا أمير المؤمنين بقتل الفاسق . فأحسن صلته .

ولما قُتل الوليدُ جعل أبو محجن ، مولى خالد القسريّ ، يُدخل سيفه في إست الوليد وهو مقتول . وجاء يزيد بن خالد القسريّ فضربه تسع ضربات وهو مقتول .

تمثيلهم به بعد موته

وحكى عمر الوادي قال :

عمر الوادي ساعة مقتله

كنت أغنيّ الوليد :

كذبتك عينك ^(٢) أم رأيت بواسطٍ غلس الظلام من الرّباب خيالاً
فما أتممت الصوت حتى رأيتُ رأسه فارق جسده .

قيل :

ابنا الوليد ويزيد ابن هشام

وكان عثمان ، والحكم ، أبنا الوليد بن يزيد ، قد بايعهما الوليدُ بالعهد بعده . فلما قُتل الوليد وأفضت الخلافةُ إلى ابن عمّه يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، أخذها فحبسهما في الخضراء ^(٣) . فدخل عليهما يزيد بن هشام بن عبد الملك ، المعروف بالأفقم ، فجعل يشتم أباهما الوليد ، وكان قد ضربه وحلقه . فبكى الحكم . فقال له أخوه عثمان : أسكت يا أخي ، وأقبل على يزيد فقال : أنشتم أبي ! قال : نعم . قال :

(١) العقب : العصب تعمل منه الأوتار .

(٢) في الأغاني : « نفسك » . (٣) لعله : موضع بالشام .

لكني لا أشتُم عَمِّي هشامًا ، ووالله لو كنت من بني مروان ما شتَمْتُ أحدًا منهم . فانظرُ إلى وجهك ، فإن كنت رأيت حَكَمِيًّا ^(١) يُشَبِّهك فأنت منهم . لا والله ، ما في الأرض حَكَمِيٍّ يُشَبِّهك .

الرشيد وابن للغمر
ابن يزيد

وذَكَرَ أَنَّ أَبْنَاءَ الْغَمَرِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ دَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ ، فَقَالَ لَهُ : يَمُنُّ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ قُرَيْشٍ . قَالَ : مِنْ أَيْيَا ؟ فَأَمْسَكَ . قَالَ : قُلْ وَأَنْتَ أَمِنْ ، وَلَوْ أَنَّكَ مَرَوَانِي . قَالَ : أَنَا أَبْنُ الْغَمَرِ بْنِ يَزِيدَ . قَالَ : رَحِمَ اللَّهُ عَمَّكَ وَلَعَنَ يَزِيدَ النَّاقِصَ وَقَتْلَةَ عَمَّكَ جَمِيعًا ، فَإِنَّهُمْ قَتَلُوا خَلِيفَةَ مُجْمَعًا عَلَيْهِ ! أَرْفَعُ إِلَى حَوَائِجِكَ ، فَقَضَاهَا .

المهدي وابن علانة
في شأن الوليد
ابن يزيد

وَذَكَرَ شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ قَالَ :

كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ الْمَهْدِيِّ ، فَذَكَرُوا الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ ، فَقَالَ الْمَهْدِيُّ : إِنِّي لِأَحْسِبُهُ زَنْدِيقًا . فَقَالَ ابْنُ عَلَانَةَ الْفَقِيهَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اللَّهُ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يُوَلَّى خِلَافَةَ النَّبَوَّةِ وَأَمْرَ الْأُمَّةِ مِنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ ، لَقَدْ أَخْبَرَنِي مَنْ كَانَ يَشْهَدُهُ فِي مَلَاعِبِهِ وَشُرْبِهِ عَنْهُ بَمُرُوءَةٍ فِي طَهَارَتِهِ وَصَلَاتِهِ ، وَحَدَّثَنِي أَنَّهُ كَانَ إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ يُطْرَحُ ثِيَابًا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ مُطَيَّبَةٍ وَمُصْبَغَةٍ وَيَتَوَضَّأُ فَيُحَسِّنُ الْوُضُوءَ ، وَيُؤْتِي ثِيَابَ بَيْضٍ نَظَافٍ مِنْ ثِيَابِ الْخِلَافَةِ ، فَيُصَلِّي فِيهَا أَحْسَنَ صَلَاةٍ ، وَأَحْسَنَ سَكُوتٍ وَسَكُونٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ ، فَإِذَا فَرَغَ عَادَ إِلَى تِلْكَ الثِّيَابِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى شَرْبِهِ وَلَهْوِهِ ؛ أَفَهَذِهِ أَفْعَالُ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ تَعَالَى ؟ فَقَالَ الْمَهْدِيُّ : صَدَقْتَ ، بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ عَلَانَةَ .

قلت : إِنْ مُلِكَ بَنِي أُمَيَّةِ اضْطَرَبَ بِقَتْلِ الْوَلِيدِ ، وَإِنْ يَزِيدُ لَمَّا بُويعَ لَهُ لَمْ يَلْبَثْ فِي الْخِلَافَةِ إِلَّا سِتَّةَ أَشْهُرٍ . وَكَانَ مَرَوَانُ بِالْجَزِيرَةِ ، فَقَعَصَى عَلَيْهِ وَلَمْ يُبَايِعْ لَهُ . وَتَوَفَّى يَزِيدُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ - أَعْنَى سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ - وَكَانَ يَلْقَبُ بِالْناقِصِ ،

(١) نسبة إلى حكم بن أبي العاص والد مروان ، رأس هذه الأسرة .

لأنه نقص الجند أعطيتهم فلقب بذلك . وبُوع بالخلافة أخوه إبراهيم بن الوليد ، وكان ضعيفاً ، تارة يُسلم عليه بالخلافة ، وتارة بالإمرة ، وتارة بأسمه . فمكث ثلاثة أشهر والدنيا مضطربة عليه . وقصده مروان بن محمد الملقب بالحمار ، وبعث إبراهيم ومن معه إلى الغلامين - ولدى الوليد - من قتلها في الحبس . وفي ذلك يقول ابن أبى عقب ، صاحب الملاحم :

إذا قُتل الخلف المديم لسكره بققر من البخراء^(١) أسس في الرمل
وسيق بلا جرم إلى الخنف والردي بُنياء حتى يذبحاً مذبح^(٢) السخل
فويح^(٣) بنى مروان مما أصابهم بأيدي بنى العباس بالأسروالقتل

ودخل مروان دمشق فبُوع له بالخلافة ، وخلع إبراهيم ، وبقى إبراهيم إلى وقعة الزاب ففرق في الزاب لما أنهرم مروان من بنى العباس . وزال ملك بنى أمية ، وجرى عليهم من بنى العباس ما تقدم ذكره .

ثم ذكر أبو الفرج عمر بن داود الوادى ، وهو من موالى عمرو بن عثمان بن عفان . ونسبته إلى وادى القرى . وكان مختصاً بالوليد بن يزيد ، ولم يزل يطربه ويُغنيه إلى أن قُتل .

عمر الوادى

ثم ذكر أبا كامل المغنى . وأسمه الغزِيل ، مولى الوليد بن يزيد . وكان مغنياً مُحسناً وطيباً مُضحكاً . لم يُسمع له بخبر بعد بنى أمية . ولعله مات في أيامهم ، أو قُتل معهم . ولم اختر لهذين خبراً فأذكره .

أبو كامل المغنى

(١) البخراء : بالشام .

(٢) السخل : جمع سخله ، وهى ولد الشاة ، من المعز والضأن ، ذكر كان أو أنثى .

(٣) فى الأغاني : « فويل » .

أخبار يزيد بن ضبة

وَأَسْمَ أَبِيهِ مِقْسَمٌ . وَضَبَّةُ أُمُّهُ غَلَبَتْ عَلَى نَسَبِهِ ، لِأَنَّ أَبَاهُ مَاتَ وَخَلَفَهُ صَغِيرًا . نَسَبُهُ وَوَلَاؤُهُ
وَكَانَتْ أُمُّهُ تَحْضُنُ أَوْلَادَ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ، ثُمَّ أَوْلَادَ ابْنَةِ عُرْوَةَ بْنِ الْمَغِيرَةِ ، فَكَانَ
يُنْسَبُ إِلَيْهَا يَزِيدٌ لَشَهْرَتِهَا ، أَيَّامُنْذُ . وَوَلَاؤُهُ لِبَنِي مَالِكِ بْنِ حُطَيْطٍ .

هو بين ولاية
هشام والوليد

وكان يزيد بن ضبة مُنْقَطِعًا إِلَى الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدٍ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ يَزِيدَ بْنِ
عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا أَفْضَتْ الْخِلَافَةُ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ دَخَلَ إِلَيْهِ يَزِيدُ بْنُ ضَبَةَ مُهْنَتًا
بِالْخِلَافَةِ ، فَلَمَّا أُسْتَقَرَّ بِهِ الْمَجْلِسُ ، وَوَصَلَتْ إِلَيْهِ الْوَفُودُ ، وَقَامَتْ الْخُطَبَاءُ تُثْنِي عَلَيْهِ ،
وَالشُّعْرَاءُ تَمْدَحُهُ ، مِثْلُ يَزِيدَ بْنِ ضَبَةَ بَيْنَ السَّمَاطِينَ فَأَسْتَأْذِنُهُ فِي الْإِنْشَادِ . فَلَمْ يَأْذِنْ
لَهُ ، وَقَالَ : عَلَيْكَ بِالْوَلِيدِ فَأَمْدَحْهُ وَأَنْشُدْهُ . وَأَمْرٌ بِإِخْرَاجِهِ . فَبَلَغَ الْوَلِيدَ خَبْرَهُ ،
فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ وَقَالَ لَهُ : لَوْ أَمْنْتُ عَلَيْكَ هِشَامًا لَمَّا فَارَقْتَنِي ، وَلَكِنْ
أَخْرَجُ إِلَى الطَّائِفِ ، وَعَلَيْكَ بِمَا لِي هُنَاكَ ، فَقَدْ سَوَّغْتُكَ جَمِيعَ غَلَّتِهِ ، وَمَهْمَا أَحْتَجْتَ
إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ فَالْتَمِسْهُ مِنِّي . فَخَرَجَ إِلَى الطَّائِفِ ، فَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا بِهَا إِلَى أَنْ
مَاتَ هِشَامُ ، وَوَلَّى الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدٍ الْخِلَافَةَ ، فَوَفَدَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَالنَّاسُ
بَيْنَ يَدَيْهِ جُلُوسٌ وَوَقُوفٌ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ ، سَلَّمَ عَلَيْهِ وَهَنَّا بِالْخِلَافَةِ . فَأَدَّاهُ الْوَلِيدُ
وَضَمَّهُ إِلَيْهِ ، وَقَبَّلَ ابْنُ ضَبَةَ رِجْلَهُ وَالْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ الْوَلِيدُ لِأَصْحَابِهِ : هَذَا
طَرِيدُ الْأَحْوَالِ لَصُحْبَتِهِ إِيَّايَ ، وَأَنْقَطَاعِهِ إِلَيَّ . فَأَسْتَأْذِنُهُ يَزِيدُ فِي الْإِنْشَادِ ، وَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي أَمَرَنِي ^(١) عَمَّكَ هِشَامٌ بِالْإِنْشَادِ فِيهِ ، قَدْ بَلَغْتُهُ بَعْدَ
يَأْسٍ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ . فَأَذِنَ لَهُ . فَأَنْشُدَهُ قَصِيدَةً ، أَوَّلُهَا :

سُلِّمَى تِلْكَ فِي الْعِيرِ قَفِي أَخْبَرَكَ^(١) أَوْ سِيرِي
إِذَا مَا بِنْتٍ لَمْ تَأْوِي لَصَبَ الْقَلْبِ مَعْمُورِ
يقول في مديحها :

وَيُعْطَى الذَّهَبَ الْأَحْمَرُ رَوْزَنَا بِالْقَنَاطِيرِ
بَنَلُونَاهُ فَأَحْمَدْنَا هَفِي عُسْرُ وَمَيْسُورِ
كَرِيمُ الْعُودِ وَالْعُنْصِ رَغْمُهُ غَيْرُ مَنزُورِ
إِمَامٌ يُوضِّحُ الْحَقَّ لَهُ نُورٌ عَلَى نُورِ
بِأَحْكَامٍ وَإِخْلَاصٍ وَتَفْهِيمٍ وَتَحْيِيرِ

فَأَمَرَ الْوَلِيدُ بَعْدَ آيَاتِ الْقَصِيدَةِ وَيُعْطَى لِكُلِّ بَيْتٍ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَكَانَتْ
خَمْسِينَ بَيْتًا ، فَأُعْطِيَ خَمْسِينَ أَلْفًا .

وَكَانَ أَوَّلَ خَلِيفَةِ عَدَّ آيَاتِ الشَّعْرِ فَأُعْطِيَ عَلَى عِدْدِهَا بِكُلِّ بَيْتٍ أَلْفَ دِرْهَمٍ ،
ثُمَّ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ بَعْدَهُ أَحَدٌ إِلَّا هَارُونَ الرَّشِيدُ ، فَإِنَّهُ بَلَغَهُ خَبْرُ يَزِيدَ بْنِ ضَبَّةَ مَعَ
الْوَلِيدِ ، فَأُعْطِيَ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ وَمَنْصُورَ الثَّمَرِيِّ ، لَمَّا مَدَحَاهُ وَهَجَّوْا آلَ
أَبِي طَالِبٍ ، لِكُلِّ بَيْتٍ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

ثُمَّ ذَكَرَ أَبُو الْفَرَجِ : إِسْمَاعِيلَ بْنَ الْهَرَبِزْدِيِّ ، مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ، وَكَانَ مُغْنِيًّا ،
غَنَّى الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدٍ ، وَغُمَّرَ إِلَى أَيَّامِ الرَّشِيدِ وَغَنَاهُ ، وَلَمْ أَخْتَرْ شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِهِ .

(١) فِي الْأَغَانِي : « أَسْأَلُكَ » .

أخبار نابغة بني شيبان

وهو عبد الله بن المخارق بن سليم بن حصرة بن قيس بن سنان بن حماد
ابن حارثة بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن
صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعَمَى بن
جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

شاعر بدوي من شعراء الدولة الأموية . وكان يفد إلى الشام إلى خلفاء بني
أمية فيمدحهم ويحزلون عطاءه .

قال أبو الفرج : دينه

وكان فيما أرى نصرانيًا ، لأنني وجدته في شعره يحلف بالإنجيل والرهبان
والأيمان التي يحلف بها النصارى .

ومدح عبد الملك بن مروان ، وولده ، وولد ولده ^(١) . وله في الوليد بن يزيد
ابن عبد الملك مدائح كثيرة .

وذكر أن عبد الملك بن مروان لما همّ بخلع أخيه عبد العزيز من ولاية
عنده ونقل ذلك إلى ولده الوليد بن عبد الملك ، وكان نابغة بن شيبان مداحًا
لعبد الملك ومنقطعًا إليه ، دخل إليه في يوم حقل بالناس والناس حواليه ، وولده
قدّامه ، فمثل بين يديه وأنشده قوله :

أَشْنَقْتَ وَأَنْهَلَ دَمْعُ عَيْنِكَ أَنْ أَضْحَى قَفَارًا مِنْ أَهْلِهِ ^(٢) طَلَحُ
أَزَحْتَ عَنَّا آلَ الزُّبَيْرِ فَلَوْ كَانُوا هُمُ الْمَالِكِينَ مَا صَلَحُوا

(١) في الأغاني : « ومدح عبد الملك بن مروان ومن بعده من ولده » .

(٢) طلع : موضع دون الطائف .

إِنْ تَلَقَّ بَلَوَى فَأَنْتَ مُصْطَبِرٌ وَإِنْ تُلَاقِ النِّعْمَى فَلَا فَرَحَ
 أَلْ أَبَى الْعَاصِ أَهْلُ مَأْثَرَةٍ غُرَّتْ عِتَاقٌ بِالْخَيْرِ قَدْ نَفَحُوا
 خَيْرُ قُرَيْشٍ وَهُمْ أَفْضَلُهَا فِي الْجِدِّ جِدٌّ وَإِنْ هُمْ مَزَحُوا
 أَرْحَبُهَا أَذْرَعًا وَأَصْبَرُهَا أَنْتُمْ إِذَا الْقَوْمُ فِي الْوَعَى كَلَحُوا
 أَمَّا قُرَيْشٌ فَأَنْتَ وَارِثُهَا تَكْفٍ مِنْ شَغْبِهِمْ ^(١) إِذَا طَمَحُوا
 حَفِظْتَ مَا ضَيَّعُوا وَزَنَدَهُمْ أَوْرَيْتَ إِنْ أَصْلَدُوا ^(٢) وَقَدْ حَدَّوْا
 آلَيْتُ جَهْدًا وَصَادَقْتُ قَسَمِي بَرٌّ عَبْدٌ لِلَّهِ ^(٣) يَنْتَصِحُ
 لَا بُنْكَ أَوْلَى بِمَلِكٍ وَالِدُهُ وَنَجْمٌ مِنْ قَدْ عَصَاكَ مُطَّرَحُ
 دَاوُدَ عَدْلٌ فَأَحْكَمْ بِسِيرَتِهِ ثُمَّ ابْنُ حَرْبٍ فَإِنَّهُمْ نَصَحُوا
 وَهُمْ خِيَارٌ فَأَعْمَلْ بِسُنَّتِهِمْ وَأَخَى بَخِيرٍ وَكَدَحٍ كَمَا كَدَحُوا
 فَتَبَسَّمَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِي ذَلِكَ بِإِقْرَارٍ ^(٤) وَلَا دَفْعٍ . فَعَلِمَ النَّاسُ أَنَّ رَأْيَهُ
 خَلَعُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَخِيهِ . وَبَلَغَ عَبْدَ الْعَزِيزِ قَوْلُ النَّابِغَةِ . فَقَالَ : أَدْخَلَ ابْنُ النَّصْرَانِيَّةِ
 نَفْسَهُ مُدْخَلًا ضَيِّقًا ، وَأَوْرَدَهَا مَوْرِدًا خَطِرًا ، وَلِلَّهِ عَلَىَّ إِنْ ظَفَرْتُ بِهِ لِأَخْضِبَنَّ
 قَدَمَهُ بِدَمِهِ .

قوله يبنى يزيد
 يقتل ابن المهلب

وَذُكِرَ أَنَّهُ لَمَّا قُتِلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ ، انْخَارَجَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ
 عَبْدِ الْمَلِكِ ، دَخَلَ النَّابِغَةُ الشَّيْبَانِي عَلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ فِي
 تَهْنِئَتِهِ بِالْفَتْحِ :

أَلَا طَالَ التَّنْظَرُ وَالثَّوَاءُ وَجَاءَ الصَّيْفُ وَأَنْكَشَفَ الْغَطَاءُ
 وَلَيْسَ يُقِيمُ ذُو شَجَنٍ مُقِيمٌ وَلَا يَمُضِي إِذَا ابْتَغَى الْمَضَاءُ

(١) فِي الْأَغَانِي : « صَعْبِهِمْ » .

(٢) أَصْلَدَ الزَّنْدَ : قَدَحَهُ وَلَمْ يُوْر .

(٣) فِي الدِّيَوَانِ : « بَرٌّ عَبْدٌ تَجَنَّهُ الْكَرْحَ » . وَالْكَرْحُ : بَيْوتُ الرَّهْبَانِ .

(٤) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « بِإِنْذَارٍ » . وَفِي سَائِرِهَا : « بِإِقْدَارٍ » .

طَوَالَ الدَّهْرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ بِمَقْدَارٍ ^(١) يُوَافِقُهُ الْقَضَاءُ
فَمَا يُعْطَى الْحَرِيسُ غِنًى لِحَرْصٍ وَقَدْ يَنْمَى لِنَدَى الْجُودِ الثَّرَاءُ
وَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ ^(٢) بِقَوْمٍ سَيَتَّبِعُهَا إِذَا أُنْتَهتِ الرِّخَاءُ

يقول فيها :

أَوْفُ قَتَى مِنَ الْأَعْيَاصِ مَلَكًا أَغْرَرَ كَأَنَّ غُرَّتَهُ ضِيَاءُ
لَا سَمِيعَهُ غَرِيبَ الشَّعْرِ مَدْحًا وَأَثْنِي حَيْثُ يَتَّصِلُ الثَّنَاءُ
يَزِيدُ الْخَيْرِ فَهُوَ يَزِيدُ خَيْرًا وَيَنْمَى كُلَّمَا ابْتَغَى النَّمَاءُ
فَضَضْتَ كِتَابَ الْأَزْدَى فَضًّا بِكَبْشِكَ حِينَ لَفَّهَما اللَّقَاءُ
سَمَكْتَ ^(٣) الْمَلِكُ مُقْتَبَلًا جَدِيدًا كَمَا سُمِكَتْ عَلَى الْأَرْضِ السَّمَاءُ
نَزَجِي أَنْ تَدُومَ لَنَا إِمَامًا وَفِي مُلْكِ الْوَلِيدِ لَنَا رَجَاءُ
هَشَامٌ وَالْوَلِيدُ وَكُلُّ نَفْسٍ تُرِيدُ لَكَ الْفَنَاءَ لَكَ الْفِدَاءُ

وهي طويلة . فأمر له بمائة ناقة من نعم كلب ، وأن تُوقَرُ بُرًّا وَزَيْبًا ، وَكَسَادًا
وَأَجْزَلَ صَلْتِهِ .

ولما ولى الخلافة هشام بن عبد الملك وَفَدَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : يَا مَاصٍ . وفوده على الشام
حين ولى هشام ما أَبَقْتَ الْمَوَاسِي مِنْ بَظَرِ أُمِّهِ ، أَلَسْتَ الْقَائِلُ :

هَشَامٌ وَالْوَلِيدُ وَكُلُّ نَفْسٍ تُرِيدُ لَكَ الْفَنَاءَ لَكَ الْفِدَاءُ
أَخْرَجُوهُ عَنِّي ، فَوَاللَّهِ لَا يَرَزُونِي ^(٤) شَيْئًا أَبَدًا . فلم يزل طول أَيَّامِهِ طَرِيدًا
حَتَّى ولى الْوَلِيدَ . فوفد إليه ومدحه مدائح كثيرة ، فَأَجْزَلَ صَلْتِهِ .

(١) في الأغاني : « ومقدار » .

(٢) في الأغاني : « بجى » مكان « يقوم » .

(٣) سمك : رفع .

(٤) أى لا يصيب منى شيئاً .

وشعر النابغة الذى فيه الغناء ، وأفتتح به أبو الفرج أخباره ، هو :

أيها الساق سقته^(١) مُزنة^١ من ربيع ذى أهاضيب^(٢) وطش^٢
أمدح الكأس ومن أعملها وأهيج^٣ قوما قتلونا بالعطش
إنما الكأس ربيع بكر^٣ فإذا ما غاب عنا لم نعش
وكان الشرب قوم^٤ موتوا من يقيم منهم لأمر يرتعش
خرس الألسن مما نالهم بين مصروع وصاح^٤ مُنتعش
من حميا^٥ قرقف حصية^٥ قهوة حولية^(٣) لم تمتحش^٣
ينفع المزكوم منها ريحها ثم تنفى داءه إن^(٤) لم تنش^٤
كل من يشربها يالفها ينفق الأموال فيها كل هش^٤
وهى قصيدة طويلة .

(١) فى الأغاني : « سقتك » .

(٢) الربيع : المطر فى أول فصل الربيع . والأهاضيب : ما تحلب من القطر بعد القطر .

والطش : المطر الضعيف .

(٣) الحميا : ديبب الشراب . والقرقف . الخمر . والحصية : نسبة إلى الحص ، وهو الزعفران .

والحولية : التى مضى عليها حول . ولم تمتحش ، أى لم تصبها النار .

(٤) لم تنش ، أى لم تسكر .

أَخْبَرَنَا أَبُو دَهْبِيلَ

وهو وَهَبُ بْنُ زَمْعَةَ بْنِ أُسَيْدِ بْنِ أَحِيحَةَ بْنِ خَلْفِ بْنِ وَهَبِ بْنِ خُذَافَةَ
ابْنِ جُمَحٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْصِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَى بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ .
وَأُمُّ أَبِي دَهْبِيلَ هُزَيْلَةُ بِنْتُ سَلَمَةَ ، مِنْ هُذَيْلٍ .

أُمُّهُ

وَكَانَ أَبُو دَهْبِيلَ رَجُلًا جَمِيلًا ، شَاعِرًا ، وَكَانَتْ لَهُ جُمَّةٌ يُرْسِلُهَا تَضْرِبُ مِنْ جِهَالِهِ وَأَوَّلُ
مَنْ كَتَبَهُ . وَقَالَ الشُّعْرُ فِي خِلَافَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَمَدَحٌ مُعَاوِيَةَ
ابْنَ أَبِي سُفْيَانَ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ . وَوَلَّاهُ ابْنَ الزُّبَيْرِ بَعْضَ
أَعْمَالِ الْيَمَنِ .

وَقِيلَ : كَانَ أَبُو دَهْبِيلَ سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ بَنِي جُمَحٍ ، يَحْمِلُ الْحِمَالَاتِ ،
وَيُعْطِي الْفُقَرَاءَ ، وَيَقْرَأُ الضَّعِيفَ . فَهَوَى أَمْرًا مِنْ قَوْمِهِ يَقَالُ لَهَا : عَمْرَةَ . وَكَانَتْ
جَزَلَةً يَجْتَمِعُ إِلَيْهَا الرِّجَالُ لِلْمُحَادَثَةِ . فَكَانَ أَبُو دَهْبِيلَ لَا يَفَارِقُ مَجْلِسَهَا مَعَ كُلِّ
مَنْ يَجْتَمِعُ إِلَيْهَا ، وَكَانَتْ هِيَ أَيْضًا مُحِبَّةً لَهُ .

ذَكَرَ أَنَّهُ تَزَوَّجَهَا بَعْدَ ذَلِكَ . وَقِيلَ . لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا . وَكَانَتْ عَمْرَةَ تُوصِيهِ بِحِفْظِ
مَا بَيْنَهُمَا وَكِتْمَانِهِ . فَضَمَّنَ لَهَا ذَلِكَ . وَأَتَصَلَ مَا بَيْنَهُمَا ، فَوَقَفَتْ عَلَى ذَلِكَ زَوْجَتُهُ .
فَدَسَّتْ إِلَى عَمْرَةَ أَمْرًا دَاهِيَةً مِنْ عَجَائِزِ أَهْلِهَا ، فَنَجَّاهَا فَخَادَتْهَا طَوِيلًا . ثُمَّ قَالَتْ
لَهَا فِي عُرْضِ حَدِيثِهَا : إِنِّي لَا أُعْجِبُ لَكَ كَيْفَ لَا تَتَزَوَّجِينَ أَبَا دَهْبِيلَ مَعَ مَا بَيْنَكُمَا !
قَالَتْ : وَأَيُّ شَيْءٍ بَيْنَ مِثْلِي وَبَيْنَ مِثْلِ أَبِي دَهْبِيلَ ! فَتَضَاكَحَتْ وَقَالَتْ : أَتَسْتَرِينَ
عَنِّي شَيْئًا قَدْ تَحَدَّثْتُ بِهِ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ فِي مَجَالِسِهَا . وَسُوقَةَ أَهْلِ الْحِجَازِ فِي
أَسْوَاقِهَا ، وَالسُّقَاةَ فِي مَوَارِدِهَا ! فَمَا يَتَدَفَّعُ أَثْنَانُ فِي أَنَّهُ يَهْوَاكِ وَتَهْوِينَهُ . فَوُثِّبَتْ
م - ٥٤ - ج - ٢ - ق ١ - تَجْرِيدُ الْأَعَانِي

عن مجلسها واحتجبت ومنعت كل من يجالسها من المصير إليها . وجاء أبو دهب
على عادته . فحجبتة ، وأرسلت إليه بما يكره . ففي ذلك يقول :

تطاول هذا الليل ما يتبلج وأعيت غواشي عبرتي ما تفرج
وبت كئيبي ما أنام كأنما خلال ضلوعي جرة تنهج
فطوراً أمني النفس من عمرة المني وطوراً إذا ما لجّ بي الحزن أنشج
لقد قطع الواشون ما كان بيننا ونحن إلى أن يوصل الجبل أحوج
هم منعونا ما نحب وأوقدوا علينا وشبوا نار صرم تأجج
ولو تركونا لا هدى الله (١) أمرهم ولم يلجموا قولاً من الشر ينسج
لأوشك صرف الدهر يفرق بيننا ولا يستقيم الدهر والدهر أعوج
عسى كربة أمسيت فيها مقيمة يكون لنا منها نجاة ونخرج
فيكبت أعداء ويحذل ألف له كبد من لوعة الحب تلعج
وإني لمدعور (٢) عشية زرتها وكنت إذا ما جئها لا أعرج
أخطط في ظهر الحصير كأنني أسير يخاف القتل لهفان (٣) ملفج
وأشفق قلبي من فراق خريدة لها نسب في فرع فهري متوج
يجول وشاحاها ويغتص (٤) حجلها ويشبع منها وقف عاج (٥) ودملج
فلما التقينا جلجت في حديثها ومن آية الصّد الحديث المملج
وقال فيها أيضاً :

يلومونني في غير ذنب جنيته وغيري بالذنب الذي كان ألوم

(١) في الأغاني : « سعيم » مكان « أمرهم » .

(٢) في الأغاني : « لمحزون » . مكان « لمدعور » .

(٣) في الأغاني : « وهان » مكان « لهفان » . والملفج : الفقير المحتاج .

(٤) يغتص : يمتلي .

(٥) الوقف : السوار .

أَمَّا أَنَسًا كُنْتَ تَأْتِمْنِيهِمْ فَزَادُوا عَلَيْنَا فِي الْحَدِيثِ ^(١) وَأَوْهَمُوا
وَقَالُوا لَنَا مَا لَمْ نَقُلْ ثُمَّ كَثَرُوا عَلَيْنَا وَبَاخُوا بِالَّذِي كُنْتَ أَكْتُمُ
وَقَدْ مُنَحْتُ عَيْنِي الْقَذَى لِفِرَاقِهِمْ وَعَادَ لَهَا تَهْتَانُهَا فَهِيَ تَسْجُمُ
وَصَافِيَتْ نِسْوَانًا فَلَمْ أَرَ فِيهِمْ هَوَايَ وَلَا الْوُدَّ الَّذِي كُنْتُ أَعْلَمُ
أَلَيْسَ عَظِيمًا أَنْ نَكُونَ بِيْلِدَةً كَلَانًا بِهَا ثَاوٍ وَلَا تَتَكَلَّمُ

وذكر أن عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان حبَّت فنزلت من مكة
بذي طوى . فبينما هي ذات يوم جالسة ، وقد أشتد الحرُّ وأُتقطع الطريقُ ،
وذلك في وقت الهاجرة ، فأمرت جواريتها فرفعن السَّترَ ، وهي جالسة في مجلسها ،
عليها شُفوف لها ، تنظرُ إلى الطريق ، إذ مرَّ بها أبو دَهبل الجُمحي ، وكان من
أحسن الناس وجهًا ، وأجملهم منظرًا ، فوقف طويلًا ينظرُ إليها وإلى جمالها ، وهي
غافلة عنه . فلما فطنت له سترت وجهها وأمرت بطرح الستر وشتمته . فقال
أبو دَهبل :

إِنِّي دَعَانِي الْحَيْنُ فَأَقْتَادَنِي حَتَّى رَأَيْتُ الظَّبْيَ بِالْبَابِ
يَا حُسْنَهُ إِذْ سَبَّيْنِي مُدْبِرًا مُسْتَتِرًا عَنِّي بِجِلْبَابِ
سُبْحَانَ مَنْ وَقَفَهَا حَسْرَةً صَبَّتْ عَلَى الْقَلْبِ بِأَوْصَابِ
يَذُودُ عَنْهَا إِنْ تَطَلَّبْتُهَا أَبٌ لَهَا لَيْسَ بِوَهَابِ
أَحْلَاهَا قَصْرًا مَنِيعَ الذُّرَى يُحْمَى بِأَبْوَابٍ وَحُجَّابِ

وأنشد أبو دَهبل هذه الأبيات بعض إخوانه ، فشاعت بمكة وشهرت .
وَعَنِي فِيهَا الْمُغَنُّونَ حَتَّى سَمِعْتُهَا عَاتِكَةً يُنْشَدُهَا وَغَنَاءً ، فَضَحِكْتُ وَأَعْجَبْتُهَا ، وَبَعَثْتُ
إِلَيْهِ بِكُسْوَةٍ . وَجَرَتْ الرُّسُلُ بَيْنَهُمَا ، فَلَمَّا صَدَرَتْ عَنْ مَكَّةَ خَرَجَ مَعَهَا إِلَى الشَّامِ ،

(١) أوهموا : نقصوا .

فَنَزَلَ قَرِيبًا مِنْهَا . فَكَانَتْ تَعَاهِدُهُ بِالْبَرِّ وَاللَّطْفِ ، حَتَّى وَرَدَتْ دِمَشْقَ وَوَرَدَ مَعَهَا .
فَانْقَطَعَتْ عَنْ لِقَائِهِ وَعَجَزَ عَنْ أَنْ يَرَاهَا ، وَمَرَضَ بِدِمَشْقَ مَرْضًا طَوِيلًا ، فَقَالَ
فِي ذَلِكَ :

طَالَ لَيْلِي وَبَتُّ كَالْمَحْزُونِ وَمَلَّتْ الثَّوَاءُ فِي (١) جَيْرُونِ
وَأَطَلْتُ الْقَامَ بِالشَّامِ حَتَّى ظَنَّ أَهْلِي مُرَجَّمَاتِ الظُّنُونِ
فَبَكَتْ خَشْيَةَ التَّفَرُّقِ جُمْلَةً كَبَكَاءِ الْقَرِينِ إِثْرَ الْقَرِينِ
وَلَقَدْ قُلْتُ إِذْ تَطَاوَلَ سُقْمِي وَتَقَلَّبْتُ لَيْلَتِي فِي فُنُونِ
لَيْتَ شِعْرِي أَعْنِ هَوَى طَارِنَوْمِي أَمْ بَرَانِي الْبَارِي قَصِيرَ الْجُنُونِ
وَهِيَ زَهْرَاءُ مِثْلَ لَوْلُؤَةِ الْغَوَا صَ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرِ مَكْنُونِ
وَإِذَا مَا نَسَبْتَهَا لَمْ تَجِدْهَا فِي سَنَاءٍ مِنَ الْمَكَارِمِ دُونِ
تَجْعَلُ الْمِسْكَ وَالْأَلُوءَةَ وَالنَّدَى صَلَاةً لَهَا (٢) عَلَى الْكَانُونِ
ثُمَّ خَاصَرْتُهَا إِلَى الْقُبَّةِ الْخَضِرَاءِ تَمَشَّى فِي مَرْمَرٍ (٣) مَسْنُونِ
قُبَّةً مِنْ مَرَاجِلٍ ضَرَبُوهَا عِنْدَ بَرْدِ الشِّتَا فِي قَيْطُونِ
عَنْ يَسَارِي إِذَا دَخَلْتُ مِنَ الْبَا بَ وَإِنْ كُنْتُ خَارِجًا عَنْ يَمِينِ

هو ومعاوية

وشاع هذا الشعرُ حتى بلغ معاوية بن أبي سفيان ، فأمسك عنه ، حتى إذا كان
في يوم الجمعة دخل عليه الناسُ وفيهم أبو دَهْبَلٍ ، فقال معاوية لحاجبه : إذا أراد
أبو دَهْبَلٍ الخروجَ فأمنعه وأرُدِّدْهُ عَلَيَّ . فجعل الناسُ يُسَامُونَ وَيَنْصَرِفُونَ ، فقام
أبو دَهْبَلٍ لينصرف ، فناداه معاوية : يَا أَبَا دَهْبَلٍ ، هَلُمَّ إِلَيَّ . فلما دنا منه أجلسه
حتى خلا به ، ثم قال له : مَا ظَنَنْتُ أَنْ فِي قُرَيْشٍ أَشْعَرُ مِنْكَ ، حَيْثُ تَقُولُ :

* وَلَقَدْ قُلْتُ إِذْ تَطَاوَلَ سُقْمِي *

(١) جيرون : حصن بدمشق . وقيل : هو دمشق بعينها .

(٢) الألوة : العود . والذي في الأغاني : « وليلتجوج » . وهو عود البخور والصلاة : ما تصطلي به .

(٣) المسنون : ما كان على استواء .

وأشده هذا البيت والأبيات الثلاثة بعده ، ثم قال : والله إن فتاةً أبوها معاوية ، وجدُّها أبو سفيان ، وجدَّتْها هِنْد بنت عُتبة ، لَكِما ذكُرتَ ، فأَيُّ شَيْءٍ زِدْتَ في قَدَرِها ! ولقد أسأت في قولك :

ثم خاصرتها إلى القُبة الخَضراء تمشي في مَرمر مَسنون

فقال : والله يا أمير المؤمنين ، ما قلتُ هذا ، وإنما قيل على لسانِي . فقال : أما مِن جهتي فلا خوف عليك ، لأنِّي أعلم صِيانة أُنبتِي نَفْسَها ، وأعلم أن فِتْيَان الشَّعراء لم يتركوا أن يقولوا في النَّسب في كُلِّ مَنْ جاز أن يقولوه فيه ، وكُلُّ مَنْ لم يَجْزُ ، وإنما أكره لك جِوار يزيد وأخاف عليك وَثباته ، فإن له سورة الشَّباب وأنفة المُلوك . وإنما أراد معاوية أن يَهْرُبَ أبو دَهْبل فتَنقِضِي المِقالَةَ عن أُنبتِه . فحذِر أبو دَهْبل وخرَجَ إلى مَكَّة هارِباً على وَجْهِه ، فكان يُكَاتب عاتِكَةَ . فبينما معاوية ذاتَ يوم في مجلسه ، إذ جاءه خَصِيٌّ له ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لقد سَقَطَ اليوم إلى عاتِكَةَ كِتابٌ ، فلما قرأته بكيت ، ثم أخذته فوضعتُه تحت مُصَلَّاهَا ، وما زالت خائِرة النفس منذ اليوم . فقال له : أذهب فالطُفْ لهذا الكتاب حتى تأتيني به . فأُطلق الخَصِيَّ فلم يَزَلْ حتى أصاب منها غِرَّةً ، فأخذ الكتاب فأقبل به على معاوية ، فإذا فيه :

أَعاتِكَ هَلًا إِذْ بَحَلْتَ فَلَا تَرَى	لَذِي صَبُوءٍ زُلْفَى لَدَيْكَ وَلَا حَقًّا
رَدَدْتَ فَوَادًا قَدْ تَوَلَّى بِهِ الْهَوَى	وَسَكَنْتَ عَيْنًا لَا تَمَلُّ وَلَا تَرَقَّا
وَلَكِنْ خَلَبْتَ الْقَلْبَ بِالْوَعْدِ وَالْمَنَى	وَلَمْ أَرِ يَوْمًا مِنْكَ جُودًا وَلَا صِدْقًا
أَتَنْسِينَ أَيَّامِي بَرَبْعَكَ مُدْنَفًا	صَرِيحًا بِأَرْضِ الشَّامِ ذَا سَقَمٍ مُلْقًى
وَلَيْسَ صَدِيقٌ يُرْتَضَى لَوْصِيَّةً	وَأَدْعُو لِدَائِي بِالشَّرَابِ فَلَا أُسْقَى
فَوَاكِبِي إِذْ لَيْسَ لِي مِنْكَ مَجْلِسٌ	فَأَشْكُو الَّذِي بِي مِنْ هَوَاكَ وَمَا أَلْقَى
رَأَيْتُكَ تَزْدَادُنِ لِلصَّبِّ غِلْظَةً	فِيَزْدَادُ قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ لَكُمْ عِشْقًا

فلما قرأ معاوية الشعر بعث إلى ابنه يزيد . فأتاه فدخل عليه ، فوجد معاوية مطرقاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما هذا الأمر الذي شجأك ؟ قال : أمر أمرضني وأقلقني منذ اليوم ، وما أدري ما أعمل في شأنه . قال : وما هو ؟ قال : هذا الفاسق أبو دهبيل ، كتب بهذه الأبيات إلى أختك فلم تنزل باكية إلى اليوم ، وقد أفسدها ، فما ترى فيه ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين إن الشأن في أمره لهين . قال : وما هو ؟ قال : عبد من عبيدك يكمن له في بعض أزقة مكة فيُرِيحنا منه . فقال معاوية : والله إن أمراً يُريد بك ما يُريد ، ويسمو بك إلى ما يسمو ، لغير ذى رأى ! وأنت قد ضاق ذرعك بكلمة وقصر فيها بأعك حتى أردت أن تقتل رجلاً من قريش ، أو ما تعلم أنك إذا ما فعلت ذلك صدقت قوله ، وجعلتنا أحدىة أبداً . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه قال قصيدة أخرى تناسدها أهل مكة . قال : وما هي ؟ قال : قال :

ألا لا تقل مهلاً فقد ذهب المهلُ وما كل من يلحى محباً له عَمَلُ
لقد كان في حوَّلين حالاً فلم أرُ هَوَى وإن خوِّفَتْ عن حبِّها شغل
حمى الملك الجبار عني لقاءها فمن دونها تُخشى المتالف والقتل
فلا خير في حبٍّ يُخاف وبأله ولا في حبيبٍ لا يكون له وصل
فواكبدي إنى شُهرتُ بحبِّها ولم يك فيما بيننا ساعةً بذل
ويا عجباً إنى أكتم حُبَّها وقد شاع حتى قطعت دونها السبل

فقال معاوية : قد والله رفَّهت عني ، فوالله ما كنت آمن أن يكون قد وصل إليها ، فأما الآن وهو يشكو أنه لم يكن بينهما وصل ولا بذل ، فالخطبُ يسير . قم . فقام يزيد فأصرف . وحبج معاوية في تلك السنة ، فلما انقضت أيام الحج كتب أسماء وجوه قريش وأشرفهم وشعرائهم ، وكتب فيهم أسم أبى دهبيل ، ثم دعاهم ، ففرَّق في جميعهم صلاتٍ سنّية وأجازهم جوائز كثيرة . فلما قبض

أبو دهب جائزته وقام لينصرف ، دعا به معاوية فرجع إليه . فقال له : يا أبا دهب ، ما بالي رأيت أبا خالد يزيد ابن أمير المؤمنين عليك ساخطاً في قوارص تأتيه عنك ، وشعر لا تزال قد نطقت به وأنفذته إلى خصائنا وموالينا ، لا تعرض لأبي خالد . فجعل يعتذر إليه ويحلف أنه مكذوب عليه . فقال له معاوية : لا بأس عليك ، وما يضرّك هذا عندنا . هل تأهلت ؟ قال : لا . قال : فأبى بنات عمك أحب إليك ؟ قال : فلا . قال : قد زوّجكها أمير المؤمنين وأصدقها ألفي دينار ، وأمر لك بألف دينار . فلما قبضها قال : إن رأى أمير المؤمنين أن يعفوني عما مضى ، فإن نطقتُ ببيتٍ في معنى ما بلغه وسبق مني فقد أبحثُ به دمي ، وفلانة التي قد زوّجنيها أمير المؤمنين طالقُ البتة . فسر بذلك معاوية وضمن له رضا يزيد عنه ، ووعد به بإدرا ما وصله في كل سنة ، وأنصرف إلى دمشق ، ولم يحج معاوية في تلك السنة إلا من أجل أبي دهب .

هو وشامية تزوجها

وذكر أن أبا دهب خرج يريد الغزو ، وكان رجلاً صالحاً غنياً ، وكان جميلاً ، فلما كان يجيرون جاءته امرأة فأعطته كتاباً وقالت له : اقرأ هذا الكتاب . فقرأها لها . ثم ذهبت فدخلت قصرًا ، ثم خرجت إليه وقالت : لو بلغت القصر فقرأت الكتاب على امرأة كان لك فيه خير كثير ، فإنه من غائب لها يعينها أمره . فبلغ معها القصر ، فلما دخل إذا فيه جوارٍ كثيرة ، فأغلقت القصر عليه ، وإذا امرأة وضيئة الوجه ، فدعته إلى نفسها ، فأبى ، فأمرت به فحبس في بيت في القصر ، وأطعم وسقى قليلاً قليلاً ، حتى ضعف وكاد يموت ، ثم دعته إلى نفسها ، فقال : أما حرماً فلا يكون ذاك أبداً ، ولكن أتزوجك . قالت : نعم . فتزوّجها . فأمرت به فأحسن إليه حتى رجعت نفسه إليه . فأقام معها زماناً طويلاً لم تدعه يخرج ، حتى أيس منه أهله وولده ، وتزوج بنوه وبناته ، وأقتسموا ماله ، وأقامت زوجته تبكي عليه حتى عمشت ، ولم تقاسمهم ماله . ثم قال لأمراته التي

هو عندها : قد أتمت في وفي ولدي وأهلي ، فأذن لي أطالعهم وأعود إليك .
فأخذت عليه أيماناً ألا يقيم إلا سنة ثم يعود إليها : فخرج من عندها يقطع
البلاد^(١) ، حتى قدم على أهله ، فرأى حال امرأته وما صار إليه ولده . وجاء إليه ولده ،
فقال لهم : لا والله ما بيني وبينكم عمل ، أتم قد ورثتموني وأنا حي ، والله لا يشرك
زوجتي فيما قدمت به أحد . وقال لها : شأنك به فهو لك كله . وقال قصيدته
النونية التي تقدم ذكرها . فلما جاء الأجل أراد الخروج إلى امرأته التي تزوجها
بالشام ، فجاءه خبر موتها ، فأقام .

من شعره في مدح
ابن الأزرق

ومن جيد شعر أبي دهب قوله في ابن الأزرق ، وهو عبد الله بن عبد الرحمن
ابن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر الخزومي ، يمدحه في أبيات :
لئن كفرتك ما أوليت من نعم
إني لفي اللؤم أحظى منك^(٢) بالكرم
وكيف أنساك لا نعماك واحدة
عندي ولا بالذي أسديت من قدم

وكان ابن الأزرق هذا قد ولّاه ابن الزبير بعض أعمال اليمن ، فمدّ يده في
أموالها وأعطى عطايا سنية ، وبث في قريش منها أشياء جزيلة ، فتهافت قريش
عليه ، ووفدوا إليه ، فأسنى لهم العطايا . وبلغ ذلك ابن الزبير فعزله بإبراهيم بن سعد
ابن أبي وقاص . فلما قدم عليه أراد أن يحاسبه ، فقال له : مالك عندي حساب ،
ولا بيني وبينك عمل . فخافت قريش أن يفتشه ابن الزبير أو يكشفه ، فلبست
السلح وخرجت إليه لتمنعه . فلما لقيهم نزلت قريش فسمت عليه ، وبسطت له
أرديتها ، وتلقته إماءهم وولادهم بمجامر اللوة والعود المنذلي يبخرون بين يديه ،
حتى أنتهى إلى المسجد ، فطاف بالبيت ، ثم جاء إلى ابن الزبير فسلم عليه ، وهم به

(١) في الأغاني : « يجر الدنيا » . يريد أنه خرج بخير كثير .

(٢) رواية هذا البيت في الأغاني :

عند التفريق من خيم ومن كرم

ماذا رثنا غداة الخل من رعم

(والخل : موضع باليمن في وادي رعم) .

يُطِفُونَ . فَعَلِمَ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ ، فَمَا عَرَضَ لَهُ وَلَا صَرَّحَ لَهُ بِشَيْءٍ .
وَمَضَى إِلَى مَنْزِلِهِ . فَقَالَ أَبُو دَهْبِلٍ :

فَمَنْ يَكُ شَانَ الْعَزْلِ أَوْ هَدَّ رُكْنَهُ
وَمَا أَصْبَحَتْ مِنْ نِعْمَةٍ مُسْتَفَادَةٍ
وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا :

عُقِمَ النِّسَاءُ فَلَمْ يَلِدْنَ شَيْئَهَا
مُتَهَلِّلٌ بِنَعَمٍ بَلَا مُتَبَاعِدٌ
نَزَرَ الْكَلَامَ مِنَ الْحَيَاءِ تَخَالَهُ
إِنَّ النِّسَاءَ بِمَثَلِهِ عُقِمَ
سَيِّانٌ مِنْهُ الْوَفْرُ وَالْعُدْمُ
ضَمِنًا^(١) وَلَيْسَ بِجِسْمِهِ سُقْمٌ

وَمِنْ جَيْدِ شِعْرِ أَبِي دَهْبِلٍ :

أَأَتْرُكُ لَيْلَى لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
سِوَى لَيْلَةٍ إِنِّي إِذَا لَصَبُورٌ

وَهَذَا الْبَيْتُ مِنْ أَيْيَاتِ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا وَنُسِبَتْ إِلَى الْمَجْنُونِ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا
لِأَبِي دَهْبِلٍ .

(١) الضمن : المريض .

أخبار الحسين بن الضحّاك

قيل : إنه باهليّ صليبيّة^(١) . وقيل : بل مولى باهلة .

نسبه

قال أبو الفرج : وهو الأصح .

مدشؤه وشعره

وهو بصريّ المولد والمنشأ . من شعراء الدولة العباسية ، وأحد ندماء الخلفاء من بني العباس ، وأول من جالس منهم محمد الأمين بن زبيده . وهو شاعر أديب ظريف مطبوع غزل ، حسن التصرف في الشعر ، حلو المذهب ، لشعره قبول ورونق صاف .

انتفاع أبي نواس
بمعانيه

وكان أبو نواس يأخذ معانيه في الخمر فيغير عليها ، وإذا شاع له شعر نادر في هذا المعنى نُسبه الناس إلى أبي نواس .

لقبه وموته

وكان يُلقَّب بالخليع والأشقر . وعمرٌ عُمرًا طويلاً حتى قارب المائة سنة ، ومات في خلافة المستعين ، أو المنتصر .

هو وأبو نواس

وحكى الحسين بن الضحّاك الخليع قال : أنشدت أبا نواس لما حججتُ قصيدتي التي قلتها في الخمر ، وهي :

بُدِّلْتُ مِنْ نَفَحَاتِ الْوَرْدِ بِالْأَءِ
وَمِنْ صَبُوحِكَ دَرَّ الْإِبِلُ وَالشَّاءِ
حتى انتهيت إلى قولي :

حتى إذا أُسْنَدْتُ فِي الْبَيْتِ وَاحْتَضَرْتُ
فُضِّتْ خَوَاتِمُهُمَا فِي نَعْتٍ وَاصِفِهَا
عند الصباح^(٣) ببسّامين أ كفاء
عن مثل رَقْرَاقَةٍ فِي جَفْنٍ^(٢) مَرَّهَاءِ

(١) صليبيّة : خالص النسب .

(٢) في الأغاني : « الصبوح » .

(٣) الرقراقة : الدمعة تترقق في العين ولا تسيل . والمرهء : المرأة لم تكتحل .

قال : فَصَعِقَ صَعْقَةً أَفْرَعْتَنِي ، وقال : أَحَسَنْتَ وَاللَّهِ يَا أَشْقَرَ ! فَقُلْتُ : وَبِكَ
يَا حَسَن ! لَقَدْ أَفْرَعْتَنِي وَاللَّهِ . فقال : بَلْ أَنْتَ وَاللَّهِ أَفْرَعْتَنِي وَرُعْتَنِي ، هَذَا مَعْنَى
مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي كَانَ فِكْرِي لَا بُدَّ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَيْهَا وَيَغُوصَ عَلَيْهَا ، وَقَدْ سَبَقْتَنِي
إِلَيْهِ وَأَخْتَلَسْتَهُ مِنِّي ، وَاسْتَعْلَمَ لِمَنْ يُرَوَى : إِلَى أَمِّ لَكَ ؟ فَكَانَ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ ، سَمِعْتُ
مَنْ لَا يَعْلَمُ يَرَوِيهَا لَهُ .

وقيل :

كَانَ الْحُسَيْنُ الْخَلِيعُ مُنْقَطِعًا إِلَى مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ ، فَلَمَّا قُتِلَ مُحَمَّدُ الْأَمِينِ وَأَفْضَتْ
الْخِلَافَةُ إِلَى أَخِيهِ الْمَأْمُونِ ، وَقَدِمَ بَغْدَادَ مِنْ خُرَاسَانَ أَمْرًا أَنْ يُسَمَّى لَهُ قَوْمٌ مِنْ
أَهْلِ الْأَدَبِ لِيُجَالِسُوهُ وَيُسَامِرُوهُ . فَذُكِرَ لَهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ الْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ
الْخَلِيعِ ، فَقَرَأَ أَسْمَاءَهُمْ حَتَّى بَلَغَ أَسْمَ حُسَيْنٍ . فَقَالَ : أَلَيْسَ هُوَ الَّذِي يَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ :

هَلَّا بَقِيتَ لَسَدًا فَاقْتَنَّا أَبَدًا وَكَانَ لَغَيْرِكَ التَّلَفُّ

فَلَقَدْ خَلَفْتَ خِلَافًا سَلَفُوا وَلَسَوْفَ يُعْزِزُ بَعْدَكَ الْخَلَفُ

لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ ، وَاللَّهِ لَا يَرَانِي أَبَدًا إِلَّا فِي طَرِيقٍ . وَلَمْ يَعَاقِبْهُ عَلَى مَا كَانَ
مِنْ هِجَائِهِ لَهُ وَتَعْرِيزِهِ بِهِ . فَأُنْحَدَرَ الْحُسَيْنُ إِلَى الْبَصْرَةِ وَأَقَامَ بِهَا طَوِيلَ أَيَّامِ الْمَأْمُونِ .

وَحَكَى صَالِحُ بْنُ الرَّشِيدِ قَالَ :

دَخَلْتُ عَلَى الْمَأْمُونِ وَمَعِيَ بَنَتَانِ لِلْحُسَيْنِ الضَّحَّاكِ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
أَحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ مِنِّي بَيْتَيْنِ ، قَالَ : أَنْشِدْهُمَا . فَأَنْشَدْتُهُ :

حَمَدْنَا اللَّهَ شُكْرًا إِذْ حَبَانَا بَنَصْرِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

فَأَنْتَ خَلِيفَةُ الرَّحْمَنِ حَقًّا جَمَعْتَ سَمَاحَةً وَجَمَعْتَ دِينًا

فَقَالَ : لِمَنْ هَذَانِ الْبَيْتَانِ يَا صَالِحُ ؟ فَقُلْتُ : لِعَبْدِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حُسَيْنِ

مع المأمون
بعد الأمين

صالح ابن الرشيد
والمأمون في أمره

ابن الضحّاك . فقال : قد أحسن ! فقلت : وله يا أمير المؤمنين أجود من هذا .
قال : وما هو ؟ فأنشدته قوله :

أَيَبْخُلُ فَرْدُ الْحُسْنِ فَرْدُ صِفَاتِهِ عَلَى وَقْدِ أَفْرَدْتُهُ بِهِوَى فَرْدِ
رَأَى اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ خَيْرَ عِبَادِهِ فَمَلَّكَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمَ بِالْعَبْدِ

قال : فأطرق ساعةً ثم قال : ما تطيب نفسي له بخير بعد ما قاله في أخي محمد
وقاله في .

وحكى أن صالح بن الرّشيد قال لعمر بن بانة يوماً ، وهو عنده : لست
تطرح على جوارى وغلمانى ما أستجیده ! فقال له : ويلك ! ما أبغضك ! أبعث
إلى منزلى فحىء بدفاتر التى فيها الغناء وأختر منها ما شئت حتى ألقیه عليهم .
فبعث إلى منزله فحىء بدفاتر الغناء ، فأخذ منها دفترًا ليتخير ممّا فيه ، فمرّ به شعر
الحسين بن الضحّاك يثرى محمدًا الأمين ويهجو المأمون ، وهو :

أَطْلُ جَزَعًا وَأُبْكِ الْإِمَامَ مُحَمَّدًا بِحُزْنٍ وَإِنْ خِفْتَ الْحُسَامَ الْمُهَنْدًا
فَلَا تَمُتِ الْأَشْيَاءَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَلَا زَالِ شَمْلُ الْمَلِكِ فِيهِ مُبَدَّدًا
وَلَا فَرَحَ الْمَأْمُونُ بِالْمَلِكِ بَعْدَهُ وَلَا زَالِ فِي الدُّنْيَا طَرِيدًا مُشْرَدًا

قال عمرو بن بانة : فقال لى صالح : أنت تعلم أن المأمون يحىء إلى فى كل
ساعة ، فإذا قرأ هذا ما تراه يكون فاعلاً ؟ ثم دعا بسكّين وجعل يحكّه ، وصعد
المأمون من الدّرجة ورمى صالح بالدّفتر . فقال المأمون : يا غلام ، الدفتر . فأثى به ،
فنظر فيه ووقف على الحكّ وقال : إن قلت لكم ما كنتم فيه تصدّقونى ؟ قلنا :
نعم . قال : ينبغى أن يكون أخى قال لك : ابعث فحىء بدفاترك لتخير ما تطرحه
على الجوارى . فوقف على هذا الشعر فكّره أن أراه ، فأمر بحكّه . قلنا : كذا
كان . قال : غنّه يا عمرو . فقلت : يا أمير المؤمنين ، الشعر لحسين بن الضحّاك

وقوف المأمون
على شعره غنى
به ابن بانة عند
صالح بن الرشيد

والغناء لسعيد بن جابر. قال: وما يكون! غنّه. فغنّيته. قال: أرُدْده. فرددته ثلاث مرات. وأمر لي بثلاثين ألف درهم وقال: حتى تعلم أنه لم يضُرْك عندى. قيل:

حزنه على الأمين
ومن مرأثيه فيه

وكان الحسين بن الضحاک كثير المراثى فى محمد الأمين، شديد الجزع عليه. وكان لفرط محبته وجزعه لقتله أنه خوط فى عقله، فكان يُنكر قتله، ويدفعه ويقول: إنه مُستتر، وإنه قد بثّ دُعائه فى الأمصار يدعون إلى مُراجعة أمره. فكان يطمع فى عوده إلى ملكه والأجتماع به. ومن جيد مرأثيه فيه:

سألونا أن كيف نحن فقلنا من هوى نجمه فكيف يكون
نحن قوم أصابنا حدث الدهر رفظلنا لرأيبه نستكين
نتمنى من الأمين إياباً لهف نفسى وأين منا الأمين
ومن جيد مرأثيه فيه قوله:

أعزى يا محمد عنك نفسى معاذ الله والأيدى الحسام
فهلاً مات قوم لم يوثوا ودُفع عنك لى يوم الحمام
كأن الموت صادف منك غنماً أو أُستشفى بقربك من مقام

وذكر^(١) أنه لما أفتتح المعتصم بن الرشيد عمورية من بلاد الروم أمتدحه الشعراء بذلك وذكروا حسن فعله، وكان أحسن ما مدح به يومئذ، وما قدّمه أهل العلم على سائر ما قاله الشعراء قول، الحسين بن الضحاک:

قل للآلى صرفوا الوجوه عن الهدى متعسفين تعسف المُرّاق
إنى أحذرکم بوادى ضيغم درِبٍ بحطّم موائل الأعناق
متأهب لا يستفز جناؤه زجلُ الرعود ولامعُ الإبراق
لم يبق من متعرّمين^(٢) توثبوا بالشام غيرُ جاجم أفلاق

(١) ساق أبو الفرج هذا الخبر فى ولاية المعتصم و تهنئة الشعراء له بها

(٢) المتعرمون: ذؤوا العرامة والشراسة.

تهنئة المعتصم بفتنة
عمورية

من بين مُنجدل تَمَجَّ عروقه
عَلَقَ الأَخَادِعَ أو أُسِيرَ وثاق
وَتَنَى الخِيُولَ إلى مَعَاقلٍ قَيَصِرُ
تَحْتَالُ بَيْنَ أَسْنَةِ ^(١) وِرْقاق
يَحْمَلُنَ كُلَّ مُشْمَرٍ مُتَغَشِّمٍ
لَيْثٌ هَزَبٌ أَهْرَتُ ^(٢) الأَشْدَاقِ
حَتَّى إِذَا أَمَّ الحُصُونُ مَنَازِلًا
وَالْمَوْتُ بَيْنَ تَرَائِبٍ وَتَرَاقِ
هَرَّتْ بِطَارِقُهَا هَرِيرَ قَسَاوِرِ
بُدْهَتْ بِأَكْرَهٍ مَنَظَرٍ وَمَذَاقِ
ثُمَّ أُسْتَكَانَتْ لِلْحِصَارِ مَلُوكُهَا
ذُلًّا وَنَاطَ حُلُوقُهَا بِخِنَاقِ
هَرَبَتْ وَأَسْلَمَتْ الصَّلِيبَ ^(٣) حَمَاتِهَا
لَمْ يَبْقَ غَيْرُ حُشَاشَةِ الأَرْمَاقِ

فَأَمَرَ لَهُ الْمُعْتَصِمُ لِكُلِّ بَيْتٍ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ تَعْلَمُ يَا حُسَيْنُ أَنَّ
هَذَا أَكْثَرُ مَا مَدَحْنِي بِهِ مَا دَحَ فِي دَوْلَتِنَا . فَقَبَّلَ الأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَشَكَرَهُ ،
وَحَمَلَ المَالَ مَعَهُ .

استجاد الرياشي
شعراً له في الخمر

وقيل : وكان الرياشي يَسْتَجِيدُ قَوْلَ الحُسَيْنِ بنِ الضحَّاكِ فِي الخمر :

إِذَا مَا المَاءُ أَمَكْنِي وَصَفَوْهُ سُلَافَةَ العِنَبِ
صَبَبْتُ الفِضَّةَ البَيضَاءَ فَوْقَ قِرَاضَةِ الذَّهَبِ

وَحَكَى الحُسَيْنُ بنِ الضحَّاكِ قَالَ : أَنَشَدْتُ أَبَا نُوَّاسٍ قَصِيدَتِي الَّتِي أَوَّلُهَا :
وَشَاطِرِي اللِّسَانَ مُحْتَلَقُ التَّكْـ
رِيهِ شَابَ المَجُونِ بِالنُّسْكِ
حَتَّى بَلَغْتُ إِلَى قَوْلِي :

أخذ أبو نواس
معنى له في الخمر

كَأَنَّمَا نُصِبَ كَاسُهُ قَرَرٌ
يَكْرَعُ فِي بَعْضِ أَنْجُمِ الفَلَكَ
قَالَ : فَأَنْشَدَنِي أَبُو نُوَّاسٍ بَعْدَ أَيَّامٍ لِنَفْسِهِ :

إِذَا عَبَّ فِيهَا شَارِبُ القَوْمِ خِلَتَهُ
يُقَبَّلُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوَكْبَا

(١) كَذَا فِي التَّجْرِيدِ : يَرِيدُ الرِّمَاحَ وَالسِّيُوفَ . وَالَّذِي فِي بَعْضِ أَصُولِ الأَغَانِي : « أَحْرَة »
وَفَسَّرُوها فَقَالُوا : الغَلِيظُ مِنَ الأَرْضِ . كَمَا فَسَّرُوا « الرِّقَاق » بِالمُسْتَوِيَةِ مِنْهَا .

(٢) المُتَغَشِّمُ : الغَضُوبُ . وَأَهْرَتُ الأَشْدَاقِ : وَاسِعُهَا .

(٣) فِي الأَغَانِي : « عَشِيَّة » مَكَان « حَمَاتِهَا » .

فقلت له : يا أبا عليّ ، هذه مُصالّته^(١) . قال : فقال : أتظنّ أنه يُروى لك في الخمر معنيّ جيّد وأناحيّ !

قلتُ : وبيت أبي نُوّاس ، وإن كان معناه مسروقاً من الحسين ، أحسنُ ، فإن لفظ « يُقبل » ألطف من لفظ « يكرع » .

وقيل :

لما توفّي المُعتصم ، وولى ابنه الواثقُ الخلافةَ ، دَخَلَ عليه الحسين بن الضحاک وأَنشده قصيدته التي أولها :

ألم يَرِيعَ الإسلامَ موتُ نصيره	بلى حقّ أن يَرْتاعَ من مات ناصرُه
هو الملكُ المَجْبُولُ نفساً على التَّقِيّ	مُسْلَمَةٌ من كلّ سوءٍ عساكره
سيُسلِّيكَ عَمّافاتِ دولةٍ مُفْضِلِ	أواللهُ محمودةٌ وأواخـره
ثنى الله عِطْفِيَهْ وألّفَ شَخْصَهْ	على البرِّ مَذْ شُدَّتْ عليه مآزره
يَصْبُ ^(٢) ببذلِ المالِ حتى كأنما	يرى بذلهُ للمالِ نهْباً يُبادِره
فما قدّمَ الرحمنُ إلاّ مُقَدِّمًا	مواردُه مَحْمُودَةٌ ومَصادِرُه

فقال الواثق : إن كان الحسين لَيَنْطِقُ عن صحّة طويّة ، ويمدح بِمُخْلُوصِ نية . ثم أمر بأن يُعطى لكل بيت قاله من هذه القصيدة ألفَ درهم . وأعجبته هذه الأبيات حتى أمر فصنع فيها عدةُ ألحان .

وحكى الحسين بن الضحاک قال :

دخلتُ على الواثق ذاتَ يومٍ وفي السماء كَاطُخٌ غَيمٌ^(٣) . فقال : يا حسين ، ما الرأىُ عندك في هذا اليوم ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما حَكم به وأشار إليه

(١) المصالّة : أن يأخذ الشاعر البيتَ لغيره لفظاً ومعنى .

(٢) يصب : يولع .

(٣) أى قليل غيم .

تهنئة الواثق
بالخلافة

أَنشَد الواثق في
يوم غيم

قبلى أحمد بن يوسف ، فإنه أشار بصواب لا يُرد ، وجعله فى شعر لا يُعارض .
قال : وما قال ؟ قلت : قال :

أرى غيماً تُولِّفه جَنُوبٌ وأحسبه سيأتينا بهَطْلٍ
فَعَيْنُ الرَّأْيِ أَنْ تَدْعُو بِرِطْلٍ فَتَشْرِبُهُ وَتَدْعُو لِي بِرِطْلٍ
فَقَالَ : أَصَبْتُمَا ، ودعا بالطعام والشراب والمغنين والجلساء وأصطبحنا .
وقيل :

وصف ليلة مع
الوائق

كان الحسين بن الضحاك ليلةً عند الواثق ، وقد شربوا إلى أن مضى ثلث
الليل ، فأمر أن يبيت مكانه . فلما أصبح خرج إلى الندماء وهم مقيمون ، فقال
لحسين : هل وصفت ليلتنا الماضية وطيبها ؟ فقال : لم يَمِضْ شَيْءٌ ، وأنا أقول
الساعة . وفكر هنيهة ، ثم قال :

حَسَّتْ صَبُوحِي فَكَاهَةُ اللَّاهِي وطاب يومى بقرب أشباهي
فَأَسْتَثِرَ اللَّهُوَ مِنْ مَكَامِنِهِ مِنْ قَبْلِ يَوْمٍ مُنْغَصِّ نَاهِي
بَابُنَا كَرَمٍ مِنْ كَفِّ^(١) مُنْتَطِقٍ مُؤْتَزِرٍ بِالْمُجُونِ تَيَّاهِ
يَسْقِيكَ مِنْ طَرَفِهِ وَمِنْ يَدِهِ سَقَى لَطِيفٍ مُجَرَّبٍ دَاهِي
كَأْسًا فَكَأْسًا كَانَ شَارِبَهَا حَيْرَانُ بَيْنَ الذِّكُورِ وَالسَاهِي

فأمر الواثق برد المجلس كهيئته ، وأصطبح يومه ذلك معهم ، وقال : نُحَقِّقْ
قولك يا حسين ونَقْضِ لَكَ كُلَّ أَرْبِ وَحَاجَةٍ .

وحكى حسين بن الضحاك قال :

هو وجارية للواثق
غضبت عليه

كانت لى نوبةً فى دار الواثق أحضرها ، جلس أو لم يجلس . فبينما أنا نائم
ذات ليلة فى حُجْرَتِي إِذْ جَاءَنِي خَادِمٌ مِنْ خَدَمِ الْحَرَمِ فَقَالَ لِي : قُمْ فَإِنَّ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ يَدْعُوكَ . فقلتُ له : ما الخبر ! فقال : كان نائماً وإلى جنبه حظية له ،

(١) المنتطق : الذى شد وسطه بمنطقة .

فقام وهو يظنها نائمة ، فألم بجارية أخرى له ، ولم تكن ليلة نوبتها ، وعاد إلى فراشه . فغضبت حَظِيَّتَهُ وتركته حتى نام ، ثم قامت ودخلت حُجْرَتَهَا ، فانتبه وهو يظنها عندد ، فلم يجدها ، فقال : اختلست غريزتي ، ويحكم ! أين هي ؟ فأخبرناه الخبر وأنها غضبت ودخلت حُجْرَتَهَا ، فدعا بك . فقلت في طريقى :

غضبتُ أن زُرْتُ أُخْرَى خِلْسَةً فلها العُتْبَى لدينا والرِّضَا
يا فدَتَكَ النَّفْسُ كانت هفوةً فأغفريها وأصفحى عما مضى
وأترُكى العذلَ على من قاله وأنسبى جَوْرِي إلى حُكْمِ القضا
فلقد بَنَيْتَنِي من رَقْدَتِي وعلى قلبى كِنِيرَانِ الغضا
فلما جِئْتُه خَبَرَنِي بالقصة وقال لى : قُلْ فى هذا شيئاً . ففكرتُ هُنيئةً كأنى أقول شعراً ، وأنشدته الأبيات . فقال : أحسنت وحياتى ! أعدها يا حسين . فأعدتها عليه حتى حَفِظَهَا ، وأمر لى بخمسمائة دينار ، وقام ، فمضى إلى الجارية . وخرجتُ أنا إلى حُجْرَتِي .

وحكى حسين الضحاك قال :

كان الواثقُ يتحظى بجاريةً فماتت فجزع عليها جزعاً شديداً ، وترك الشرب أياماً ، ثم تسلاها وعاد إلى حاله . فدعانى ليلةً وقال لى : يا حسين ، رأيت فلانة فى النوم ، فليت نوى كان قد طال لأتمتع بلقائها ، فقل فى هذا شيئاً . فقلت :

ليت عَيْنَ الدَّهْرِ عَنَّا غَفَلَتْ وورقيبَ اللَّيْلِ عَنَّا رَقْدَا
وأقامَ النَّوْمُ فى مُدَّتِهِ كالذى كانَ وَكُنَّا أَبْدَا
بأبى زَوْرٍ^(١) تَلَفَتْ لَهُ فتنفَّستُ إليه الصَّعْدَا
بينما أضْحَكُ مَسْروراً به إذ تقطَّعتُ عليه كَمْدَا

فقال الواثق : أحسنت ! ولكنك وصفت رقيبَ الليل فشكوته ولا ذنب له : وإنما رأيت الزُّوْيا نهاراً . ثم عاد إلى منامه فرقد .

(١) الزور : خيال يرى فى النوم

بينه وبين ابن
المهدي وكان عريداً
عليه

وحكى أن الحسين بن الضحّاك شرب يوماً عند إبراهيم بن المهديّ ، فجرت
بينهما مُلاحةً في أمر الدين والمذهب ، فدعاه إبراهيم بنطع وسيف ، وقد أخذ
منه الشراب . فأصرف الحسين وهو غضبان . فكتب إليه إبراهيم يعتذر ويسأله
أن يخيئه . فكتب إليه :

نديمي غير مَنسُوبٍ إلى شيء من الحيفِ
سقتاني مثل ما يشر بـفعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكأسُ دعا بالنطع والسيف
كذا من يشرب الراح مع التّنين في الصّيف

فلم يعد إلى مُنادمته مدةً . ثم إن إبراهيم تحمّل عليه ^(١) ووَصّاه . فعاد
إلى مُنادمته .

توسله بـابن سعدة
ليشفع له عند
المأمون

وذُكر أنه لما أُعيت الحسين بن الضحّاك الحيلة في رضا المأمون عنه، رعى بأمره
إلى عمرو بن مسعدة وكتب إليه :

أنت طَوْدَى من بين هذى الهضابِ وشهابي من دون كلِّ شهابٍ
أنت يا عمرو قوتي وحياتي ولساني وأنت ظفري ونابي
أتراني أنسى أياديكَ البيضَ إذا سود نائلُ الأصحابِ
أين عطف الكرام في مآقط ^(٢) الخا جة يحمون حوزة الآدابِ
أين أخلاقك الرضيّة حالت في أم أين رقة الكتابِ
أنا في ذمّة السحاب وأنظما إن هذا الوصمة في السحابِ
قم إلى سيّد البريّة عني قومة تستجرّ حُسنَ خطابِ
فلعلّ الإله يُطفيء عني بك ناراً على ذات التهابِ

(١) تحمل عليه : ترضاه . (٢) المآقط : به الضيق .

بينه وبين المأمون
في شعر قاله في
رثاء الأمين

فلم يزل عمرو بن مسعدة يتلطّف للمأمون حتى أوصله إليه وأدرّ عليه أرزاقه .
وذكر أنه لما دخل على المأمون ، قال له : أخبرني عنك : هل عرفتَ يوم
قتل أخى محمد هاشميّة قتلت أو هُتكت ؟ قال : لا . قال : فما معنى قولك :

(١) ومما شجأ قلبي وكفّ كف عبرى محارم من آل النبي استجلبت
ومنهوكة بالخلد عنها سجوفها كعاب كقرن الشمس حين تبدّت
إذ حفزتها لوعة من منازع لها الفُط عاذت بالخشوع وزنت
وسرب ظباء من ذؤابه هاشم هتفن بدعوى خير حي وميت
أردّ يدأ منى إذا ما ذكرته على كبد حرّى وقلب مُفقت
فلا بات ليل الشامتين بغبطة ولا بلغت آمالهم ما تمت

فقال : يا أمير المؤمنين ، لوعة غلبتني ، وروعة فاجأتني ، ونعمة سلّبتها (٢) بعد
أن غمرتني ؛ وإحسان شكرته فأنطقني ، وسيّد فقدته فأقلقني ؛ فإن عاقبت
فبحقك ، وإن عفوت فبفضلك . فدمعت عينا المأمون وقال : قد عفوتُ عنك
وأمرتُ بإدراك رزقك عليك ، وإعطائك ما فات منها ، وجعلتُ عقوبة ذنبك
أمتناعي من استخدامك .

وحكى عمرو بن بانة قال :

شعره في غلام
لصالح بن الرشيد
غنى فيه عمرو بن بانة

كُنّا عند صالح بن الرشيد ليلة ، ومعنا حسين بن الضحاك ، وذلك في خلافة
المأمون ، وكان صالح يهوى خادماً له ، فغاضبه في تلك الليلة فتنحى عنه ، وكان
جالساً في صحنٍ حوله نرجس كثير ، في قمر طالع حسن . فقال له حسين : قل في مجلسنا
هذا وما نحن فيه أبياتاً يُغنى فيها عمرو بن بانة . فقال حسين :

وصف البدرُ حُسن وجهك حتى خلتُ أنى وما أراك أراكا

(١) لم ترد الأبيات الثلاثة الأولى في الأغاني .

(٢) في الأغاني : « فقدتها » .

وإذا ما تنفس النرجس الغضُّ توهَّمته نسيماً شذاً
خُدَعُ للمنى تُلغنى فيضُك بإشراق ذا وبهجة^(١) ذا
لأدومن يا خليلي على العهد^(٢) لهذا وذاك إذ حكياً
فقال لى صالح : تغنّ فيها . فغنّيتُ فيها من ساعتى .

هو والمتوكل وشفيع خادمه
وحكى أن المتوكل على الله أحب أن يُنادمه حسين بن الضحّاك ، وأحب أن يرى ما بقى من ظرفه وشهوته ، لما كان عليه ، وكان قد كبر وضعف ، فسقاه حتى سكر ، وقال لخادمه شفيع : أسقه . فسقاه وحيّاه بوردة ، وكانت على شفيع ثيابٌ موردة . فمدّ الحسين يده إلى ذراع شفيع . فقال له المتوكل : ويمك يا حسين ! أتجمّش أخصّ خدّى عندى بحضرتى ، فكيف لو خلوت ! ما أحوجك إلى أدب ! وقد كان المتوكل غمز شفيعاً على العبث به : فقال الحسين بن الضحّاك : ياسيدى ، أريد دواةً وقرطاساً . فأمر له بذلك . فكتب بخطّه :

وكالوردة الحمراء حيّاً^(٣) بوردة من الورد يمشى فى قرأطق^(٤) كالوردة
له عبّثاتٌ عند كل تحيّية بكفّيه تستدعى الحليم إلى الوجد
تمنّيتُ أن أسقى بكفّيه شربةً تُذكّرنى ما قد نسيْتُ من العهد
سقى الله عيشاً لم أبت فيه ليلةً من الدهر إلّا^(٥) من حبيب على وعد

ثم دفع الرقعة إلى شفيع وقال له : أدفعها إلى مولاك . فلما قرأها أستمعها وقال : أحسنت والله يا حسين ! ولو كان شفيع ممن تجوز هبته لوهبته لك . ولكن بحياتى يا شفيع إلّا كنت ساقية بقية يومه هذا ، وأخدمه كما تخدمنى . وأمر له بمال كثير . فحمل معه لما أنصرف .

(١) فى الأغاني : « ونفحة » . (٢) فى الأغاني : « لأقمن ما حييت على الشكر » .

(٣) فى الأغاني : « بأحر » مكان « بوردة » .

(٤) القراطى : جمع قرط . وهو قباء ذو طاق واحد .

(٥) فى الأغاني : « سقى الله دهرأ . . . خلياً ولكن » .

وحكى أن الحسين بن الضحّاك مرّ به يوماً غلامٌ حسن الصورة، فقال له بعضُ أصحابه : أتُحِبُّه ؟ قال : نعم ، والله . قال : فأعْلمْه . قال : هو أعلمُ بحُبِّي له مني به . ثم قال :

عالمٌ بحُبِّيهِ	مُطَرِّقٌ من التَّيِّهِ
يوسفُ الجمالِ وفِر	عونٌ في تعدِّيهِ
لا وحقٌّ ما أنا من	عَطْفِهِ أَرْجِيهِ
ما الحياةُ نافعةٌ	لى على تَأْيِيهِ
النَّعِيمُ يَشْغَلُهُ	والجمالُ يُطْغِيهِ
فهو غيرُ مُكْتَرِثٍ	للَّذى أَلْاقِيهِ
تأهُّ تَزْهَدُهُ	فى رَغْبَتِي فِيهِ

وحكى أن صالح بن الرّشيد كان يتعشّق يُسرّاً خادمَ أخيه أبى عيسى بن الرّشيد ، وكان يُروّده عن نفسه ، فيعده ولا يفى له . فأرسله أبو عيسى يوماً إلى أخيه فى السّحر يقول له : يا أخى ، إنى قد أشتيت اليوم أن أصطبح ، فبحياتى لما ساعدتنى وصرت إلىّ لنصطبح اليوم جميعاً . فسار يُسر إلى صالح وهو مُنْتَشٍ ، وقد شرب فى السّحر ، فأبلغه الرّسالة . فقال : نعم وكرامةً ، أجلس أولاً . فجلس . فقال : يا غلام ، أحضرنى عشرة آلاف درهم . فأحضرها . فقال له : يا يُسر ، دَعْنِي من مواعيدك ومُطْلَك ، هذه عشرة آلاف درهم تُخْذُها وأقضى حاجتى ، وإلا فليس ها هنا إلا الغُصْب . فقال له : يا سيدى ، أنا أقضى الحاجة ولا آخذ المال . ثم فعل ما أَرَادَهُ وطأوعه . فقضى حاجته . وأمر صالحُ بحمل العشرة الآلاف معه . ثم خرج صالحٌ من خلوته فقال للحُسين بن الضحّاك : يا حسين ، قد رأيتَ ما كُنّا فيه ، فإن حَضَرَكَ شَيْءٌ فَقُلْ . فقال :

هو وصالح بن الرّشيد
وغلام أخيه يسر

أَيَا مِنْ طَرَفِهِ سِحْرُ وَمَنْ رِيْقَتِهِ خَمْرُ
 تَجَاسَرْتُ^(١) فَكَاشَفَ تَكُ لَمَّا غُلِبَ الصَّبْرُ
 وَمَا أَحْسَنَ فِي مِثْلِ كُ أَنْ يَنْهَيْتَكَ^(٢) السَّيْرُ
 وَإِنْ لَا مَنِي النَّاسِ فِي وَجْهِكَ لِي عُذْرُ
 فَدَعْنِي مِنْ مَوَاعِيدِ كُ إِذْ حَيَّنْتَ الدَّهْرُ
 فَلَا وَاللَّهِ لَا أَبْرَحُ أَوْ يَنْفَصِلُ^(٣) الْأَمْرُ
 فَإِذَا الْغَضَبُ وَالذَّمُّ وَإِذَا الْبَذْلُ وَالشُّكْرُ
 فَلَوْ شِئْتُ تَيْسَّرْتُ كَمَا سُمِّيتُ يَا يُسْرُ
 فَكُنْ كَأَسْمِكَ لَا تَمْنَعُكَ النَّخْوَةُ وَالْكَبَرُ
 فَلَا فُزْتُ بِمَحْطَى مَنْ كُ إِنْ ذَاعَ لَهُ ذِكْرُ

فضحك صالح وقال: لعمرى لقد تيسر يسر كما قلت. فقال الحسين: نعم،
 ومن لا يتيسر بعد أخذ الدية! ولو أردتني أنا أيضاً لتيسرت. فضحك ثم قال:
 نُعطيك يا حسين الدية لحضورك ومساءدتك، ولا نريدك لما أردنا له يسرا،
 فبئست المطية أنت!

شعره في تهينة الواثق
 بالخلافة

وذكر أنه لما ولى الواثق الخلافة جلس للناس ودخل إليه المهتئون والشعراء،
 فمدحوه وهنئوه، ثم استأذن الحسين بن الضحاک في الإنشاد، وكان من الجلساء
 فترفع عن الإنشاد مع الشعراء، فأذن له. فأنشده قصيدته التي أولها:

أَكَاثِمُ وَجَدِي فَمَا يَنْكُتُمُ بَمَنْ لَوْ شَكُوتُ إِلَيْهِ رَحِمُ
 وَإِنِّي عَلَى حُسْنِ ظَنِّي بِهِ لَأَحْذَرُ إِنْ بُحْتُ أَنْ يَحْتَشِمُ
 وَلِي عِنْدَ نَظَرْتِهِ^(٣) رَوْعَةٌ تَحْقُقُ مَا قَالَهُ^(٤) الْمُتَهِمُ

(١) في بعض أصول الأغاني: «ينتهك».

(٢) في الأغاني: «فلا والله لا أبرح أو ينقضي».

(٣) في الأغاني: «لحظة».

(٤) في الأغاني: «ما ظننه».

وقد عَلمَ الناسُ أنّي له مُحِبٌّ وأحسبه قد عَلمَ
وإني مُغْضٍ على لَوْعَةٍ من الشَّوقِ في كبدِي تَضْطَرُمُ

يقول في مديحه :

يَضِيقُ الفضا به إن غدا بطوَدَيَّ أعاريه والعجم
تري النصرَ يقدّمُ راياته إذا ما خَفَقْنَ أمامَ العَلمِ
وفي الله دَوّخَ أعداءه وجردَ فيهم سيوفَ النَقمِ
وفي الله يَكْظُمُ من غَيْظه وفي الله يَصْفَحُ عَمَّنْ ظَلَمَ
رأى شِيمَةَ الجودِ محمودَةً وما شِيمُ الجِدِّ (١) إلّا قِسَمَ
فراح على « نَعَمٍ » وأغتنى كأنَّ ليس يُحْسِنُ إلّا نَعَمَ

فأمر له الواثق بثلاثين ألف درهم ، واتصلت أيامه معه بعد ذلك ، ولم يزل في ندمائه .

وحكى الحسين بن الضحّاك قال :

يبيّنه وبين أحد جند الشام

كان يألّفني إنسان من جُند الشام عَجِيب الخِلقة والزَيّ والشكل ، غَلِيطَ جِلْفٍ ، فكنت أحتمل ذلك له ، ويكون حظّي التعجب به . وكان يأتيني بكتب من عشيقه له ما رأيت كُتُباً أحلى ولا أظرف منها ، ولا أبلغ ولا أشكل من معانيها ، ويسألني أن أُجيب عنها ، فأجهد نفسي في الجوابات وأصرف عنايتي إليها ، على عِلْمٍ بأن الشامي يجهله ، لا يُمَيِّز بين الخطأ والصواب ، ولا يفرّق بين الأبتداء والجواب . فلما طال ذلك على حَسَدَتِهِ وتنبّهت إلى إفساد حاله عندها . فسألته عن أسمها ، فقال : بَصْبَص . فكتبتُ إليها عنه في جواب كتابٍ منها كان جاءني به :

(١) في الأغاني : « الجود » .

أَرْقِصْنِي حُبِّكَ يَا بَصْبُصْ وَالْحُبَّ يَا سَيِّدَتِي يُرْقِصُ
أَرْمَضْتَ أَجْفَانِي بِطُولِ الْبُكَاءِ فَمَا لِأَجْفَانِكَ لَا تَرْمَضُ
وَأَبَى وَجْهَكَ ذَاكَ الَّذِي كَأَنَّهُ مِنْ حُسْنِهِ عُصْعُصُ

فجأني بعد ذلك فقال : يا أبا علي ، جعلني الله فداك ، ما كان ذنبي إليك ،
وما أردت بما صنعت ؟ فقلت له : وما ذاك ؟ عافاك الله ! قال : ما هو إلا أن وصل
إليها ذلك الكتاب حتى بعثت إلي : إني مُشتاقة إليك ، والكتاب لا ينوب
عن الرؤية . فتعال إلى الروشن ^(١) الذي بالقرب من بابنا فقِفْ بحِماله حتى أراك .
فتزيتُ بأحسن ما قدرتُ عليه وصرتُ إلى الموضع . فبينما أنا واقفٌ أنتظر
مُكَلِّمًا لي أو مشيرًا إليّ إذا شيء قد صُبَّ عليّ فملائي من قرني إلى قدمي ،
فأفسد ثيابي وسرّجتي وصيّرتني وجميع ما عليّ ودابتي في نهاية السّواد والنّتن
والقَدْر ، وإذا هو ماء قد خلط ببول وسواد وسِرْجَين . ^(٢) فأُنصرفتُ بخِزْي .
وكان مامرّبي من الصبيان وسائر من مررتُ به من الضّحك والطّنز ^(٣) والصّياح
بي أغلظَ مما جرى لي ، وكَلَفَنِي من أهلي ومن في منزلي شرٌّ من ذلك ، وأوجع وأعظم
من ذلك أن رُسُلها أُنْقَطَعَتْ عني جملةً .

قال : فجعلتُ أعتذر إليه وأقول له : إن الآفة أنها لم تعلم معنى الشّعْر لجودته
وفصاحته ، وأنا أحمد الله تعالى على ما قاله ، وأسرُّ الشّماتةَ به .

وذكر أن محمداً الأمين غنّاه بعضُ المغنّين بشعر الحسين بن الضّحّاك ، وهو
شعر له أعجب بن
الأمين لما غنّى به
غائب عن مجلسه ، وهو :

أَلَسْتَ تَرَى دِيْمَةً تَهْطِلُ وَهَذَا صَبَاحُكَ مُسْتَقْبَلُ

(١) الروشن : النافذة .

(٢) السرجين : الزبل .

(٣) الطّنز : السخرية .

وهذى العُقار وقد راعنا بطلعته الشادنُ الأ كحل
فعاد بنا وبه سكرةٌ تهوّن مكروه^(١) ما ينزل
فإني رأيتُ له نظرةً تُخبرنا أنه يفعل
فطرب محمدٌ وأمر بإحضار الحسين ، فحضر .

وذكر أنه كان الحسين بن الضحّاك يتعشّق خادماً من خدام أبي أحمد
ابن الرّشيد ، فعمل فيه شعراً وغنّى فيه عمرو بن بانه . فعُضِب الخادم وعاتب
الحسين على قول ذلك الشعر . فقال الحسين :

فدّيتُ مَنْ قال لى على خَفَرِهِ وَغَضَّ جَفْنَاهُ على حَوَرِهِ
سَمِعَ بى شعركُ المَليحِ فما ينفكُ شادِيهِ على وَتَرِهِ
فقلتُ يامستعيرَ سالفَةِ الحِشْفِ وحُسْنِ الفُتُورِ من نَظَرِهِ
لا تُنكرَنَّ الحَينَ من طَرَبٍ علودِ قَلْبِي^(٢) الصَّبَا على كِبَرِهِ
وحكى أبو العيّن قال :

وقف علينا حُسين بن الضحّاك يوماً ، ومعنا فتى جالسٌ من أولاد الموالى ،
جميل الوجه ، فحدّثنا طويلاً وجعل يُقبل على الفتى بحديثه ، والفتى مُعرض عنه ،
حتى طال ذلك . ثم أقبل عليه حُسين فقال :

تَتِيهِ علينا أن رُزِقْتَ مَلاحَةً فَمَهْلًا علينا بعضَ تِيهِكَ يا بَدْرُ
لَقَدْ طالما كُنّا مِلاحًا وربما صَدَدْنَا وَتِهِنّا ثم غَيَّرنا الدَّهْرُ
فقام وأنصرف .

وحكى الحسين بن الضحّاك قال :

لم يرث الأمين
استماعاً لأبي العتاهية

(١) فى الأغانى : « ما تسأل » مكان « ما ينزل » .

(٢) فى الأغانى : « فيك » مكان « قَلْبِي » .

كنت عازماً على أن أرثي محمداً الأمين بلساني كله ، وأشفي لوعتي ، فلقيني
أبو العتاهية فقال لي : يا حسين ، أنا إليك مائل ولك محب ، وقد علمتُ بمكانك
من الأمين ، وأنت حقيق بأن ترثيه ، إلا أنك قد أطلقت لسانك في التلهف
عليه والتوجع له بما صار هجاء لغيره ، وثلباً له ، وتحريضاً عليه . وهذا المأمون
مُنصبٌ إلى العراق قد أقبل عليك ، فأبق على نفسك . ويحك يا حسين ! اتجسّر
على أن تقول :

تركوا حريمَ أبيهم^(١) نَفَلاً والمُحصَناتُ صَوَارِخَ هُتَفُ
هيهاتَ بعدك أن يدوم لهم عزٌّ وأن يبقى لهم شَرَفُ
اكفُ لسانك ، واطوِ ما قد انتشر عنك ، وتلافَ ما فرط منك . فعلمتُ
أنه قد نصح لي ، فجزيتُه الخير ، وقطعتُ القول . فنجوتُ برأيه ، وما كدت أن أنجو .
وحكى علي بن يحيى قال :

هو وعلى بن يحيى
وقد سأله عن أمسه

جاءني يوماً الحسين بن الضحَّاك ، فقلت له : أي شيء كان خبرك أمس ،
فقال لي : أسمعته شعراً ولا أزيدك على ذلك . فقلت : هات يا سيدي . فقال :

زائرة زارت على غفلة يا حَبْذا الزَّوْرَةَ والزَّائِرَةَ
فلم أزل أخدعها ليلتي خديعة السَّاحِرِ للسَّاحِرِ
حتى إذا ما أذعنت بالرِّضا وأنعمت دارت بها الدَّائِرِ
بتُّ إلى الصُّبحِ بها ساهراً وباتتَ الجوزاءُ بي ساهِرِ
أفعل ما شئتُ بها ليلتي ومِلَّ عيني نعمةً ظاهِرِ
فلم نَمِ إلَّا على تسعة من غُلْمَةٍ بي وبها ثائرِ

سَقِيًّا لَهَا لَا لِأَخِي شِعْرَةٍ شِعْرَتُهُ كَالشَّعْرَةِ الْوَافِرَةِ
وَبَيْنَ رِجْلَيْهِ لَهُ حَرْبَةٌ مَشْهُورَةٌ فِي حَقِّهِ شَاهِرَةٌ
وَفِي غَدٍّ تَتْبَعُهَا حَيَّةٌ تُلْحِقُهُ بِالْكِرَّةِ الْخَاسِرَةِ

قال : فقلت له : زينتَ يعلمُ الله إن كنت صادقاً . فقال : قل أنت ما شئت .
هو جارية تشكو
وذكر أن الحسين بن الضحاك حجَّ فمرَّ في مُنصرفه بموضع يُعرف بالقرَّيتين ،
فإذا جارية تَطَّلَعُ في ثِيَابِهَا وتَنْظُرُ في حِرِّهَا وتَقُولُ : ما أَضِيعُنِي وَأَضِيعُكَ !
فأَنشَأَ يَقُولُ :

مَرَرْتُ بِالْقَرَّيْتَيْنِ مُنْصَرِفًا مِنْ حَيْثُ يَقْضَى ذُوو النَّهْيِ النَّسْكَ
إِذَا فِتَاةٌ كَأَنَّهَا قَمَرٌ لَلَّتْ مَا تَوْسَطَ الْفَلَكَ
وَاضْعَةٌ كَفَّهَا عَلَى حِرِّهَا تَقُولُ وَضَيْعَتِي وَضَيْعَتَكَ

فَلَمَّا سَمِعَتْ قَوْلَهُ ضَحَكَتْ وَغَطَّتْ وَجْهَهَا ، وَقَالَتْ : وَافْضِيحْتَاهُ ! أَوْقَدَ سَمِعَتْ
مَا قُلْتُ !

وحكى ميمون بن هارون قال :

هو وشفيع خادم
المتوكل

كَانَ حُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ صَدِيقًا لِأَبِي ، فَكَانَتْ أَلْقَاهُ مَعَهُ كَثِيرًا ، وَكَانَتْ
نَفْسُهُ قَدْ تَتَّبَعَتْ شَفِيعًا خَادِمَ الْمُتَوَكِّلِ بَعْدَ أَنْصَرَفِهِ مِنْ مَجْلِسِهِ ! فَأَنْشَدَنَا لِنَفْسِهِ فِيهِ :
وَأَبْيَضَ فِي حُمْرِ الثِّيَابِ كَأَنَّهُ إِذَا مَا بَدَأَ نِسْرِينَةً ^(١) فِي شَقَائِي
سَقَانِي بِكَفِّهِ رَحِيقًا وَسَامَنِي فُسُوقًا بِعَيْنِيهِ وَلَسْتُ بِفَاسِقٍ
وَأَقْسَمَ لَوْلَا خَشْيَةُ اللَّهِ وَحَدَهُ وَمَنْ لَا أُسْمِي كُنْتُ أَوَّلَ عَاشِقٍ
وَأِنِّي لَمَعْدُورٌ عَلَى وَجَنَاتِهِ وَإِنْ وَصَمْتَنِي شَيْبَةٌ فِي الْمَفَارِقِ

(١) النسرین : ضرب من الرياحين .

ولا عَشَقَ لِي أَوْ يُحَدِّثَ الدَّهْرُ شِرَّةً تَعُودُ بَعَادَاتِ السَّوَادِ ^(١) الْمَفَارِقِ
وَلَوْ كُنْتُ شَكَلًا لِلصَّبَا لِاتَّبَعْتُهُ وَلَكِنْ سَنَى بِالصَّبَا غَيْرُ لَائِقِ

وذكر أنه كان للحسين الضحّاك ابنٌ يُسمى محمد، له أرزاق، فمات فقطعت
له يسأل المتوكل رزق ابن له مات
أرزاقه . فقال يُخاطب المتوكل ويسأله أن يجعل رزق ابنه المتوفى لزوجته وأولاده :

إِنِّي أَتَيْتُكَ شَافِعًا بَوَلَىٰ عَهْدَ الْمُسْلِمِينَ
وَشَيْبِكَ الْمُعْتَزَّ أَوْ جِهَ شَافِعٍ فِي الْعَالَمِينَ
يَا بْنَ الْخِلاَئِفِ الْأَوَّلِ مِنْ وَيَا أَبَا الْمَتَاخَرِينَ
إِنْ ابْنَ عَبْدِكَ مَاتَ وَأَلَّ أَيَّامَ تَخْتَرِقُ الْقَرِينَ
وَمَضَىٰ وَخَلَفَ صِيبِيَّةً بِعِرَاصِهِ ^(٢) مُتَلَدِّينَا
وَمُهْمِرَةً عَبْرَى خِلَا فَ أَقَارِبِ مُسْتَعْبِرِينَ
أَصْبَحْنَا فِي رَيْبِ الْحَوَا دُثَّ يُحْسِنُونَ بِكَ الظُّنُونَا
قَطَعَ الْوَلَاةَ جِرَايَةً كَانُوا بِهَا ^(٣) مُتَمَسِّكِينَ
فَأَمْنٌ بَرْدٌ جَمِيعٌ مَا قَطَعُوهُ غَيْرَ مُرَاقِبِينَ
أَعْطَاكَ أَفْضَلَ مَا تَوْمَلُ أَفْضَلُ الْمُتَفَضِّلِينَ

فأمر له المتوكل بما سأل . فقال يشكره :

يَا خَيْرَ مُسْتَخْلَفٍ مِنْ آلِ عَبَّاسٍ اسْلَمْ فَلَيْسَ عَلَى الْأَيَّامِ مِنْ بَاسٍ
أَحْيَيْتَ مِنْ أَمَلِي نِضْوًا تَعَاوَرَهُ تَعَاقَبُ الْيَأْسِ حَتَّى مَاتَ بِالْيَاسِ
وَحَكِيَ الْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ قَالَ :

من ضربه من
الخلفاء

(١) في الأغاني : « الشباب » .

(٢) المتلدد : المتحير .

(٣) في الأغاني : « متمسكين » .

صَرَبْنِي الرَّشِيدُ فِي خِلَافَتِهِ لَصُحْبَتِي وَلَدَهُ ، ثُمَّ ضَرَبَنِي مُحَمَّدٌ الْأَمِينُ لِمُيَايَلَةِ ابْنِهِ
عَبْدِ اللَّهِ ، ثُمَّ ضَرَبَنِي الْمَأْمُونُ لِمِيلِي إِلَى أَخِيهِ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ ضَرَبَنِي الْمُعْتَصِمُ لِمُودَّةِ كَانَتْ
بَيْنِي وَبَيْنَ الْعَبَّاسِ بْنِ الْمَأْمُونِ ، ثُمَّ ضَرَبَنِي الْوَاتِقُ لَشَيْءٍ بَلَغَهُ مِنْ ذَهَابِي إِلَى
الْمُتَوَكِّلِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَجْرِي مَجْرَى الْوَلَعِ بِي وَالتَّحْذِيرِ لِي . ثُمَّ أَحْضَرَنِي الْمُتَوَكِّلُ
يُرِيدُ أَنْ يَضْرِبَنِي ، وَأَمَرَ شَفِيعاً بِالْوَلَعِ بِي ، فَتَغَاضَبَ الْمُتَوَكِّلُ عَلَيَّ . فَقُلْتُ لَهُ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَضْرِبَنِي كَمَا ضَرَبَنِي أَبَاؤُكَ فَأَعْلَمْ أَنَّ آخِرَ
ضَرْبِ ضَرْبَتِهِ بِسَبَبِكَ . فَضَحَكَ وَقَالَ : بَلِ أَحْسَنُ إِلَيْكَ يَا حُسَيْنُ وَأَصُونُكَ
وَأَكْرَمُكَ .

وَحَكَى مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مَرْوَانَ الْأَبْزَارِيُّ قَالَ :

دَخَلْتُ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ فَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ أَنْتَ ؟ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ! هُوَ فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهِ
فَبَيْكَا ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَصْبَحْتُ مِنْ أَسْرَاءِ اللَّهِ مُحْتَبَسًا فِي الْأَرْضِ نَحْوَ قَضَاءِ اللَّهِ وَالْقَدَرِ
إِنَّ الثَّمَانِينَ إِذْ وَفَّيْتُ عِدَّتَهَا لَمْ تَبْقُ بَاقِيَةً مِنِّي وَلَمْ تَذَرِ

وَالشَّعْرَ الَّذِي فِيهِ الْغَنَاءُ ، وَافْتَتَحَ بِهِ أَبُو الْفَرَجِ أَحْبَابَ الْحُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ ، هُوَ : الشَّعْرَ الَّذِي فِيهِ الْغَنَاءُ

أَلَا أَيُّهَا الشَّادِنُ الْأَكْحَلُ إِلَى كَمْ تَقُولُ وَلَا تَفْعَلُ
إِلَى كَمْ تَجُودُ بِمَا لَا تُرِيدُ يَدُ مِنْكَ وَتَمْنَعُ مَا نَسْأَلُ

أبوزكار الأعشى

من قدماء المغنين
ثم ذكر أبو الفرج أبا زكار الأعشى ، وهو رجلٌ من قُدماء المغنين ، وكان مُنقطعاً إلى آل برمك .

وفي مقتل جعفر
ابن يحيى
وذكر مسرور الكبير قال :
لما أمرني الرشيد بقتل جعفر بن يحيى دخلتُ عليه وعنده أبو زكار الأعشى
الطنبوري يُغنيّه :

ولا تَبْعِدْ فَكُلَّ فِتْيَ سَيَاتِي عَلَيْهِ الْمَوْتُ يَطْرُقُ أَوْ يَغَادِي

فقلتُ : في هذا والله أتيتك . ثم أخذتُ بيده وأقمتُهُ وضربتُ عنقه . فقال
أبوزكار : نَشَدْتُكَ اللَّهَ إِلَّا أَلْحَقْتَنِي بِهِ . فقلتُ له : وما رغبتُك في ذلك ؟ فقال :
إنه أغناني عَمَّنْ سِوَاهُ بِإِحْسَانِهِ ، فَمَا أَحَبُّ أَنْ أَبْقَى بَعْدَهُ . فقلتُ : أَسْتَأْمِرُ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ . فَلَمَّا أَتَيْتُ الرَّشِيدَ بِرَأْسِ جَعْفَرٍ أَخْبَرْتُهُ بِقِصَّةِ أَبِي زَكَارٍ ،
فَقَالَ : هَذَا رَجُلٌ فِيهِ مُصْطَنَعٌ ، فَاضْمُمْهُ إِلَيْكَ ، وَانْظُرْ مَا كَانَ جَعْفَرٌ يُجْرِيهِ عَلَيْهِ
فَأَتَمَّهُ لَهُ .

أخبار السيد الحميري

هو إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة الحميري ، المعروف بأبن مفرغ .
نسبه والسيد ، لقب غلب عليه .

ويزيد بن مفرغ جدّه ، هو الذي كان يهجو آل زياد وينفيهم عن آل
حرب . وحبسه عبید الله بن زياد من أجل ذلك ، ثم أطلقه معاوية بن أبي سفيان .
وسندكر ذلك في أخباره إن شاء الله تعالى .
وقال ابن عائشة :

مفرغ ، هو ربيعة نفسه ، لقب بذلك لأنه راهن أن يفرغ غسّا من لبن ،
فشربه حتى فرغه ، فلقّب مفرغاً . وكان شعاباً ^(١) بسيالة ^(٢) ، ثم انتقل
إلى البصرة .

قال : ومن قال : يزيد بن ربيعة بن مفرغ ، فقد أخطأ .

كنيته وأمه
قدره في الشعر

ويكنى السيد أبا هاشم . وأمه امرأة من الأزد .
وكان شاعراً مطبوعاً كثيراً . ويقال : إن أكثر الناس شعراً في الجاهلية
والإسلام بشّار ، وأبو العتاهية ، والسيد . فإنه لا يعلم أن أحداً قدر على جمع شعر
واحدٍ منهم حتى يستوعبه كله .

وإنما مات شعره ، وهجر الناس ذكره ، لإفراطه في سب أصحاب رسول الله
صلّى عليه وسلم وبعض أزواجه — رضى الله عنهم ، ولعن سائرهم وقاذفهم والطاعن
عليهم — فتحمى الرواة شعره ، وهجروه لهذا خوفاً وتحوباً ^(٣) وليس له شيء

(١) الشعاب : مصلح الشعب ، وهو الصدع ، يكون في الإناء .

(٢) سيالة : أول مرحلة لإهل المدينة إذا أرادوا مكة .

(٣) التحوب : التأثم

من الشعر ، على كثرة تصرفه فيه وقوله له ، إلا وهو موصول بمدح أهل البيت عليهم السلام وذم غيرهم من السلف .

وذكر أن أبوي السيد كانا إباضيين — والإباضية : فرقة من الخوارج — وكان منزلها بالبصرة في غرفة بني ضبة ، فكان يقول : طالما سب أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام في هذه الغرفة . فإذا سئل عن التشيع : من أين له ، قال : غاصت على الرحمة غوصاً .

أبواه

وحكى السيد أن أبويه لما علما بمذهبه هما بقتله ، فأتى عقبة بن سلم الهنائي فأخبره بذلك . فقال : الزمني ولا تقر بهما . وأعطاه منزلاً وهبه له ، فكان فيه حتى ماتا ، فورثهما .

مذهبه

وذكر أن السيد كان يقول بمذهب الكيسانية — ومذهبهم أن الإمامة صارت بعد الحسين بن علي عليهما السلام إلى أخيهما محمد بن الحنفية ، وأنه حتى منتظر لا يموت ، حتى يظهر فيملاً الأرض عدلاً ، كما ملئت جوراً — وله في ذلك شعر كثير .

وروى بعض من لا تصح روايته أنه رجع عن مذهبه ، وأنه لقي جعفر بن محمد الصادق ، فقال بإمامته ، ورجع عن مذهب الكيسانية ، ورووا في ذلك أشعاراً منها :

تجعفرتُ بأسم الله والله أكبرُ وأيقنتُ أن الله يعفو ويغفرُ
قال أبو الفرج :

ولم نجد ذلك في رواية صحيحة ولا قول محصل ، وإن القصائد التي نقلت عنه في ذلك لا تناسب في جزالتها أشعاره التي فيها الكيسانية .

وذكر أن السيد كان أسمر ، تامم القامة . أشنب ، ذا وفرة ، حسن الألفاظ ، جميل الخطاب ، إذا تحدث في مجلس قوم أعطى كل رجل في المجلس نصيبه من حديثه .

من وصفه

وقيل : إنه كان أشدَّ الناس نَهْنِ إبْطَيْنَ ، لا يكاد أحد يقدر على الجلوس معه لنتن راحتهما .

وحكى^(١) النهدي قال : رأى معي الأصمعي دفتراً فيه شعر السيد الحميري ، فقال : رأى الأصمعي فيه ما هذا ؟ فسترته عنه لعلني بما عنده . فأقسم علي أن أخبره ، فأخبرته . فقال : أنشدني قصيدة منه . فأنشدته قصيدة ، ثم أخرى ، وهو يستزيدني . ثم قال : ما أسلكه لطريق الفحول ! لولا مذهبهُ ولولا ما في شعره ما قدّمت عليه أحداً من طبقته .

وقيل : إنه لما أفضت الخلافة إلى بني العباس قام السيد إلى السفاح مدح السفاح فحكاه

أبى العباس ، حين نزل من المنبر ، فقال :

دُونَكُمْوَهَا يَا بَنِي هَاشِمٍ جَدِّدُوا مِنْ عَهْدِهَا الدَّارِ سَا
دُونَكُمْوَهَا لَاعِلَا كَعْبُ مَنْ كَانَ عَلَيْكُمْ مُلْكُهَا نَافِيسَا
دُونَكُمْوَهَا فَأَلْبِسُوا تَاجَهَا لَا تَعْدُوا مِنْكُمْ لَهُ لَابِيسَا
قَدْ سَاسَهَا قَبْلَكُمْ سَاسَةً لَمْ يَتْرَكُوا رَطْبًا وَلَا يَابِسَا
لَوْ خَيْرَ الْمَنْبَرِ فُرْسَانَهُ مَا اخْتَارَ إِلَّا مِنْكُمْ فَارِسَا
فَلَسْتُ مِنْ أَنْ تَمْلِكُوهَا إِلَى مَهْبُطِ عِيسَى فِيكُمْ آيَسَا
فَسَّرَ أَبُو الْعَبَّاسِ ، وَقَالَ : أَحْسَنْتَ يَا إِسْمَاعِيلُ ! سَلَنِي حَوَائِجُكَ .

وحكى بعضهم قال :

كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد ، عليهما السلام ، إذ أستاذن آذنه للسيد ، فأمر بإيصاله وأقعده حرمة خلف ستر ، ودخل ، فسلم وجلس . فأستنشه ، فأنشده قوله :

أَمْرٌ عَلَى جَدَثِ الْحَسَنِ نِ وَقُلْ لَأَعْظُمَهُ الزَّكِيَّةُ

(١) في الأغاني : « التوزي » .

يَا عَظْمًا لَا زِلْتَ مِنْ وَطْفَاءٍ ^(١) سَاكِتَةٍ رَوِيَّةٍ
وَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَأَطْلُ بِهِ وَقِفِ الْمَطِيَّةَ
وَأُبْكِ الْمُطَهَّرَ لِلْمُطَهَّرِ وَالْمُطَهَّرَةَ التَّقِيَّةَ
كِبْكَاءَ مُعْوَلَةٍ أَتَتْ يَوْمًا لَوَاحِدَهَا الْمَنِيَّةَ

قال : فرأيتُ دُمُوعَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ تَنْحَدِرُ عَلَى خَدَّيْهِ وَلِحْيَتَيْهِ ، وَأَرْتَفَعَ الصُّرَاخُ
وَالْبُكَاءُ مِنْ دَارِهِ ، حَتَّى أَمَرَهُ بِالْإِمْسَاكِ ، فَأَمْسَكَ .

قيل :

هو ورجل سأله عما
يلين به

وَكَانَ السَّيِّدُ يَدِينُ بِالرَّجْعَةِ ، فَنَجَّاهُ رَجُلٌ إِلَى ، فَقَالَ : بَلِّغْنِي أَنَّكَ تَقُولُ بِالرَّجْعَةِ ؟
فَقَالَ : صَدَقَ الَّذِي أَخْبَرَكَ ، وَهَذَا دِينِي . قَالَ : فَتُعْطِينِي دِينَارًا بِمِائَةِ دِينَارٍ إِلَى
الرَّجْعَةِ ؟ قَالَ السَّيِّدُ : نَعَمْ ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ إِنْ وَثَّقْتَ لِي بِأَنَّكَ تَرْجِعُ إِنْسَانًا .
قَالَ : وَأَيَّ شَيْءٍ أَرْجِعُ ؟ قَالَ : أَخْشَى أَنْ تَرْجِعَ كَلْبًا أَوْ خِنْزِيرًا فَيَذْهَبَ
مَالِي . فَأَخْفَمَهُ .

شعر نسب له لكثير

وَالسَّيِّدُ هُوَ الَّذِي يَقُولُ فِي إِمَامَةِ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ — وَرُؤْيَى لِكَثِيرٍ ، عَزَّهْ ،
وَكَانَ أَيْضًا كَيْسَانِيًّا — :

أَلَا إِنْ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ
عَلَى وَالثَّلَاثَةَ مِنْ بَنِيهِ
فَأَنِّي فِي وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ
بِهِ أَوْصَاهُمْ ، وَدَعَا إِلَيْهِ
فَسَبَّطُ سَبَّطِ إِيْمَانٍ وَحِلْمٍ
وَسَبَّطُ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى
وَلَاةُ الْحَقِّ أَرْبَعَةٌ سَوَاءٌ
هُمْ أَسْبَابُهُ وَالْأَوَّلِيَاءُ
يَكُونُ الشُّكُّ مِنْهُ وَالْمِرَاءُ
جَمِيعَ الْخَلْقِ لَوْ سَمِعَ الدُّعَاءُ
وَسَبَّطُ غَيْبَتِهِ ^(٢) كَرَبْلَاءُ
يَقُودُ الْخَلِيلَ يَقْدُمُهَا ^(٣) اللَّوَاءُ

وَحِكْيَ أَنْ الْعُتْبَى قَالَ يَوْمًا :

استجد العتبي
قصيدته الالامية

(١) الوطفاء : السحابة الثقيلة بما تحمل . (٢) سبط الايمان : الحسن بن علي . والسبط الذي
غيبته كربلاء : الحسين بن علي وقد قتل بكر بلاء بالعراق . (٣) هو محمد بن الحنفية .

ليس فى عصرنا هذا أحسن مذهباً فى شعره ، ولا أنقى ألفاظاً ، من السيد .
ثم قال لبعض من حضر : أنشدنا قصيدته اللامية التى أنشدتها اليوم . فأنشده :

هل عند من أحببتَ تمویلُ أم لا فإنَّ اللومَ تَضَلِيلُ
أم فى الحشَى منك جوى باطنُ ليس تُدَاوِيهِ الأباطِيلُ
عُلِّقْتَ يا مَعْرُورُ خَدَاعَةً بالوعدِ منها لك تَخْذِيلُ
يَشْفِيكَ منها حينَ تَخْلُو بها ضَمُّهُ إِلَى النَّحْرِ وَتَقْمِيلُ
وَذَوْقُ رَيْقٍ طَيِّبٍ طَعْمُهُ كَأَنَّهُ بِالْمِسْكِ مَعْلُولُ
فى نِسْوَةٍ مِثْلَ الْمَاهِ خُرْدٍ تَضِيقُ عَنْهُنَّ الْخَلَاخِيلُ
أَفْسَمَ باللهِ والآئِه والمرءِ عَمَّا قَالِ مَسْئُولُ
إِنَّ عَلَىَّ بنَ أبى طالبٍ عَلَى التَّقَى وَالْبِرِّ مَجْبُولُ

فقال العتبى :

أحسن والله ما شاء ! هذا والله الشعر الذى يهجم على القلوب بلا حجاب .

جمعه لفضائل على
كرم الله وجهه
وشعره فى حادثة
المقاب

وذُكِرَ أن السيد كان يأتى الأعمش فيكتب عنه فضائل على بن أبى طالب
رضى الله عنه ، ويخرج من عنده ويقول فى تلك المعانى شعراً . فخرج ذات يومٍ
من عند بعض أمراء الكوفة ، وقد حمّله على فرسٍ وخلع عليه خِلعة ، فوقف
بالكناسة ^(١) ثم قال : يا معشر الكوفيين ، من جاءنى منكم بفضيلة لعلى بن
أبى طالب رضى الله عنه لم أقل فيها شعراً فله فرسى هذا وما على . فجعلوا يُحدثونه
ويُشدّهم ، حتى أتاه رجل فقال : إن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه
عزم على الرُّكوب ، فلبس ثيابه وأراد لبس الخُفِّ ، فلبس أحد خُفَيْهِ ثم أهوى
إلى الآخر ليأخذه ، فأقضَّ عُقَابٌ من السماء فخلق به ثم ألقاه فسقط منه أسودُ ،
فأنساب فدخل جُحرًا . فلبس على رضى الله عنه الخُفَّ . ولم يكن قال السيد فى
ذلك شيئاً ، ففكرُ هنيئةً ثم قال : قد قلت :

(١) الكناسة : محلة بالكوفة .

أَلَا يَا قَوْمَ لَلْعَجَبِ الْعُجَابِ خُفَّ أَبِي الْحُسَيْنِ ^(١) وَلِلْحُبَابِ
 أَتَى خُفَّاهُ فَأَنْسَابُ فِيهِ لِيَنْهَشَ رِجْلَهُ مِنْهُ بِنَابِ
 خُفَّرَ مِنَ السَّمَاءِ لَهُ عُقَابٌ مِنَ الْعُقَبَانِ أَوْ شَبَهُ الْعُقَابِ
 فَطَارَ بِهِ فَخَلَّقَ ثُمَّ أَهْوَى بِهِ لِلْأَرْضِ مِنْ دُونَ السَّحَابِ
 إِلَى جَحْرٍ لَهُ وَأَنْسَابُ فِيهِ بَعِيدِ الْقَعْرِ لَمْ يُرْتَبِجْ بِيَابِ
 كَرِيهِ الْوَجْهِ أَسْوَدُ ذُو بَصِيصٍ حَدِيدُ النَّابِ أَزْرَقُ ذُو لُعَابِ
 وَدُفِعَ عَنْ أَبِي حَسَنِ عَلَى تَقْيَعُ سِمَامِهِ بَعْدَ أَنْسَابِ
 ثُمَّ حَرَّكَ فَرَسَهُ وَمَضَى ، وَجَعَلَ تَشْبِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ :

صَبَوْتُ إِلَى سُلَيْمَى وَالرَّبَابِ وَمَا لِأَخِي الْمَشِيبِ وَلِلتَّصَابِ
 قَالَ أَبُو الْفَرَجِ :

مثله مما روى عن
 النبي صلى الله عليه
 وسلم

وَقَدْ رَوَى مِثْلَ ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . رَوَى ابْنُ
 عَبَّاسٍ قَالَ :

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ حَاجَةً تَبَاعَدَ حَتَّى لَا يَرَاهُ أَحَدٌ ، فَتَزَعُ
 خُفَّهُ فَإِذَا عُقَابٌ قَدْ تَدَلَّى فَرَفَعَهُ ، فَسَقَطَ مِنْهُ أَسْوَدُ سَالِحٍ . فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ، وَمِنْ شَرِّ مَا
 يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ، وَمِنْ شَرِّ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ .

وَقِيلَ :

شعره في تدليل
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم للحسن
 والحسين

سَمِعَ السَّيِّدُ الْحَمْدِيُّ مُحَمَّدٌ ثَانًى يَحْدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ سَاجِدًا ،
 فَرَكَبَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ ظَهْرَهُ ، فَقَالَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : نَعْمَ الْمَطِيُّ
 مَطِيًّا ! فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعْمَ الرَّكْبَانِ هَا ! فَأَنْصَرَفَ السَّيِّدُ مِنْ
 فَوْرِهِ فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

أتى حسناً والحسينَ النبيُّ وقد جلساً حَجْرَةً ^(١) يَلْبَانِ
فقدَّاهُمَا ثمَّ حيَّاهُمَا وكنا لديه بِذَلِكَ الْمَكَانِ
فَرَحاً وَتَحْتَمَماً عَاتَقَاهُ فَنِعْمَ الْمُطِيبَةُ وَالرَّكْبَانِ
وَلِيدَانِ أُمُهُمَا بَرَّةٌ حَصَانٌ مُطَهَّرَةٌ لِلْحَصَانِ
وَشَيْخُهُمَا ابْنُ أَبِي طَالِبٍ فَنِعْمَ الْوَلِيدَانِ وَالْوَالِدَانِ

وذكر أن أبا جعفر المنصور جلس بالجسر الأكبر ، حين عُقد له على دجلة ^(٢) ، وسوار بن عبد الله قاضى البصرة جالس عنده ، والسيد الحميرى ^(٣) بين يديه يُنشدُه قوله :

إِنَّ الْإِلَهَ الَّذِى لَا شَيْءَ يُشْبِهُهُ أَعْطَاكُمْ الْمُلْكَ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ
أَعْطَاكُمْ اللَّهُ مُلْكًا لَا زَوَالَ لَهُ حَتَّى يَقَادَ إِلَيْكُمْ صَاحِبُ الصِّينِ
وَصَاحِبُ الْهِنْدِ مَأْخُودًا بِرُمَّتِهِ وَصَاحِبُ التُّرْكِ مَحْبُوسًا عَلَى هُونِ

والمنصورُ يَضْحَكُ مَسْرُورًا بِمَا يُنْشِدُهُ . فَنَاحَتْ مِنْهُ التَّفَاتَةُ فَرَأَى وَجْهَ سَوَّارٍ
يَتَرَبَّدُ غِيظًا وَيَسُودُ حَنَقًا ، وَبِذَلِكَ إِحْدَى يَدَيْهِ بِالْأُخْرَى وَيَتَحَرَّقُ . فَقَالَ لَهُ
المنصورُ : مَا لَكَ ! أَرَأَيْكَ شَيْءٌ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، هَذَا الرَّجُلُ يُعْطِيكَ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ
فِي قَلْبِهِ ! وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا صَدَقْتُكَ عَمَّا فِي نَفْسِهِ ، إِنَّ الَّذِينَ يُوَالِيهِمْ غَيْرُكُمْ .
فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : مَهْلًا ، هَذَا شَاعِرُنَا وَوَلِيِّنَا ، وَمَا أَعْرَفَ مِنْهُ إِلَّا الصَّدَقَ وَالْحُبَّةَ
وَالْإِخْلَاصَ فِي الطَّاعَةِ . فَقَالَ لَهُ السَّيِّدُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا زِلْتُ مُشْهُورًا وَاللَّهِ
بِمُؤَالَاتِكُمْ فِي أَيَّامِ عُدُوكُمْ ، وَلَكِنَّ هَذَا وَأَهْلُؤُهُ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ قَدِيمًا ، وَالَّذِينَ
نَادَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَرَاتِ ^(٣) ، فَنَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ (إِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) . وَقَالَ السَّيِّدُ قَصِيدَتَهُ ، الَّتِي أَوَّلُهَا :

قِفْ بِنَا يَا صَاحِبَ أَرْبَعٍ بِالْمَغَانِي الْمَوْحِشَاتِ

(١) حجرة : ناحية .

(٢) العبارة في الأغاني : « وهو بالجسر وهو قاعد مع جماعة على دجلة البصرة » .

(٣) يعنى وفد تميم

ومنها:

يا أمين الله يا مَنْ - صور يا خَيْرُ الوُلاةِ
 إن سَوَّار بن عبد الله - من شَرِّ القضاةِ
 نَعْتَلِي^(١) جَعَلِي^(٢) لَكُمْ غير مُوَاتي
 جدُّه سارق^(٣) عَزَزَ - فَجَرَةٌ من فَجَرَاتِ
 لرسول الله والقيا - ذِفَه بالْمُنْكَرَاتِ
 وأبْنُ من كان يُنادى - من وراء الحُجَرَاتِ
 يا هِنَاةُ أخرج إلينا - إِنَّا أَهْلُ هَنَاتِ
 مَدَحْنَا المدحُ وَمَنْ تَرَى - م يُصَبِّ^(٤) بالفاقراتِ
 فاكْفِنَاهُ^(٥) لا كَفَاهُ الله - شَرِّ الطارقاتِ

فشكاه سَوَّار إلى المنصور، فأمره بأن يصير إليه مُعتذراً، فصار إليه فلم
 يَعْذِرْهُ . فقال :

أتيتُ دَعَى بنى العَنْبَرِ - أروم أعتذاراً فلم يُعْذِرِ
 فقلتُ لنفسي وعاتبْتُها - على اللؤمِ في فعلها أقصرى
 أيعتذر الحُرُّ ممَّا أتى - إلى رُجُلٍ من بنى العَنْبَرِ
 أبوك ابنُ سارق عَزَزَ النَبِيَّ - وأُمك بنت أبي جَحْدَرِ
 ونحن على رَعْمِكَ الرافضو - ن لأهل الضلالة والمُنْكَرِ

وذكر أن السيد تقدّم إلى سَوَّار القاضي ليشهد عنده، وقد كان دافع المشهود

هو وسوار وقد طلب
 إلى شهادة عنده

(١) نعللى : نسبة إلى نعلل، يهودى من أهل المدينة . وقيل : هو رجل طويل اللحية من أهل مصر ، كان يشبه به عثمان . رضى الله عنه إذا نبيل منه . وجعلى : نسبة إلى وقعة الجمل .

(٢) يعنى : جده : عزة بن نقب . وكان يقال له : سارق العز . وكانت لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) فى الأغاني : « بالزفرات » مكان « بالفاقرات » . والفاقرات : الدواهي .

(٤) فى الأغاني : « فاكفنيه » .

له بذلك ، وقال : أعفى من الشهادة عند سوار ! وبذل له مالا ، فلم يُعَفِّه . فلما تقدم إلى سوار فشهد ، قال له : ألسنت المعروف بالسيد ! قال : بلى . قال : أستمغر الله من ذنب تجرأت به على الشهادة عندي ، قم لا أرضى بك . فقام مُغضِباً من مجلسه ، وكتب إلى سوار رُقعةً ، فيها يقول :

إنَّ سوار بن عبد الله من شرِّ القضاة

فلما قرأها سوار وثب من مجلسه وقصد أبا جعفر المنصور ، وهو على الجسر ، وسبقه السيد إليه فأنشده :

قُلْ للإمام الذي يُنَجِّي بطاعته يوم القيامة من مُجْبُوحةِ النارِ
لا تَسْتَعِينَنَّ جَزَاكَ اللهُ صالحةً يا خَيْرَ من دَبٍّ في حُكْمِ سوارِ
لا تَسْتَعِينَنَّ بواهي الرأى^(١) ذى صِلَفٍ جَمَّ العُيُوبِ عظيمِ الكِبَرِ جَبَّارِ
تُضْحِي الخُصُومَ لديه من تَجَبُّره لا يَرْفَعُونَ إليه لَحْظَ أَبْصارِ
تِيهاً وكِبَرًا ولولا ما رَفَعَتْ له من ضَبْعِه^(٢) كان عَيْنَ الجائِعِ العارى
ودخل سوار ، فلما رآه المنصور تبسم وقال : أما بلغك خبرُ إياس بن معاوية
حين قَبِلَ شهادةَ الفرزدق^(٣) وأستزاد من الشهود ، فما أَحْوجُكَ إلى التَعَرُّضِ إلى
السيد ولسانه ! ثم أمر السيد بمصالحته .

وذُكِرَ أن السيد بلغه أن سواراً القاضى قد لَقِقَ جماعةً يشهدون عليه بالسَّرْقِ
أن ليقطعه . فشكاه إلى المنصور . فدعا بسوار وقال : قد عزَّلتُكَ عن الحُكْمِ للسيد
أو عليه ، أو النظر في شيء من أمره ، فلا تَعَرِّضْ له بسوء . فلم يَعْرِضْ له سوار
بشيء حتى مات .

وحكى إسماعيل بن الساحر قال :

هو وامرأة إياضية
تزوجها

(١) في الأغاني : « لا تستعن بخبيث الرأى » . (٢) الضبع : العضد . ورفع بضبعه ، أى نوه باسمه .
(٣) يشير إلى رفق إياس في رفض شهادة الفرزدق فلم يغن بها وطلب شهوداً . وسيأتى خبر ذلك .

خرجتُ من منزل نصر بن مسعود ، أنا وكاتب عَقْبَة بن سَلَم والسيد ، ونحن
سكارى ! فلما كُنَّا بِرَهْران لقيتُنا بنتُ الفُجاءة بن عمرو بن قطريّ بن الفجاءة ،
وكانت امرأةَ بَرَزَة حسناء فصيحَةً ، فواقفها السيد وتخطب عليها ، وأنشدّها
شعراً من شعره بتجَمِيش . فأعجب كلُّ واحد منهما صاحبه . ثم خطبها ، فقالت :
كيف يكون هذا ونحن على ظَهر الطريق ؟ قال : يكون كَنكاح أم خَارجة ،
إن قيل لها : خُطب . قالت : نَكُح . فأستضحكت وقالت : ننظر في هذا ، وعلى
ذلك فمن أنت ؟ فقال :

إن تسأليني بقومي تسألني رجلاً	في ذِرْوَة العِزِّ من أحياء ذى يَمَن
حوّلي بها ذو كَلّاعٍ في منازلها	وذو رُعَيْنٍ وهَمْدانٍ وذو يَزَن
والأزْدُ أزدُ عُثْمَانَ الأكرمون إذا	عُدَّت مآثرهم في سائر ^(١) الزَمَن
بانت كَرِيمَتُهُم عني فدارهُم	داري وفي الرّحَب من أوطانهم ووطَني
لى منزلانِ بَلَحَجٍ منزلٌ وَسَطٌ	منها ولى منزلٌ في العِزِّ من ^(٢) عَدَن
ثم السَّوْلَاء الذي أرجو النجاة به	من كَبَّة النار للهادي أبي حَسَن

فقالت : قد عرفناك ، ولا شيء أعجبُ من ذلك : يَمَانٍ وتيميميةٌ ، ورافِضِيَّةٌ
وإباضيةٌ ، فكيف يجتمعان ! فقال : بحُسن رأيك فيّ تَسخو نفسُك ، ولا يذكُر
أحدُنا سَلَفاً ولا مذهباً . قالت : أفليس التزويجُ إذا تجلّى أنكشف معه المستور ،
وظهرت خَفِيَّاتُ الأمور . قال : فأنا أَعرض عليك أُخرى . قالت : وما هي ؟
قال : المُتَمَتَّة ^(٣) التي لا يَعلم بها أحد . قالت : تلك أخت الزَّنا . قال : أُعيدُك بالله

(١) في الأغاني : « سالف » .

(٢) في الأغاني : « ولى منزل للعز في عدن » .

(٣) المتمة : أن يتزوج الرجل امرأة على شرط بأجل معلوم ، ثم يخلى سبيلها ، من غير
تزويج ولا طلاق . وكانت مباحة صدر الإسلام ثم حُرمت . وهي مباحة جائزة عند الشيعة .

أَنْ تَكْفُرَ بِالْقُرْآنِ بَعْدَ الْإِيمَانِ ! قَالَتْ : فَكَيْفَ ؟ قَالَ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (فَمَا أُسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُمْ فَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ) . فَقَالَتْ : أَسْتَخِيرُ اللَّهَ وَأَقْلُدُ أَنْ كُنْتُ صَاحِبَ قِيَاسٍ . ففَعَلْتُ . وَأَنْصَرَفْتُ مَعَهُ وَبَاتَ مُعْرِسًا بِهَا . وَبَلَغَ أَمْرُهَا أَهْلَهَا مِنَ الْخَوَارِجِ ، فَتَوَعَّدُوهَا بِالْقَتْلِ وَقَالُوا : تَزَوَّجْتَ بِكَافِرٍ ! فَجَحَدَتْ ذَلِكَ . وَلَمْ يَعْلَمُوا بِالْمُتْعَةِ . فَكَانَتْ مَدَّةً تَخْتَلِفُ إِلَيْهِ عَلَى هَذِهِ السَّبِيلِ وَيُؤَاصِلُهَا ^(١) حَتَّى افْتَرَقَا .

في مرضه

وَحَكَى أَبُو دَاوُدَ وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ السَّاحِرِ أَنَّهُمَا حَضَرَا السَّيِّدَ عِنْدَ وَفَاتِهِ بِوَاسِطٍ ، وَقَدْ أَصَابَهُ شَرٌّ ^(٢) وَكَرَبٌ . فَجَلَسَ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ هَذَا كَانَ جَزَائِي فِي حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ ! فَكَأَنَّمَا كَانَتْ نَارًا فَطُفِئَتْ عَنْهُ . وَذُكِرَ أَنَّ أَبَا جَعْفَرَ الْمَنْصُورَ قَالَ :

المنصور وقد بلغه موته

بَلَّغَنِي أَنَّ السَّيِّدَ مَاتَ بِوَاسِطٍ فَلَمْ يَدْفِنُوهُ ، وَاللَّهُ لَأَنَّ كَانَ هَذَا حَقًّا لِأَحْرَقْنَاهَا . وَحَكَى عَمَّادُ بْنُ صُهَيْبٍ ، قَالَ :

جعفر بن محمد وقد بلغه موته

كُنْتُ عِنْدَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَأَتَاهُ نَعَى السَّيِّدِ ، فَدَعَا لَهُ . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ ، تَدْعُو لَهُ وَهُوَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيُسْوِمُنَ بِالرَّجْعَةِ ! فَقَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي : أَنَّ مُحَبِّيَّ آلِ مُحَمَّدٍ لَا يَمُوتُونَ إِلَّا تَائِبِينَ ، وَقَدْ تَابَ . وَرَفَعَ مَصْلَى كَانَ تَحْتَهُ ، فَأَخْرَجَ كِتَابًا مِنَ السَّيِّدِ يُعْرِفُهُ أَنَّهُ قَدْ تَابَ وَيَسْأَلُهُ الدُّعَاءَ لَهُ :

موته

وقيل :

مَاتَ فِي خِلَافَةِ الرَّشِيدِ .

حديث تكفيفه

وَحَكَى بَشِيرُ بْنُ عَمَّارٍ قَالَ :

(١) فِي الْأَغَانِي : « وَتَوَاصَلَا » .

(٢) الشَّرَى : دَاءٌ يَأْخُذُ فِي الْجِلْدِ أَحْمَرٌ عَلَى هَيْئَةِ الدَّرَاهِمِ .

حضرت وفاة السيد في الرميّة ببغداد ، فوجه رسولاً إلى صفّ الخرازين ^(١) الكوفيين ، يُعلمهم بحاله ووفاته . فغلط الرسولُ فذهب إلى صفّ السنوسيين ، فشتّموه ولعنوه . فلم أنه قد غلط ، فعاد إلى الكوفيين . فوافاه سبعون رجلاً معهم سبعون كفناً . قال : وحضرنا جميعاً ، وإنه ليتحسّر تحسّراً شديداً ، وإن وجهه لأسود وما يتكلّم ، إلى أن أفاق إفاقةً ، وفتح عينيه ونظر إلى ناحية القبلة وقال : يا أمير المؤمنين ، أتفعل هذا بوليّك ! قالها ثلاث مرّات ، مرّة بعد أخرى . قال : فتجلّى والله في وجهه ^(٢) عرق بياض ، فما زال يتّسع ويلبس وجهه حتى صار ككّه كالبدر . وتوفّي . ومثنا فأخذنا في جهازه ، فدفناه في الجنيّة ببغداد ، وذلك في خلافة الرشيد .

قلت :

اطراح ابن واصل
لبعض شعره

وقد ذكر أبو الفرج أشعاراً وأخباراً فيها تعريض بالسلف رضى الله عنهم ، فطرحتها تنزيهاً للكتاب عنها ، وإن كان حاكي الكفر ليس بكافر .

والشعر الذي فيه الغناء وأُفتتح به أبو الفرج أخبار السيد هو :

شعره الذي فيه الغناء

ما جرّت خَطرَةٌ على القلب مني	فيكٍ إلّا أُستترتُ عن أصحابي
من دُموع تجرى فإن كنت وحدي	خالياً أسعدت دُموعي أنتحايي
إن حُبِّي إِيّاكَ قد سلّ جسمي	ورماني بالشيب قبل الشباب
أرحمى اليوم هائماً بك ^(٣) صباً	هائماً القلب قد ثوى في التراب

(١) في الأغاني : « الخرازين »

(٢) في الأغاني : « في جبينه »

(٣) في الأغاني : « لومنحت اللقا شفى بك »

البردان

(١) ثم ذكر أبو الفرج البردان ، وهو مغنٌّ من أهل المدينة ، ولم أختَر من أخباره شيئاً .

(١) ليس هذا مكان البردان فيما هو بين أيدينا من أصول الأغاني المطبوع منها والمخطوط وظاهر من هذا وما سبق من خلاف بين التجريد وأصول الأغاني في ترتيب التراجم ان ابن وأصل كان يعتمد على أصل آخر يختلف عن هذه الأصول .

انتهى الجزء الثانى

من القسم الأول من تجريد الأغاني

ويليه الجزء الثالث من القسم الأول وأوله

أخبار عبد الله بن علقمة

فهرست أول

لتراجم الجزء الثانى من القسم الأول من تجريد الأغانى

٥٩٧ - ٦٠٤	ابراهيم بن هرمة = ابن هرمة ابراهيم .
٦٧٣ - ٦٤٨	ابراهيم الموصلى
٥١٥ - ٥٠٩	ابن أبى الصلت = أمية بن أبى الصلت
٧٩٧ - ٧٩٠	ابن جامع اسماعيل
٦٠٦ - ٦٠٥	ابن رهيمة
٦٣٣ - ٦٢٦	ابن قيس الرقيات
٧٥١ - ٧٤٤	ابن هرمة ابراهيم
٧٨٩ - ٧٨٦	أبو ذؤيب الهذلى
٨٧٢	أبو زكار
٥٨٤ - ٥٨١	أبو سعيد (مولى فائد)
٨٠٩ - ٧٩٨	أبو سفيان
٥٠٤ - ٤٦١	أبو العتاهية
٥٦٦ - ٥٥٥	الأحوص عبد الله
٧١٤ - ٦٧٤	اسحاق بن ابراهيم الموصلى
٧٩٦ - ٧٨٩	اسماعيل بن جامع = ابن جامع اسماعيل
٥٠٤ - ٤٦٢	اسماعيل بن القاسم = أبو العتاهية
٦١٢ - ٦٠٧	اسماعيل بن يسار
٧٣٥ - ٧٢٤	عيسى همدان

٥١٥ - ٥٠٩	• • • • •	أمية بن أبي الصلت
٨٨٥	• • • • •	البردان
٧٨٢ - ٧٨٠	• • • • •	بشار بن برد
٥٣١ - ٥١٦	• • • • •	حسان بن ثابت
٨٧١ - ٨٥٢	• • • • •	الحسين بن الضحاك
٧٤٤ - ٧٣٧	• • • • •	حماد الراوية
٥٩٣ - ٥٩٢	• • • • •	حميد بن ثور
٧٢٠ - ٧١٨	• • • • •	داود بن سلم
٧٢٣ - ٧٢١	• • • • •	دحمان عبد الرحمن بن عمرو
٥٧١ - ٥٦٧	• • • • •	الدلال
٨٨٥ - ٨٧٢	• • • • •	السيد الحميري
٧١٧ - ٧١٥	• • • • •	الصمة القشيري
٥٨٠ - ٥٧٢	• • • • •	طريح بن اسماعيل
٧٢٣ - ٧٢١	• • • • •	عبد الرحمن بن عمرو = دحمان
٦٣٣ - ٦٢٦	• • • • •	عبيد الله بن قيس الرقيات = ابن قيس الرقيات
٥٠٨ - ٥٠٥	• • • • •	فريدة
٥٩٦ - ٥٩٤	• • • • •	فليح بن أبي العوراء (١)
٦٣٦ - ٦٣٤	• • • • •	مالك بن أبي السمح
٧٥٩ - ٧٥٢	• • • • •	المرقشان
٦١٩ - ٦١٣	• • • • •	النايفة الجعدى
٨٣٩	• • • • •	نايفة بنى شيبان
٥٧١ - ٥٦٧	• • • • •	ناقد = الدلال
٧٧٢ - ٧٦٤	• • • • •	النميري محمد بن عبد الله
٦٣٩ - ٧٣٧	• • • • •	النهدى
٧٧٩ - ٧٧٧	• • • • •	الوضاح عبد الرحمن
٦٤٧ - ٦٣٩	• • • • •	الوليد بن عقبة
٨٣٦ - ٨٠٧	• • • • •	الوليد بن يزيد
٨٣٨ - ٨٣٧	• • • • •	يزيد بن ضبة
٦٠٥	• • • • •	يونس الكاتب

فهرست نامة

لتراجم الجزء الثانى

من القسم الأول من تجريد الأغاني

أخبار أبى العتاهية - اسمه ولقبه وكنيته ٤٦١ : ١ - ٦؛ نشأته ومنزلته
فى الشعر وشىء عنه ٤٦١ : ٧ - ١٣ ؛ أبوه وشعره فيه ٤٦١ : ١٤ - ١٦ ؛
عقيدته وما كان بينه وبين ثمامة فى حضرة المأمون ٤٦١ : ١٧ - ٤٦٢ : ١٢ ؛
لبعضهم فيه حين أخذ نفسه بالحجامة ٤٦٢ : ١٣ - ١٥ ؛ من وصفه وشىء من
صناعاته ٤٦٢ : ١٦ - ١٩ ؛ رأى مصعب فى شعره ٤٦٢ : ١٦ - ٤٦٣ : ٦ ؛
للأصمعى فى شعره ٤٦٣ : ٧ - ٩ ، ٤٦٧ : ١١ - ١٦ ؛ بين الشهر زورى
وسلم فى شعره ٤٦٣ : ١٠ - ١٧ ؛ رأى ابن رزين فيه ٤٦٣ : ١٨ - ١٩ ؛
له فى قوله الشعر ٤٦٣ : ٢٠ - ٤٦٤ : ١ ؛ هو وبشار وأشجع فى حضرة
المهدى ٤٦٤ : ٢ - ٤٦٥ : ٢ ؛ شعره فى التوحيد وقد اتهم بالزندقة ٤٦٥ :
٣ - ٩ ؛ مزدوجة له ٤٦٥ : ١٠ - ٤٦٦ : ١٤ ؛ هو ورجل سأل ما ينقشه
على خاتمه ٤٦٦ : ١٥ - ١٨ ؛ ابن العلاء وبعض من عاب عليه صلته أبا العتاهية
٤٦٦ : ١٩ - ٤٦٧ : ١٠ ؛ بين ابن الأعرابى وبعضهم فى شعره ٤٦٨ : ١ -
٤٦٩ : ٥ ؛ بينه وبين ثمامة فى البخل ٤٦٩ : ٦ - ٤٧٠ : ١ ؛ هو
وسائل ٤٧٠ : ٢ - ١٧ ؛ وداعه لأبى غزية ٤٧٠ : ١٨ - ٤٧١ : ١ ؛ بينه
وبين غلام لبعض التجار طالبه بمال ٤٧١ : ٢ - ١٣ ؛ شعره لابن مسعدة
وكان قد حجب عنه ٤٧١ : ١٤ - ٤٧٢ : ٦ ؛ هجاؤه جارية كان يهواها
٤٧٢ : ٧ - ١٥ ؛ هجاؤه لابن معن ٤٧٢ : ١٦ - ٤٧٥ : ١٠ ؛ تمثل الرشيد
ببيت له عند رؤيته ابن معن ٤٧٥ : ١١ - ١٢ ؛ بينه وبين مسلم بن الوليد
٤٧٥ : ١٣ - ٤٧٦ : ٩ ؛ بينه وبين بشار ٤٧٦ : ١٠ - ١٩ ؛ بينه وبين

الرشيد وقد وجد عليه ٤٧٦ : ٢٠ - ٤٧٧ : ١٠ ؛ بينه وبين عبد الله بن الحسن
 ٤٧٧ : ١١ - ٢١ ؛ صلة الرشيد له من بين الشعراء ٤٧٨ : ١ - ٦ ؛ رثاؤه
 لابن ثابت ٤٧٨ : ٧ - ٤٧٩ : ٨ ؛ هو وفتيان قامرهم على قول الشعر ٤٧٩ :
 ٩ - ٤٨٠ : ١ ؛ جائزة المأمون له على بيتين ٤٨٠ : ٢ - ٩ ؛ أطلقه الرشيد
 من الحبس لشعر سمعه له ٤٨٠ : ١٠ - ١٦ ؛ اجابته لبعضهم وقد سألته
 عن أحسن ما قال ٤٨٠ : ١٧ - ٢٠ ؛ شعر له في الموت أنشده المأمون ٤٨١ :
 ١ - ١٥ ؛ أخذ عليه المأمون معنى فعاد فأجاد فأجازه ٤٨١ : ١٦ - ٤٨٢ : ٧ ؛
 لم يبعث إليه المأمون على هديته فكتب إليه شعرا ٤٨٢ : ٨ - ١٤ ؛ تهنئته
 الهادي بمولود ٤٨٢ : ١٥ - ٤٨٣ : ٥ ؛ تعقيب لابن واصل في عهد المهدي
 لأولاده ٤٨٣ : ٦ - ١١ ؛ أنشد المهدي في غضبه على أبي عبيد الله ٤٨٣ :
 ١٢ - ٤٨٤ : ٥ ؛ تعقيب لابن واصل عن أبي عبيد الله وموته ٤٨٤ : ٦ - ١١ ؛
 تفضيل ابن مناذر له ٤٨٤ : ١٢ - ٤٨٥ : ١٥ ؛ تمثل الفضل بشعر له
 ٤٨٥ : ١٦ - ٤٨٦ : ٧ ؛ تنسك فحبسه الرشيد ثم أطلقه ٤٨٦ : ٨ - ٤٨٧ :
 ٥ ؛ اجازة الرشيد والفضل له ٤٨٧ : ٦ - ٤٨٨ : ٣ ؛ حبس الرشيد له
 لامتناعه عن قول الغزل ثم اطلاقه اياه ٤٨٨ : ٤ - ١٧ ؛ هو وابن أبي الأبيض
 وأبو نواس ٤٨٨ : ١٨ - ٤٩٠ : ٥ ؛ هو والمهدي وقد ماتت له بنت ٤٩٠ :
 ٦ - ١٨ ؛ شعر له في سلم سمعه المأمون ٤٩٠ : ١٩ - ٤٩١ : ٦ ؛ هو
 والجماز في حضرة قثم ٤٩١ : ٧ - ١٩ ؛ أهدى الفضل نعلا فأهداها للأمين
 فأجازه ٤٩٢ : ١ - ١٣ ؛ شعره الى ابن المعتمر في حبسه ٤٩٢ : ١٤ - ١٧ ؛
 هو وأعرابي مر به في الحج ٤٩٢ : ١٨ - ٤٩٣ : ٧ ؛ اعجابه بشعر ابن أبي
 أمية ٤٩٣ : ٨ - ١٨ ؛ بنتاه واباؤه تزويج احدهما لابن المهدي ٤٩٣ :
 ١٩ - ٤٩٤ : ٣ ؛ ابنه محمد ٤٩٤ : ٤ - ٧ ؛ استنشد ابن الحسن الكاتب
 ٤٩٤ : ٨ - ١٣ ؛ أنشد الفضل في البرامكة فتغير له ٤٩٤ : ١٤ - ٤٩٥ :
 ١١ ؛ تعقيب لابن واصل عن الفضل بن الربيع ٤٩٥ : ١٢ - ١٧ ؛ مع داعية
 عيسى بن زيد في السجن ٤٩٥ : ١٨ - ٤٩٦ : ٢١ ؛ تمثل المعتصم ببيتين
 له ٤٩٧ : ١ - ٥ ؛ فضله أبو تمام بخمسة أبيات ٤٩٧ : ٦ - ١٦ ؛ عزاه
 لبغدادى في أخيه ٤٩٧ : ١٧ - ٤٩٨ : ١ ؛ جائزة ابن مزيد له وقد أنشده
 ٤٩٨ : ٢ - ١٠ ؛ راهب يعظه بشعره ٤٩٨ : ١١ - ١٥ ؛ بينه وبين ابراهيم

ابن المهدي وقد رماه بالزندقة ٤٩٨ : ١٦ - ٤٩٩ : ٥ ؛ شعره الذي غنى فيه الملاحون الرشيد ٤٩٩ : ٦ - ٥٠٠ : ١٢ ؛ شعره حين عقد الرشيد ولاية العهد لأبنائه ٥٠٠ : ١٣ - ٥٠١ : ٤ ؛ تعقيب لابن واصل في ولاية عهد الرشيد ٥٠١ : ٥ - ١٣ ؛ طلب ملك الروم له ٥٠١ : ١٤ - ٢٢ ؛ بينه وبين الرشيد بعد ما أطلقه ٥٠٢ : ١ - ١٢ ؛ بينه وبين الرشيد وقد استوعظه ٥٠٢ : ١٣ - ٥٠٣ : ١ ؛ سئل عند الموت عما يشتهي فاجاب ٥٠٣ : ٢ - ٥ ؛ شعره في مرضه الأخير ٥٠٣ : ٦ - ١٤ ؛ شعره الذي ندبته به ابنته ٥٠٣ : ١٥ - ١٩ ؛ ما أمر أن يكتب به على قبره من شعره ٥٠٤ : ١ - ٦ ؛ رثاء ابنه له ٥٠٤ : ٧ - ٨ ؛ أبياته التي فيها الغناء ٥٠٤ : ٩ - ١٥

أخبار فريدة - الكبرى والصغرى ٥٠٥ : ٢ - ٧ ؛ حديث ابن الحارث عن قصتها مع الواثق وغيرته من المتوكل ٥٠٥ : ٨ - ٥٠٨ : ٦

أخبار أمية بن أبي الصلت - نسبه ٥٠٩ : ٢ - ٤ ؛ شيء عن أبي الصلت ٥٠٩ : ٥ - ٧ ؛ منزلة أمية في الشعر وشيء عنه ٥٠٩ : ٨ - ١٧ ؛ شعره في رثاء مشركي بدر ٥٠٩ : ١٨ - ٥١٠ : ٣ ؛ طمعه في النبوة ٥١٠ : ٤ - ٥١١ : ٦ ؛ زعمه في شاة ثغت ٥١٠ : ٧ - ١٢ ؛ حديث توقيه من عظاية ٥١١ : ١٣ - ٥١٢ : ١٩ ؛ حديث شق صدره ٥١٢ : ٢٠ - ٥١٤ : ٢ ؛ للنبي صلى الله عليه وسلم حين أنشد من شعره ٥١٤ : ٣ - ١٠ ؛ شعره يعتب على ابن له ٥١٤ : ١١ - ٥١٥ : ٢ ؛ حديث موته ٥١٥ : ٣ - ١٤

أخبار حسان - نسبه ٥١٦ : ٢ - ١٣ ؛ فحل من المعمرين ٥١٦ : ١٤ - ١٦ ؛ عمره ٥١٦ : ١٧ - ٥١٧ : ٦ ؛ خطابه ٥١٧ : ٧ ؛ فضله على الشعراء ٥١٧ : ٨ - ٩ ؛ استشهاده بأبي هريرة ٥١٧ : ١٠ - ١٣ ؛ من الثلاثة الذين عارضوا شعراء قريش ٥١٧ : ١٤ - ٥١٨ : ٩ ؛ استثنائه النبي صلى الله عليه وسلم في هجائه أبا سفيان ٥١٨ : ١٠ - ٥٢٠ : ٦ ؛ من هجائه لأبي سفيان بن الحارث ٥٢٠ : ٧ - ١٤ ؛ حداؤه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥٢١ : ١ - ٦ ؛ مجاوبته شاعر وفد تميم ٥٢١ : ٧ - ٥٢٥ : ٢ ؛ ما كان بين جهجاه وفتية من الأنصار وشعر حسان ٥٢٥ : ٣ - ٥٢٦ : ١٢ ؛ تعقيب لابن واصل عن الافك ٥٢٦ : ١٣ - ٥٢٧ : ٣ ؛ غضب الرسول على

حسان ثم رضاؤه عنه ٥٢٧ : ٤ - ٥٢٨ : ٧ ؛ تعقيب لابن واصل ٥٢٨ : ٨ - ١٠ ؛ لعائشة عن صفوان ٥٢٨ : ١١ - ١٣ ؛ لحسان يعتذر عن قوله في عائشة ٥٢٨ : ١٤ - ١٨ ؛ بين عروة وعائشة وقد مرت جنازة حسان ٥٢٨ : ١٩ - ٥٢٩ : ٤ ؛ صفية وحسان في يهودى أطاف بالحصن ٥٢٩ : ٥ - ٥٣٠ : ٣ ؛ ابن الزبير وابن أبي سلمة يوم الخندق ٥٣٠ : ٤ - ٦ ؛ تعقيب لابن واصل ٥٣٠ : ٧ - ١٥ ؛ ضحك الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أنشده حسان ٥٣٠ : ١٦ - ٥٣١ : ٢ ؛ بين الحطيئة وحسان ٥٣١ : ٣ - ٨ ؛ شعر حسان الذى فيه الغناء ٥٣١ : ٩ - ٢٠ .

غزوة بدر - ٥٣٢ : ١ - ٥٥٣ : ٢٠ ؛ هند والخنساء ٥٥٤ : ١ - ١٩ أخبار الأحوص - نسبه ولقبه ٥٥٥ : ٢ - ٤ ؛ خبر جده عاصم ٥٥٥ : ٥ - ٦ ؛ ذكر مقتل عاصم ٥٥٥ : ٧ - ٥٥٦ : ١٦ ؛ مقتل خبيب ٥٥٦ : ١٧ - ٥٥٧ : ١٦ ؛ مقتل ابن الدثنة ٥٥٧ : ١٧ - ٥٥٨ : ٤ ؛ كنية الأحوص واسم أمه ٥٥٨ : ٥ - ٧ ؛ منزلته فى الشعر ٥٥٨ : ٨ - ١٢ ؛ مفارحته سكينه ٥٥٨ : ١٣ - ٢١ ؛ جلد الوليد له وسبب ذلك ٥٥٩ : ١ - ٢٠ ؛ نفاه سليمان الى دهلك ولم يرد عمر ثم رده يزيد ٥٦٠ : ١ - ٥٦٢ : ١١ ؛ مدحه ليزيد ٥٦٢ : ١٢ - ٢٠ ؛ تمثل عبد الملك بشعره حين خطب أهل المدينة ٥٦٣ : ١ - ١١ ؛ للفرزدق وجريير وقد سئلا عنه ٥٦٣ : ١٢ - ٥٦٤ : ٤ ؛ أبو عبيدة بن عمار وقد سمع شعره ٥٦٤ : ٥ - ١٣ ؛ طرب المخزومي بشعره ٥٦٤ : ١٤ - ٥٦٥ : ٧ ؛ سؤال المهدي عن أنسب بيت ورضاؤه عن بيت الأحوص ٥٦٥ : ٨ - ٥٦٦ : ٩

أخبار الدلال - اسمه وولاه ٥٦٧ : ٢ ؛ شئ عنه ٥٦٧ : ٣ - ١٠ ؛ سبب خصائه ٥٦٧ : ١١ - ٥٦٨ : ١٥ ؛ حديث هربه من المدينة الى مكة ٥٦٨ : ١٦ - ٥٦٩ : ٧ ؛ هو والوالى وقد وجد سكران مع غلام ٥٦٩ : ٨ - ١١ ؛ غنى نائلة فأجازته ٥٦٩ : ١٢ - ٥٧٠ : ١٩ ؛ سبب تركه الخمر ٥٧٠ : ٢٠ - ٥٧١ : ١٥

أخبار طريح - نسبه ٥٧٢ : ٢ - ٧ ؛ الحجاج ونسب ثقيف ٥٧٢ : ٨ - ١٣ ؛ أمه ٥٧٢ : ١٤ - ١٥ ؛ كنيته وشئ عنه ٥٧٢ : ١٦ - ١٩ ؛ رضى

الوليد بن يزيد عنه بعد غضب ٥٧٣: ١ - ٥٧٥: ١٧؛ أجازته الوليد في مدحه له
٥٧٥: ١٨ - ٥٧٦: ١٠؛ بينه وبين المنصور في مدحه للوليد ٥٧٦: ١١ -
١٧؛ من جيد مدحه في الوليد ٥٧٧: ١ - ٥٧٨: ٤؛ هو وأبو ورقاء في
سفر ٥٧٨: ٥ - ٥٨٠: ٥

أخبار أبي سعيد - اسمه وولأؤه ٥٨١: ٣ - ٤؛ شيء عنه ٥٨١: ٥ -
٨؛ هو والمهدي وقد أراد على الغناء ٥٨١: ٩ - ٥٨٢: ١٥؛ شيء عن عبدالله
المخزومي ٥٨٢: ١٦ - ٥٨٣: ٣؛ سألته ابراهيم بن المهدي أن يغنيه في
المسجد ٥٨٣: ٤ - ٥٨٤: ١٨

خبر مقتل بنى أمية - تمهيد لابن واصل عن عبد شمس وهاشم ٥٨٥:
٢ - ٥٨٦: ٩؛ مقتل مروان ٥٨٦: ١٠ - ١٥؛ عبد الله بن علي وابن مسلمة
في الحرب ٥٨٦: ١٦ - ٥٨٧: ٣؛ شعر سديف يغري العباس بنى أمية
٥٨٧: ٤ - ٥٨٨: ١٣؛ السفاح بعد قتله بنى أمية ٥٨٨: ١٤ - ٥٨٩: ٢؛
لسديف يحرض السفاح ٥٨٩: ٣ - ١١؛ قتل سليمان بن علي لجماعة من
الأمويين ٥٨٩: ١٢ - ١٧؛ وفود عمرو بن معاوية على سليمان ٥٨٩: ١٨ -
٥٩٠: ١٨؛ من شعر سديف في تحريض السفاح ٥٩٠: ١٩ - ٥٩١: ١؛
لرجل من الشيعة في مثله ٥٩١: ٢ - ٨

خبر حميد بن ثور - نسبه ٥٩٢: ٢ - ٤؛ مخضرم ٥٩٢: ٥؛ شعره
بعد نهى عمر عن النسيب ٥٩٣: ٦ - ١٣؛ وفوده على بعض الخلفاء ٥٩٢:
١٤ - ٥٩٣: ٤

أخبار فليح بن أبي العوراء - ٥٩٤: ٢ - ٣؛ محله في الغناء ٥٩٤: ٤ - ٥؛
منزلته عند المهدي ٥٩٤: ٦ - ١٥؛ صلته بمحمد بن سليمان ٥٩٤: ١٦ -
٥٩٥: ١٦؛ هو وفتى عاشق ٥٩٥: ١٧ - ٥٩٦: ٩

أخبار ابن هرمة - نسبه ٥٩٧: ٢ - ١١؛ عتابه بنى الحارث ٥٩٧: ١٢ -
١٤؛ وصفه نفسه باللؤم ٥٩٧: ١٥ - ١٦؛ حديثه مع أسلمى ٥٩٧:
١٧ - ٥٩٨: ١٧؛ لم يرض من المنصور إلا اباحة الشرب له ٥٩٨: ١٨ -
٥٩٩: ٤؛ هو بين ابراهيم بن عبد الله و ابراهيم بن طلحة ٥٩٩: ٥ - ٦٠٠:

٣ ؛ مدحه للسرى ٦٠٠ : ٤ - ٦٠١ : ٣ ؛ بينه وبين رجل سألته عن بيتين
٦٠١ : ٤ - ٩ ؛ تعقيب لابن واصل فى بطش المنصور بالعلويين ٦٠١ : ١٠ -
١٣ ؛ نزوله برجل يقود على ابنتيه ٦٠١ : ١٤ - ٦٠٢ : ٤ ؛ هو وابن عمران
وأبو ثابت ٦٠٢ : ٥ - ٩ ؛ ليم فى مدحه أبا الحكم ٦٠٢ : ١٠ - ١٧ ؛ سبب
هجائه لعبد العزيز بن المطلب ٦٠٢ : ١٨ - ٦٠٣ : ٩ ؛ أغراه قوم بالحكم
فسأله فأجابه ٦٠٣ : ١٠ - ٦٠٤ : ٢ ؛ هو وجيرانه وقد أفرط فى السكر
٦٠٤ : ٣ - ٨ ؛ شعر له صدقته جنازته ٦٠٤ : ٩ - ١٣ ؛ شعره الذى فيه
الغناء ٦٠٤ : ١٤ - ١٨

أخبار يونس الكاتب وابن رهيمة - نسب يونس ٦٠٥ : ٣ - ٥ ؛ أساتذته
فى الغناء ٦٠٥ : ٦ - ٧ ؛ ابن رهيمة وتشبيهه بزئب ٦٠٥ : ٨ - ٦٠٦ : ٢١
أخبار اسماعيل بن يسار النسائي - انقطاعه الى آل الزبير ومدحه
خلفاء بنى أمية ٦٠٧ : ٣ - ٦ ؛ نادرته وسبب تسمية أبيه بالنسائي ٦٠٧ :
٧ - ٩ ؛ أصله وشعره فى شعوبيته ٦٠٧ : ١٠ - ٦٠٨ : ١١ ؛ هو وأشعب
فى بيت له ٦٠٨ : ١٢ - ١٥ ؛ افتخر بقومه عند هشام فعذبه ونفاه ٦٠٨ :
١٦ - ٦٠٩ : ١٤ ؛ استقدمه الوليد فأنشده فأجازه ٦٠٩ : ١٥ - ٦١٠ : ١٨ ؛
أنشد عبد الملك بعد مقتل ابن الزبير فأجازه ٦١١ : ١ - ٦١٢ : ٦

أخبار النابغة الجعدي - ٦١٣ : ٢ - ٥ ؛ تسميته بالنابغة ٦١٣ : ٦ - ٧ ؛
عمره ٦١٣ : ٨ - ٦١٥ : ٢ ؛ هاجى ابن مغراء فغلبه ٦١٥ : ٣ - ٤ ؛ قدومه
على النبى صلى الله عليه وسلم ٦١٥ : ٥ - ١٣ ؛ فى جاهليته ٦١٥ : ١٤ ؛
استئذانه عثمان فى سكنى البادية ٦١٥ : ١٥ - ٦١٦ : ٦ ؛ شهد صفين مع
على ٦١٦ : ٧ ؛ مهاجاته أوس بن مغراء وليلى ٦١٦ : ٨ - ١٩ ؛ وفوده على
ابن الزبير ٦١٧ : ١ - ١٤ ؛ مع على ومعاوية ٦١٧ : ١٥ - ٦١٩ : ١ ؛ شعره
الذى فيه الغناء ٦١٩ : ٢ - ١٠

ذكر حرب البسوس - سببها ٦٢٠ : ٢ - ٦٢١ : ١٧ ؛ همام وجساس
بعد مقتل كليب ٦٢١ : ١٨ - ٦٢٢ : ٢ ؛ جساس وأبوه مرة ٦٢٢ : ٣ - ٥ ؛
بنو تغلب ومرة بن ذهل ٦٢٢ : ٦ - ١٧ ؛ كلمة الحارث بن عباد ٦٢٢ : ١٨ -
١٩ ؛ الحرب بين الحيين ٦٢٢ : ٢٠ - ٦٢٣ : ٣ ؛ مقتل همام ٦٢٣ : ٤ -

٨ ؛ مشاركة الحارث بن عباد ٦٢٣ : ٩ - ١٧ ؛ أسر الحارث لمهل ٦٢٣ :
١٨ - ٦٢٤ : ٤ ؛ خروج مهلهل واكراهه على تزويج ابنته ٦٢٤ : ٥ - ١٢ ؛
ترحيل جلييلة عن مأتم كليب ٦٢٤ : ١٣ - ٦٢٥ : ٢٠

أخبار ابن قيس الرقيات - نسبه ٦٢٦ : ٢ - ٣ ؛ أمه ولقبه ٦٢٦ : ٤ -
٧ ؛ وفوده على عبد الملك بعد مقتل مصعب الزبيري ٦٢٦ : ٨ - ٦٢٩ : ٩ ؛
مدح ابن جعفر على احسانه اليه ٦٢٩ : ١٠ - ٦٣٠ : ١٣ ؛ بين ابن المسيب
ونوفل في المفاضلة بينه وبين ابن أبي ربيعة ٦٣٠ : ١٤ - ٦٣١ : ١٢ ؛
فضله ابن أبي عتيق هو وابن أبي ربيعة على كثير ٦٣١ : ١٣ - ٦٣٢ : ١١ ؛
شعره الذي فيه الغناء ٦٣٢ : ١٢ - ١٧ ؛ خبر مصعب بن عبد الرحمن على
المدينة ٦٣٢ : ١٨ - ٦٣٣ : ١٤ ؛ استشهاد للمؤلف بشعر لأبي نواس ٦٣٣ :
١٥ - ٢٠

أخبار مالك بن أبي السمح - اسمه وكنيته وشيء من صفاته ٦٣٤ : ٢ -
٦ ؛ عمن أخذ الغناء وعمره ٦٣٤ : ٧ - ٩ ؛ شعر للحسين بن عبيد الله فيه
٦٣٤ : ١٠ - ١٨ ؛ غنى للوليد فلم يطرب ثم غناه ثانية فطرب ٦٣٥ : ١ -
٢٠ ؛ بين ابن عائشة وابن أبي السمح في مقتل الوليد ٦٣٦ : ١ - ٥

أخبار النهدي والوليد بن عقبة بن أبي معيط - حديث ايغار زهير صدر
الحارث الغساني على النهديين ٦٣٧ : ٣ - ١٦ ؛ حديث مقتل رزاح ٦٣٨ :
١ - ٦٣٩ : ٢

وأما الوليد بن عقبة : نسبه ٦٣٩ : ٣ - ٥ ؛ توليه الكوفة ٦٣٩ : ٦ -
١٨ ؛ سيرته في الكوفة ٦٣٩ : ١٩ - ٦٤٠ : ١٦ ؛ شعر الحطيئة في شربه
الخمير ٦٤٠ : ١٧ - ٦٤١ : ٤ ؛ حله وحديث ذلك ٦٤١ : ٥ - ١٨ ؛ شعر
أبي زبيد في هذا ٦٤١ : ١٩ - ٦٤٢ : ١٢ ؛ مثل من تقرّبه لأبي زبيد ٦٤٢ :
١٣ - ١٦ ؛ ما نزل فيه من القرآن ٦٤٢ : ١٧ - ٦٤٣ : ٤ ؛ الرسول صلى الله
عليه وسلم بينه وبين امرأته ٦٤٣ : ٥ - ١١ ؛ قدوم أمه به على النبي صلى الله عليه
وسلم وهو صبي ٦٤٣ : ١٢ - ١٦ ؛ حديثه مع جندب حين قتل الساحر ٦٤٣ :
١٧ - ٦٤٤ : ٩ ؛ ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم لابن صوحان وجندب
٦٤٤ : ١٠ - ٢١ ؛ ابن العاص بن أمية بعد الوليد على الكوفة ٦٤٥ : ١ - ٧ ؛

شعر الوليد فى مقتل عثمان والنعى على على فيما أخذ ٦٤٥ : ٨ - ١٨ ؛
 للفضل فى الرد عليه ٦٤٦ : ١ - ٣ ؛ شعر الوليد فى التحريض على الأخذ
 بثأر عثمان ٦٤٦ : ٤ - ٧ ؛ لأشجع السلمى فيه وفى أبى زبيد وقد مر
 بقبريهما ٦٤٦ : ٨ - ١١ ؛ الأمين فى آخر عهده ٦٤٦ : ١٢ - ٦٤٧ : ١٥

أخبار ابراهيم الموصلى - نسبه وأصله ٦٤٨ : ٢ - ٦ ؛ أمه ٦٤٨ : ٧ -
 ٩ ؛ مولده ووفاته ٦٤٨ : ١٠ - ١١ ؛ سبب تلقيبه بالموصلى ٦٤٨ : ١٢ -
 ١٥ ؛ أول من صحب وغنى عنده ٦٤٨ : ١٦ - ١٨ ؛ حبس المهدي له فى
 شربه الخمر ومنعه اياه من الدخول على ابنه ٦٤٩ : ١ - ٦٥٠ : ١١ ؛ طلب
 الهادى له ٦٥٠ : ١٢ - ١٩ ؛ حديث حماد عن ثراء ابراهيم وكرمه ٦٥٠ :
 ٢٠ - ٦٥١ : ١٣ ؛ حديث الجارية التى اشتراها منه الرشيد ٦٥١ : ١٤ -
 ٦٥٢ : ٩ ؛ أخرجه الرشيد من الحبس فغناه فوصله ٦٥٢ : ١٠ - ١٨ ؛ ثنى
 بيتا أنشده يحيى وغناه فيه فأجازه ٦٥٢ : ١٩ - ٦٥٣ : ١٧ ؛ شىء عنه ٦٥٣ :
 ١٨ - ٢٠ ؛ شعر أبى العتاهية له فى حبسه ٦٥٤ : ١ - ١٠ ؛ هو ومخارق
 وأخذهما دراهم من يحيى البرمكى وأولاده ٦٥٤ : ١١ - ٦٥٨ : ١٩ ؛ أعطاه
 الفضل بن يحيى بعد أن حبس الخليفة عنه يده ٦٥٨ : ٢٠ - ٦٦٠ : ١٣ ؛
 هو ومحمد بن يحيى فى يوم مهرجان ٦٦٠ : ١٤ - ٦٦١ : ٤ ؛ هو والرشيد
 فى ليلة بلغه فيها ما أغضبه فغناه حتى سرى عنه ٦٦١ : ٥ - ٦٦٢ : ١٢ ؛
 حديثه مع الرشيد فى جارية عرض بها فى مجلسه ٦٦٢ : ١٣ - ٦٦٤ : ٤ ؛
 هو وابليس ٦٦٤ : ٥ - ٦٦٦ : ١٨ ؛ حديث اختصاصه بشعر ذى الرمة يغنى
 فيه الرشيد ٦٦٧ : ١ - ٦٦٨ : ٣ ؛ ترضى الرشيد ماردة بشعر غناه هو فيه
 ٦٦٨ : ٤ - ١١ ؛ أول جائزة خرجت من الرشيد لشاعر كانت له ٦٦٨ :
 ١٢ - ١٧ ؛ هو والرشيد وقصة الزنبيل ٦٦٨ : ١٨ - ٦٧١ : ١٠ ؛ شعره
 فى مرضه ٦٧١ : ١١ - ١٦ ؛ زيارة الرشيد له فى علة الموت ٦٧١ : ١٧ -
 ٢٠ ؛ تقديم المأمون لابن الأحنف عليه فى الصلاة عليهما ٦٧٢ : ١ - ١٦ ؛
 شعر أبى اسحاق فى رثائه ٦٧٢ : ١٧ - ٦٧٣ : ٨ ؛ الرشيد يعزى اسحاق
 ابنه فيه ويصله ٦٧٣ : ٩ - ١٨

أخبار اسحاق بن ابراهيم الموصلى - كنيته ٦٧٤ : ٢ - ٣ ؛ منزلته فى
 العلم والغناء ٦٧٤ : ٤ - ٩ ؛ تمناه المأمون للقضاء ٦٧٤ : ١٠ - ١٢ ؛

مشايخه فى الحديث ٦٧٤ : ١٣ - ١٥ ؛ ضنه بالغناء وما أحدثه فيه ٦٧٤ :
 ١٦ - ١٨ ؛ أمه ٦٧٤ : ١٩ ؛ نهجه فى يومه ٦٧٥ : ١ - ٦ ؛ رأى الواثق فيه
 ٦٧٥ : ٧ - ١٢ ؛ هو والمأمون وقد سأله الدخول مع العلماء ثم مع الفقهاء
 ٦٧٥ : ١٣ - ٦٧٦ : ٢ ؛ شأنه بين المغنين فى حصرة الواثق ٦٧٦ : ٣ - ٨ ؛
 غنى المأمون فى شعر لذى الرمة فأجازه وحديث ذلك ٦٧٦ : ٩ - ١٧ ؛ هو
 وابراهيم بن المهدي فى صوت غناه عند الرشيد ٦٧٦ : ١٨ - ٦٧٩ : ١٠ ؛
 صنع فى بيتين ودع بهما الفضل بن يحيى غناء فأجازه ٦٧٩ : ١١ - ٢٠ ؛
 أنشد المعتصم يهنئه بالخلافة فأجازه ٦٨٠ : ١ - ١٦ ؛ هو وعلويه فى مجلس
 الفضل بن الربيع ٦٨٠ : ١٧ - ٦٨٤ : ٢٠ ؛ ذكره الواثق بالشيب فبكى
 وقال شعرا غنى فيه ٦٨٤ : ٢١ - ٦٨٥ : ٦ ؛ غير الأصمعى رأيه فى شعر علم
 أنه له ٦٨٥ : ٧ - ١٣ ؛ بينه وبين على بن يحيى فى معنى كان يستجيده
 ٦٨٥ : ١٤ - ٦٨٦ : ٧ ؛ نال جائزة الرشيد دون الأصمعى ٦٨٦ : ٨ - ٦٨٧ :
 ٤ ؛ حضر عند الفضل دخول ابن ابنه عبد الله عليه فقال شعرا سره به
 ٦٨٧ : ٥ - ١٤ ؛ غضب عليه الفضل بسبب ابن دهمان فترضاه بشعر ٦٨٧ :
 ١٥ - ٦٨٨ : ٧ ؛ هو وجعفر بن يحيى وغلماؤه نافذ وقد حجبه ٦٨٨ : ٨ -
 ١٧ ؛ شعره فى غلام قبيح للمصعبى أبى القدح منه ٦٨٨ : ١٨ - ٦٨٩ : ٧ ؛
 هو وطلحة بعد وقعة الشراة وجوائزهم اليه ٦٨٩ : ٨ - ٦٩٠ : ١٧ ؛ شكا
 اليه المأمون أصحابه ثم غناه فأجازه ٦٩٠ : ١٨ - ٦٩١ : ١٣ ؛ صلة الواثق
 له وقد خرج معه الى النجف ٦٩١ : ١٤ - ٦٩٢ : ١٦ ؛ صنع الواثق لحنا
 وصنع هو خيرا منه ٦٩٢ : ١٧ - ٦٩٤ : ١٩ ؛ غنى الأمين بشعر مدحه به
 فأجازه ٦٩٤ : ٢٠ - ٦٩٥ : ٣ ؛ أنشد مروان بن أبى حفصة فشغله عن حديث
 له ٦٩٥ : ٤ - ٩ ؛ طرب لشعر أعرابى وسكر عليه ٦٩٥ : ١٠ - ١٧ ؛ من
 شعره فى الواثق ٦٩٥ : ١٨ - ٦٩٦ : ١٢ ؛ قصة خروجه الى تل عزاز ٦٩٦ :
 ١٣ - ٦٩٧ : ١٤ ؛ جفاه المأمون فدى عليه علويه فغناه فرضى عنه ٦٩٧ :
 ١٥ - ٦٩٨ : ١١ ؛ فساد ما بينه وبين الأصمعى وحديث ذلك ٦٩٨ : ١٢ -
 ٦٩٩ : ٨ ؛ بينه وبين غلامه فتح ٦٩٩ : ٩ - ١٣ ؛ سأله الفضل أن يغنيه وكان
 الرشيد نهاه وقصة ذلك ٦٩٩ : ١٤ - ٧٠٠ : ٨ ؛ بينه وبين أعرابى أنشده
 شعره ٧٠٠ : ١ - ٧٠١ : ٧ ؛ ذكره الفضل بن الربيع بالشيب فقال شعرا

٧٠١ : ٨ - ١٣ ؛ حدث عن غائب في مجلس المعتصم فأجازه ٧٠١ : ١٤ -
 ٧٠٢ : ٨ ؛ أجازه المخلوع على أبيات في سفينة له ٧٠٢ : ٩ - ١٦ ؛ حديث
 دخول عبد الملك بن صالح على جعفر بن يحيى وهو ينادمه ٧٠٢ : ١٧ - ٧٠٤ :
 ١٨ ؛ شعر كتب به وهو معتل الى هشام ٧٠٤ : ١٩ - ٧٠٥ : ١ ؛ شعر له
 في خرجته الأولى الى البصرة ٧٠٥ : ٢ - ٨ ؛ هو وجماعة من المغنين عند
 اسحاق المصعبي ٧٠٥ : ٩ - ٧٠٦ : ١١ ؛ خروجه مع الرشيد الى الرقة وقصته
 بدير القائم وتل عزاز ٧٠٦ : ١٢ - ٧٠٧ : ١٢ ؛ دخل على الرشيد مغنيا
 فأجازه ٧٠٧ : ١٣ - ٧٠٨ : ٢ ؛ اغتم لصوت أخذه عنه أحد العامة ٧٠٨ : ٣ -
 ١٥ ؛ دخوله بيتا متطفلا ٧٠٨ : ١٦ - ٧١١ : ٦ ؛ هو والواثق في دير مارت
 مريم ٧١١ : ٧ - ١٤ ؛ غنى عبد الله بن طاهر فوصله ٧١١ : ١٥ - ٧١٢ : ١١ ؛
 هو بعد أن كف في حضرة المتوكل ٧١٢ : ١٢ - ٧١٣ : ١١ ؛ مرضه وموته
 ٧١٣ : ١٢ - ١٦ ؛ حزن المتوكل عليه وعلى أحمد بن عيسى ٧١٣ : ١٧ -
 ٧١٤ : ٣ ؛ لبعضهم عن وفاته ٧١٤ : ٤ - ٧ ؛ شعر أحمد بن ابراهيم في رثائه
 ٧١٤ : ٨ - ١٢

أخبار الصمة القشيري - نسبه ٧١٥ : ٢ - ٥ ؛ طبقته ٧١٥ : ٦ ؛ شيء
 عن جده ٧١٥ : ٧ - ٨ ؛ حديث حبه وزواجه ٧١٥ : ٩ - ٧١٦ : ٣ ؛ موته
 بطبرستان ٧١٦ : ٤ - ١٢ ؛ أبيات له كان يستحسنها ابن الأعرابي ٧١٦ :
 ١٣ - ٧١٧ : ٣ ؛ شعره الذي فيه الغناء ٧١٧ : ٤ - ٦

أخبار داود بن سلم - ولأوه ونسبه ٧١٨ : ٢ - ٥ ؛ طبقته ٧١٨ : ٦ ؛
 سبب كنيته بالأدلم ٧١٨ : ٧ ؛ شيء عن بخله ٧١٨ : ٨ - ١٤ ؛ شعره يمدح
 قثم بن العباس ٧١٨ : ١٥ - ٧١٩ : ٤ ؛ شعره في جارية هويها قثم وفاته
 شراؤها ٧١٩ : ٥ - ١٢ ؛ مدح حرب بن خالد فأجازه ٧١٩ : ١٣ - ٧٢٠ : ٣ ؛
 من جيد شعره ٧٢٠ : ٤ - ١١ ؛ شعره الذي فيه الغناء ٧٢٠ : ١٢ - ١٦

أخبار دحمان - اسمه ولأوه وشيء عنه ٧٢١ : ٢ - ٤ ؛ ما أفاده من
 المهدي مرة ٧٢١ : ٥ - ٧ ؛ هو والمهدي وضيعتان وهبهما له ٧٢١ : ٨ - ١٤ ؛
 حديثه مع الوليد في جارية اشتراها منه ثم ردها اليه ٧١٢ : ١٥ - ٧٢٣ : ١٩

أخبار أعشى همدان - اسمه ٧٢٤ : ٢ - ٥ ؛ كنيته ٧٢٤ : ٦ ؛ طبقته
 وشيء عنه ٧٢٤ : ٧ - ٩ ؛ رؤيا أولها له الشعبي ٧٢٤ : ١٠ - ١٣ ؛ أسره

وحدثه مع بنت الملك ۷۲۴ : ۱۴ - ۷۲۶ : ۱۵ ؛ مدح النعمان بن بشير
لوساطته في عطاء ۷۲۶ : ۱۶ - ۷۲۷ : ۱۰ ؛ طلق زوجة وتزوج أخرى
۷۲۷ : ۱۱ - ۷۲۸ : ۹ ؛ أملق فمدح ابن عتاب فأجازه ۷۲۹ : ۱۰ - ۱۶ ؛
أنشد سابق لعمر بن عبد العزيز من شعره فأبكاه ۷۳۰ : ۱ - ۱۰ ؛ مقتله
۷۳۰ : ۱۱ - ۷۳۲ : ۳ ؛ هو والحجاج ومقتله ۷۳۲ : ۴ - ۷۳۴ : ۱۵ ؛
مصير ابن الأشعث ۷۳۴ : ۱۶ - ۷۳۵ : ۴

أخبار حماد الرواية - نسبه وولأؤه ۷۳۶ : ۲ ؛ علمه وصلة بنى أمية
له عليه ۷۳۶ : ۳ - ۵ ؛ بينه وبين الوليد بن يزيد وقد سأل عن لقبه ۷۳۶ :
۶ - ۱۵ ؛ الحمادون الثلاثة ۷۳۶ : ۱۶ - ۲۰ ؛ وفوده الى هشام بن عبد الملك
۷۳۷ : ۱ - ۷۳۹ : ۹ ؛ توسط مطيع له عند جعفر وسوء حظه ۷۳۹ : ۱۰ -
۷۴۰ : ۱۱ ؛ طلب من بعض الرؤساء حاجة ففضاها له ۷۴۰ : ۱۲ - ۷۴۱ :
۱ ؛ بدء حياته ۷۴۱ : ۲ - ۵ ؛ رأى المفضل فيه ۷۴۱ : ۶ - ۱۲ ؛ رأى المهدي
فيه وفي المفضل ۷۴۱ : ۱۳ - ۷۴۳ : ۳ ؛ الشعر الذي فيه الغناء ۷۴۳ :
۴ - ۶ الصوت الذي فيه غناء عبادل ۷۴۳ : ۷ - ۱۳ ؛ قصيدة طريح ۷۴۳ :
۱۴ - ۷۴۴ : ۸

رجع الى أخبار ابن هرمة - ابن هرمة والعباس بن الوليد ۷۴۴ : ۱۰ -
۷۴۵ : ۱ ؛ ابن هرمة وعبد الواحد بن سليمان ۷۴۵ : ۵ - ۷۴۷ : ۱۳ ؛ بين
الجمحي وبينه في مدحه عبد الواحد ۷۴۷ : ۱۴ - ۷۴۹ : ۳ ؛ بين المهدي وأبيه
المنصور وقد قصر في جائزته ۷۴۹ : ۴ - ۷۵۰ : ۴ ؛ هو ورسول المنصور
وقد دسه عليه ۷۵۰ : ۵ - ۷۵۱ : ۴

أخبار المرقشين الأكبر والأصغر - الأكبر وشيء عنه ۷۵۲ : ۲ - ۷ ؛
الأصغر وشيء عنه ۷۵۲ : ۸ - ۱۰ ؛ من شجاعتهما ۷۵۲ : ۱۱ - ۱۲ ؛ عم
الأكبر وشيء من شجاعته ۷۵۲ : ۱۳ - ۱۶ ؛ أخو الأكبر وشيء من شجاعته
۷۵۲ : ۱۷ - ۷۵۳ : ۱۳ ؛ تعشقه ابنة عمه وحديث زواجه وموته ۷۵۳ :
۱۴ - ۷۵۶ : ۱۲ ؛ الشعر الذي فيه الغناء ۷۵۶ : ۱۳ - ۱۶ ؛ الأصغر وخبره
مع فاطمة ۷۵۶ : ۱۷ - ۷۵۹ : ۵

وقعة دولاب - الخوارج ۷۶۰ : ۲ - ۱۴ ؛ نافع بن الأزرق والحرب بينه
وبين أهل البصرة ۷۶۰ : ۱۵ - ۷۶۳ : ۴ ؛ شيء عن أم حكيم ۷۶۳ : ۵ - ۱۱

العروضى - كلمة عن العروضى ٧٦٣ : ١٢ - ١٥

نفر من المغنين - بعض من ذكرهم الأصفهاني من المغنين وأهمهم ابن واصل ٧٦٣ : ١٦ - ١٩

أخبار النميرى - نسبه ومنشؤه وهواه بزيب ٧٦٤ : ٢ - ٥ ؛ شىء عن الفارعة أم زيب ٧٦٤ : ٦ - ١٠ ؛ وقوع الحجاج فيه وهو غلام لذكره أخته ٧٤٦ : ١١ - ١٣ ؛ الحجاج فى ميراث لأخته مع عروة عند ابن زياد ٧٦٤ : ١٤ - ١٧ ؛ أول شعره فى زيب ٧٦٥ : ١ - ٧٦٦ : ٧ ؛ هو وعبد الملك والحجاج فى هذه القصيدة ٧٦٦ : ٨ - ٧٦٧ : ١٦ ؛ من شعره فى زيب ٧٦٧ : ١٧ - ٧٦٨ : ١٦ ؛ ما أخذه عبد الملك على الحجاج بشأنه حين بعثه لحرب ابن الزبير ٧٦٨ : ١٧ - ٧٦٩ : ٥ ؛ تهديد الحجاج له وهربه وشعره فى ذلك ٧٦٩ : ٦ - ٧٧٠ : ٥ ؛ شىء عن زواج زيب ثم وفاتها ورثاء النميرى لها ٧٧٠ : ٦ - ١٩ ؛ أعجب ابن المسيب بشعر له وزاد عليه ٧٧١ : ١ - ٨ ؛ استنشدته عائشة بنت طلحة شعره فى زيب ٧٧١ : ٩ - ٧٧٢ : ٧ ؛ من شعره فى زيب ٧٧٢ : ٨ - ١٥

أخبار الوضاح - اسمه ونسبه ولقبه ٧٧٣ : ٢ - ١٦ ؛ هو والمقنع والطائي ٧٧٣ : ١٧ - ١٩ ؛ هو وزوجته وشعره فيها ٧٧٤ : ١ - ٧٧٥ : ١٤ ؛ حبه لأم البنين ٧٧٥ : ١٥ - ٢٠ ؛ أم البنين وكثير ووضاح ٧٧٦ : ١ - ٢ ؛ أعانته أم البنين عند الوليد بن عبد الملك ٧٧٦ : ٣ - ١٣ ؛ نكايه الوليد به ٧٧٦ : ١٤ - ٧٧٧ : ٦ ؛ حكاية مقتله ٧٧٧ : ٧ - ٧٧٨ : ١٥ ؛ نكايه الوليد به لتشبيهه بفاطمة أخته ٧٧٨ : ١٦ - ٧٧٩ : ٣ ؛ وله فى أم البنين وقد اعتلت ٧٧٩ : ٤ - ١٢ ؛ الشعر الذى فيه الغناء ٧٧٩ : ١٣ - ١٥

خبر بشار مع عبدة - لبشار فى عبدة ٧٨٠ : ٢ - ٥ ؛ راويته بينه وبينها ٧٨٠ : ٦ - ١١ ؛ من شعره فيها ٧٨٠ : ١٢ - ٧٨١ : ٢ ؛ حديث حبه عبدة ٧٨١ : ٣ - ١١

أخبار الأحوص مع أم جعفر - شعره الذى يغنى به ٧٨٢ : ٢ - ٦ ؛ هو وأخوها وعمر بن عبد العزيز ٧٨٢ : ٧ - ١٦ ؛ للسائب يعيره بفراره وردده عليه ٧٨٢ : ١٧ - ٧٨٣ : ١ ؛ رد الأحوص ٧٨٣ : ٢ - ٥ ؛ اقتداء عمر بعثمان

فيما فعل ٧٨٣ : ٦ - ٨ ؛ من شعره في أم جعفر ٧٨٣ : ٩ - ١٧ ؛ هو وأم جعفر وقد جاءتة متنقبة ٧٨٣ : ١٨ - ٧٨٤ : ٧

أخبار أبي ذؤيب الهذلي - نسبه ٧٨٥ : ٢ - ٣ ؛ طبقته واسلامه ٧٨٥ : ٤ - ٥ ؛ تقدمه على الشعراء ٤٨٥ : ٦ - ١٣ ؛ خروجه مع عبد الله بن سعد لغزو افريقية ثم عودته وموته بمصر ٧٨٥ : ١٤ - ١٨ ؛ حديث ابن الزبير في هذه الحرب ٧٨٥ : ١٩ - ٧٨٧ : ١٥ ؛ خبر آخر في موته ٧٨٧ : ١٦ - ٧٨٨ : ٧ ؛ شعره في موته ٧٨٨ : ٨ - ١٢

حكم الوادي - شيء عنه ٧٨٨ : ١٣ - ١٤

أخبار ابن جامع - نسبه ٧٨٩ : ٢ - ٤ ؛ أبو وداعة والمطلب ابنه ٧٨٩ : ٥ - ٧ ؛ كنية ابن جامع وشيء من أخبار أمه ٧٨٩ : ٨ - ٧٩٠ : ٢ ؛ من ورعه ٧٩٠ : ٣ - ٦ ؛ مع أبي يوسف القاضي بباب الرشيد ٧٩٠ : ٧ - ٧٩١ : ١٩ ؛ جاء به ابن الربيع لما ولي الهادي ٧٩١ : ٢٠ - ٧٩٢ : ٨ ؛ أطرب الرشيد بصوت أخذه عن سوداء فأجازه ٧٩٢ : ٩ - ٧٩٣ : ١٣ ؛ شعر للسموئل فيه لابن جامع غناء ٧٩٣ : ١٤ - ٧٩٤ : ٢ ؛ خبر السموئل وابنه شريح ٧٩٤ : ٣ - ١٨ ؛ أسره الأعشى وشفاعة شريح فيه ٧٩٤ : ١٩ - ٧٩٦ : ٦

أخبار أبي سفيان بن حرب - اسمه ٧٩٧ : ٢ - ٣ ؛ أم حرب ٧٩٧ : ٤ - ٥ ؛ أمه ٧٩٧ : ٦ - ٨ ؛ شيء عن حرب ووفاته ٧٩٧ : ٩ - ٧٩٨ : ٥ ؛ مكانته في قريش وفق عينييه ٧٩٨ : ٦ - ١٠ ؛ قوله في زواج ابنته أم حبيبة من النبي صلى الله عليه وسلم ٧٩٨ : ١١ - ١٨ ؛ هو والنبي صلى الله عليه وسلم وقد أبطأ أذنه ٧٩٨ : ١٩ - ٧٩٩ : ٤ ؛ هو وهرقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ٧٩٩ : ٥ - ٨٠١ : ١٦ ؛ اسلام أبي سفيان ٨٠٢ : ١ - ٨٠٤ : ١٥ ؛ أبو سفيان يوم اليرموك ٨٠٤ : ١٦ - ٢٣ ؛ هو وعلى لما ولي أبو بكر ٨٠٥ : ١ - ٥ ؛ شعر له لما ولي أبو بكر ٨٠٥ : ٦ - ١٤ ؛ هو في غزوة السويق ٨٠٥ : ١٥ - ٨٠٦ : ١٣

أخبار الوليد بن يزيد - نسبه وكنيته ٨٠٧ : ٢ - ٣ ؛ أمه ٨٠٧ : ٤ - ٧ ؛ أم يز ٨٠٧ : ٨ - ١٣ ؛ شيء عن الوليد وولايته الخلافة ٨٠٧ : ١٤ - ١٧ ؛ ولايته العهد بعد هشام وطمع هشام في خلعه ٨٠٧ : ١٨ - ٨٠٩ : ١٨

اباء خالد القسرى بيعة مسلمة ٨٠٩ : ١٩ - ٢٠ ؛ الوليد والعباس فى مجلس هشام ٨٠٩ : ٢١ - ٨١٠ : ٨ ؛ هو وسعيد بن هشام وابراهيم المخزومى فى مجلس هشام ٨١٠ : ٩ - ٨١١ : ٦ ؛ شعره لهشام لما أراد خلعه ٨١١ : ٧ - ١٢ ؛ ذم هشاما لعبته بخاصته ٨١١ : ١٣ - ٨١٣ : ٧ ؛ شعره فى الفخر على هشام ٨١٣ : ٨ - ١٥ ؛ هو وأبو الزناد فى حديث هشام بعد موته ٨١٣ : ١٦ - ٨١٤ : ٩ ؛ شعره فى الرد على من عابه بشرب الخمر ٨١٤ : ١٠ - ١٦ ؛ كتابه الى هشام وكتاب هشام اليه ٨١٤ : ١٧ - ٨١٦ : ١٨ ؛ تبشيريه بالخلافة بعد هشام ٨١٦ : ١٩ - ٨١٧ : ١٦ ؛ تعقيب لابن واصل ٨١٧ : ١٧ - ٢٠ ؛ الوليد وابنا هشام المخزومى ٨١٨ : ١ - ٨ ؛ شعر الوليد حين نعى اليه هشام ٨١٨ : ٩ - ٨١٩ : ٤ ؛ من شعره المطرب ٨١٩ : ٥ - ١٣ ؛ وله أيضا عندما نعى هشام اليه ٨١٩ : ١٤ - ١٨ ؛ غناه عمر الوادى بشعره فى موت هشام ٨١٩ : ١٩ - ٨٢٠ : ٤ ؛ ما أخذه أبو نواس من معانيه ٨٢٠ : ٥ - ١٠ ، من شعره فى هشام ٨٢٠ : ١١ - ١٤ ؛ شعره لما بويع ٨٢٠ : ١٥ - ٨٢١ : ٦ ؛ من شعره ٨٢١ : ٧ - ٩ ؛ غنت جارية فاشتراها ٨٢١ : ١٠ - ٢٠ ؛ شرب هو ومحمد بن سليمان بجرن ٨٢١ : ٢١ - ٨٢٢ : ٨ ؛ طلاقه سعدة وهيامه بأختها سلمى ٨٢٢ : ٩ - ١٨ ؛ أشعب بينه وبين سعدة ٨٢٢ : ١٩ - ٨٢٣ : ١٧ ؛ حيلته لرؤية سلمى وشعره فى ذلك ٨٢٣ : ١٨ - ٨٢٤ : ١٩ ؛ زواجه بسلمى وموتها وشعره فى رثائها ٨٢٥ : ١ - ٨٢٦ : ٩ ؛ من تهتكه ٨٢٦ : ١٠ - ١١ ؛ مع ابن الزندبوذ ٨٢٦ : ١٢ - ٨٢٧ : ٢ ؛ هو والمصحف ٨٢٧ : ٣ - ١٢ ؛ هو والقاسم بن الطويل ٨٢٧ : ١٣ - ٨٢٨ : ١١

ذكر مقتل الوليد بن يزيد - يزيد الناقص والعباس بن الوليد فى شأنه
 ٨٢٨ : ١٣ - ٨٢٩ : ١٣ ؛ اجتماع الأمر ليزيد الناقص ٨٢٩ : ١٤ - ٨٣٤ : ٦ ؛ تمثيلهم به بعد موته ٨٣٤ : ٧ - ٩ ؛ عمر الوادى ساعة مقتله ٨٣٤ : ١٠ - ١٣ ؛ ابنا الوليد ويزيد بن هشام ٨٣٤ : ١٤ - ٨٣٥ : ٣ ؛ الرشيد وابن الغمر بن يزيد ٨٣٥ : ٤ - ٧ ؛ المهدي وابن علاثة فى شأن للوليد ابن يزيد ٨٣٥ : ٨ - ١٧ ؛ تعقيب لابن واصل فى زوال ملك بنى أمية ٨٣٥ : ١٨ - ٨٣٦ : ١١

عمر الوادى - شىء عنه ٨٣٦ : ١٢ - ١٤

أبو كامل المغنى - شىء عنه ٨٣٦ : ١٥ - ١٧

أخبار يزيد بن ضبة - نسبه وولاءه ٨٣٧ : ٢ - ٤ ؛ هو بين ولاية هشام والوليد ٨٣٧ : ٥ - ٨٣٨ : ١٤

اسماعيل بن الهربذ - شىء عنه ٨٣٨ : ١٥ - ١٦

أخبار نابغة بنى شيبان - نسبه ٨٣٩ : ٢ - ٥ ؛ شاعر بدوى ٨٣٩ : ٦ - ٧ ؛ دينه ٨٣٩ : ٨ - ١٠ ؛ ممدوحه ٨٣٩ : ١١ - ١٢ ؛ مدحه لعبد الملك عند همه بخلع ابنه وتولية ابنه ٨٣٩ : ١٣ - ٨٤٠ : ١٤ ؛ وله بهنىء يزيد بمقتل ابن المهلب ٨٤٠ : ١٥ - ٨٤١ : ١٣ ؛ وفوده على الشام حين ولى هشام ٨٤١ : ١٤ - ٨٤٢ : ١٠

أخبار أبى دهب - نسبه ٨٤٣ : ٢ - ٣ ؛ أمه ٨٤٣ : ٤ ؛ من جماله وأول قوله الشعر ٨٤٣ : ٥ - ٨ ؛ هو وعمره ٨٤٣ : ٩ - ٨٤٥ : ٥ ؛ هو وعاتكة ٨٤٥ : ٦ - ٨٤٦ : ١٤ ؛ هو ومعاوية ٨٤٦ : ١٥ - ٨٤٩ : ١١ ؛ هو وشامية نزوجها ٨٤٩ : ١٢ - ٨٥٠ : ٧ ؛ من شعره فى مدح ابن الأزرق ٨٥٠ : ٨ - ٨٥١ : ٨ ؛ من جيد شعره ٨٥١ : ٩ - ١٢

أخبار الحسين بن الضحاك - نسبه ٨٥٢ : ٢ - ٣ ؛ منشؤه وشعره ٨٥٢ : ٤ - ٧ ؛ انتفاع أبى نواس بمعانيه ٨٥٢ : ٨ - ٩ ؛ موته ٨٥٢ : ١٠ - ٨٥٣ : ٥ ؛ مع المأمون بعد الأمين ٨٥٣ : ٦ - ١٤ ؛ صالح بن الرشيد والمأمون فى أمره ٨٥٣ : ١٥ - ٨٥٤ : ٦ ؛ وقوف المأمون على شعر له غنى به ابن بانه عند صالح بن الرشيد ٨٥٤ : ٧ - ٨٥٥ : ٢ ؛ حزنه على الأمين ومن مرثيته فيه ٨٥٥ : ٣ - ١٤ ؛ تهنئته المعتصم بفتح عمورية ٨٥٥ : ١٥ - ٨٥٦ : ١٠ ؛ استجداد الرياشى شعرا له فى الخمر ٨٥٦ : ١١ - ١٣ ؛ أخذ أبو نواس معنى له فى الخمر ٨٥٦ : ١٤ - ٨٥٧ : ٤ ؛ تهنئته الواصل بالخلافة ٨٥٧ : ٥ - ١٦ ؛ أنشد الواصل فى يوم غيم ٨٥٧ : ١٧ - ٨٥٨ : ٥ ؛ وصف ليلة مع الواصل ٨٥٨ : ٦ - ١٧ ؛ هو وجارية للواصل غضبت عليه ٨٥٨ : ١٨ - ٨٥٩ : ١٢ ؛ شعره فى جارية للواصل ماتت فرآها فى النوم ٨٥٩ : ١٣ - ٢٢ ؛ بينه وبين ابن المهدي وكان عربد عليه ٨٦٠ : ١ - ١٠ ؛ توسله بابن مسعدة

ليشفع له عند المأمون ٨٦٠ : ١١ - ٨٦١ : ١ ؛ بينه وبين المأمون فى شعر
قاله فى رثاء الأمين ٨٦١ : ٢ - ١٤ ؛ شعر له فى غلام لصالح بن الرشيد
غنى فيه عمرو بن بانة ٨٦١ : ١٥ - ٨٦٢ : ٤ ؛ هو والمتوكل وشفيع خادمه
٨٦٢ : ٥ - ١٩ ؛ شعره فى غلام ٨٦٣ : ١ - ١٠ ؛ هو وصالح بن
الرشيد وغلام أخيه يسر ٨٦٣ : ١١ - ٨٦٤ : ١٤ ؛ شعره فى تهنئة الواثق
بالخلافة ٨٦٤ : ١٥ - ٨٦٥ : ١١ ؛ بينه وبين أحد جند الشام ٨٦٥ : ١٢ -
٨٦٦ : ١٦ ؛ شعر له أعجب به الأمين لما غنى به ٨٦٦ : ١٧ - ٨٦٧ : ٤ ؛
هو وغلام أبى أحمد بن الرشيد ٨٦٧ : ٥ - ١١ ؛ هو وغلام جميل ٨٦٧ :
١٢ - ١٨ ؛ لم يرث الأمين استماعا لأبى العتاهية ٨٦٧ : ١٩ - ٨٦٨ : ١٠ ؛
هو وعلى بن يحيى وقد سأله عن أمه ٨٦٨ : ١١ - ٨٦٩ : ٤ ؛ هو وجارية
تشكو ٨٦٩ : ٥ - ١٢ ؛ هو وشفيع خادم المتوكل ٨٦٩ : ١٣ - ٨٧٠ : ٢ ؛
له يسأل المتوكل رزق ابن له مات ٨٧٠ : ٣ - ١٧ ؛ الذين ضربوه من الخلفاء
٨٧٠ : ١٨ - ٨٧١ : ٨ ؛ هو فى أواخر أيامه ٨٧١ : ٩ - ١٢ ؛ الشعر الذى
فيه الغناء ٨٧١ : ١٣ - ١٥

أبو زكار الأعمى - من قدماء المغنين ٨٧٢ : ٢ - ٣ ؛ فى مقتل جعفر

ابن يحيى ٨٧٢ : ٤ - ١٣

أخبار السيد الحميرى - نسبه ٨٧٣ : ٢ - ٣ ؛ شئ عن جده ٨٧٣ :

١١ - ٢ ؛ كنيته وأمه ٨٧٣ : ١٢ ؛ قدره فى الشعر ٨٧٣ : ١٣ - ٥ ؛ هجران
الناس شعره ٨٧٣ : ١٦ - ٨٧٤ : ٢ ؛ أبواه ٨٧٤ : ٣ - ٦ ؛ مذهبه
٨٧٤ : ٧ - ١٩ ؛ من وصفه ٨٧٤ : ٢٠ - ٨٧٥ : ٢ ؛ رأى الأصمعى فيه
٨٧٥ : ٣ - ٧ ؛ مدح السفاح فحكمه ٨٧٥ : ٨ - ١٦ ؛ أنشد جعفر بن محمد
فأبكاه ٨٧٥ : ١٧ - ٨٧٦ : ٦ ؛ هو ورجل سأله عما يدين به ٨٧٦ : ٧ -
١١ ؛ شعر نسب له ولكثير ٨٧٦ : ١٢ - ١٩ ؛ استجاد العتبي قصيدته
اللامية ٨٧٦ : ٢٠ - ٨٧٧ : ١٠ ؛ جمعه لفصائل على كرم الله وجهه وشعره
فى حادثة العقاب ٨٧٧ : ١١ - ٨٧٧ ، ٩ ؛ مثله مما روى عن النبى صلى الله
عليه وسلم ٨٧٧ : ١٠ - ١٦ ؛ شعره فى تدليل رسول الله صلى الله عليه
وسلم للحسن والحسين ٨٧٧ : ١٧ - ٨٧٩ : ٥ ؛ عارضه سوار وهو ينشد

- المنصور فهجاه ٨٧٩ : ٦ - ٨٨٠ : ١٧ ؛ هو وسوار وقد طلب الى شهادة
عنده ٨٨٠ : ١٨ - ٨٨١ : ١٥ ؛ منع المنصور سوارا أن يحكم له أو عليه
٨٨١ : ١٦ - ١٩ ؛ هو وامرأة اباضية تزوجها ٨٨١ : ٢٠ - ٨٨٣ : ٦ ؛ في
مرضه ٨٨٣ : ٧ - ٩ ؛ المنصور وقد بلغه موته ٨٨٣ : ١٠ - ١١ ؛ جعفر
ابن محمد وقد بلغه موته ٨٨٣ : ١٢ - ١٦ ؛ موته ٨٨٣ : ١٧ - ١٨ ؛ حديث
تكفينه ٨٨٣ : ١٩ - ٨٨٤ : ٩ ؛ اطراح ابن واصل لبعض شعره ٨٨٤ : ١٠ -
١٢ ؛ شعره الذي فيه الغناء ٨٨٤ : ١٣ - ٨
البردان - شيء عنه ٨٨٥ : ١ - ٢
-

DATE DUE

JUN 01 2011

GAYLORD

PRINTED IN U.S.A.

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0045330964

FEB 16 1962
MAR 18 1977

